تصوير ابو عبد الرحمن الكردي

موسوعة

تاريخ إيران السياسي

من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية

د. حسن كريم الجاف

المجلد الثالث

الدار العربية للموسوعات

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.forumarabia.com

موسوعة

تاريخ ايران السياسي

من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية

موسوعة
تاريخ ايران السياسي
من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية

تأليف

د. حسن كريم الجاف

المجلد الثالث

الدار العربية للموسوعات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٨م - ١٤٢٨هـ

الدار العربية للموسوعات

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان
ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 952594 5 00961 - فاكس: 459982 5 00961
هاتف نقال: 388363 3 00961 - 525066 3 00961 - بيروت - لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

المقدمة

في هذا الجزء دخلنا التاريخ الحديث، فقسمناه إلى ستة فصول، الأول بدأناه بأوضاع ايران في بداية القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) حيث لم تكن في ايران وحدة سياسية ويمكن تقسيم السلالات التي تواجدت في تلك الحقبة الزمنية إلى ثلاث سلالات وهي السلالات المشكلة من الاعيان والأشراف وأصحاب الاقطاعيات المحليين الايرانية وكانت هذه السلالات معظمها من رؤساء القبائل التركمانية وعلى رأسها قبائل الخروف الأبيض (قوينلو) التي نشب النزاع بين حكامها مع تواجد امارات كردية في غرب ايران وسلالات من السادات العلويين الذين وصلوا إلى الحكم في المناطق الجنوبية من ايران والنواحي المجاورة لبحر (الخزر).

في هذه الأوضاع المضطربة تظهر الدولة الصفوية على يد اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية الذي جعل المذهب الشيعي ديناً رسمياً لايران وأجبر الشعوب الايرانية على ترك مذاهبهم والتحول إلى مذهب الشيعة الاثني عشرية. وكان لظهور الدولة الصفوية في ايران تأثير كبير من النواحي السياسية والاجتماعية والدينية لم يقتصر أثرها على ايران وحدها بل تعداها إلى العراق وتركيا وأفغانستان والهند، وأسس شاه اسماعيل دولة كانت قوته السياسية تعتمد على قوة عسكرية مخلصة تربطها وشائج عقائدية متينة، فكان جيش (القزل باش) خير معين له في تنفيذ أهدافه المنشودة في الاستيلاء على ايران وجعله وحدة سياسية متكاملة تقف سدا منيعا امام الدولة العثمانية المتنامية التي تعد نفسها وارثة للخلافة الإسلامية وعليه يمكن القول ان ظهور الدولة الصفوية كانت نتاجاً ظاهرا لبعث قومي وديني ايراني وكان هذا البعث عاملاً لخلق ايران قوية موحدة بعد ان كانت جزءاً من الامبراطورية الإسلامية وأصبح المذهب الشيعي عاملاً قومياً ودينياً لدفع الايرانيين ليقاوموا بشدة وعنف الامبراطورية العثمانية الداعية إلى وراثة الخلافة الإسلامية ولا ريب ان الشرخ الذي حصل في جسم الدولة الإسلامية نتيجة هذا الانقسام الخطير بين هاتين

الدولتين المسلمتين كان على حساب الإسلام واعاقة انتشاره في العالم وأصبحت أكثرية الولايات الإسلامية مسرحا للحروب المذهبية بين هاتين الدولتين المتنافستين.

ومن الظواهر المهمة في عصر الدولة الصفوية نمو المؤسسة الدينية منذ عهد طهماسب الصفوي وأصبحت لرجال الدين سلطة واسعة على الرعية واصبحوا الحكام الفعليين وقوة مهددة للسلطة الزمنية.

أصاب الدولة الصفوية الضعف والفتور في عهد اخلاف شاه عباس الأول وقد وصل الانفكاك والتردي في عهد الشاه سلطان حسين الصفوي حد ان تمكن محمود الافغاني رئيس قبائل الافغان من اسقاط الدولة الصفوية واجبار الشاه على وضع التاج الإيراني بيده على رأسه. دبت الفرقة والانقسام في ارجاء إيران بعد الاحتلال الافغاني وطمعت الدول القوية في ممتلكاتها واحتلت روسيا القيصرية المناطق الشمالية من إيران ودخلت القوات العثمانية إلى غربي إيران واحتلتها.

وفي الفصل الثاني من هذا الجزء القينا الضوء على ظهور نادر شاه الافشاري على مسرح تاريخ إيران ومحاولاته الجادة لانقاذها من الاحتلال الأجنبي وارجاع الوحدة السياسية إليها بيد من حديد ونجاحه الساحق في طرد الافغانيين والاوزبك والروس والعثمانيين من إيران فتمكن من انزال هزيمة ساحقة بالقوات الافغانية بقيادة أشرف الافغاني في معركة مهماندوست في خراسان وبعد هزيمته في المعركة المذكورة فرّ منهزماً امام القوات الإيرانية وقد قتل على يد قبيلة من البلوش عندما كان في طريقه إلى قندهار وفرض نادر على الروس في عهد قيصرتها (آن) معاهدة رشت تعهدت روسيا بموجبها بارجاع كل من مقاطعة مازندران وكيلان واستراباد وباكو ودربند وتعهدت بسحب قواتها الموجودة في المقاطعات المذكورة إلى وراء نهر كورا التي عدت حداً فاصلاً بين ممتلكات الدولتين فيما وراء القفقاس ولم يكتف بطرد العثمانيين من غربي ايران وانما دخل معهم في حروب متصلة في عقر دارهم وكان انتصاره على طوبال عثمان باشا في معركة قرب كركوك وقتله في هذه المعركة ومن ثم انتصاره الساحق على قائد الجيوش العثمانية عبد الله كوبرلو

وسارو مصطفى باشا اللذين قتلا في معركة (باغوان) قرب قارص (١٨ حزيران ١٧٣٥) الذي جعله الحاكم الوحيد المطلق في إيران وفي المنطقة بأسرها.

ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً إذ دخلت إيران بعد مقتل نادر شاه على يد خصومه في دوامة من الفوضى والاضطرابات الدموية في عهد اخلاف نادر شاه وصار الملوك يتتابعون على عرش إيران الواحد بعد الآخر فلا يكاد يستقيم الأمر لأحدهم حتى يثور عليه آخر ويخلعه عن العرش ويسمل عينيه ومع تضاؤل المناطق التي تحكمها السلالة الافشارية واقتصار حكمها على ولاية خراسان التي كان يحكمها شاه رخ (المسمول العينين) الذي دام ملكه خمسين عاماً (١١٦١- ١٢١١هـ/ ١٧٤٨- ١٧٩٦م) وفي الوقت الذي كانت فيه إيران تغلي بالحروب والفتن والاضطرابات من جراء التنافس على السلطة والحكم بين الأسرة الافشارية تمكن كريم خان الزندي من استغلال الظروف السياسية المضطربة وتأسيس دولة الزنديين ١١٦٦- ١٢٠٩/ ١٧٥٣- ١٧٩٤ التي هي موضوع الفصل الثالث من هذا الكتاب وتمكن كريم خان الزندي من القضاء على دويلات المدن والطوائف في ايران والضرب على أيدي خصومه الأقوياء من الافغانيين والقاجاريين وأعاد لايران وحدتها السياسية وأصبح حاكما محبوبا لدى الرعية لا ينازعه فيه منازع وعلى الرغم من إنه كان شاها بالفعل لايران وقد أعلن نفسه وكيلا عن الشاه "اسماعيل الثالث" الصفوي الذي كان محتجزا لديه، وأشاع العدل والاستقرار وروح المحبة والتسامح بين الأهالي وضرب بشدة على أيدي السراق وقطاع الطرق والمفسدين ولكن بعد مماته دب الخلاف والنزاع والخصام بين أخلافه ولاسيما بين أبنائه واخوانه على السلطة وتقاتلوا بينهم مما أسرع في فتور وضعف الدولة الزندية والتي استغلها بذكاء اغا محمد خان القاجاري" الخصم اللدود للأسرة الزندية وتمكن بعد قضائه على آخر أمير من السلالة الزندية لطف علي خان تأسيس الدولة القاجارية التي هي موضوع بحث الفصل الرابع من هذا الكتاب وتمكن اغا محمد خان مؤسس الدولة القاجارية بعزمه الراسخ وجهوده الجبارة التغلب على كافة المنافسين لسلطته وأنهى الصراعات العديدة التي شملت ايران جميعها.

وأسس دولة مركزية قوية أوصلت الحدود السياسية لايران إلى جميع منـــاطق القفقاس وكرجستان وهرات وافغانستان.

ولكن بعد مقتله في شوشي في ١٨ذي الحجـــة عـــام ١٢١١هـــ/ ١٨أيـــار ١٧٩٧م دخل ايران في حال من الفوضى والاضطرابات مجددا وتكالب اخـــوان اغـــا محمد خان والطامعون الآخرون على السلطة ودخلوا في معـــارك للاســـتحواذ علـــى الحكم حتى صفى الجو "لخانبابا جهانباني" ابن أخ اغا محمد خان قاجار والذي عـرف فيما بعد بفتح علي شاه، وأصبح الحاكم المطلق للدولة القاجارية وفـــي عـــهده بـــدأ الاتصال المباشر بالدول الاوربية وتوجهت أنظار الدول الكبرى نحو ايران أكثر مـــن السابق لاسيما بعد بروز نابليون بونابرت فوق المسرح السياسي لاوربا بين أعـــوام ١٨٠٣- ١٨١٤ ودخل ايران في حربين طاحنتين مع روســـيا القيصريـــة ١٨٠٤- ١٨١٣م/ ١٨٢٦- ١٨٢٨م كان الانتصار في الحربين لروسيا القيصريـــة وقـــد أدى اندحار الايرانيين في هذه الحرب الأخيرة إلى انعقاد معاهدة تركمانجاي المشينة التـــي تخلت ايران بموجب بنودها عن خانيتي ايروان ونخجوان واوردوباد. وأصبحت جميع مقاطعات القفقاس عائدة إلى روسيا ونهر اراس الحدود الفاصلة بين ايران وروســـيا القيصرية وتقلصت حدود الجغرافية السياسية لايران كما هي عليها الآن في الوقـــت الراهن ولأهمية الحركات السياسية والدينية في عهد محمد شـــاه خصصنـــا الفصـــل الخامس من هذا الكتاب لهذا الموضوع وتحدثنا باختصار عـــن حركـــة اغـــا خـــان المحلاتي رئيس الطائفة الاسماعيلية في منطقة محلات وكرمان وبعد قمع حركته مـــن قبل الايرانيين التجأ إلى الهند واحتمى بالحكومة الانجليزية التي اســـبغت اهتمامـــها لقاء خدماته إلى البريطانيين وألقينا الضوء في هذا الفصل بصـــورة منفصلـــة علـــى الحركة البابية والبهائية في ايران وأدخلت أنصار البابية ايـــران فـــي دوامـــة مـــن الفوضى والاضطرابات الدموية بسبب حركتهم وتمرداتهم العصيانية وقد وصلت بـــهم الجرأة حد ان قاموا بمحاولة قتل ناصر الدين شاه وجرحه بطلق ناري في فخذه وقتل نتيجة هذه المحاولة الفاشلة أكثر من ٤٠٠٠٠ الف من اتباع البابيين ومن قياداتـــهم الكثير نذكر من أشهرهم السيدة قرة العين "زرين تاج" إحدى اقطاب الفرقـــة البابيـــة

وملا حسين اليشروني ومحمد علي القدوس وذهب الكثيرون من الأبرياء ضحايا من جراء اتهام الخصوم لهم بأنهم من اتباع البابية وأصبحت هذه التهمة وسيلة غير شريفة بيد الحكام لقمع جميع الحركات الفكرية والتحررية في عهدهم.

وأشرنا كذلك في هذا الفصل باختصار إلى تمرد حسن خان سالار بن الـهيار خان اصف الدولة في خراسان ولكن محاولته باءت بالفشل الذريع في عهد ناصر الدين شاه إذ جهز عليه حملة قوية بقيادة سلطان ميرزا "حسام السلطنة" الذي تمكن من قمع تمرده وانتهت باعدامه هو وابناه أمير اصلان خان ويزدان بخش خان وأخوه محمد علي خان.

وكان لقمع هذا التمرد أثر كبير من الناحيتين السياسية والمعنوية حيث مهد إلى هيمنة الدولة المركزية على جميع أنحاء ايران وفي هذا الفصل أشرنا إلى التطورات السياسية في عهد ناصر الدين شاه قاجار ١٢٦٤هـ- ١٣١٣هـ ودور رئيس وزرائه أمير كبير في مناوءته لأطماع الدولتين الانجليزية والروسية الاستعمارتين وضربه بشدة على أيدي عملاء هاتين الدولتين من امراء الأسرة القاجارية والموظفين الكبار في البلاد الايراني وسائر الأجهزة الحكومية الأخرى وقد دفع أمير كبير حياته ثمن وطنيته هذه حيث أمر ناصر الدين شاه باعدامه في ١٧ربيع الأول من عام ١٢٦٨هـ/ ٩كانون الثاني من عام ١٨٥٢م وتحدثنا في هذا الفصل كذلك عن دور بعض المثقفين الايرانيين في ايجاد الوعي السياسي في عهد ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه الذين مهدوا الافكار لقيام الثورة الدستورية امثال ملكم خان وميرزا حسين خان "مشير الدولة" سبهسالار وجمال الدين الافغاني واخوند زادد وميرزا اقا خان الكرماني ومستشار الدولة التبريزي ومجد الملك وزين العابدين مراغة اي وميرزا حسن خان خبير الملك وحاج سياح محلاتي وميرزا عبد الله حكيم قاني وشيخ احمد روحي كرماني وميرزا حيدر علي زردوز وميرزا نصر الله خان وطالب اوف وظهير الدولة صفا.

وتحدثنا في هذا الفصل كذلك عن حركة التنباك في عهد ناصر الدين شاه والتي يعدها المؤرخون بداية الحركة الدستورية في ايران وأشرنا في هذا الفصل إلى تنامي

المؤسسة الدينية في عهد القاجاريين بسبب المساندة المطلقة لملوك القاجاريين لهذه المؤسسة لأنهم كانوا بحاجة إلى تأييد ومساندة هذه المؤسسة لاضفاء الشرعية على حكمهم لأن الايرانيين يعدونهم غاصبين للعرش الايراني وغرباء عن ايران. وأصبحت هذه المؤسسة حكومة داخل حكومة وقد تعاونت هذه المؤسسة مع فئة المثقفين في الوقوف امام استبداد شاهات ايران وحكوماتهم المطلقة وانعكس هذا التعاون في تحريك الجماهير ضد اتفاقية التنباك ٢١شباط ١٨٩١م وقيام الثورة الدستورية.

في الفصل السادس من هذا الكتاب ألقينا الضوء على الثورة الدستورية وتحدثنا بالتفصيل عن تنامي الحركة الدستورية في عهد مظفر الدين شاه قاجار بقيادة رجال الدين والذي أسفر عن قيام جمعية تأسيسية تمهيدا لوضع الدستور في ١٤جمادى الثاني عام ١٣٢٤هـ الموافق للشهر الخامس من عام ١٩٠٦م وتمت صياغة الدستور وصادق عليه الشاه في ١٤جمادى الثاني من عام ١٣٢٤هـ كانون الثاني من عام ١٩٠٧م.

وفي هذا الفصل ركزنا على محاولة محمد علي شاه إلى تعطيل الحياة النيابية والغاء الدستور وقد تميز عهده بالصراع العنيف بين أنصار الاستبداد وأنصار المشروطية وتحدثنا عن ثورة التبريزيين من أنصار الدستور بقيادة "ستار خان" و"باقر خان" وقد أسفر هذا الصراع إلى انتصار الدستوريين وخلع محمد على شاد من عرش ايران وتعيين ابنه أحمد شاه خلفاً واجباره على ترك ايران والتجائه إلى روسيا القيصرية وأشرنا في هذا الفصل باختصار إلى الأزمات التي واجهت الحكومة الدستورية ومحاولات الدولتين الروسية والانجليزية القضاء على الحكومة الدستورية وحال الفوضى التي دبت في أنحاء ايران بسبب الانقسامات والخصومات بين أنصار الحكومة الدستورية وظهور الكتل والأحزاب المتنافرة في برلمان الحكومة الدستورية مما مهد إلى ظهور شبح الحرب الاهلية التي كانت تهدد كيان الحكومة الدستورية ولاسيما بعد ظهور محمد علي شاد وانصارد في ايران مرة أخرى ومحاولتهم- بمساندة روسيا القيصرية- القضاء بقوة السلاح على حكومة الدستوريين وعلى

الرغم من هذه المحاولات فقد مني أنصار محمد علي شاه بالفشل الذريـــع واضطـر محمد علي شاه بعد اندحار قواته امام الدستوريين إلى ترك ايـــران واللجـوء مـرة أخرى إلى روسيا القيصرية وتحدثنا في هذا الفصل كذلك إلى حركة ســـالار الدولـة اخي محمد علي شاه الذي ادعى أحقيته في عرش ايران فقد ادخل عصيانه ايران فـي دوامة من الاقتتال والفوضى وقد سانده في تمرده معظم العشائر الكردية فـي غـرب ايران . نذكر على سبيل المثال عشائر كلهر والجاف بسقي وكرد مكـــري وعشـائر منطقة سنندج وبانه وصفوة العشائر الكردية "عشائر يشتكوه وبيشكوه" وعلى الرغـم من استمراره في القتال والدفاع امام قوات الحكومة المركزيـــة مـدة طويلـة إلا ان مصيره كان الاندحار امام قوات الحكومة الدستورية بقيادة الأمير فرمانفرمـــا والـى كرمنشاه أصبح وضع سالار الدولة بعد هذه الهزيمة أشبه بوضع قاطع طريـق وقـد حاول "علاء السلطنة" بعد ان أصبح رئيساً للوزراء التصالح معه باشارة من الحكومة الروسية المناصرة له وعينه قائمقاما لمدينة جيلان فلم يقبـل نـاصر المـلك نائـب السلطنة بهذا التعيين فبدأ بالتضييق عليه وهو ما اضطر أخـيرا إلـى اللجـوء إلـى القنصلية الروسية في كرمنشاه معتصماً فيها مما اضطر الحكومة إلـى العفـو عنـه واحضاره إلى طهران- فأجري له مرتب سنوي ولم يطل به المقام في طهران حتـى غادرها الى اوربا ولم يكن له خلال الحرب العالمية الأولى دور يذكر فـي الأحـداث التي وقعت خلالها وقد حاول أثناء الحرب العالميـــة الأولـى الدخـول إلـى الأرض الايرانية عن طريق بحر الخزر قاصدا القبائل التركمانية المؤيدة له بهدف الدعوة إلى عرش ايران إلا ان القوات الانجليزية ألقت القبض عليه وأبعد ثانية إلى خارج ايران.

ساندت العشائر السنجابية سالار الدولة في اوائل حركته وارتدت عليه بعد انهزامه امام القـــوات الحكومية الدستورية بقيادة يفرم خان وكري خان وشاركت العشائر السنجابية في الدفاع عن مدينة كرمنشاه بقيادة واليها فرمانفرما ضد قوات سالار الدولة للتفاصيل انظر كتاب علـــى أكـبر خـان سنجابي سردار مقتدر ومجاهدت ملي ايران. تهران ١٣٨٠ ص١٨٩-٢٢٦.

الفصل الأول
إيران في الأعوام (٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م)

لم تكن إيران في بداية القرن العاشر الميلادي ذات وحدة سياسية كاملة. ففي بداية عام ٩٠٦ للهجرة ١٥٠٠م انقسمت ممتلكات دولة الخروف الأبيض (آق قوينلو) بين الوند ميرزا والسلطان مراد. كان الأول يحكم اذربيجان وارمنستان والثاني يحكم عراق العجم وكذلك كان عدد من امراء الاق قوينلو يحكمون فارس ويزد وكرمان والعراق العربي وديار بكر بصورة مستقلة ولا يدينون بالطاعة للسلطان مراد أو الوند ميرزا وكانت السلالة المشعشعية تحكم خوزستان كما استقل بالحكم في مدن ابرقوه وكاشان وسمنان وسجستان (سيستان) امراء محليون أما منطقة مازندران فقد كانت مقسمة بين عشر سلالات محلية ومستقلة وحكمت في منطقة كيلان امارة لاهيجان (بيه بيش) وامارة (بيه بس) أما منطقة طالش فقد كان لها حاكم مستقل عن الآخرين[1] وحكم السلطان حسين بايقرا التيموري خراسان وبضمنها افغانستان وتركستان الحالية منذ عام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م- ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م وكانت عاصمة ملكه هرات وأما في بلخ وقندهار فقد حكمها امراء مستقلون خضعوا شكليا للسلطان حسين بايقرا التيموري ويمكن تقسيم السلالات والامارات التي تواجدت في تلك الحقبة الزمنية إلى ثلاث سلالات وهي:

١- السلالات المشكلة من الأعيان والأشراف وأصحاب الاقطاعات المحليين الايرانيين.

سلالات كان معظم امرائها من رؤساء القبائل التركمانية مع وجود امارات كردية في غربي إيران.

٣- سلالات من السادات العلويين الذين وصلوا إلى حكم تلك المناطق على رأس وثبات وثورات شعبية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ولم يلبثوا طويلا حتى اصبحوا من كبار الاقطاعيين المحليين ونخص بالذكر السلالات التي كانت في خوزستان والنواحي المجاورة لبحر الخزر.

لقد كان من اقوى تلك السلالات التي مر ذكرها والتي حكمت أجزاء كبيرة من إيران في المدة الزمنية المذكورة دولة الخروف الأبيض (الآق قويونلو) والدولة التيمورية في خراسان ولكن تلك الدولتين دب فيهما الضعف والفتور وآلت

اوضاعهما إلى التدهور والانحلال بسبب الفتن والحروب الداخلية وأصبحتا في معرض تهديدات السلالات الحاكمة الجديدة وهكذا انقرضت دولة الخروف الأبيض على يد الدولتين الصفوية والعثمانية وأطاحت العشائر الاوزبكية الرحالة بقيادة محمد خان الشيباني المعروف بـ(شيبك خان) بالدولة التيمورية في خراسان واستولى على آسيا الوسطى في الأعوام ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م- ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م[٢] كانت السلالة الصفوية في إيران من اقوي تلك السلالات التي ظهرت فيها والتي ارجعت إيران إلى سابق عهدها في ظل حكومة مركزية قوية على يد مؤسسها الشاه اسماعيل الصفوي ولابد هنا من الإشارة إلى هذه الحقيقة، بأن العصر الصفوي الذي جاء بعد مدة من الضعف والانحلال استمرت ثمانية قرون شهد إعادة بناء دولة إيرانية قومية وما نتج عن ذلك من احياء الروح القومية والاتحاد في إيران يمكن ان يقارن بالحركة التي نشطت حينما قامت الدول الاشكانية (الفرثية) في ايران بعد السيطرة الاغريقية (السلوقية) على البلاد الايرانية)[٣].

• الدولة الصفوية ٩٠٧هـ/ ١٤٩١م إلى ١٥٠٧هـ/ ١٧٣٦م

في الوقت الذي أصبحت إيران خلال حكم دولة الخروف الأبيض (الآق قويونلو) مسرحا للحروب والفتن بين الطامعين في العرش والسلطة كانت في الشمال الشرقي من منطقة اردبيل تنمو أسرة صوفية اتخذت الفكر الشيعي أساسا لحركتها عرفت هذه الأسرة بالصفوية نسبة إلى الشيخ صفي الدين الاردبيلي جد الشاه اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية الذي جعل قسرا من المذهب الشيعي دينا رسميا للدولة التي أسسها في إيران- علما بأن الشيعة لم يكونوا الاكثرية في إيران على الرغم من وجودهم بكثرة في مدن معروفة كقم ونيسابور وسبزوار أما المدن الكبيرة الإيرانية كاصفهان وشيراز وتبريز فكانت أكثرية سكانها على مذهب السنة والجماعة[٤] وحتى لو سلمنا بأن الشيعة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين اقلية في ايران فانهم كانوا اقلية مهمة متحركة لها تاثيرها الواضح في مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية في إيران لانها كانت مسندة من الطبقات الفلاحية والريفية وفقراء المدن وكادحيها[٥].

وتعد سنة ١١٤٩/ ١٧٣٦م نهاية الدولة الصفوية حيث توج نادر شاه في هذا التاريخ شاهاً على ايران

* أطلق الشاه اسماعيل الصفوي على نفسه لقب شاهنشاد بعد قضائه على دولة اق قوينلو ودخوله فاتحا عاصمتها تبريز سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠٧م.

وقد كان الشيعة يبشرون ضمن معتقداتهم الأساسية بحتمية ظهور محمد المهدي بن الحسن العسكري (عليه السلام) ليقود ثورة اجتماعية لاحلال سلطة العدل بعد ان ساد الجور والظلم في العالم ويذكر أحمد كسروي: ان فكرة المهدي المنتظر قديمة، ففي العهد الاموي أطلق الكيسانية على محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) اسم المهدي المنتظر[٦] وكان أهالي سبزوار[٧] في خراسان الذين كانوا على مذهب الشيعة الاثني عشرية يربطون فرسا مسرجة بكامل عدتها خارج سور المدينة ليركبها الامام الغائب محمد المهدي بعد عودته وكانوا ينتظرون عودته من الصباح وحتى المساء وفي القصور الملكية لشاهات إيران كانوا يهيئون فرسين مسرجتين ليركبهما الإمام المهدي ونائبه عيسى المسيح[٨] وبوصول الصفويين إلى حكم إيران في بداية القرن العاشر الهجري اجبروا الشعوب الإيرانية على ترك مذاهبهم والتحول إلى مذهب الشيعة الاثني عشرية المذهب الرسمي للدولة الصفوية[٩].

نسب الصفويين :

يدعي الصفويون ان نسبهم يرجع إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وقد ذكر اسكندر بيك تركمان صاحب كتاب عالم اراي عباسي الذي ألفه في عهد شاد عباس الأول نسبهم على النحو الآتي:

شاه عباس بن سلطان محمد بن شاه طهماسب بن شاه اسماعيل بن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن سلطان ابراهيم بن الشهير شيخ شاه بن سلطان صدر الدين موسى بن شيخ صفي الدين اسحق الاردبيلي بن أمين الدين جبرئيل بن صالح بن قطب الدين بن صلاح الدين رشيد بن محمد الحافظ بن عوض الخواص بن فيروز

شاه بن محمد بن شرف بن محمد بن حسن بن محمد بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن أحمد الاعرابي بن أبي محمد القاسم بن أبي القواسم حمزة بن الامام الهمام أبي ابراهيم موسى الكاظم بن الامام الناطق جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام أبي عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين وامام المتقين اسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام)(١٠) وعلى الرغم من هذا الادعاء وتنظيمهم هذه الشجرة النسبية، يعتقد معظم المؤرخين بأن صفي الدين الاردبيلي لم يكن شيعيا بل كان سني المذهب وعلى المذهب الشافعي ولم يحسب نفسه من احفاد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)(١١) ومن الناحية العرقية والعنصرية يرجع بعض الباحثين نسبه إلى الاكراد وليس الاتراك كما هو معروف(١٢).

يعتقد ابن البزاز وأحمد كسروي بأن الجد الأكبر للشيخ صفي الدين اسحق الاردبيلي المدعو فيروز "زرين كلاه" الأحمر الطاقية إنما قدم من نواحي سنجار ويذكر نسبه الكردي السجاني بيروز شاه "زرين كلاه" ويبدو ان السجاني محرف من كلمة السنجاري(١٣) ويؤكد الدكتور نصر الله فلسفي ان الأبحاث الجديدة اكتشفت ان الجد السابع للشيخ صفي المعروف بـ فيروز شاه زرين كلاه انحدر من كردستان إلى اذربيجان قدم سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م وان جد الصفويين من ارومة إيرانية وإنه كان يتكلم الاذرية اللغة المحلية لأهالي اذربيجان والأذرية(١٤).

تشبه اللهجات الكردية والطالشبية وهي أقرب إلى اللهجة الكردية والمازندرانية وان الشاه اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوي كان يفرض الشعر باللغة الاذرية ويتخلص باسم خطائي في اشعاره(١٥).

ويؤكد المؤرخون إن زين كلاه استطاع ان ينشر المذهب الشيعي في منطقة اردبيل وبذل جهداً كبيراً لنشره في مناطق أخرى من ايران(١٦) في الحقيقة لا يمكن الاحاطة بكامل الأسباب والعوامل التي أدت إلى تحول هذه الأسرة في اذربيجان إلى المذهب الشيعي ولكن الأرجح يعود إلى نشأتهم في مناطق يدين قاطنيها بالمذهب الشيعي وكان له بالغ الأثر في اعتناقهم لهذا المذهب وكان معظم سكان المنطقة التي ظهرت ونمت فيها الحركة الصفوية من القبائل التركية القاطنة في وراء القفقاس والشواطئ الجنوبية لبحر خزر وغربي خراسان وهي المعروفة بالقبائل السبع الموسومة بـ(قزل باش) أو (حمر الرؤوس) وهذه القبائل هي شاملو وروملو

واستاجلو وتكلو وافشار والقاجار وذو القدر[١٧] وقد كونت هذه القبائل قوة قوامها سبعين الف فارس[١٨] التي ساندت شاه اسماعيل في تأسيس الدولة الصفوية.

يعد الشيخ صفي الدين الاردبيلي (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م- ٧٠٠هـ/ ١٣٣٤م) الذي تنتسب اليه السلالة الصفوية عالما وواعظا وصوفيا من تلاميذ الشيخ زاهد الكيلاني الذي فضله على ابنه وفوضه ارشاد مريديه وقد تزوج صفي الدين ابنة شيخه زاهد الكيلاني (بيبي فاطمة)[١٩] وبعد وفاة زاهد الكيلاني حظي بمقام كبير لعلمه ودرايته عند الايلخان أبو سعيد بهادر خان ووزيره رشيد الدين وابنه غياث الدين والأمير اولوس جوبان رئيس عشائر السلدوز المغولي[٢٠].

لقد قنع الشيخ صفي الدين شأنه شأن اصحابه المتصوفة بالشهرة التي حصل عليها بوصفه وليا من أولياء الله فلم يسع للحصول على أية سلطة سياسية[٢١] لكن ابنه صدر الدين ٧٣٥هـ- ٧٤٩هـ كان شيعيا نشيطا ذاع صيته في ايران قاطبة وبعد وفاته انتقلت الإمامة والارشاد إلى ابنه خواجه علي وقد أطلق على نفسه لقب السلطان أي إنه سلطان الأولياء وكان يرتدي الالبسة السوداء دائما لذا ذاع صيته بـ(سلطان علي سياه بوش) أي السلطان علي الذي يرتدي الالبسة السوداء وقد حظي سلطان علي بمقابلة تيمور لنك ثلاث مرات طوال حياته[٢٢] واستطاع سلطان على الشيخ ان يحصل على عفوه من الأسرى الاتراك الذين كانوا لديه بعد معركة انقرة سنة ١٤٠٢م بعد انتصاره الساحق على بايزيد السلطان العثماني وكان لهؤلاء الاسرى الذين أعلنوا ولاءهم المطلق للأسرة الصفوية دور مهم في تأسيس الدولة الصفوية وتثبيت أركانها[٢٣] وتوالى على الزعامة عدد من القادة الدينيين من الأسرة الصفوية اشتهر منهم جنيد الصفوي. وكان جنيد يسعى إلى تكوين عصبة مذهبية مرتبطة به فاجتذب العديد من الاتباع وأصبح يشكل قوة محلية قادرة على العمل حين تسنح لها الفرصة ضد الحكومة القائمة انذاك وهي حكومة الخروف الأسود (القرة قويونلو) الأمر الذي ارعب أمير الخروف الأسود جهانشاد بن قرد يوسف الذي كان في ذلك العهد حاكما على اذربيجان وكانت في تلك المرحلة الزمنية منافسة حادة بين قوة الخروف الأسود السائرة إلى الضعف والانهيار وقوة دولة الخروف الأبيض (الاق قوينلو) الصاعدة.

فاحتمى جنيد بأمير الخروف الأبيض (اوزون حسن) أو حسن الطويل الذي كان حاكما على ديار بكر فاكرم حسن الطويل وقادته وأعزه واحترمه خير احترام وزوجه

من أخته مهد عليا (خديجة بيكم) وكانت ثمرة هذا الزواج ابنيه شاه صفد وسلطان حيدر وعلى الرغم من كثرة مريدي جنيد واتباعه وحماية حسن الطويل له لم يتمكن من استرجاع اردبيل من الأمير جهانشاه بن قره يوسف سلطان دولة الخروف الأسود واراد وصحبة يانسا قتال نصارى طرابزون ثم توجه إلى شيروان لقتال الجراكسة فتصدى له حاكمها الأمير خليل شير وانشاد وبعد قتال عنيف بين الطرفين قتل جنيد في ساحة المعركة بوادي قرد صو سنة ٨٦٥/ ١٤٦٠م[٢٤] وبعد هذه الحادثة تابع حيدر بن جنيد نشاط أبيه فاحتمى بخاله حسن الطويل فساعده وسانده خير مساندة وزوجه من ابنته عالم شاه بيكم[٢٥] ومما يجدر ذكره ان دولة الخروف الابيض يومذاك كانت من اقوى الدول في المنطقة بعد قضاء حسن الطويل على جهانشاد بن قرد يوسف أمير الخروف الأسود وسلطان أبي سعيد الأمير التيموري فخلا الجو له واصبح حاكما على معظم الولايات الإيرانية[٢٦].

كانت ثمرة زواج حيدر من ابنة حسن الطويل كلا من سلطان علي وابراهيم ميرزا واسماعيل ميرزا الذي قيض له ان يؤسس فيما بعد الدولة الصفوية والواقع ان حيدر أصبح مستقلا في إدارة اموره بعد وفاة جده اوزون حسن وبدأ ينظم طريقته في التصوف على أسس جديدة رامزا إلى ذلك جريا على العادة في الشرق باستحداث قبعة للرأس ذات الاثنتي عشرة ذوابة كناية عن الاثني عشر إماما[٢٧] ومن هنا دعا العثمانيون مصطنعي لباس الرأس الجديد- القزل باش أي الرؤوس الحمراء ويعد الشيخ حيدر الصفوي أول قائد صفوي نظم جيش القزل باش وجهزه بالعدد اللازمة كالسيف والرمح والتروس والدروع وقد حول خانقانه في اردبيل إلى مركز لصنع الرماح والتروس والسيوف[٢٨] ويعد الشيخ جنيد أول شخص في هذه السلالة انتهج سياسة العنف والارهاب مع خصومه ومخالفيه وكان اتباع حيدر ينتسبون إلى مختلف القبائل التركية المعروفة بالعشائر السبع الذين كونوا أساس جيوش القزل باش الصفوية افتتح حيدر حملاته بحروب ناجحة ضد الجراكسة فتصدى لشيروان شاه الذي كان يطلبه ثار والده واحتدمت معركة عام ٨٩٣/ ١٤٨٨م بين شيروان شاه وحيدر كان النصر حليف حيدر فضيق الخناق على شيروان شاه واضطرد إلى الالتجاء إلى قلعة كلستان للاحتماء بها وطلب النجدة من الأمير يعقوب بن اوزون حسن سلطان الاق قويونلو الذي بدأ ينتابه القلق الشديد على تصاعد نفوذ حيدر وارسل يعقوب قوة لنجدة شيروان شاه فوقعت معركة حامية بين قوات حيدر والقوات

المساندة لشيروان شاه سقط حيدر فيها قتيلاً سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م[٢٩] وبعد مقتله حمل يعقوب أولاد نسيبه القتيل ومعهم أمهم من اردبيل إلى اصطخر في ولاية فارس، توفي يعقوب في نهاية عام ١٤٩٠م فنشبت الحروب بين ابنائه المتنازعين على خلافته وأخيراً استطاع بايسنقر الفوز بعرش الاق قوينلو ٨٩٦هـ- ١٤٩٠م/ ٨٩٧هـ- ١٤٩١م ولكن ابن عمه رستم كان يناصبه العداء الشديد فتجمع حوله عدد كبير من المؤيدين والأنصار المساعدين ورفعوه إلى عرش الاق قويونلو وطلب بايسنقر من شيروان شاه قمع عصيان ابن عمه ولما شعر رستم بيك بحراجة موقفه امام قوات بايسنقر والقوات المساندة له أطلق سراح أبناء حيدر الذين سجنهم يعقوب في اصطخر وحرضهم بجمع قوة كبيرة من مؤيديهم لمحاربة بايسنقر وفعلاً جمع (علي) أكبر أبناء حيدر، قوة لا يستهان بها من مريديه وانصاره.

فتصدى لقوات بايسنقر في معركة فاصلة قرب "آهر" أسفرت عن مقتل بايسنقر وبعد هذا الانتصار ذاع صيت علي وسائر أبناء حيدر كثيراً حتى اقلق رستم ميرزا قلقاً شديداً والتجأ إلى الحيلة والغدر لتصفية أبناء حيدر فدعاهم إلى وليمة في تبريز وقبض على علي وأمر بقتله[٣٠] وفر الاخوان الآخران اسماعيل وابراهيم إلى اردبيل سرا فخبأهما اتباعهما عن أعين المكلفين بتعقبهما ثم ان اسماعيل حمل إلى مأمن في جيلان وكان حاكمها علي جيلان على علاقة حسنة بأسرته فعلى الرغم من تبعيته لدولة الاق قويونلو برز خلاف شديد بين أحمد بيك بن اوغرلو حفيد اوزون حسن وابن عمه رستم بيك أدى الصراع بينهما إلى مقتل رستم بيك سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م وارتقاء أحمد بيك بن اوغرلو محمد عرش دولة الخروف الأبيض واشتد الصراع والنزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة لدولة الخروف الأبيض اسفر عن مقتل أحمد بيك قرب اصفهان على يد خصومه في ١٨ ربيع الثاني سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م وبمقتل أحمد بيك تصارع ثلاثة امراء على انتزاع السلطة وهم كل من السلطان مراد بن يعقوب ميرزا ومحمد ميرزا وأخوه الوند ميرزا بن يوسف بك وقد تمكن الوند ميرزا من التفرد بالسلطة بعد سجنه سلطان مراد وارتقى عرش دولة الخروف الأبيض عام ٩٠٤ للهجرة إلى عام ٩٠٧[٣١] وقد أدى هذا الصراع العائلي إلى حلول الضعف والانهيار في جسم دولة الخروف الأبيض وعلى الرغم من اتحاد سلطان مراد والوند ميرزا امام خصمهم القوي العنيد اسماعيل بن حيدر الصفوي لكن هذا الاتحاد لم يلبث طويلاً إذ سقطت دولة الخروف الأبيض بعد انتصار اسماعيل

الصفوي في معركة نخجوان على الوند ميرزا[٣٢] وهرب الوند ميرزا الى اسيا الصغرى ومات في ديار بكر سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٤م[٣٣] واستولى اسماعيل الصفوي على اذربيجان ودخل تبريز منتصرا وأعلن نفسه شاها هناك عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م ويعد مراد بن السلطان يعقوب الذي كان حاكما على ولاية فارس والعراق وخوزستان أخر سلطان من سلاطين الاق قويونلو الذي دخل في قتال مع الشاد اسماعيل الصفوي واسفر القتال عن انتصار الشاه اسماعيل عليه واضطر مراد إلى الهرب إلى بغداد والتوجه إلى السلطان العثماني ملتجئا إلى حمايته وبقي في الدولة العثمانية حتى وافاه الأجل سنة ٩٢٠هـ وبموته انقرضت سلالة الاق قويونلو إلى الأبد[٣٤].

الشاه اسماعيل بن حيدر الصفوي

ولد الشاه اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية في ٢٥ رجب عام ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م وكان في الرابعة عشرة من عمره عندما خرج مطالبا بارث أبيه وليس معه كما تزعم الروايات إلا سبعة أشخاص من انصاره وتمكن كما ذكرنا في الصفحات السابقة من استغلال ضعف دولة الخروف الأبيض وقضى على حكمهم إلى الأبد ودخل مدينة تبريز معلنا نفسه شاهاً على إيران وكان لظهور الدولة الصفوية على يد اسماعيل الصفوي في إيران تأثير كبير من النواحي السياسية والاجتماعية والدينية ولم يقتصر اثرها على إيران وحدها بل تعداها إلى العراق وتركيا وافغانستان والهند بعد فرضه التشيع الاثني عشري على الايرانيين قسراً وجعله المذهب الرسمي للحكومة الإيرانية[٣٥] وتغلو المصادر الإيرانية في وصف شخصية الشاد اسماعيل وينزهونه من كل نقص وطبقاً لأقوال الرحالة والتجار الاوربيين الذين شاهدوه فإنه كان يجمع النقائض إذ هو من جهة كان قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق[٣٦] بينما كان من الجهة الأخرى ذا اخلاق رفيعة محبوباً من قبل جنوده إلى درجة العبادة حتى انهم كانوا يرمون بأنفسهم إلى ساحة المعركة من غير دروع مؤمنين بأنه يحميهم من الخطر عند القتال[٣٧].

لقد أدرك الشاه إسماعيل بنظره الثاقب التأثير الديني في قوة دولته واستوعب حقيقة ان الشعوب المختلفة الاعراق القاطنة في إيران والتي تختلف في مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن توحيدها بسهولة في بودقة دولة واحدة إلا عن طريق فرض مذهب واحد عليهم وانطلاقاً من هذا المبدأ فرض المذهب الشيعي الاثني

عشري على الايرانيين وجعل من نفسه داعيا للتشيع وحاميا لــه فــي كـل مكـان والمعروف عنه إنه كان يعلن لمريديه إنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الائمة الاثنـي عشر وانه لذلك معصوم وليس بينه وبين الامام المهدي فاصل(٣٨) ويروى عنه إنــه عندما فتح تبريز في بداية امره وأراد فرض التشيع على أهلها بالقوة نصحه بعـض مستشاريه من رجال الدين لأن لا يفعل ذلك لأن ثلثي سكان المدينة من أهــل السـنة وانهم لا يصبرون على سب الخلفاء الثلاثة من على المنابر ولكنه اجابهم قائلا: أنــا مكلف بذلك وان الله والائمة المعصومين معي واني لا أخاف أحدا فإذا وجـدت مـن الناس كلمة اعتراض شهرت سيفي فيهم فلا ابقي منهم أحدا حيا(٣٩).

كان الشاه اسماعيل يدير اموره على أساس ان القوة السياسية يجب ان تعتمـد على قوة عسكرية مخلصة تربطها وشائج عقائديــة متينــة تجعلــها مسـتعدة كـل الاستعداد للاستماتة في الدفاع عن معتقداتها وقائدها فكان جيش القزل بــاش خـير معين له في تنفيذ اهدافه المنشودة في الاستيلاء على المدن والولايات الإيرانية كافـة الواحدة تلو الأخرى.

وقد قرر بهذه القوة التي شكلها من انصاره ومريديه الذين كانوا يعدون اوامره وحيا منزلا ان يقضي على جميع خصومه الالداء في الداخل والخارج الذين يتربصون به ويتطلعون إلى الفرصة التي يتمكنون فيها من القضاء عليه وعلى دولته الفتية.

حروبه الداخلية:

كان في إيران في تلك المرحلة الزمنية دويلات صغــيرة يحكمــها حكـام فــي الأجزاء والولايات المختلفة في إيران وخارج الجغرافيا السياسية لإيران الحالية نذكـو منها بقايا الأسرة الكوركانية الحاكمة في هرات ومراد ميرزا ســلطان "اق قويونلــو" الخروف الأبيض في العراق وفارس وحسن كيا الحاكم المطلق في نواحي فيروز كـوة وغور وسمنان وغربي خراسان وعلاء الدولة ذو القدر الذي يحكم إمارة ذي القدريـة على الحدود بين العثمانيين والمماليك وامراء آخرون يحكمون في مدن إيرانية وغـير إيرانية بصورة مستقلة نذكر منهم مراد بيك بايندري في يزد ورئيس محمد كره فــي ابرقود وباريك بيك برناك في بغداد وقاضي محمد في كاشان وسلطان حسين مــيرزا التيموري في قسم من خراسان والأمير ذو النون في قندهار وبديع الزمــان مـيرزا التيموري في بلخ وأبو الفتح بيك البايندري في خراسان(٤٠) وعــلاوة علــى هــؤلاء

الحكام الذين يعادونه كانت هناك قوتان كبيرتان من الخارج هما الازبك بقيادة شيبك خان الشيباني في المشرق والدولة العثمانية على الجانب الغربى من الدولة الصفوية.

ابتدأ الشاد اسماعيل الصفوي حملاته العسكرية على اعدائه بمحاربة مراد ميرزا اق قويونلو وتمكن من دحره قرب مدينة اصفهان في مكان يسمى "إله قوقى" اندحارا كاملا واضطر مراد ميرزا إلى ترك إيران والالتجاء إلى ديار بكر وبعد هذا الانتصار تمكن من الاستيلاء على معظم المدن الكبيرة الإيرانية كأصفهان وشيراز وفي أوائل سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م تمت له السيطرة على المدن الواقعة في جنوبي إيران جميعها وتحول بعد ذلك إلى مدينة كاشان التي دخلها وأدخل أهلها في طاعته لأنهم كانوا يدينون بالمذهب الشيعي وتوجه بعد ذلك لمقاتلة حسن كيا حاكم فيروز كوه وغور وسمنان الذي قاوم قواته ولم يدن له بالطاعة فهاجم قلعتي "كل خندان وفيروز كوة ودمرهما ووقع حسن كيا بيده ووضعه في قفص عدة أشهر ومات كمدا في قفصه[٤١] واباد جميع انصاره واتباعه. ثم هاجم مدينة يزد وفتحها عنوة وكان مصير حاكم ابرقود "محمد كرد" كمصير حسن كيا حيث أمر بحرقه وهو اسير في قفصه[٤٢] وقتل في منطقة طبس في اسبوع من اقامته هناك سبعة آلاف من سكنة هذه المنطقة البائسة[٤٣].

وبحلول سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م تمكن الشاد اسماعيل من قمع جميع مخالفيه ومناوئيه في الداخل وسيطر على نواحي مختلفة من جملتها كيلان ومازندران وكرجستان وفي أواخر تلك السنة جهز جيشا قويا لمحاربة سلطان مراد ميرزا بن يعقوب الذي لجأ إلى العراق وجمع قوة بمعاونة علاء الدولة ذي القدر وبتحريض من السلطان العثماني با يزيد الذي هالته قوة ومكنة الشاد اسماعيل الصفوي بقضائه في مدة قصيرة على اعدائه واحدا تلو الآخر. تقابل الجيشان وانتصر الشاد اسماعيل على ذي القدر وحليفه مراد بن يعقوب انتصارا باهرا ثم استولى على بغداد[٤٤] وبذلك صار الصفويون يطوقون العثمانيين من الشرق والجنوب الشرقي. وبعد سيطرته على بغداد[٤٥] انتهت إليه السيادة على المدينتين الشيعيتين المقدستين النجف وكربلاء[٤٦] وبعد احتلال العراق بدأ صراع طويل ومرير بين الدولتين الصفوية والعثمانية استمر قرون عديدة على الرغم من انقراض الصفويين ومن مصادفات التاريخ ان يتولى الحكم في الدولة العثمانية بعد وصول الشاد اسماعيل

الصفوي الى حكم إيران سلطان قوي الشكيمة والإرادة هو السلطان سليم الأول ٩١٨- ٩٢٧هـ/ ١٥١٢- ١٥٢٠م المعروف بـ ياوز سليم ومعناه سليم البطاش ولم يكد يسمع السلطان العثماني باحتلال الشاه اسماعيل الصفوي العراق حتى بدأ بالاستعداد لمواجهة الصفويين واخراجهم من العراق ولأجل ان يثير النخوة المذهبية والحماسة الدينية لدى الشعوب القاطنة في الدولة العثمانية. الذين يدينون بمذهب أهل السنة والجماعة استحصل فتوى من كبار رجال الدين تجيز له قتل الشيعة بوصفهم مارقين عن الإسلام وان الواجب الديني والحمية المذهبية تقضي بمحاربتهم وقتلهم[٤٧] ثم وضع خطة للقضاء على جميع الشيعة الساكنين في داخل حدوده.

يقول الدكتور علي شريعتي في هذا الصدد ان الملالي ورجال الدين في الدولة العثمانية أعدوا مسرحية خبيثة هدفها اثارة العامة من أهل السنة والجماعة وتحريضها ضد اتباع الشيعة في ارجاء الدولة العثمانية وسائر الأقطار الإسلامية. فقد كان الملا العثماني يدخل يده في قارورة مليئة بسائل صمغي ثم يخرج يده منها ويدخلها في قارورة أخرى مليئة بالشوفان وبعد ذلك يخرج يده من القارورة وقد التصق بيده آلاف الشوفان وحينئذ يبدأ رجل الدين بطرح هذا السؤال الآتي: ما عدد الشوفان الملتصق بمرفقي وذراعي؟ فيعجز المستمعون والناظرون عن احصائه. عندئذ يعلن الملا بأن مسرحيته تكللت بالنجاح التام ويبدأ بمخاطبة المتفرجين حوله بصوت جهوري أيها المسلمون من قتل رافضيا من الشيعة أعداء الله وناموس نبيه وصحابته ومنكري القرآن والوحي يكتب له في الآخرة بعدد هذه الشوفانات الملتصقة على ذراعي حسنة وأجرا كبيرا[٤٨].

وبدأ الصراع العنيف بين أهل السنة والشيعة حيث أمر شاه اسماعيل بذبح السنيين ذبح النعاج أينما وجدوا في إيران ويقابله ياوز سليم بقتل الشيعة في جميع أنحاء الدولة العثمانية ويروى في هذا الصدد إنه أمر في الأشهر الأولى بقتل جميع الشيعة اينما وجدوا في داخل بلاده[٤٩].

ولأجل تنفيذ خطته بالقضاء على الشيعة وتصفيتهم في الدولة العثمانية بدأ بوضع خطة محكمة للقضاء عليهم وذلك بتنظيم نمط من الشرطة السرية وأرسل افرادها في شتى ارجاء البلاد العثمانية الاسيوية والاوربية وبعد ان تأكد السلطان من عددهم ومقدار تركزهم في الأماكن المختلفة أرسل جنودا إلى تلك الأماكن بنسب عددهم ثم أوعز إلى اولئك الجنود ان يلقي كل واحد منهم القبض على من يقربه من

الشيعة في وقت معين وتم عندئذ قتل اربعين الف من الشيعة بينما أودع الباقون السجن المؤبد(٥٠).

بدأت وتيرة التوتر تزداد يوما بعد يوم بين الدولة العثمانية والصفوية فى عهد شاه اسماعيل الصفوي وعلى الرغم من محاولة السلطان العثماني بايزيد الثاني تخفيف الأزمة المتصاعدة بين الدولتين بإرسال الرسائل الرقيقة إلى الشاه اسماعيل ودعوته إلى السلام والوئام بين الدولتين المسلمتين إلا ان الاختلافات الجادة والعميقة بين الدولتين كانت تحول من هذه المحاولات العقيمة ففي عام ٩٦٠هـ/ ١٥٠٧م استولت قوات القزلباش على ارمينية وكردستان وديار بكر واستولى الصفويون على معظم المناطق المعروفة بعراق العرب.

بدأت المواجهة المباشرة بين الدولتين عندما ثار في أواخر حكم بايزيد الثانى العشائر التركمانية البدوية وأهالي القرى والارياف في آسيا الصغرى الذين يدينون بالمذهب الشيعي وأعلنوا ولاءهم لشاه اسماعيل الصفوي وقد برز أحد زعماء قبيلة تكلو التركمانية يدعى حسن اوغلو الذي أطلق على نفسه لقب (شاه قلي) أي عبد الشاه في زعامة الثورة ضد الدولة العثمانية وكانت هذه الثورة تهديدا خطرا على أمن ووحدة الدول العثمانية فسير السلطان العثماني جيشا كبيرا لقمع ثورتهم وفى معركة قرب نهر كيوك جاي الواقع بين القيصرية وسيواس انتصر العثمانيون على الثوار وقتل قائدهم حسن اوغلو وقمع ثورة الشيعة في آسيا الصغرى بقسوة بالغة وهرب من السيف بقية من شيعة آسيا الصغرى إلى ايران ولم يلقوا مساعدة ومساندة من الشاه اسماعيل لأن الشاه كان متوجسا من أهداف حركتهم ولم يكن راضيا من مسلكهم الداعي إلى المساوات من جهة ولم يكن راغبا بالقطيعة التامة مع الدول العثمانية من جهة أخرى(٥١).

ومن العوامل الأخرى التي أججت نار الخلاف بين الدولتين المتنافستين هى ان اخطار اسماعيل الصفوي لم تقف عند حد المواضع التي هاجمها وإنما تعدتها الى بقاع أخرى من العالم الإسلامي التي كانت الدول العثمانية تعدها ضمن حدود نفوذها من ذلك ان حركة نشبت في صعيد مصر سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م انتهت باعدام مدبرها بتهمة الزندقة وانتقاص القرآن والدعوة إلى اسماعيل الصفوي وقامت فى مصر حركة أخرى سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م سنة وفاة شاه اسماعيل بقيادة أحمد باشا من مماليك السلطان ومن الداعين لاسماعيل الصفوي. ومما زاد من حدة الخلاف

ترويج الصفويين لعن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان على المنابر وفي الازقة والشوارع العامة وكانت هذه السياسة اهانة منكرة لأهل السنة والجماعة أججت نار الخلاف بين الدولتين(٥٢).

وفي سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م استطاع الشاه اسماعيل ان يفتح بغداد وتشير أكثر المصادر التاريخية إلى إنه فعل بأهل بغداد مثل ما فعل بالايرانيين من قبل فأعلن سب الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وكان شديد الحماس في ذلك سفاكا لا يتردد من ان يأمر بذبح من يخالف أمره أو من لا يجاريه وقتل الكثير من أهل السنة ونبش قبر أبي حنيفة(٥٣).

لم يمض على احتلال الشاه اسماعيل لبغداد سوى أربع سنوات حتى تولى عرش السلطة العثماني في اسطنبول رجل شديد المراس لا يقل عن الشاه اسماعيل في تعصبه المذهبي وتعطشه للدماء وهو السلطان سليم الذي اشتهر بلقب ياوز ومعناه الصارم الذي لا يعرف اللين.

استعد سلطان سليم لمقابلة قوات الشاه اسماعيل في عقر داره وفي سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م توجه شاه اسماعيل على رأس قواته إلى ايران ووقعت معركة طاحنة بين جيوش السلطان والشاه وهي المعركة التي عرفت في التاريخ باسم جالدران نسبة إلى الموضع الذي حدثت فيه على مقربة في تبريز وكان النصر فيها حليف الجيش العثماني وقد أمر السلطان بذبح جميع الأسرى وان يصنع من جماجم القتلى هرم لينصب في ساحة المعركة ومما هو جدير بالذكر بأن مقاتلي الشعب الكردي كان لهم دور جوهري في هذا الانتصار العثماني وان جمعا من مقاتلي الكرد تركوا صفوف الجيش الصفوي وانحازوا إلى العثمانيين نكاية بهم وانتقاما للظلم الذي وقع عليهم على يد قوات القزلباش بتهمة اعتناقهم مذهب السنة والجماعة وموالاة العثمانيين وفي الوقت الذي كان الصفويون ينهجون سياسة خاطئة مع الشعب الكردي ويسومونهم الويل وسوء العذاب والخسف والهوان منح السلطان ياوز سليم الكرد حكما ذاتيا واعترف باستقلال اماراتهم بفضل ودراية الشيخ ادريس البدليسي(٥٤) الذي كون من الامارات الكردية المستقلة فدرالية وأصبح هو الوسيط بينهما وبين الدولة العثمانية ومما يلفت النظر ان السلطان سليم لم يستغل النصر الذي ناله تمام الاستغلال إذ رأيناه يتوقف عن مطاردة عدوه المهزوم(٥٥).

ورجع إلى اسطنبول وقيل ان الانكشاريين هم الذين كانوا السبب في ذلك فقد ثاروا وامتنعوا عن التقدم إلى داخل إيران بحجة اشتداد البرد وقلة الملابس والمؤن اللازمة لهم، ومهما تكن الحال فإن السلطان عندما وصل إلى اسطنبول أمر بقتل عدد كبير من الضباط الانكشاريين الذين كانوا السبب في توقف الزحف نحو ايران ويرجع بعض المؤرخين الايرانيين ان سبب توقف ياوز سليم عن متابعة خصمه المهزوم إلى شجاعة الشاه والمقاومة العنيفة التي أبداها جنود القزل باش وأهالي تبريز(٥٦) ولاسيما امام القوات العثمانية وهو ما أدى بالسلطان العثماني إلى ترك اذربيجان والانسحاب من إيران ولم يلبث طويلا على هذا الاندحار العسكري ان جمع الشاد اسماعيل قواته واستولى على المناطق الشمالية الغربية لإيران وفتح كرجستان وأصبحت ضمن الممتلكات الصفوية مما اضطر الدولة العثمانية على الموافقة لابرام الصلح مع الصفويين ومهما تعددت الأسباب والحجج لتكون ذريعة للقتال بين العثمانيين والصفويين فلا يمكن الاستهانة بعامل أساس ورئيس ألا وهو ان ظهور الدولة الصفوية كان نتاجا ظاهرا لبعث قومي وديني ايراني وكان هذا البعث عاملا على خلق ايران قوية موحدة بعد ان كانت جزءا من الدولة الاسلامية وأصبح المذهب الشيعي عاملا قوميا ودينيا لدفع الايرانيين ليقاوموا بشدة وعنف تسلط الدولة العثمانية المدعية وراثة الخلافة الاسلامية(٥٧) وباتخاذهم المذهب الشيعي مذهبا رسميا لدولتهم وسعيهم لتقوية هذا المذهب وجعله أساسا ومنطقا ثابتا للوقوف أمام الزحف العثماني المدعي قيادة العالم الاسلامي. ويبدو ان هناك سببا آخر لهذا الانسحاب علاوة على الذي ذكرناه هو ان السلطان سليم خشي ان يتوغل بجيوشه في ايران فينتهز الفرص المملوك (قانصو الغوري) ملك مصر والشام ويهاجمه من الخلف ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الشاه كان على صلة وثيقة بالغوري وقد عقد معه معاهدة مما جعل الغوري يقطع علاقاته الدبلوماسية مع السلطان سليم ولهذا نجد السلطان يعد العدة لحرب الغوري على أثر انتهائه من حرب الشاه. وفي ٢٤ من آب عام ١٥١٦م تقابل الجيشان العثماني والمملوكي في واد قرب حلب يسمى (مرج دابق). وكان النصر في مرج دابق حليف الجيش العثماني وقد قتل قانصو الغوري في ساحة المعركة ولم يجد السلطان مقاومة تذكر ففتح البلاد الشامية كلها خلال أسابيع معدودة ثم توجه نحو مصر وفي ٣ نيسان ١٥١٧م تم له فتح القاهرة. وبعد فتح مصر على يد السلطان سليم اتخذ العثمانيون لقب أمير المومنين

وخليفة رسول رب العالمين وعدوا حكمهم امتدادا للخلافة الإسلامية التي لم يرق للايرانيين هذا التحول السياسي والديني لسلاطين آل عثمان.

وعلى الرغم من دخوله منتصرا عاصمة الصفويين تبريز في ١٦ من شهر رجب سنة ٩٢٠هـ ونهبه لخزائن شاه اسماعيل وثروته(٥٨).

إلا إنه لم يتمكن من ادامة نصره وتحقيق هدفه بضم جميع مناطق اذربيجان أولا ثم احتلال سائر المناطق الايرانية بعد ذلك والحاقها بالامبراطورية العثمانية.

إذ لم يطل به المقام في تبريز إلا اسبوعا واحدا حيث أحرق جنود القزلباش المنسحبين من ساحة المعركة بأمر من شاه اسماعيل جميع المؤن والارزاق والمحصولات الزراعية في تبريز وضواحيها مما اوقع سلطان سليم في مأزق حرج لتهيئة الارزاق والمؤن لجنوده والعلف لدواب عساكر جيشه ومما زاد من خطورة الموقف الغارات الليلية التي كانت تشنها جنود القزلباش على قوات العثمانيين ودخولهم في تبريز لخطف وقتل الجنود العثمانيين.

مهما تكن الحال فإن السلطان سليم ياوز أمر بانسحاب جيوشه من اذربيجان في ٢٢ من رجب عام ٩٢٠هـ.

ودخلوا في صراع وحروب مع الدولة الصفوية ومهما تعددت الأسباب والحجج لتكون ذريعة للقتال بين العثمانيين والصفويين فلا يمكن الاستهانة بعامل أساسي ورئيس ألا وهو: ان ظهور الدولة الصفوية كان نتاجا ظاهرا لبعث قومي وديني إيراني وكان هذا البعث عاملا على خلق إيران قوية موحدة بعد ان كانت جزءا من الدولة الاسلامية واصبح المذهب الشيعي عاملا قوميا ودينيا لدفع الايرانيين ليقاوموا بشدة وعنف تسلط الدولة العثمانية المدعية وراثة الخلافة الاسلامية وباتخاذهم المذهب الشيعي رسميا لدولتهم وسعيهم لتقوية هذا المذهب وجعله اساسا ومنطقا ثابتا للوقوف امام الزحف العثماني المدعي قيادة العالم الاسلامي.

ولا ريب ان الشرخ الذي حصل نتيجة هذا الانقسام الخطير بين هاتين الدولتين المسلمتين كان على حساب الإسلام واعاقة انتشاره في العالم فقد وصل العثمانيون إلى قلب اوربا الشرقية باسم الإسلام وكانت حروب الدولة العثمانية من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر حرب الإسلام مع المسيحية(٥٩) فكان النصر حليف العثمانيين في جميع الجبهات وواصلوا تقدمهم حتى وفقوا في محاصرة فيينا عاصمة الدولة النمساوية عام ١٥٢٩م ومنذ هذا الانتصار التاريخي للقوات العثمانية انتاب

الفزع اوربا المسيحية من جراء التوسع العثماني وتشير بعض القرائن والادلة الدامغة ان الاوربيين اخذوا ينظرون إلى الدولة الصفوية في إيران بوصفها وسيلة قوية لتحويل الخطر عنهم فقد كتب السفير النمساوي في اسطنبول انذاك ان الايرانيين وحدهم قادرون على ان يقفوا بيننا وبين الدمار(٦٠).

ويقول المؤرخ هارولد لامب . ان الرسل الموفدين من البندقية ذهبوا الى الشاه في إيران ليحثوه على حرب الدولة العثمانية إذ ان هذه الحرب إذا ما أمكن اشعالها ستخفف الضغط عن مدينة فيينا وعن البحر المتوسط(٦١).

وقد حاول الشاه اسماعيل تأمين تعاون ملوك ورجال دين اوربا المسيحية معه في استعداداته لحرب مقبلة مع الدولة العثمانية ودخل في مراسلات مع شارلكن (شارل Charle) امبراطور اوربا في القرن السادس عشر والبابا لويس العاشر وماكسمليان الأول Maximillian امبراطور المانيا ولكن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح لبعد المسافة بين اوربا وإيران ومما يدل على صحة هذا الادعاء إنه عندما رجع سفير الشاه اسماعيل القس المجري فراتر بطروس من ملك المانيا بعد مدة طويلة إلى إيران كان الشاه اسماعيل الصفوي في عداد الاموات(٦٢).

ويحدثنا المؤرخ محمد بن اياس عن مراسلات بعث بها الشاه اسماعيل الصفوي إلى بعض ملوك الفرنجة تحثهم على التعاون معه لاقتسام دولة المماليك فتكون مصر من نصيب الفرنجة والشام من نصيبه هو(٦٣).

وفجأة في ذروة الصراع العثماني الاوربي شنت القوات الصفوية هجوما على الحدود الشرقية للدولة العثمانية الأمر الذي اضطر العثمانيين إلى فك الحصار عن فيينا والانسحاب المنظم ليدخلوا في صراع مرير مع الدولة الصفوية التي انضمت إلى جانب الدول الاوربية المسيحية بدلا من ان تقف إلى جانب العثمانيين اخوتهم في الدين حيث تربطهم واباهم وشائج الدين والجوار(٦٤).

ومن خلال تتبع الأحداث التاريخية نجد ان الشاه اسماعيل لم يكتف بما حققه مع جارته القوية من انتصارات بل سعى إلى التوسع على حساب جيرانه الاوزبك(٦٥) وقد دفع زعيم الاوزبك محمد خان الشيباني المعروف بشاهي خان أو شيبك خان أو شاد بخت أي ملك الحظ ١٥٠٠- ١٥١٠م(٦٦) إلى المبادرة بالهجوم على الأراضي الصفوية مستغلا انشغال الشاه بحربه اعتقادا منه ان ذلك اضمن وسيلة لحماية اتباعه من الخطر الصفوي فوصل بعد اجتياحه خراسان ٩١١هـ/ ١٥٠٨م إلى

مدينة كرمان وعلى الرغم من ان الشاد حاول حل الخلاف وديا عبر وفد بعثه لمقابلة شيبك خان بهذا الخصوص ولكن أي من هذه المحاولات لم تثمر بنتيجة وتلقى الشاد اسماعيل جوابا قاسيا من شيبك خان للخصومة الشديدة والمستحكمة بين الطرفين(٦٧) فقد كان العداء محتدما بين الاوزبك السنيين وحكام الدولة الصفويين لمدة طويلة وكان الصراع في الحقيقة صراعا عقانديا بين السنة والشيعة وعلى الرغم من ان شيبك خان كان يتصف بالجرأة والاقدام ولكنه لم يكن على مستوى عدوه اسماعيل من حيث الخداع والفطنة والذكاء فاستغل اسماعيل صفات الجرأة والشجاعة في شيبك خان وجرده إلى ميدان معركة غير متكافئة كان النصر فيها حليفا لاسماعيل في معركتين منفصلتين قرب طاهر اباد من محال مرو ووقع عشرة آلاف مقاتل من الاوزبك قتيلا في ساحة المعركة(٦٨) وسقط شيبك خان نفسه قتيلا في المعركة الأخيرة عام ٩١٩هـ/ ١٥١٤م ويروى ان الشاد اسماعيل بعث بجثته المحنطة إلى السلطان العثماني با يزيد في حين وضع جمجمته في غشاء من الذهب ليتخذ منها كأسا للشراب وأرسل كل عضو من أعضاء بدنه إلى أحد الولايات الإيرانية(٦٩) ولكن هذه الهزيمة لم تقض على قوة الاوزبك فاستمروا يهددون حدود إيران الشرقية تهديدا متواصلا ويعد شيبك خان في نظر اقوام وسط آسيا شهيدا وقصص بطولاته واستماتته في قتال الصفويين جعلت من اسمه علما من اعلام تاريخ المنطقة وبمقتل شيبك خان ضعفت دولة ما وراء النهر وأصبحت مجرد خانية صغيرة هي خانية بخارى.

وكانت الآمال المعقودة على التقاء قوة الاوزبك بالاتراك العثمانيين تجول في خاطر كل من شيبك خان وبا يزيد الثاني السلطان العثماني ووالد سليم الأول وكانت هناك علاقات المودة بين الاثنين الأمر الذي كان يثير القلق لدى اسماعيل الصفوي وكان لمصرع شيبك خان وتزايد قوة الدولة الصفوية بوصفها دولة شيعية قوية العامل الأساسي في ان يصبح نهر جيحون حدا فاصلا بين إيران وتوران المقصود منها مواطن الاتراك ودق إيران اسفينا بين الدولة العثمانية التركية السنية والاوزبك الاتراك السنية المذهب.

وعلى الرغم من مقتل شيبك خان فقد استمر الصراع الدامي بين الاوزبك والصفويين في عهد عبيد الله خان الذي تولى زمام القبائل الاوزبكية الذي تمكن من الانتصار على القوات الصفوية بقيادة القائد الصفوي نجم الثاني في معركة

غجديوان المعروفة عام ٩١٨هـــ/ ١٥١٣م الــذي وقــع صريعـا فـي سـاحة المعركة[٧٠]. واستمر هذا الصراع طوال عهد الصفويين حتى آل الأمر إلـى انتصار الافغان ومنهم عشائر الاوزبك بقيادة محمود الافغاني والاستيلاء على إيران في عـهد شاد سلطان حسين الصفوي وانهاء السلالة الصفوية إلى الأبد.

توفي الشاد اسماعيل في الخامسة والثلاثين من عمرد سـنة ٩٣٠هـ. ق- ١٥٢٤م[٧١] بمرض الحصبة في مدينة سراب بعد حكم دام أربعة وعشرين عامـا[٧٢] ودفن في اردبيل في مقبرة جده الشيخ صفي الدين.

خلف الشاد اسماعيل أربعة أبناء هم طهماسب ميرزا[٧٣] وسام ميرزا وبـهرام ميرزا والقاص ميرزا واكبرهم سنا هو طهماسب ميرزا كان في العاشرة من عمـرد عندما وصل إلى عرش إيران[٧٤].

الشاد طهماسب الصفوي ٩٣١ – ٩٨٤هـ ١٥٢٤ – ١٥٧٦ م

الأوضاع الداخلية لإيران في بداية حكم الشاه طهماسب الصفوي :

عندما وصل طهماسب ميرزا الى حكم الدولة الصفوية ونظرا لصغر سنه طمـع الامراء ورؤساء القبائل والاشراف والأعيان في السلطة والتسلط على عرش إيـران ودب النزاع والاختلاف الشديد بين رؤساء قبائل القزل باش حول الوصايـة وتربيـة الشاد الصغير[٧٥] وفي هذا المجال نذكر الصراع الذي دار بين رؤساء قبـائل تكلـو واستاجلو سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م حول من الذي سيحظى منـهم بتربيـة ووصايـة طهماسب الصغير اسفر الصراع بين القبيلتين عن انتصار قبيلة ستاجلو علـى تكلـو ودخلت القوات الشاهية في قتال مع قوات قبيلة ستاجلو ودحرتها شـر اندحـار[٧٦]. ونتيجة حتمية لهذه الأوضاع الشاذة ظهرت فتن واضطرابات وانتفاضات في أطـراف واكناف البلاد الإيرانية نذكر منها القتال الذي دار بين قبيلة ستاجلو وروملـو قـرب اردبيل والتي اسفرت عن مقتل رئيس قبيلة روملو المدعـو يادنجـان سـلطان[٧٧]. وكذلك تمرد عشائر ستاجلو سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م ضد الدولـة المركزيـة وقيـام عشائر تكلو باستيلائهم على تبريز ونهبها وعصيان قبائل كلهر الكرديـة بقيـادة ذو الفقار بيك بن نخوت خان عام ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م حيث استولى على بغداد وانتصـر واعلن الطاعة والانقياد للسلطان العثماني سليمان القانوني[٧٨] وقد ثـارت الامـيرة

دوباج زعيمة بيه بيش في كيلان (جيلان) سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م وأعلنت استقلالها عن الدولة المركزية.

وفي عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤١م اندلعت انتفاضة شعبية في خوزستان ضد الدولة الصفوية ولا نزال نجهل طبيعة التركيب الاجتماعي لتلك الانتفاضات ضد حكم طهماسب ولكن يبدو أن هذه الانتفاضات التي اثارها الحكام والامراء المحليون كانت مدعومة من الطبقات الفقيرة والمعدمة في المجتمع الإيراني وتظهر هذه الحال جلية في انتفاضة (صالح بيتكجي) في استر اباد سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م واستيلاؤه على المنطقة المذكورة وكان جل انصاره واتباعه من الطبقة الفقيرة والمسحوقة(٧٩) وفي عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م كان الشاه طهماسب يطالب أمير لرستان الكبرى بعشرة آلاف بغل ومحمدي بك أمير لرستان الصغرى أيضا، إلا إنه لعجز الأخير عن دفع هذه الضريبة الباهظة سجن الشاه منة شخص من اشراف لرستان والقي محمد بك أمير لرستان الصغرى في سجن آلموت وبذلك أصبح هذا الحدث سببا لاثارة العشائر اللرية وبالتالي حمل السلاح والتمرد ولما سجن محمد بك مع اشراف لرستان في قلعة آلموت شرع القادة الباقون الثلاثة جهانكير وشاويردي وعلي خان في منطقة خرم اباد بالكفاح المسلح وكانت معظم العشائر والقبائل الكردية تشارك في هذه الحركة وكان الناس يطالبون جميعا باطلاق سراح محمد بك ورفاقه ويثورون في همدان واصفهان والمناطق الأخرى على موظفي الشاه ويقتلونهم وفي العهد ذاته بدأت العصيانات ضد الصفويين في جيلان أيضا فانتاب الشاه الذعر والهلع من احتمال تفاقم العصيان واستعد جديا لمواجهة الموقف وقمع الحركة إلا ان الحل الوحيد لانهاء الانتفاضة كان في اطلاق سراح محمدي بك ورفاقه من السجن وفعلا اخلى الشاه سبيلهما وبذلك قمعت انتفاضة لرستان وانهيت وعفا الشاه عن محمد بك بفضل هذه الانتفاضة وعين اميرا مستقلا على لرستان على ان يترك أولاده في البلاط العالي تحت الأشراف والتربية كرهينة(٨٠).

الأوضاع الاقتصادية في إيران أواخر حكم الشاه طهماسب

تدهورت الأوضاع الداخلية في إيران وانتشر قطاع الطرق والقتلة على الطرق التجارية لذلك فقد اهملت الطرق التجارية من غربي إيران إلى حلب ومن الجنوب إلى هرمز وأصبح الاقطاعيون الكبار ورؤساء القبائل الرحالة المتحكمين في رقاب الناس

لا يتورعون في ايذاء الفلاحين. وكان مصير الفلاحين من أهالي القرى والارياف وفقراء المدن بايديهم يفعلون بهم ما يشاؤون ومتى يشاؤون. ففي سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وقعت مجاعة كبيرة ومروعة في البلاد صاحبها طاعون مميت وأصبح الفلاحون أكثر فقرا وتعاسة حتى وصل الأمر في بعض الأنحاء من إيران ان اكلت الميتة ولحوم الحيوانات الميتة وحتى الاحياء من البشر بعد قتلهم من أثر القحط الشديد والغلاء الفاحش[٨١].

حروبه الخارجية :

من الحوادث المهمة التي وقعت في عهد طهماسب تمرد أخيه سام ميرزا[٨٢] الذي كان حاكما على قندهار وقد استغل عبيد الله خان رئيس قبائل الاوزبك هذه الفرصة وهجم بقواته على منطقة خراسان واستولى على هرات فجهز طهماسب حملة سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م بهدف القضاء على تمرد عبيد الله خان الاوزبك ولما لم يجد عبيد الله خان القوة في نفسه على مقاومة الجيش الصفوي ترك المناطق التي استولى عليها فارا إلى ما وراء النهر[٨٣] وبعد قضائه على الاوزبك توجه لقمع فتنة أخيه سام ميرزا ولما علم سام ميرزا بحملة شاه طهماسب ضده عين "بير بوداق" أحد رؤساء عشائر القاجار حاكما على قندهار وهرب ناجيا بنفسه إلى الدولة العثمانية[٨٤] ودخلت القوات الصفوية قندهار وعين شاه طهماسب بير بوداق خان نفسه حاكما على قندهار ولم يلبث طويلا ان هاجم كامران ميرزا بن بابر الكوركاني على قندهار ودخلها فاتحا وطرد حاكم طهماسب بير بوداق من قندهار وتبين من هذا الحدث ان طهماسب لم يستفد من حملته على قندهار من الناحية العسكرية والسياسية وبقيت الأوضاع في تلك المناطق متأزمة مدة طويلة.

تمكن الشاه طهماسب بارادة قوية من القضاء على جميع الانتفاضات والتمردات التي اندلعت في ارجاء الدولة الصفوية وافلح في تثبيت ركائز الحكومة المركزية ودعائمها على أسس متينة ولكن دولته بقيت مهددة من أعداء إيران التقليديين العثمانيين من الغرب وعشائر الاوزبك من الشرق وعليه زخر عهد طهماسب الذي دام اثنين وخمسين عاما ونصف العام[٨٥] بالحروب المتصلة مع هاتين القوتين المهددتين لكيان الدولة الصفوية.

فقد شن الاوزبك بقيادة عبيد الله خان منذ سنة ١٥٢٥م ولغاية ١٥٤٠م سبع حملات قوية على الولايات الشرقية لإيران. جعلت الشاه طهماسب يدرك انه اذا أراد المحافظة على دولته فعليه ان يرتفع إلى مستوى رفيع من الناحية العسكرية إلى جانب التمسك بالعقيدة (المذهب الشيعي الاثني عشري) كمنطلق لاثارة الايرانيين ضد اعدائهم في العقيدة، وكان الارتفاع إلى مستوى العصر عسكريا يتطلب استخدام الأسلحة النارية في الجيش الصفوي وفعلا زود طهماسب جيشه بهذه الأسلحة ولاسيما المدافع واستعملها ضد الاوزبك في معركة "تربة جام" عام ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م وفي معركة "زور آباد" وعلى الرغم من استماتة الاوزبك وبسالتهم في القتال فقد كان النصر حليفا لطهماسب[٨٦] في تلك المعركتين لاستعمال الجيش الصفوي تلك الأسلحة في القتال ولكن على الرغم من هذا الانتصار لم يكن بمقدور الجيش الصفوي سحق مقاومة الاوزبك نهائيا لأن الخطة تتطلب نفقات ضخمة وجهود مضنية لا يكسب وراءها الشاه الصفوي إلا أرضا معادية لذلك لم يستمر الصفويون في سحق الاوزبك ومقاومتهم إلى الأبد وإنما توجهوا إلى استرداد العراق من يد الأمير ذي الفقار خان الكردي رئيس عشائر كلهر المعروفة الذي استولى على بغداد معلنا خضوعه للسلطان العثماني.

بعث الشاه طهماسب بجيش كبير إلى العراق واستولى على بغداد وتخلص من ذي الفقار عام ١٥٣٠م[٨٧] وبدأ صراع عنيف مرة أخرى على العراق بين الدولتين الصفوية والعثمانية.

ولم يكن هينا على السلطان سليمان القانوني وهو يعد نفسه حاميا للمدن المقدسة في العراق ان يسمح بضياع بغداد وقد استثار نخوته وكان اعوانه وحاشيته يذكرونه دائما بأن والده السلطان ياوز سليم لو كانت قد امتدت به الحياة لاكتسح الايرانيين بالنار والسيف[٨٨].

هاجمت القوات العثمانية في عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م أذربيجان بتحريك اولامه بيك رئيس عشائر تكلو القزل باش والذي كان من اعوان شاه طهماسب[٨٩] وقد التجأ إلى الدولة العثمانية لاختلافه مع الشاه طهماسب وحرض السلطان العثماني بالهجوم على الدولة الصفوية مشددا على ضعف وعجز الجيوش الصفوية عن مقاومة الجيوش العثمانية المجهزة بالعدة والعدد وفعلا أمر السلطان العثماني سليمان القانوني الصدر الأعظم ابراهيم باشا بالزحف على إيران واسترجاع بغداد من قبضة

الايرانيين. دخلت القوات العثمانية الأراضي الإيرانية دون مقاومة تذكر حتى وصلت مشارف تبريز وقد تواطأ موسى سلطان تبريز وحاكمها ومولانا الطبسي من الامراء والأعيان المعروفين في تبريز مع العثمانيين واحتلت القوات العثمانية بلا قتال مدينة تبريز عاصمة الدولة الصفوية في تلك المرحلة الزمنية. وعندما علم الشاه طهماسب بالهجوم العثماني ترك فتوحاته في الشرق وتوجه على جناح السرعة لمقابلة وصد الغزو العثماني لبلاده وقد تملك الفزع والخوف ابراهيم باشا عندما علم بزحف الشاه الصفوي لمقابلته وطلب النجدة من السلطان سليمان القانوني ولم يشتبك الشاه مع العثمانيين لقلة عساكره وعدم اطمئنانه من اخلاص رؤساء عساكرد القزل باش. يقول قاضي أحمد غفاري القزويني: ان حسين خان وغازي خان ومحمد خان وغيرهم من رؤساء القزل باش تغير قلبهم عن طهماسب ودخلوا في عداد المنافقين وكذلك ثار كل من محمد خان ذي القدر على رأس ألف فارس من جماعته وقيا سلطان ذو القدر وحسين سلطان تكلو من رؤساء قبائل القزل الباش على الدولة الصفوية واتحدوا مع اعدائهم العثمانيين(٩٠).

انتهج شاه طهماسب سياسة الحملات الخاطفة في حربه مع القوات العثمانية المتوغلة في الأراضي الإيرانية فباشر بشن الغارات السريعة على العسكر المتقدم للجيش العثماني وقد ساعد طهماسب في غاراته برد الشتاء القاسي في تلك السنة التي دخلت فيها القوات العثمانية إيران وفقد الجيش العثماني عددا كبيرا من مقاتليه ودوابه نتيجة للبرد القارس والثلوج التي داهمتهم في منطقة تبريز. ولم يجد السلطان سليمان القانوني بدأ من ترك اذربيجان فزحف عن طريق شهرزور في كردستان العراق إلى بغداد ودخل بغداد عام ١٥٣٤م والمعروف عنه إنه لم يسمح بالنهب أو ايذاء أحد من السكان(٩١).

بعد ترك القوات العثمانية اذربيجان هاجم طهماسب فلول الجيش العثماني واعوانهم وعلى رأسهم اولامه سلطان وعامله ذو القدر اللذين هربا من تبريز امام شاد طهماسب إلى قلعة (وان) التي حاصرها طهماسب حصارا شديدا لمدة طويلة. وبحلول فصل الشتاء توقف القتال بين الطرفين المتحاربين واخبر اولامه السلطان سليمان القانوني بدخول القوات الصفوية الاناضول وفي السنة التالية (٩٤١هـ/ ١٥٣٥م) ترك السلطان سليمان بغداد مهاجما اذربيجان مرة أخرى وعندما علم طهماسب بالأمر رجع إلى تبريز وبعد قتال قصير بين طلائع القوتين العثمانية

والصفوية في قرية (دمه) بمنطقة دركزين تمكن أمير سلطان روملو أحد قادة القزل باش من قتل عدد كبير من العساكر العثمانية وأرسل برؤوسهم إلى الشاه طهماسب وقد تأثر السلطان سليمان من هذه الحادثة تأثرا بليغا وأدرك ضعف قواته وقرر عدم التقدم في البلاد الإيرانية وعلى الرغم من اندلاع معارك عنيفة بين الطرفين المتخاصمين لكنها لم تكن حاسمة وفي إحدى تلك المعارك اسر سنان باشا القائد العثماني مع قسم من الجيوش العثمانية.

وقد حاول شاه طهماسب على الرغم من انتصاراته الجزئية ابرام صلح مع السلطان العثماني سليمان القانوني وأرسل سفيرا يدعى (استاجلو خان) للاتصال بالسلطان سليمان ولكن السلطان لم يلب طلب الشاه طهماسب ولم يوافق في بادئ الامر على ابرام معاهدة صلح دائم بين الطرفين[٩٢] ولكن بعد اسر قائده وصل إلى قناعة بأن الحرب مع الصفويين لن توصله إلى نتيجة حاسمة معهم وطلب المشورة من وزيره الأول محمد باشا الذي أشار عليه بدوره ان يجنح إلى السلم ويضع حدا لسفك الدماء واراقتها بين الطرفين وعليه وافق السلطان على عقد الصلح واحلال السلام بين الدولتين المتخاصمتين وأرسل سفيره المدعو محمد باشا إلى بلاط طهماسب الصفوي مبديا موافقته على الصلح واحلال السلام وطلب اطلاق سراح قائده سنان باشا وأرسل الشاه طهماسب سنان باشا سالما مع مبعوثه شاه قلي بيك قاجار إلى البلاط العثماني وحل السلام بدل الخصام بين الطرفين، ويؤكد أكثر المؤرخين بأن السلطان سليمان القانوني لم يصل إلى هدفه المنشود من شن هذه الحروب المتكررة ضد الدولة الصفوية ولم يفلح في اذلال الدولة الصفوية واجبارها على تلبية شروطه الخاصة وعلى الرغم من ذلك فإن النتيجة الايجابية التي حصلت عليها الدولة العثمانية من هذه الحروب هي استرجاع بغداد من قبضة الصفويين[٩٣].

ولا يمكن تحاشي حقيقة ان السلطان سليمان القانوني على الرغم من انتصاراته الباهرة في اوربا وسائر ارجاء المعمورة لم يتمكن من قهر مقاومة الايرانيين بقيادة طهماسب وقد أجبرته السياسة الحربية الذكية التي انتهجها طهماسب الى انتهاج سياسة حرب الاستنزاف وترك إيران والانسحاب إلى داخل الأراضي العثمانية.

من الحوادث المثيرة في عهد الشاه طهماسب عصيان أخيه القاص ميرزا الذي كان حاكما على شيروان عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م ومحاولته الاستقلال بتلك المنطقة

والخروج على الحكومة المركزية وقد انتاب الشاه طهماسب الفزع من أطماع أخيه وعلى الرغم من محاولات رؤساء القزل باش تطبيع العلاقات بين الاخوين المتخاصمين إلا ان الصلح والصفاء لم يدم طويلا بينهما فاستغل القاص ميرزا المنازعات التي احتدمت بين رؤساء عشائر القزل باش في تبريز حول امتلاك الأراضي والتصرف بها واستغلالها فأعلن العصيان مرة أخرى وأمر بسك النقود باسمه وتلاوة اسمه في خطبة الجمعة بدلا من اسم الشاه طهماسب وهو ما اضطر طهماسب إلى إرسال قوات كبيرة لمحاربته وقمع تمرده وقد أسفر القتال بين قوات القاص ميرزا والشاه طهماسب عن اندحار القاص ميرزا وهروبه من إيران[٩٤] خوفا من بطش أخيه ملتجئا إلى بلاط السلطان سليمان القانوني وبدأ القاص ميرزا بحبك المؤامرات ضد أخيه طهماسب واغرى السلطان بالهجوم على إيران مرة أخرى واعدا اياه إن أنصاره واعوانه سوف يساعدونه في الاطاحة بشاه طهماسب ولكن جميع وعوده كانت أوهاما ولم تترجم إلى الواقع مما ورط السلطان سليمان القانوني في حرب جديدة ضد الدولة الصفوية عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م. ويعد ادوارد براون لجوء القاص ميرزا إلى الدولة العثمانية وتحريضه سلطان سليمان القانون لمحاربة بلاده وصمة خيانة في جبين القاص ميرزا في تاريخ حياته[٩٥] وقد أدت به هذه الخيانة ان يبقى وحيدا بعد ان نفض السلطان العثماني يده منه وأحجم عن مساعدته فالتجأ إلى سرخاب بيك الكردي الذي سلمه بدوره إلى أخيه طهماسب الذي أمر بقتله جزاء خيانته[٩٦].

هاجم السلطان سليمان القانوني على رأس جيش كبير منطقة اذربيجان وأمر الشاه طهماسب قواده باتباع سياسة الأرض المحروقة امام الجيوش العثمانية الزاحفة فحرق الصفويون جميع الحبوب والغلات التي تحتاجها الجيوش العثمانية في زحفها وهدموا جميع القنوات ومصادر المياه الواقعة على طريق القوات العثمانية الزاحفة وقد نفذت أوامر الشاه طهماسب بحذافيرها واثرت هذه السياسة تأثيرا بالغا على الجيش العثماني في توفير ما يحتاجونه للحياة الضرورية اليومية بحيث عانى الجيش العثماني معاناة شديدة من نقص الغلات والحبوب ومياه الشرب للمقاتلين والدواب وعلى الرغم من هذه التدابير التي اتخذها الصفويون دخلت القوات العثمانية تبريز مرة أخرى عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م ولكنها لم تتمكن من الاحتفاظ بالمدينة والبقاء فيها طويلا حيث فقد الجيش العثماني خلال مدة أربعة أيام في تبريز أكثر من

خمسة آلاف دابة ماتت عطشا وقد نهب الجنود العثمانيون سكان تبريز طلبا للغذاء والماء وقد قاوم التبريزيون الجيش العثماني مقاومة عنيفة أدرك السلطان العثماني على اثرها عبث الاستمرار في احتلال الأراضي الإيرانية وقد جمع الشاه طهماسب خيرة قوات القزل باش وبدأ بشن الغارات الواحدة تلو الأخرى على القوات العثمانية وبحسب ما يرويه المؤرخون فان السلطان العثماني سليمان القانوني بات ليلة كاملة على سرج حصانه خوفا من هجوم القزل باش(٩٧).

آثر سليمان ترك تبريز وإنسحب بقواته إلى ديار بكر وتابعه عساكر القزل باش حتى مدينة "ارزنجان"(٩٨) ودخلوا المدينة فاتحين وأحرقوا المدينة وحاصرت القوات الصفوية قلعة اخلاط ودخلتها وتمكنت من الاستيلاء على "ارجيش" وقتلوا جميع المدافعين الاكراد عن القلعة المذكورة وأمر طهماسب بهدم القلعة من اساسها وعندما علم السلطان العثماني سليمان القانوني بتوغل الجيش الصفوي في امبراطوريته تملكه الغضب وهاجم للمرة الرابعة الحدود الإيرانية وتجددت الحرب بين الطرفين مرة أخرى عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م ووصلت القوات العثمانية إلى نخجوان. وعندما علم طهماسب بهجوم القوات العثمانية على التخوم الايرانية ارسل سفيرا يدعى "فرخز ادبيك" للمفاوضة مع السلطان العثماني وعلى أثر المساعي الحميدة للسفير ومحاولاته الجادة وقناعة الطرفين المتخاصمين بأن الحرب لن توصلهما إلى نتيجة حاسمة. جنح الطرفان إلى السلم ووصل الشاه طهماسب إلى قناعة أكيدة بأن استعادة بغداد من العثمانيين أصبحت أمرا مستحيلا.

لقد أتعبت الحرب فارس وبات واضحا لهطماسب ان استعادة العراق أصبح مستحيلا وفي الوقت نفسه تبين ان العثمانيين يستطيعون الانتصار في حرب ثانية وثالثة دون ان يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في الدولة الفارسية ولهذا كانت الظروف مهيأة لعقد صلح بين الطرفين(٩٩) انطلاقا من هذه الحقيقة أرسل طهماسب سفيرا يدعى فرخزاد بيك للمفاوضة مع السلطان العثماني وعلى أثر المساعي الحميدة للسفير ومحاولاته الجادة وقناعة الطرفين المتخاصمين بأن الحرب لن توصلهما إلى نتيجة حاسمة جنح الطرفان إلى السلم ووصل الشاه طهماسب إلى قناعة أكيدة بأن استعادة بغداد من العثمانيين أصبحت امرا مستحيلا وتبين لسليمان القانوني أيضا. ان قواته لن تتمكن من تثبيت اقدامها في الممتلكات الصفوية عليه أصبحت الظروف

مهياة نعقد صلح بين الطرفين المتخاصمين وهو الصلح الذي عرف باسم صلح اماسيا (Amassia) عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م[١٠٠]

وتنص اتفاقية الصلح على البنود الاتية

١. تترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية.
٢. تتحدد حدود ولاية شهرزور منعا لوقوع الحوادث المعكرة لصفو السلام بين الدولتين.
٣. تأمين سلامة الحجاج الفرس الذاهبين إلى زيارة العتبات المقدسة الشيعية في العراق وإلى الأراضي الإسلامية المقدسة[١٠١] في الحجاز.

لاشك إن هذه الاتفاقية على بساطتها وقلة موادها تكشف لنا عن الأسباب التي أدت الى نشوب النزاعات والصراعات الطويلة بين الدولتين الاسلاميتين المتجاورتين وبعد ابرام معاهدة اماسيا بين الشاه طهماسب والسلطان سليمان القانوني سارت العلاقات بين الدولتين سيرا حسنا واتسمت بنوع من الهدوء وكان الطرفان يريدان هذا النوع من العلاقات وبحاجة ماسة إليها ليتفرغ كل منهما لمواجهة المشاكل الكبرى التي كانت تواجههما داخل بلادهما بدت هذه العلاقات على أحسنها عندما فر بايزيد بن السلطان سليمان القانوني[١٠٢] إلى البلاط الصفوي مع عدة كتائب عسكرية سنة ١٥٥٩م ومع ان طهماسب استقبله في بادئ الأمر بحفاوة بالغة[١٠٣] إلا إنه سرعان ما أدرك ان بايزيد لن يفيده بشيء وان المصلحة السياسية لبلاده تقتضي تسليم بايزيد إلى والده سليمان القانوني. لذلك قرر طهماسب تسليم ضيفه إلى أبيه سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م مقابل مبلغ كبير من الذهب يقدر بـ ٤٠٠ ألف قطعة ذهبية[١٠٤] وتمت الصفقة ودخل الذهب خزينة الشاه ولقي بايزيد البائس الذي كان مسجونا عند طهماسب حتفه[١٠٥] وأرسل أخوه سليم رأسه كهدية ثمينة إلى والده بأمر من والده السلطان القاسي غليظ القلب سليمان القانوني وبعد مقتله آل مصير ابنائه الأربعة اورخان وعثمان وعبد الله ومحمود إلى الموت مثل مصير والدهم بايزيد[١٠٦].

ينتقد بعض المؤرخين الاوربيين المعاملة غير الإنسانية لشاه طهماسب لضيفه بايزيد ويعدونه عملا جبانا ولؤما واضحا يستحق بسببه لعنة التاريخ والاجيال ولكن المؤرخين الايرانيين يمجدون فعلته ويبررونها من الزاوية الإنسانية أيضا إذ يشددون على هذه الحقيقة ان موت شخص واحد أهون من قتل آلاف الابرياء في حرب جديدة

كان وقوعها حتميا لو امتنع الشاه طهماسب من تسليم بايزيد إلى والده السلطان سليمان القانوني الذي كان ينظر إلى هذه المسألة بحساسية شديدة ويعد فعلة ابنه خيانة كبيرة وعارا عظيما لتاريخ الأسرة العثمانية.

ويعزو بعض المؤرخين الايرانيين معاملة طهماسب لضيفه بايزيد بهذا الشكل إلى الغرور والهمجية المفرطة لبايزيد وانشغاله في حبك المؤامرات والدسائس[١٠٧] مع أعداء طهماسب بهدف اغتياله[١٠٨] حتى يتمكن من ارضاء والده سليمان بعفوه بعد انجازه هذه المهمة الكبيرة وتبين هذه الحادثة بوضوح ان الشاه طهماسب كان مهتما بالابقاء على العلاقات الطيبة مع العثمانيين[١٠٩] فقبيل وفاة الشاه طهماسب جاء سفير من البندقية فنسنتيود السندري (Vincentiad AL- essandri) سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م بهدف التحالف معه ضد العثمانيين الذين استولوا على جزيرة قبرص دون سابق انذار أو اعلان حرب وكان هذا الحادث ضربة قاسية للبندقية ولما كانت اوربا مشغولة بأمورها لم تهتم باستصراخات البندقية بها واضطرت البندقية على حث الصفويين أعداء العثمانيين على التحالف معها ولكن الانتصارات الكبيرة التي أحرزها العثمانيون في اوربا الشرقية وتوغلهم في الأراضي الإيرانية حال دون وصول البنادقة إلى نتيجة حاسمة ومجدية من محاولاتهم السياسية هذه فلم يتحرك الشاه طهماسب لمساعدة البنادقة خوفا من اثارة العثمانيين واحتراما للصلح المنعقد بين الطرفين.

كان الجزء الأخير من حياة طهماسب مستقرا وسادها نوع من الهدوء السياسي ولم ير تاريخ إيران علاقة حسنة بين الدولتين العثمانية والصفوية كما كانت عليها ابان السنوات الأخيرة من حكم طهماسب وكانت الهدايا الثمينة والرسائل المتبادلة بين العاهلين مليئة بالود والاحترام[١١٠] دليلا على حسن العلاقات السياسية بين الدولتين[١١١] وبقيت العلاقات السياسية حسنة بينهما منذ انعقاد معاهدة اماسيا من ٨ رجب ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م وحتى ٢٠ شوال ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م وكانت جميع المناوشات الحدودية والأزمات المحلية تحل بالطرق السلمية والدبلوماسية بين الدولتين[١١٢].

فعلى الرغم من وجود المآخذ على حكم شاه طهماسب كحبه الجم لجمع المال وخسته واعتقاده بالخرافات والفأل والاستخارة وتفسير الاحلام وتعصبه الظاهري الشديد للمذهب الشيعي[١١٣] فكان يعتقد بأن الذين هم ليسوا على مذهب الشيعة

انجاس[١١٤] لكن يجب الاعتراف له بفضل بقاء إيران محتفظة بوحدتها السياسية[١١٥]، فقد انقذ إيران من غزو العثمانيين والاوزبك وقضى على جميع الثورات والفتن الداخلية وقضى على تمرد الطامعين في الحكم من اخوانه وصان بذلك استقلال ايران.

تعصبه المذهبي

وأما بصدد تعصبه الشديد للمذهب الشيعي ويفسره المؤرخون الايرانيون تفسيرا ايجابيا مشددين على صواب نهجه الديني مؤكدين ان طهماسب كان على يقين بأن والده الشاه اسماعيل انتصر على اعدائه الاوزبك ودولة الخروف الأبيض والعثمانيين الذين يعتنقون مذهب السنة بتعصبه الشديد لمذهب الشيعة وغرس هذا التعصب في نفوس انصاره ومريديه من قبائل القزل باش الذين ضحوا بحياتهم في سبيل انتصار مرشدهم الأكبر الشاه اسماعيل وعلم طهماسب بأن النجاح لن يكون حليفه إلا إذا سار على نهج أبيه التعصب للشيعة وجعلها وسيلة لاثارة الايرانيين ضد التوسع العثماني باسم الخلافة الإسلامية ولولا المذهب الشيعي لافتقر حكام إيران لعامل الاثارة التي تهيئهم للتضحية والصمود امام العثمانيين الذين يجمعهم واياهم اله ورسول ودين وكتاب واحد[١١٦].

ولكن الشاه طهماسب أدرك بعد ذلك إنه لا يستطيع ان يكون مثل أبيه رئيسا للدين والدولة في آن واحد وان من الحكمة ان يترك أمر بث التشيع بيد المختصين من الفقهاء فاستدعى إليه الشيخ علي بن عبد العالي الكركي[١١٧] لينهض باعباء هذه المهمة[١١٨] ولا نغلو ان قلنا ان طهماسب هو الذي قوى المؤسسة الدينية في ايران وأصبحت لرجال الدين منذ عهده سلطة واسعة على الرعية واصبحوا الحكام الفعليين فعلى الجميع ان يمتثلوا لأوامرهم وعلى أثر هذه السياسة نمت المؤسسة الدينية في إيران وكان طهماسب نفسه ملتزما بمناسك الشريعة مؤمنا بالمذهب الشيعي إلى حد التعصب[١١٩] وترك ملذات الحياة منذ السنة التاسعة من حكمه، فقد اقلع عن معاقرة الخمر وهو في العشرين من عمره وأمر باغلاق جميع محلات بيع الخمور وأماكن لعب القمار ومراكز الفحشاء والرذيلة ووسائل اللهو والعبث في ارجاء البلاد الإيرانية وقضى الناس أوقاتهم بالطاعة والعبادة والتقوى والزهد في الحياة[١٢٠].

توفي الشاه طهماسب بالسم عام ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م بعد حكم دام ثلاثة وخمسين عاما وستة أشهر وعشرين يوما[١٢١] مخلفا أحد عشر ولدا[١٢٢] وسبع بنات واشتد الصراع بين ابنائه على وراثة العرش.

اغتيال حيدر ميرزا

تمكن حيدر ميرزا بمساعدة عشيرة استاجلو من الفوز مؤقتا بالعرش الصفوي ولكن امراء عشائر الافشار والقاجار وروملو لم يعترفوا بحيدر ميرزا شاها شرعيا على البلاد الإيرانية[١٢٣] لتخوفهم من بأسه وشعبيته وقوة شخصيته[١٢٤] ولم يلبث ان قتل في العام نفسه بتحريض من بريخان خانم ابنة طهماسب[١٢٥] وشمخال خان أحد رؤساء الجركس المعتمدين في البلاط الشاهي فاستغلت عشائر الافشار هذه الاضطرابات لاسيما بعد مؤامرة اغتيال حيدر ميرزا ونصبوا "اسماعيل ميرزا" أحد أبناء طهماسب سنة ٩٨٤- ٩٨٥هـ/ ١٥٧٦- ١٥٧٧م شاها على إيران باسم اسماعيل الثاني.

اسماعيل الثاني

كان اسماعيل ميرزا في بداية حياته مفعما بالروح العسكرية محبوبا لدى عشائر القزل باش وقد سبق ان لمع نجمه في الحروب التي خاضها الايرانيون ضد العثمانيين وذاع صيته في العمل الجريء الذي قام به ضد حاكم ارضروم اسكندر باشا سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م حتى اذا عهد إليه والده سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م حكم ولاية خراسان خلفا لأخيه الأكبر استثار شكوك والده طهماسب بما أظهره من الاستقلال في العمل العسكري والانفراد في الرأي واتخاذ القرارات السياسية بذاته وبصورة مستقلة بذلك كان مكروها من أبيه طهماسب[١٢٦] يراوده الشك في اطماعه فوضعه في الحبس في قلعة "قهقهة" وظل بها زهاء الربع قرن مما أثر في نفسه وسلوكه تأثيرا بالغا لاسيما عندما وصل الحكم فشب ناقما على الجميع لا يثق بأحد قاسيا غليظ القلب حتى على أقرب المقربين إليه من أفراد أسرته فانهال بسيفه على أفراد أسرته واعدم ستة أفراد من اخوته هم كل من الأمير سليمان ميرزا وامام قلي ميرزا ومحمود ميرزا ومصطفى ميرزا وسلطان علي ميرزا وأحمد ميرزا.

وقد نجا من اخوانه محمد خدا بنده" وأولاده باستثناء اكبرهم حسين الذي قتل مع سائر أفراد الأسرة الصفوية، أما عباس بن خدا بنده المعروف في التاريخ باسم شاه عباس(١٢٧) الكبير فقد نجا من الموت المحتوم باعجوبة بالغة.

سار اسماعيل الثاني على سياسة الشدة والعنف مع الرعية وكان متجبرا متعاظما الى الغاية فاحتجب عن الخلق على خلاف اسلافه(١٢٨) فاغضب عشائر القزل باش المتعصبين لمذهب الشيعة بما اظهره من كراهية علنية للمذهب الشيعي فقد اغفل ذكر شعارهم على ما ضرب من نقود في عصره ومنع سب الخلفاء الثلاثة الاولين من على المنابر(١٢٩) والحق يقال ان شخصيته الغامضة التي أفسدتها المسكرات وكان مدمنا على الخمر دائم السكر تجعل من العسير علينا ان نعين على التحديد ما الذي دفعه إلى انتهاج هذا السبيل أهو الأمل في ان يسترضي بذلك أهل السنة أعداء دولته التقليديين من العثمانيين والاوزبك. أم هو مجرد الرغبة في الانتقام من ذكرى والد المتعصب للمذهب الشيعي الذي افسد عليه حياته إذ القاه طوال سنين عديدة في غياهب السجون(١٣٠).

قضى اسماعيل الثاني مدة حكمه القصير في العبث والمجون وقد كانت مدة حكمه عبارة عن سلسلة من المآسي انتهت بمصرعه في ١٣ من رمضان عام ٩٨٥هـ الموافق ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٥٧٧م بعد حكم استمر عاما وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما (١٣١). ويعتقد بعض المؤرخين إنه مات على أثر تعاطيه جرعة كبيرة من الترياق (الحشيش) ويعتقد بعضهم الآخر بأنه قتل في حرم قصره من قبل بعض المتآمرين(١٣٢) ضده وبمصرعه قرر المجلس الأعلى للامراء والاشراف ورؤساء قبائل القزل باش انتخاب محمد خدا بنده الذي لم يكن ميالا للحكم لمرضه وللضعف الشديد في بصره ولكن رؤساء القزل باش وسائر الأعيان اجبروه على قبول العرش خوفا من انهيار الدولة الصفوية(١٣٣).

محمد خدا بنده ٩٨٥ – ٩٩٦ هـ / ١٥٧٧ – ١٥٧٨ م

كان شاها ضعيف الإرادة مترددا في اتخاذ القرارات الحاسمة وأصبح آلة طيعة بيد زوجته "مهد عليا"(١٣٤) أم ولديه حمزة ميرزا وعباس ميرزا وقد لقيت مهد عليا مصرعها على يد رؤساء قبائل القزل باش الرحل الذين كانوا ضد سياستها المعتمدة على أعيان وأشراف وكبار رجالات الدولة القاطنين في المدن الكبيرة(١٣٥) وقد انتهز

العثمانيون في عهد مراد الثالث فرصة الصراعات والاضطرابات التي حدثت بعد وفاة اسماعيل الثاني وجهزوا حملة على إيران واستولوا على تبريز وتفليس وداغستان سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م بقيادة عثمان باشا أحد القادة المعروفين في الجيش العثماني[١٣٦] وقد بذلت القوات الإيرانية بقيادة حمزة ميرزا الابن الأكبر لمحمد خدا بنده جهودا جبارة لاسترداد الاقاليم التي استولى عليها العثمانيون فقد هاجم حمزة ميرزا بقواته الممتلكات العثمانية بعد وفاة قائد الجيش العثماني في تبريز ونتيجة للسياسة العسكرية البارعة التي انتهجها حمزة ميرزا اضطرت القوات العثمانية إلى التقهقر والانسحاب من تبريز وسارعت الدولة العثمانية بطلب الصلح مع الإيرانيين.

ومن الأحداث المهمة في هذه المرحلة من تاريخ إيران قتل حمزة ميرزا ولي العهد على يد أحد خدم البلاط يدعى خدا ويردي في شهر ذي الحجة من عام ٩٩٤هـ ويستفاد من رواية اسكندر بيك تركمان بأن حمزة ميرزا قتل على أثر مؤامرة دبرها رؤساء القزل باش الذين غرروا بالقاتل وحرضوه على قتل مخدومه غيلة ليتخلصوا من شاه مرتقب قوي الشكيمة والإرادة شديد المراس لا يمكنهم ترويضه كما يشاؤون في المستقبل وبعد مقتل حمزة ميرزا انتخب مشايخ ورؤساء القزل باش اخيه ابنه طالب ميرزا وليا للعهد[١٣٧] لكن رئيس عشيرة شاملو المعروفة المدعو علي قلي خان ورئيس عشيرة ستاجلو مرشد قلي خان المنتمية إلى مجموعة قبائل القزل باش اصرا بشدة على تعيين عباس ميرزا الابن الأصغر لمحمد خدا بنده الذي كان انذاك حاكما على خراسان شاها على العرش بدلا من والده محمد خدا بنده.
ولكن هاتين القبيلتين لوجود العداء المسبق بينهما ولغرور وجشع رؤسائهما لم يتفقا على مساندة عباس ميرزا معا لايصاله إلى العرش الصفوي وازاحة والده خدا بنده ونشب قتال بين القبيلتين على من يحظى بـ عباس ميرزا لايصاله إلى حكم الدولة الصفوية واسفر القتال بين الطرفين عن هزيمة علي قلي خان رئيس عشائر شاملو وصفا الجو لمرشد قلي خان[١٣٨] وبانتصار مرشد قلي خان رئيس قبيلة استاجلو وبعد هذا الانتصار توجه به نحو قزوين العاصمة عهدئذ واكره عباس ميرزا والده على التنازل له عن العرش سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م ووضع والده بيده التاج على رأسه وباركه في الحكم وانزوى محمد خدا بنده بعد هذا الحادث في قصره في شراز عاكفا على العبادة والصلاة تاركا ملذات الدنيا لاصحابها[١٣٩].

الشاه عباس الكبير ٩٩٦ – ١٠٣٩ هـ / ١٥٨٧ – ١٦٢٩ م

تولى الشاه عباس حكم الدولة الصفوية وهو شاب يافع لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره وتروى نادرة طريفة تدل على العقلية في ذلك الحين خلاصتها ان المنجمين نصحوا الشاه بأنه يجب ان يتخلى عن العرش لمدة قصيرة لأن النجوم تشير إلى ان خطرا شديدا سيحيق بصاحب العرش خلال تلك المدة فاستجاب الشاه لنصحهم وتنازل عن العرش مؤقتا حيث نصب مكانه رجلا غير مسلم اسمه يوسف ويبدو انه كان نصرانيا وقد بقي هذا المسكين على العرش ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع اوعز الشاه بقتله واستعاد العرش منه وعند هذا قال المنجمون للشاه إنه سيحظى بمجد عظيم[١٤٠] والحق ان السنوات الثلاث والاربعين التي استغرقها عهد عباس الكبير اوصلت إيران إلى ذروة قوتها وازدهارها فلم يكد الشاه يرتقي العرش وليس له من العمر غير سبع عشرة سنة حتى سعى بجدية تامة إلى تحرير نفسه من سلطة رؤساء قبائل القزل باش وعلى رأسهم مرشد قلي خان[١٤١] فأوعز إلى أربعة أشخاص من الجورجيين بقتله في منطقة شاهرود[١٤٢] على الرغم من مساعدته له على ارتقاء العرش فقد كان شاه عباس يؤمن ايمانا عميقا بأن الغاية تبرر الوسيلة لذلك لم يحجم عن قتل سنده وعونه بالأمس القريب وانتهج سياسة العنف الشديد مع اعدائه ولم يتوان عن ابادتهم بلا رحمة ولا شفقة.

في الواقع كانت الدولة الصفوية عندما تسلم الشاه عباس زمام الأمور فيها مهددة بالخطر الماحق من الحدود الشرقية والغربية معا ففضلا عن الخطر الاتى اليها من جهة الدولة العثمانية كان هناك خطر اخر آتيا من جهة دولة الاوزبك انذاك والذين تمكنوا من فتح بلدة هرات بعد حصار دام تسعة أشهر ثم استولوا على مشهد وهي البلدة المقدسة عند الشيعة التي تضم مرقد الامام علي بن موسى الرضا الامام الثامن في المذهب الشيعي الاثني عشري، فقتلوا الكثير من سكانها ونهبوا كنوز المرقد الرضوي[١٤٣].

ثم استمروا في التوسع حتى احتلوا نيسابور وسبزوار واسفرايين وطبس وغيرها من مدن واقاليم خراسان.

ايقن الشاه عباس بأنه إن أراد التمكن من مواجهة اعدائه عليه التخلص من منافسيه واعدائه في صفوف القزل باش وامعانا في اضعاف سطوتهم، فإنه قلص عددهم في الجيش إلى ثلاثين الفا بعد ان تجاوز السبعين الفا في زمن الشاه اسماعيل

الصفوي وكان هدفه من هذا التقليص انشاء جيش نظامي وتحديث البنية العسكرية للقوات الصفوية(١٤٤) ولم يشمل التقليص واخضاع القوات التركمانية التي كانت تشكل العمود الفقري للقوات الصفوية والاستعاضة عنها بقوات جورجية ليس لها أية مطامع في الجيش مع العلم ان هذا التخطيط لم يكن الشاه عباس هو المبادر به بل سبقه إلى ذلك الشاه طهماسب إذ اعتمد على مجموعة كبيرة منهم بعد اشهار اسلامهم جاعلا منهم النواة للقوات الجديدة(١٤٥) غير ان الشاه عباس بحنكته اعطى هذه القوات الجورجية وضعا جديدا مكونا منها جيشا قويا على وفق الأسلوب الانكشاري العثماني فكان هناك اثنا عشر ألف فارس مجهزين تجهيزا كاملا بقيادة الارمني الله ويردي خان الذي حل محل أحد القادة التركمان(١٤٦).

أدرك الشاه عباس انه غير قادر على ان يحارب على جبهتين في وقت واحد فآثر ان يصالح العثمانيين وعقدت معاهدة فرهاد باشا في الثاني والعشرين من آذار ١٥٩٠م بين الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الثالث والدولة الصفوية في عهد الشاه عباس فتنازل بمقتضاها الشاه عباس للعثمانيين عن جورجيا الشرقية واذربيجان الجنوبية والشمالية باستثناء اردبيل وجزء من لرستان وتعهد ان يمنع رعاياه من سب الخلفاء الثلاثة في اقاليم مملكته ووضع ابن أخيه حيدر ميرزا رهينة لدى العثمانيين في الاستانة لضمان احترام الصفويين لنصوص معاهدة الصلح واتفق الطرفان على الافراج عن الاسرى الموجودين لديهما(١٤٧)، وعندما أمن شاه عباس جانب العثمانيين توجه نحو الاوزبك واستطاع ان ينزل بهم هزيمة ساحقة في سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٧م وتمكن من استرجاع المناطق التي استولوا عليها منهم ولاسيما بلدة مشهد المقدسة(١٤٨).

ومنذ ذلك الحين تفرغ الشاه عباس لاقرار الأمن والاستقرار داخل بلاده والقضاء على الثورات الداخلية التي اثارها الطامعون في الحكم من اخوته واقربائه أو رؤساء القبائل المختلفة القاطنة في إيران الذين التظوا بنيران ظلم القزل باش وسائر الحكام الخشنين في دولة شاد عباس فقد ثار على حكمه عام ٩٩٧هـ/ ١٥٩٨م أمير لرستان شاه ويردي خان(١٤٩) ومن جملة من خرج على حكمه كذلك الأمير رستم ميرزا أحد اقربانه سنة ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٨م في خراسان وحاول جاهدا الاستيلاء على سيستان وتمرد عليه أحد رؤساء افخاذ عشائر القزل باش المعروفة بذو القدر خان(١٥٠) في منطقة شيراز وعشائر الافشار في كرمان وحدثت

اضطرابات وقلاقل في اصفهان وكيلان وطالش ومازندران وتمكن شاه عباس من قمع هذه الحركات والتمردات والثورات بعنف شديد ولكي نعطي صورة لعنفه وشدته في معاملة الثوار نذكر هذه الحوادث،فقد ابادت قواته معظم أفراد عشائر الجيل في كيلان واكراد مكري[١٥١] وكثيرا من عشائر تكلو أحد الفروع الرئيسة لقبائل القزل باش[١٥٢] وبعد القضاء على الاضطرابات والفتن والثورات توحدت الجبهة الداخلية في إيران وساد الاستقرار في ربوعها وبدأ عصر جديد في إيران هو الذي يعده الايرانيون العصر الذهبي في تاريخهم الحديث.

الصراع مع العثمانيين واحتلال بغداد

أمضى الشاه عباس زهاء خمس عشرة سنة قبل ان يقدم على حرب الدولة العثمانية وقبل ان يشن هذه الحرب أبدى جهدا كبيرا لإعادة تشكيل جيشه وتزويده بمقومات الجيوش العصرية ألا وهي الأسلحة النارية والمدفعية وتشكيل جيش موحد مكون من مئة وعشرين ألف مقاتل علاوة على تشكيله جيشا خاصا من المتطوعين المعروفين بـ(شاه سيون) (شاهسون) أي محبي الشاه الذين كانوا مرتبطين مباشرة دون شك في ولائهم له بدلا من الاعتماد على عشائر القزل باش الرحل الذين لم يكونوا يدينون بالطاعة والانقياد إلا إلى رؤسائهم[١٥٣]، فأصبح الجيش الإيراني على مستوى الجيش العثماني من التسلح والعدد والعدة فرجحت كفة الجيش الايراني لاستفادته من الخبراء الاجانب في إعادة تنظيمه وتسليحه.

فقد انتهز الشاه عباس مجيء بعثة تجارية انجليزية يرأسها الاخوان السير انطوني شيرلي وأخوه السير روبرت شيرلي[١٥٤] كان في حاشيتهما رجل خبير في صب المدافع واستعان الشاه عباس بالخبير الانجليزي في تجهيز جيشه بالمدافع القادرة على مجابهة المدافع العثمانية التي كانت تعد في ذلك العهد أعظم المدافع في العالم اطلاقا وتزويد قواته بالبنادق التي تجاوزت ستين ألف بندقية وتدريب الإيرانيين على استعمالها[١٥٥].

في عام ١٠١٢هـ/١٦٠٢م بدأ الشاه عباس بشن غاراته على التخوم العثمانية فاسترد منهم في تشرين ١٦٠٣م تبريز ثم اريفان وشيروان وقارص وبعد هذه الانتصارات توجه صوب بغداد فتمكن من احتلالها في عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م.

اقدم الشاد عباس على حملته عندما طلب بكر صوباشي[١٥٦] رئيس شرطة بغداد معونته. كان صوباشي أحد قادة الانكشارية وكان في امرته ألف ومئتان من العزاب[١٥٧] قد قتل يوسف باشا والي بغداد، ولاعطاء صورة واضحة عن كيفية تغلب صوباشي على السلطة علينا ان نذكر بايجاز كيفية وثوبه على السلطة، خرج بكر صوباشي على رأس ثلة من اتباعه عام ١٠٣١هـ- ١٦٢١م إلى منطقة الفرات الأوسط بعد ان اناب ابنه محمد اغا بدلا عنه في بغداد[١٥٨].

لقد تضاربت اراء المورخين حول سبب توجه بكر صوباشي إلى منطقة الفرات الأوسط. فاسكندر بك يقول إنه توجه إلى الحلة لجباية الضرائب من الفلاحين الذين امتنعوا عن دفعها إلى السباهية[١٥٩]. ويوافقه في الرأي مرتضى نظمي زاده أما مصطفى نعيما فيذكر ان صراعا عنيفا خاضه بكر صوباشي مع الجورجية وبعض كبار الانكشارية الذين نجوا إلى السماوة فاخذوا يحرضون الفلاحين للتمرد على السباهية. لقد وجد المعارضون لبكر صوباشي ان غياب خصمهم خير فرصة لهم للاطاحة به وابعادد عن بغداد، كان على رأس هؤلاء محمد اغا قمبر الذي اجتمع مع بعض كبار الانكشارية وأشراف المدينة واوضح لهم نوايا صوباشي وانفراده بالسلطة. ثم أعلن عن عزمه على التخلص منه. توجه محمد اغا قمبر مع اتباعه نحو دار صوباشي فنهبها غير إنه جوبه بمقاومة عنيفة من قبل ابن صوباشي والكهية اللذين استطاعا ان يجبراد على اللجوء إلى القلعة الداخلية حيث كان يقيم والي بغداد يوسف باشا الذي كان متواطئا معه. وعندما تلقى بكر صوباشي خبر تمرد محمد اغا قمبر أسرع في العودة إلى بغداد، وأول عمل قام به ان فرض حصارا شديدا على القلعة وأمر بقصفها من الجوانب كلها، وقد قتل في أثناء الحصار والي بغداد يوسف باشا إذ اصابته رصاصة عندما كان يصدر أوامره العسكرية إلى المدافعين عن القلعة التي أخذت تعاني نقصا في الذخيرة والعتاد. ولم يبق امام محمد اغا قمبر ازاء هذه الحال إلا طلب الامان والاستسلام لبكر صوباشي فسلم نفسه لخصمه الذي عامله بمنتهى القسوة والكراهية، إذ وضعه واتباعه في قارب وأمر ان يصب الكبريت والقار عليهم فاحرقوا جميعا[١٦٠].

أصبح بكر صوباشي بعد القضاء على التمرد الأخير سيد بغداد بلا منازع، وكتب إلى الباب العالي يطلب ان ينعم عليه بباشوية بغداد لقاء قضائه على التمرد الأخير. وقبل ان يتلقى جوابا وزع منشورا مزورا أعلن فيه إنه أصبح واليا على بغداد، لقد

رفض السلطان مصطفى الأول ١٦٢٢-١٦٢٣م طلب صوباشي وعين سليمان باشا واليا على بغداد[١٦٦] وكان هذا واليا لديار بكر. فأرسل متسلمه علي اغا بتسلم الباشوية. وقد رفض بكر صوباشي مقابلة المتسلم وأعلن تمرده على أوامر الباب العالي فأصدر السلطان اوامره لوالي ديار بكر حافظ باشا لتوجيه حملة عسكرية تتولى أمر الاطاحة بالصوباشي واستعادة بغداد، توجه حافظ باشا علي زاده على رأس حملة عسكرية إلى بغداد لتأديب الثائر صوباشي ووصلت قواته مشارف بغداد وفرض حصارا عليها أراد صوباشي منذ اليوم الأول من الحصار ان يباغت الجيش العثماني ليلا ويلحق به خسائر فادحة حتى استطاع مرة ان يفرق شمل الجيش العثماني الذي تراجعت بعض قطعاته إلى ديالى. وجمع حافظ باشا جيشه المشتت وقرر القيام بهجوم شامل على المدينة بعد قطع جميع الطرق الموصلة إليها بهدف فرض حصار اقتصادي على المدينة. وعلى الرغم من هذا الهجوم فقد بدت آثار الحصار واضحة في المدينة التي بدأت تعاني المجاعة القاتلة وأصبح هلاك المحاصرين في بغداد قاب قوسين أو أدنى وهو ما حدا ببكر صوباشي ان يبعث إلى شاه إيران عباس الكبير بواسطة حاكم لرستان حسين خان مفاتيح بغداد مقابل ان ينقذ الشاه مدينة بغداد من حافظ باشا وجيشه، في الواقع كان الشاه عباس يراقب التطورات العسكرية عن كثب، إذ كانت الاستعدادات قد اتخذت قبل مدة فالحدود الشرقية كانت تشهد كل يوم حشد فريد من القوات الصفوية، فجاء طلب صوباشي بمثابة فرصة ذهبية لشاه عباس الكبير.

عقد حافظ باشا اجتماعا كبيرا مع قادته بعد ان تأكد له اتصال صوباشي مع الشاه واحتمال قيام بكر صوباشي بسك النقود باسم الشاه. وعندما كانت المنافسات مستمرة حول كيفية حل هذه المشكلة جاء رسول من القائد الصفوي (قرجقي خن) إلى حافظ باشا. يطلب منه الانسحاب من حول بغداد لأنها أصبحت فارسية واستعمل القائد الإيراني سياسة الوعيد لارهاب حافظ باشا واجباره على الانسحاب بينما أصبح الهم الاول لحافظ باشا بعد رجوع الرسول الفارسي هو إقناع بكر صوباشي بالعدول عن رأيه بالتعاون مع الشاه عباس الصفوي فعرض عليه باشوية الرقة وعلى ابنه حكم سنجق الحلة إلا ان هذا العرض رفضه صوباشي بشدة فاستمر الحصار على بغداد. غير ان حافظ باشا قرر في النهاية الخضوع للأمر الواقع حقنا للدماء من جهة وحفظا لكرامة الدولة العثمانية من جهة أخرى وذلك بمنح حكم ولاية بغداد لبكر

صوباشي واسناد مهمة الدفاع عنها إليه[١٦٢]. فما كان من صوباشي إلا ان كتب إلى الشاد عباس يخبره ويرجوه سحب جنوده. وكان الجيش الصفوي قد وصل أطراف خانقين. فلما تسلم الشاد الكتاب المذكور تملكه الغضب الشديد فقرر دخول بغداد بنفسه عقابا لصوباشي[١٦٣] . وألقى الحصار عليه لمدة ثلاثة أشهر وكان محافظ قلعة بغداد محمد بن بكر اغا صوباشي قد شعر بأن لا قبل لأبيه بالاستمرار على المقاومة بعد ان تملك اليأس النفوس بسبب المجاعة القاتلة التي اودت بحياة الوف البشر. أكل الناس فيها الاطفال ولحوم الكلاب والدواب وبلغت قيمة الحمار ألف اقجة[١٦٤] فضغط الحصار بشدة على الأهالي وامتلأ الجو بدوي الالغام المتفجرة، ولم يكن من المستغرب ازاء هذا الوضع المزري ان ينسال إلى معسكر الشاه كل ليلة اتباع صوباشي لينجوا بأنفسهم من الموت المحتوم .

إستطاع الشاه إستمالة ابن بكر صوباشي المسمى محمد إلى جانبه بعد اغرائه بمنصب الولاية حال فتح أبواب سور بغداد للجيش الصفوي وبالفعل قام محمد هذا بفتح أبواب سور بغداد للغزاة[١٦٥] فدخلت جيوش الشاه بغداد واستولت عليها في التاسع من شوال لسنة ١٠٣٣هـ الموافق للحادي والعشرين من تشرين الثاني عام ١٦٢٣م. وان كان يستحق أحد الموت الشنيع فإنما هو صوباشي نفسه فأمر الشاد بوضعه في قارب مملوء بالزفت والكبريت واضرموا فيه النار والقوه في دجلة[١٦٦].

الظاهر ان الشاد عباس فعل ببغداد مثل ما فعل الشاه اسماعيل قبله بها فقد هدم مرقدي أبي حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني، ثم وزع دفاتر لتسجيل أسماء أهل السنة من السكان بقصد القضاء عليهم جميعا[١٦٧] ولو لم يتدخل السيد دراج كليدار مرقد الحسين عليه السلام لنفذ الشاه ما أراد، فقد كان هذا السيد ذا جاه لدى الشاه. واستطاع ان يشفع للكثيرين من أهل السنة وسجل اسماءهم في دفتره بوصفهم من محبي اهل العباء أي من الشيعة فانقذهم من القتل الحتمي[١٦٨].

زار الشاه عباس بعد دخول بغداد المراقد المقدسة في الكاظمية وسامراء وكربلاء والنجف، وبذل فيها الأموال تعميرا وهدايا، وقد ركز جهوده العمرانية على النجف بوجه خاص بنى فيها الاواوين والخانات لراحة الزوار وأمر بفتح قناة لجلب الماء الى البلدة. وانضم عسكره إلى العمال في الحفر حتى اوصلوا الماء الى مكان قريب من البلدة وبنى هناك بركة في سرداب ينزل إليه الناس مع سلالم ليسقوا

منها[١٦٩]. يصف السنيون الشاه عباس كأنه غول لا يصدر منه غير الشر والأذى بينما يصفه الشيعة كأنه قديس دأبه العمران والعدل وطلب الحق.

اهتم الشاه عباس بالمذهب الشيعي الاثني عشري وحاول ترسيخه في النفوس عن طريق خلق مؤسسة دينية قوية في إيران. ولكن تفكيره بدأ يتحول إلى نوع من الاقليمية حتى في مجال التعصب للمذهب الذي يعتنقه فقد كان يلح في جعل مشهد وبها ضريح الامام الرضا الامام الثامن للشيعة المزار الأول والاقدس للشيعة فكان يذهب إليه ماشيا من اصفهان حتى طوس قاطعا مسافة تبلغ ٨٠٠ ميل بغية التبرك بزيارة المرقد الرضوي[١٧٠] في سبيل الدعاية لتحقيق هدفه المذهبي الذي كانت وراءه دوافع اقتصادية وسياسية واضحة، فان تحويل مسار الزيارة من العتبات المقدسة العراقية إلى مشهد يبقي على كميات كبيرة وثمينة من النقد الذهبي والفضي في داخل البلاد فضلا عن ان ذلك سيجلب اعدادا كبيرة من الحجاج الشيعة إلى مشهد بدلا من الذهاب إلى مكة وهذا كله بالتالي يؤدي إلى حرمان العراق العثماني من الدخل الكبير الذي يحصل عليه من وراء قوافل وحجاج الفرس التي كانت تتوافد على العراق[١٧١].

أخذ الشاه عباس بعدئذ يشجع الإيرانيين على زيارة مرقد الرضا بكل وسيلة ممكنة وضمن السياق نفسه عهد الشاه سنة ١٥٩٨ إلى نقل العاصمة من قزوين إلى اصفهان الواقعة وسط البلاد تقريبا مما يعني قربه النسبي من اقاليم البلاد كافة وبعده عن الخطر العثماني الذي طالما هدد العاصمة القديمة[١٧٢] ولهذا الغرض أمر الاف التجار والصناع بالانتقال إلى اصفهان وقد بلغت اصفهان في عهده من الرقي والتقدم ما لم تبلغه في أي عصر من عصورها السابقة حتى وصفت بأنها نصف الدنيا لما تضمه من جمال واهتمام من الشاه نفسه وأصبحت تعج بالزوار الاوربيين وقد وصفها الأب بول سيمون الايطالي الكرملي مؤسس دير الكرمليين في اصفهان سنة ١٦٠٨م بقوله: كان الملك أي الشاه عباس الأول يرى إنه مما يزيد بهاء بلاطه ان يبدو الاجانب فيه وهم بثياب اوطانهم فكان كلما كثر تنوع هذه الثياب كثر قوله ان بلاطه وبلاده كليهما موضع التبجيل في الداخل والخارج[١٧٣] وقد شهدت إيران في عهده نهضة عمرانية ومما قام به في هذا الشأن ان عبد الطرق في مختلف أنحاء إيران وبنى فيها القناطر والخانات بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ إيران وقيل ان عدد الخانات التي بناها في المدن الواقعة على الطرق التجارية بلغت ألف خان بتسع

الواحد منها لمئات المسافرين مع دوابهم وحمولتهم ولم يكن يؤخذ اجر على ايوائهم فيها(١٧٤) وما زالت آثارها باقية حتى اليوم(١٧٥) وقد حول أحد تلك الخانات في اصفهان إلى فندق سياحي عظيم في عهد محمد رضا بهلوي وما زال يعد من الفنادق ذات الدرجة الأولى في العالم، ومن المفيد ان نذكر هنا ان مرقد الرضا في مشهد أصبح منذ عهد الشاه عباس من أهم معالم المجتمع الإيراني وقد توالت عليه التعميرات والاضافات حتى يومنا هذا ويعد المرقد اليوم اغنى جميع العتبات المقدسة على الاطلاق وازخرها بالفن من حيث العمارة والزينة والعلائق الثمينة.

وقد اتت سياسته العمرانية والاقتصادية بثمارها وتكفي الإشارة على سبيل المثال لا الحصر إلى النجاح الذي أصابته ايران في مجال صناعة الخزف حيث استقدم الشاه العشرات من صناع الخزف الصينيين لتعليم الايرانيين هذه الصنعة التي برعوا فيها، ومثلت صناعة السجاد وجهاً آخر لتطور الصناعة الايرانية وانشأ الشاه مكتباً خاصاً يتولى ادخال الخيوط الذهبية والفضية والحريرية في صناع السجاد حتى غدت ايران بلداً متميزاً في هذه الصناعة ومن الصناعات الأخرى التي روجها صناعة الزجاج والاواني الفخارية حيث استدعى العمال المهرة في هذه الصناعة من البلدان المختلفة وايران نفسها واقام مصنعاً لانتاجه في شيراز(١٧٦).

سعى الشاه عباس اضفاء مسحة دينية قوية على حكمه فقرب رجال الدين الشيعة في ايران والبلدان الإسلامية الأخرى برز في عهده عدد من العلماء والمفكرين الشيعة اشهرهم اثنان هما الشيخ محمد بن الشيخ حسين العاملي الملقب بـ(البهائي) وملا محمد باقر بن ملا محمد تقي الملقب بالمجلسي، وقربهما الشاه عباس إليه، وكان يهدف إلى تعظيم رجال الدين والمراقد الشيعية للتأثير من الناحية المذهبية على عوام الناس وكسب تأييدهم لدولته، وقد ترسخت جذور هذه العقيدة في أعماق روح العامة من الناس ووجدانهم فهي الدولة الوحيدة في تاريخ إيران دون غيرها فامتدت جذور هذا المذهب بين الاكثرية الساحقة من الإيرانيين فنالت تأييدهم المطلق، فلا غرابة ان يغدو الشاه عباس على الرغم من رجعيته المطلقة بحسب المقاييس السياسية المعاصرة شخصية اسطورية في نظر الطبقة العامة من الشيعة. ولا يفوتنا ان ترسيخ هذه الشخصية الاسطورية ونسج هالة من القدسية حولها يرجع إلى الدعاية المنظمة التي تبناها حكام الصفوية لتثبيت مركزهم الديني والدنيوي في نظر الإيرانيين ولأجل تحقيق هذا الهدف حول الشاه عباس جميع القنوات الدعائية

في المجتمع الإيراني تنصب في تجذير المذهب الشيعي في النفوس بوصفه حامياً وسندا له وليجعل من هذا المذهب متكأ لتثبيت حكمه في الداخل وحائلاً امام اعدائه العثمانيين الذين يعدون دولتهم امتداداً للخلافة الإسلامية(١٧٧) ولتحقيق هذا الهدف وترسيخه في الاذهان أكثر فأكثر اجبر الشعراء والمداحين بوصفهم شريحة مهمة من الدعاية المنظمة على امتداح ائمة الشيعة واعلامها وتصوير معجزاتهم ومعصوميتهم كما لو كانوا امتداداً للسر الالهي، ويروى إنه هدّد الشاعر المعروف محتشم الكاشاني بقتله لمدحه اياه بدلاً من ائمة الشيعة قائلاً له: ما انا إلا كلب من كلاب حراسة أبواب ضريح علي وآل بيته، فهم أجدر بالثناء والمديح لانني لا شيء بالنسبة لهم(١٧٨) وبفضل هذه الدعاية المنظمة والمؤسسة الدينية النشطة التي كانت وراءها تمكن حكام الدولة الصفوية بذكاء نادر من تحويل نقمة الجماهير الإيرانية الذين كانوا يعدون انفسهم مظلومين طوال التاريخ على أيدي حكام الدول الإسلامية السنية نحو اخوتهم في الدين من أهل السنة والجماعة بدلاً من النضال ضد مستغليهم من الحكام الصفويين، ومن صور تحول النقمة هذه ضد السنة هي ان القزل باش كانوا يسيرون بأمر من الشاه في شوارع تبريز وسائر المدن والقصبات الإيرانية شاهرين سيوفهم وهم يصرخون بأعلى اصواتهم اللعنة على عمر وابي بكر وعثمان ويردد المارة والجالسون لعناتهم ويزيدون عليها ومن سكت ولم يردد اللعنات كان سيف القزل باش بالمرصاد له فجزاؤه القتل وبئس المصير ازاء هذا التعاطف مع أعداء ائمة الشيعة(١٧٩) لم يكتف الشاه اسماعيل ومن بعده طهماسب وشاه عباس بالارهاب وحده في سبيل نشر التشيع كذلك اتخذوا وسيلة أخرى هي وسيلة الدعاية والإقناع النفسي، فقد أمر الشاه اسماعيل بتنظيم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين (عليه السلام) على النحو الذي كان قد بدأ به البويهيون في بغداد في القرن الرابع الهجري، ولكن اهمل وتضاءل شأنه بعدهم ثم جاء الشاه اسماعيل أخيراً فطوره وأضاف إليه مجالس التعزية بحيث جعله قوي الأثر في النفوس والقلوب وقد يصح القول إنه كان من أهم العوامل في نشر التشيع في إيران لأن ما فيه من مظاهر الحزن والبكاء وما يصاحبه من كثرة الأعلام ودق الطبول وغيرها، يؤدي إلى تغلغل العقيدة في اعماق النفس والضرب على اوتارها الكامنة* واستمرت هذه السياسة المذهبية في عهد اخلاف الشاه اسماعيل الأول باستثناء عهد اسماعيل الثاني ووصلت إلى ذروة تطويرها في عهد شاه عباس الأول ونشأت المؤسسة الدينية في إيران التي أصبح لها دور كبير

في الأوضاع الاجتماعية والسياسية في العصر الحديث والمعاصر في تاريخ إيران ونرى تأثير هذه المؤسسة في الأحداث الجارية في إيران منذ نشوء الدولة الصفوية الى يومنا هذا بكل وضوح.

يعد عهد الشاه عباس الأول فاتحة عهد التحالف مع العالم الغربي ، ومنذ نجاح الاخوان انتوني شيرلي وروبرت شيرلي في المهمة العسكرية التي كلفهما بها الشاه عباس اصبحا محط اعتماد وثقة الشاه وعهد إلى انتوني شيرلي مهمة سياسية خطيرة ألا وهي الاتصال بملوك الدول الاوربية وحثهم على التحالف مع الصفويين ضد الدولة العثمانية(١٨٠) وغادر انتوني شيرلي بمعية أحد رجالات البلاط شاه عباس المدعو حسين قلي بيات إيران سنة ١٦٠٦م مزودا بفرمانات تمنح الاوربيين امتيازات تجارية واسعة في ايران. وزار انتوني شيرلي بولندة والمانيا وروما ووصل إلى انكلترا.

وهناك واجه مخالفة شديدة من بعض الشركات الانجليزية وهو ما اضطره إلى العودة إلى إيران(١٨١) دون ان يحقق شيئا ملموساً من سفره هذا(١٨٢).

وفاة الشاه عباس

بينما كان الشاه عباس ناجحاً في سياسته الخارجية والداخلية حيث تمكن من توحيد إيران والقضاء على الفتن والاضطرابات كافة لكن حياته الشخصية كانت مليئة بالفشل والإحباط حيث كانت معاملته مع ابنائه تنم عن القسوة المفرطة والعنف الشديد فلم يتورع عن قتل ابنه البكر صفي ميرزا سنة ١٠٢٢هـ الذي كان شابا طموحا وشجاعا ذا قابلية كبيرة ونادرة(١٨٣) حيث اوجس منه خيفة بسبب شعبيته الكبيرة بين الناس، وأمر بسمل عين ابنيه الآخرين محمد ميرزا(١٨٤) وامام قلي ميرزا. فقد كان الشاه عباس يخشى خشية زائدة ان يظهر من أسرته من يفرض نفسه عليه وينتزع العرش منه(١٨٥) وكانت سياسته تلك من القسوة بدرجة اعمت الشاه نفسه عن الكوارث التي ستحل بدولته من بعده حيث لم نجد بعد صفي ميرزا من هو كفؤ ليتولى الحكم من بعده، ولم يبق في الميدان السياسي إلا امراء ضعاف النفوس أمثال سام ميرزا الذي أوصى الشاه عباس بأن يخلفه في حكم الدولة الصفوية وتلقب سام ميرزا باسم أبيه صفي وعرف بالشاه صفي.

توفي الشاه عباس سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م بمرض الاسهال الدموي[١٨٦] ووصل إلى عرش إيران الشاه صفي الذي حكم من سنة ١٠٣٨- ١٠٥٢هـ/ ١٦٢٩- ١٦٤٢م فقد كان عهده مثالا للظلم الصارخ وانتهاك الحرمات فقد كان شاها ظالما سفاكا سكيرا ولا يبالي فيما يجري في البلاد. حكم إيران حكما جائرا لم يـأمن أحد على حياته في عهد حكمه البالغ أربعة عشر عاما[١٨٧] ولم ير تاريخ إيران مثالا لحكمه الدموي طوال تاريخه الطويل ويرجع المؤرخون سبب ظلمه وتعنته إلى تربيته الناقصة في الحرم الشاهي فقد شب حاقدا ناقما على الجميع وبعكس الشاهات الذين حكموا قبل الشاه عباس الذي كانوا يسلمون ابناءهم إلى امراء ورؤساء القبائل الرحل لتربيتهم لينشؤوا نشأة الرجولة والاقدام أمر الشاه عباس بعد قتله ابنه الكفوء صفي ميرزا بتربية ابنائه واحفاده في الحرم الشاهي ليشبوا على حياة اللهو والعبث والخنوع ولذلك كانت لحياة الحريم المليئة بالدسائس والمؤامرات تأثيرها الواضح في حياة صفي وسلوكه فقد نشأ ميالا إلى العبث ظالما لا حدود لظلمه فبعد ان وضع مقاليد الحكم في يده وضع السيف في رقاب أفراد أسرته أمراء كانوا أم اميرات وقتل الغالبية العظمى من مستشاري جده ورجاله المخلصين[١٨٨] وكان من الطبيعي ان تسير الدولة في عهده وفي عهد حلفائه نحو الانهيار والهاوية بسبب هذه السياسة الدموية وهو ما اطمع العثمانيين بالهجوم على التخوم الإيرانية واستهدفت القوات العثمانية بقيادة خسرو باشا أحد القواد العثمانيين المعروفين قلعة مريوان في شمالي العراق وتمكن من انزال هزيمة ساحقة بالقائد الإيراني زينل خان شاملو وعلى أثر هذه الهزيمة أمر الشاه صفي باعدام قائده في حضوره[١٨٩].

قاد السلطان مراد الرابع حملة عسكرية لاسترداد العراق بصورة كلية من الدولة الصفوية على الرغم من المشاكل المعقدة التي كانت تعصف بالدولة العثمانية[١٩٠] وحاصرت الجيوش العثمانية في الخامس عشر من تشرين الثاني عام ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م بغداد من كل صوب فقد أصدر اوامره ساعة نزوله باتخاذ استعدادات الهجوم والمباشرة بحفر المتاريس حتى إنه أسهم بنفسه في حفر المتاريس ونقل التراب ولم يكن يتوانى في شد همم جنده واثارة حماستهم وذلك بالقاء الخطب فيهم وكان كل منهم يخاف سيده أكثر من خوفه من جميع الإيرانيين ألف مرة[١٩١].

أما المحاصرون في بغداد من الإيرانيين فكان يقودهم بكتاش خان وخلف خان ومير فتاح وكانت عزيمتهم تقوى يوماً بعد يوم لدى سماعهم بقدوم الشاه صفي

لإنقاذ بغداد من الحملة العثمانية وفعلاً وصل الشاه مع قوة ضئيلة قوامها اثنى عشر ألف مقاتل إلى قرب خانقين وكان يتحرى الطريق في سيره مخافة ان تصيبه كارثة تقضي عليه بين حين وآخر وهو يتقدم نحو بغداد فأرسل السلطان مراد الرابع قوة كبيرة لمقابلة الشاه صفي الزاحف نحو بغداد واجبرته على التراجع إلى داخل إيران احتدم القتال بين القوات المهاجمة العثمانية والقوات المحاصرة الإيرانية وبعد قتال دموي بين الجانبين ازهقت من جرانه أرواح كثيرة من الطرفين نخص بالذكر مقتل الصدر الأعظم العثماني طيار محمد الذي اصابته كرة مدفعية اردته قتيلا في الحال(١٩٢) وبعد موته تسلم خاتم الصدارة العظمى مصطفى باشا وضغط السلطان مراد بحملاته المتكررة على بغداد ودخلها بعد حصار دام أربعين يوماً(١٩٣) فبعث بكتاش خان القائد الإيراني رسالة إلى السلطان مراد الرابع لعقد شروط الاستسلام(١٩٤) وطلب العفو من السلطان مراد واعتذر له على مقاومته الطويلة فعفا عنه السلطان وطلب منه ان يسلم المدينة في الحال فكتب بكتاش خان إلى ضباطه ليتركوا مواقع الدفاع عن المدينة على الفور على ان الهدنة التي قصد بها تحقيق الاحتلال دون سفك دماء أخرى قد اخل بها بسبب جهل البقية الباقية من الحامية الإيرانية بشروط الاستسلام واستمر اطلاق النار بين الطرفين وسادت الفوضى وازهقت أرواح كثيرة في معارك الشوارع ولم ينج جندي واحد من الحامية الإيرانية حيث ذبح منهم عشرون ألف جندي ويعزو بعض المؤرخين سبب هذه المجزرة البشرية إلى اختلال النظام بين الفريقين وكانت عوامل العنف والفوضوية كثيرة مثل اشتداد وطيس الحرب والكراهية التقليدية والمذهبية الشديدة بين الفريقين(١٩٥) وحب النهب وضيق الطرق في بغداد ونفسية الجماهير وموقفها من اراقة الدماء على الرغم من تفسير بعض المؤرخين ان استمرار مير فتاح القائد الإيراني على المقاومة في غير محلها كانت من العوامل المهمة لحدوث هذه المجزرة المروعة(١٩٦).

وقد ختمت هذه المجزرة بمجزرة أخرى بعد انفجار مخزن البارود في بغداد وهو ما سبب هلاك أكثر من ثمانية الاف جندي عثماني وقد انتهز العثمانيون هذا الحادث فأمر السلطان مراد الرابع بقتل جميع الإيرانيين في بغداد وخارجها فاندفع الجيش العثماني يفتك بالفرس اينما وجدوا فكانت مجزرة رهيبة إذ امتلأت شوارع بغداد بالجثث وانتشرت الروائح الكريهة في اجوائها(١٩٧) وترك السلطان مراد بغداد في السابع عشر من شباط عام ١٦٣٩م متوجهاً إلى تبريز وتمكن من فتحها ولكن البرد

القارس وقلة المؤن اثارت العساكر العثمانية وركنوا إلى العصيان والفتنة وهو ما دفع السلطان مراد إلى سحب جيوشه من إيران وحاول شاه صفي استرداد العراق من العثمانيين واسفرت الحملة على العراق عن انعقاد صلح واقرار معاهدة بين الطرفين والمعروفة بمعاهدة زهاب في الرابع عشر من محرم سنة ١٠٤٩ للهجرة في ١٧ مايس ١٦٣٩م تقضي ببقاء العراق ولاية عثمانية وبقاء ايروان ضمن البلاد الإيرانية[١٩٨] وفي عهد شاه صفي هاجم الاوزبك خراسان ولكن شاه صفى تمكن من دحرهم واخراجهم من البلاد الإيرانية، توفي شاه صفي في كاشان عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م ودفن في مدينة قم المقدسة.

شاه عباس الثاني ١٠٥٢ – ١٠٧٧هـ / ١٦٤٢ – ١٦٦٦م

وصل إلى حكم إيران وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره سنة ١٠٥٢هـ ونظرا لصغر سنه سيطر الامراء والأعيان على مقاليد الحكم[١٩٩] لكن عباس الثانى بعد ان وصل إلى سن الرشد مسك بزمام أمور الدولة وادارها مباشرة من غير الرجوع إلى الوزراء وأعيان البلاد، يعد المؤرخون شاه عباس الثاني ملكا شجاعا ذا عزم وإرادة ولكنهم يعيبونه على افراطه في شرب المسكرات[٢٠٠] وعبثه ومجونه وكانت تصدر منه أحكام وقرارات جائرة في حالة سكره بعيدة كل البعد عن الشؤون والعلائق الإنسانية[٢٠١].

لم تحصل مواجهات حربية في عهده بين الدولة الصفوية والعثمانية[٢٠٢] وحاز البلد على هدوء واستقرار نسبي في مدة حكمه ومن الحوادث المهمة في عهده تجهيزه حملة على قندهار وتمكن من فتحها ولجوء امام قلي خان أحد رؤساء الاوزبك المعروفين إلى بلاطه وقد عززه وبجله وكرم شاه عباس الثاني وقادته في إيران[٢٠٣] وكذلك لجوء نادر محمد أحد رؤساء الاوزبك بسبب استيلاء شاه جهان على بلخ دار ملكه إلى بلاط شاه عباس الثاني وامده الشاه بجيش كبير لإعادة ممتلكاته في بلخ ولكن نادر محمد اجبر على الفرار إلى إيران والعودة إلى البلاط الصفوي مرة أخرى وبقي في بلاط عباس الثاني معززا مكرما حتى وافته المنية ودفن في مشهد وأرسل جميع أمواله وخزائنه إلى ابنه عبد العزيز[٢٠٤].

ومن الحوادث الأخرى التي وقعت في عهده مجيء عدد من التجار الروس إلى البلاط الصفوي عادين انفسهم ممثلين سياسيين من قبل دولتهم ولما علم شاه عباس

الثاني بامرهم أمر باخراجهم من إيران عنوة وهو ما أثار حفيظة قيصر الروس الكبير Alecis فقاد حملة على إيران ووصل إلى أطراف بحر قزوين ولكنه انسحب من المنطقة دون ان يحصل على نتيجة تذكر ويعد هذا الحادث أول حملة حربية روسية في تاريخ إيران ولها اهميتها في التاريخ السياسي لإيران. توفي شاه عباس الثاني في الرابع والعشرين من ربيع الأول عام ١٠٧٧هـ في قصر خسرو اباد في دامغان بعد حكم دام خمسة وعشرين عاماً[٢٠٥].

شاه سليمان ١٠٧٧ – ١١٠٥ هـ / ١٦٦٦ – ١٦٩٣م

خلف الشاه عباس الثاني ولدين هما صفي ميرزا وحمزة ميرزا وكان الامراء والاشراف يرغبون بانتخاب الابن الأصغر حمزة ميرزا ملكاً على عرش إيران واشاعوا بأن صفي ميرزا قد سمل عينيه بأمر من والده[٢٠٦]، ولكن أحد الخواجات المعروفين باسم اغا مبارك الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في البلاط الصفوي رفض اقتراحهم وهدد بقتل حمزة ميرزا ان لم يتمثلوا بقبول صفي ميرزا ولي العهد الشرعي والاحق بعرش إيران فاضطر الامراء لقبول صفي ميرزا الذي تلقب في البداية بشاه صفي الثاني ثم بلقب شاه سليمان وأصبح شاها على إيران وكان الشاه سليمان ضعيف النفس والإرادة مدمناً على الخمر ميالاً إلى مخالطة النساء والحريم وكان في ساعات سكره كثيراً ما ينزلق إلى أعمال همجية يصب جام غضبه على أفراد حاشيته[٢٠٧] وقد ساد البلاد الإيرانية في عهده التدهور لتدخل الحريم والامراء والأعيان في شؤون الحكم وهو ما اطمع قبائل الاوزبك للهجوم على شمالي إيران وخراسان وعندما اعترض الشيخ علي خان زنكنة وزيره الأول على سلوكه وعدم اهتمامه بأمور دولته وابلغه ان العثمانيين عندما يتخلصون من حروبهم في اوربا سوف يهجمون على إيران ولن نتمكن من الصمود امامهم أجاب وزيره الأول ببرود تام لا يهمني ما يحصل ان بقيت لنا عاصمتنا اصفهان فتلك تكفينا[٢٠٨].

ويروى إنه قبل وفاته قال لرجال البلاط وأفراد حاشيته المقربين منه ان كنتم تريدون العزة والجلال واستقلال البلاد فانتخبوا ابني عباس ميرزا[٢٠٩] شاها على البلاد وإذا كنتم تريدون اليسر والراحة وهدوء البال والاستقرار فانتخبوا ابني الآخر سلطان حسين[٢١٠] شاها لإيران ولكن امراء واشراف البلاد ورجالات البلاط رؤوا من مصلحتهم انتخاب السلطان حسين شاهاً للحفاظ على سلطاتهم ومراكزهم الرفيعة في

الدولة الصفوية. توفي شاه سليمان بعد مرض طويل عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م واعقبه في الحكم ابنه سلطان حسين الصفوي حيث يعد عهده الذي دام ثمانية وعشرين عاماً عهد دعة واستقرار وباستثناء حادثة الهولنديين والاوزبك واتراك سهل قبجاق لم تظهر في هذه المدة الطويلة احداث جسام تخل بالاستقرار والهدوء الذي ساد البلاد الإيرانية كالحروب التي اندلعت في عهد الشاه عباس الأول وعليه فقد انتعشت التجارة الخارجية وحصلت الدول الأجنبية على امتيازات تجارية كبيرة في إيران[٢١١].

السلطان حسين الصفوي ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م ـ ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م

ارتقى شاه سلطان حسين العرش الصفوي عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م، كان رجلا جباناً ضعيف الإرادة مؤمناً بالخرافات والأساطير[٢١٢] ترعرع مثل والده في الحريم ولم يكن يعلم في عهده عن السياسة وإدارة الحكم شيئاً[٢١٣] ترك شؤون الدولة بأيدي رجال الدين من الشيعة وعلى رأسهم باقر المجلسي الذي تمركزت في يديه جميع الشؤون الدينية والدنيوية، فأساء رجال الدين اصطناع السلطة وأمعنوا في التنكيل بمواطنيهم من أهل السنة وأصحاب سائر الملل والنحل.

وعلى الرغم من تعصب شاه سلطان حسين في المذهب وادعائه التمسك بالشريعة الإسلامية، فيروي المؤرخون عنه افراطه في اللهو ومقاربة النساء، يعطينا كتاب محمد هاشم آصف المعروف برستم الحكماء صورة عن بذخ الشاه سلطان حسين في بناء القصور والاهتمام بتزيينها وجمعه لآلاف الفتيات الرائعات الجمال من جميع أنحاء المعمورة للاستمتاع بهن[٢١٤] ونسيان ما يدور في بلده من مظالم وجور وما يخفيه له القدر كهجوم الافغان على إيران واجبارهم اياه على اعتزال العرش فأصبحت إيران تحت رحمة الافغان يحكمونها كيفما يروق لهم ويشاؤون.

وإذا قمنا بتقويم الأسرة الصفوية فاننا نجد أولاً ان الأسرة الصفوية بدأت على يد شخصية نشطة هي الشاه اسماعيل الأول وبلغت الذروة في عهد الشاه عباس الكبير، وبعد ذلك أخذت تنهار تدريجياً حتى سقطت عام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م وهذا هو شأن الأسر الحاكمة في التاريخ. ثانياً ان الأسرة الصفوية لم تكن ذات أهداف توسعية كتلك التي كانت لدى جارتها الدولة العثمانية وكانت غزوات الأسرة الصفوية خارج إيران لا تتعدى العراق وافغانستان والاوزبك. ثالثاً اتخذت هذه الأسرة المذهب الاثنى

عشري مذهبا رسميا لدولتها حتى يكاد يتخذ شكلا قوميا، الأمر الذي منح هذه الأسرة مكانة محترمة في قلوب عامة الناس من الإيرانيين.

رابعا ان هذه الأسرة كانت تسير على أساس الحكم المطلق وبموجب هذا الحكم يمنح الشاه جميع السلطات الدينية والدنيوية ولم تكن هناك مؤسسات وقوانين تمنعه عن ممارسته لنفوذه المطلق. خامسا ان الأسرة الصفوية جعلت من إيران حدا فاصلا بين دولة السنة في الشرق ودولة السنة في الغرب منها أي بين الدولة العثمانية السنية وقبائل الاوزبك والافغانيين الذين يتمسكون بمذهب السنة والجماعة. سادسا ان تعاون الأسرة الصفوية مع الاوربيين ضد الدولة العثمانية ألحق ضررا كبيرا بالإسلام وانتشاره في العالم وجعلها دولة من الدرجة الثانية في ترتيب الدول الإسلامية الكبرى ويعلق الدكتور علي شريعتي على هذا التحالف قائلا: لقد كانت الحرب بين الدولة العثمانية والدول الغربية المسيحية حرب الإسلام مع المسيحية وقد خسر الغرب المسيحي اقطارا كثيرة في هذه الحروب حتى وصلت قوات العثمانيين مشارف فيينا عاصمة الامبراطورية النمساوية وحاصرتها حصارا شديدا أرعبت العالم المسيحي الذي لم ير مجالا إلا الاستنجاد بالإيرانيين فلبينا نداءهم وغيرنا الموقف الحربي والسياسي بهجومنا المباغت من الخلف على الجيوش العثمانية ولولا هذا التحالف بين الغرب المسيحي وأبناء شيخ صفى الدين الاردبيلي لكان الانتصار الحتمي من نصيب العثمانيين وبانتصارهم يعني انتصار الإسلام على المسيحية في تلك المرحلة التاريخية ويضيف قائلا: ان اندحار العثمانيين في مارس عام ١٨٢٤م كان اندحارا للإسلام بعنوانه قدرة سياسية وعسكرية ودينية امام الغرب المسيحي وأصبح بعد هذا الاندحار الطريق ممهدا امام الاستعمار الغربي للتوغل في البلدان الإسلامية[٢٠٥].

هجوم الأفغان واحتلالهم لإيران

يسكن افغانستان عدد من القبائل المعروفة، مثل قبيلة الدوراني، التي تسكن الأجزاء الشرقية من افغانستان وقد أطلق عليها اسم الابدالي فيما بعد، وقبيلة غيلزاي المعروفة الساكنة في الأجزاء الجنوبية من افغانستان وهم عشائر مختلفة في الجنس وهم من أقوى عشائر القندهار بينما سكان المناطق الواقعة إلى الشمال

الغربي من افغانستان فمن الاوزبك وأما قلب أفغانستان فتسـكنه القبـائل المغوليـة الآتية:

هزارة، وتايماني وجهار ايماخ وتسكن منطقة هرات قبيلة التاجيك الاريـة كمـا توجد تشكيلة من القبائل الارية القديمة إلى الشرق من كابل في واخـان وروسـتان وكافرستان هذا إلى جانب بقايا عشائر ارية لجأت إلى جبـال أفغانسـتان ووديانـها. والغالبية العظمى من هذه العشائر ولاسيما القبائل الارية والاوزبك يدينون بالإسـلام على مذهب السنة، بينما نجد عشيرة هزارة من الشيعة وكانت عشائر أفغانستان قـد وجدت نفسها بين عملاقين كبيرين أحدهما إلى الجنوب والآخر إلـى الشـرق وهمـا امبراطورية المغول في الهند والأسرة الصفوية في إيران، وغالباً ما تقع أفغانسـتان في يد مغول الهند تارة وشاهات إيران تارة أخـرى واضطـهدت الدولـة الصفويـة الأفغانيين السنّة ولكنها لم تنجح في تحويلهم إلى التشيع كما نجحـت إيـران وظـل الأفغانيون ولاسيما القبائل منهم يتحينون الفرص للانقضاض على الدولـة الصفويـة والانتقام منها(٢١٦).

من جانب آخر كانت أفغانستان هدفاً لبابر ولأكبر شاه وهمايون شـاد اباطرة دولة المغول في الهند واستطاع همايون ان يستولي على قندهار بمسـاعدة جيـش إيراني سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م وليرد له الشاه طهماسب الجميل تنازل له عن قندهار ولكن الشاه عباس الكبير لم يعترف بسلطة همايون على قندهار وفتحها عنوة، وأمـا في عهد خلفائه نظرا لتردي الأوضاع في إيران فقد تمكن الاوزبـك مـن الاسـتيلاء عليها ليطردهم الامبراطور المغولي شاه جهان منـها سـنة ١١٠٢هـ/ ١٦٣٤م ليسلمها إلى الشاه عباس الثاني في عام ١٠٣٨هـ/ ١٦٥٠م.

كانت قندهار تعد في عهد الشاه سلطان حسين ميرزا جزءاً من الدولة الصفويـة فقد أسند حكام إيران حكم قندهار إلى أمير جورجي يسمى كوركين.

سار كوركين على سياسة الشدة في حكمه لقندهار وقضى على جميع الزعامـات التي تحرك الأهالي، وكان من أبرز المتمردين على سلطته مير ويس الافغاني فقبـض عليه كوركين وأبعده إلى إيران وقد نجح مير ويس خلال اقامتـه فـي اصفـهان ان يكون رجل الشاه المفضل، ولم يلبث ان غادر إيران إلى مكة المكرمة وهناك عـرض قضيته على رجال الدين فكتبوا له الفتوى بأن محاربة الشيعة تتوافق مـع الشـريعة

وان الحكم الصفوي أصبح خطرا يجب مقاومته والقضاء عليه[٢١٧] قبل ان يقضي على الإسلام في المنطقة.

عاد مير ويس إلى وطنه واستطاع بمهارة وذكاء ان يبعد كوركين ويحل محله عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م ولكن كوركين لم يهدأ له بال ولم يقبل بالأمر الواقع. ومال إلى حسم الخلاف بينه وبين مير ويس بحد السيف وهو ما حدا بمير ويس ان يتآمر عليه ويقتله[٢١٨]، لقد كان مصرعه فعلا من العوامل الرئيسة التي ثبتت اقدام مير ويس في قندهار فقد كان الشاه حسين غير مستعد ان يبعث بالجنود ضد مير ويس وإنما كان يسعى إلى التوصل إلى اتفاقية تترك الحكم لمير ويس وتضمن بقاء قندهار في إطار الدولة الصفوية، إلا ان مير ويس شعر بأنه من القوة بمكان يمكنه ان يتحدى الحكم الصفوي، فعندما بعث البلاط الصفوي مسؤولا لمفاوضيه بهذا الصدد رفض الأخير ان يتفاوض معه وحمله تهديداً للشاه حسين، لقد أدرك البلاط الصفوي ان الحرب آتية لا ريب فيها بينه وبين مير ويس، ومع هذا لم يتخذ الاجراءات الجدية لردعه، وكلف حاكم خراسان لاخضاع مير ويس إلا إنه هزم امامه أكثر من مرة وأوعز الشاه سلطان حسين إلى خسرو خان ابن اخ كوركين خان لمحاربة مير ويس والاستيلاء على قندهار، فكان خسرو خان، حاكم جورجيا مستعدا لأن يقوم بتلك المهمة للانتقام من مير ويس ويثأر لقتل عمه كوركين في قندهار.

أدرك مير ويس والأفغانيون من ورائه ان الحرب القادمة حرب حياة أو موت ولاسيما بعد ان طالت مدة الحصار الشديد لقندهار، وعندما رفض المحاصرون تسليم المدينة لاسيما بعد ان رفض خسرو خان ان يصدر أي امان للأهالي في حال استسلامهم فاستماتوا في الدفاع عن مدينتهم ورد الهجمات الصفوية على اعقابها، ولم تلبث ان تغيرت حال المدافعين من الدفاع إلى الهجوم واستطاعوا ان يبيدوا أربعة وعشرين الفا من جيش خسرو خان المؤلف من خمسة وعشرين ألف مقاتل، بل سقط خسرو خان نفسه أسيراً في المعركة عام ١١٢٣هـ/١٧١١م، وحاول شاه إيران مراراً أن يعيد نفوذه إلى المنطقة بقوة السلاح ولكن الجيوش التي ارسلها لم يكتب لها النصر وصار مير ويس حاكماً مستقلاً لقندهار واستمر كذلك حتى وفاته في عام ١١٢٤هـ/١٧١٥م وصارت امارته في عهده قوية متينة وذات تطلعات ابعد مما وراء حدودها.

بعد وفاة مير ويس استبد بالأمور أخوه عبد الله الذي انتزع الحكم من يد أخيه محمود الوريث الشرعي الذي لم يبلغ بعد الثانية عشرة من عمره، لقد كان عبد الله ميالا إلى عقد الصلح مع إيران[٢١٩] على شروط الغاء الجزية لإيران وعدم إرسال أية قوات ضد قندهار وان يكون الحكم وراثيا في اسرته، فأدى هذا الرأي إلى التذمر بين صفوف رجالات الافغان ولم يلبث محمود وأعوانه ان قتلوا عبد الله لأنه سلب العرش من الوريث الشرعي محمود، وصالح الإيرانيين أعداء الافغان وانضم جميع رؤساء عشائر الابدالى المعروفة بقيادة أسد الله خان إلى جيوش الاوزبك وأصبحت قوة واحدة تحت قيادة مير محمود الافغاني وتوغلت القوات الافغانية في إيران وأخذت تستولي على المدن الإيرانية الواحدة تلو الأخرى وكانت إذا صادفتها مدينة حصينة تعرقل استمرار زحفها تركتها جيب مقاومة محاصر وتابعت سيرها نحو اصفهان وعلى الرغم من فداحة الخسائر وعظم الاخطار كان الشاه سلطان حسين لاهيا عن ذلك وكان رجاله غير جديرين بتحمل المسؤولية هذا فضلا عن ان معنويات الإيرانيين واخلاقهم كانت قد تدهورت في العهود المتأخرة من حكم الصفويين حيث يمكن القول بأن بلاد إيران كانت أشد بلاد العالم ضعفا وتدهورا سواء أكانت من جانب الحكومة أم الشعب وأصبحت إيران تسير نحو الانهيار بخطى سريعة حتى أصبحت على حد تعبير المؤرخ البريطاني مالكم، كأنها بناء ضخم على وشك الانهيار بينما كان مير محمود الافغاني في طريقه إلى اصفهان قابلته سفارة صفوية عرضت عليه مبلغا كبيرا من المال مقابل عودته برجاله إلى افغانستان ولكن هذه المحاولة جعلت محمود يعتقد ان الصفويين ما كانوا ليقدموا على هذا الأسلوب الضعيف إلا إذا كانوا فعلا يدركون بأنهم اضعف من ان يصدوا الجيش الافغاني وان هذا الجيش أصبح فعلا في قلب إيران[٢٢٠] قرر محمود الافغاني متابعة المسير حتى عسكر على بعد اثني عشر ميلا من اصفهان وكانت حال الجيش الافغاني حينذاك غير مشجعة على خوض المعارك الكبرى بسبب الخسائر التي مني بها خلال زحفه إلى اصفهان ولاسيما امام مقاومة مدينة كرمان ويزد وبسبب تخلف بعض القوات على متابعة الزحف.

خرج الجيش الصفوي لملاقاة الجيش الافغاني في معركة كلناباد (جلناباد Gulnabad) في سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م وبعد معركة حامية انهزمت الجيوش الصفوية امام شجاعة الافغانيين وصمودهم في القتال وقد حسمت هذه المعركة الأمر

إذ كانت النهاية لحكم الصفويين لايران مثلما وضعت معركة القادسية نهاية للساسانيين. في أول الأمر تمكن محمود من السيطرة على (فرح اباد) المقر الصيفي للشاه سلطان حسين ومن ثم توجه إلى ضواحي اصفهان محلة الارمن مما أدى إلى خسارة الكثير من مقاتليه واجبر على الانسحاب نظرا لضعفه وقوة المدافع الافغانية تجاه المدافع الايرانية وهناك عامل خوف الافاغنة من بعد بلادهم عنهم فضلا عن قلة عددهم فقرروا محاصرة المدينة.

أصابت اصفهان فوضى كبيرة بعد سماع أهلها أنباء اندحار جيشهم امام القوات الافغانية الزاحفة وشجعت هذه الحال محمود الافغاني وزادته اصرارا على فتح العاصمة الصفوية اصفهان وفعلا بعد حصار شديد اصابت اصفهان مصيبة كبيرة حيث ان المدينة كانت تموت ببطء بسبب المجاعة القاتلة التي جعلت الناس يأكلون لحم بعضهم بعضا والجيفة والحيوانات الميتة وامتلأت الشوارع والازقة بأجساد الموتى وتفشى الطاعون في البلد وازداد عدد الموتى بسبب هذا الوباء وامتلأ نهر "رايندة رود" بالأجساد الميتة وأصبح ماؤها غير صالح للشرب[٢٢١].

قرر الشاه التنازل عن عرش الدولة الصفوية لمحمود الافغاني وتسليم المدينة عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م إلى القوات الغازية ولما رأى والي بغداد العثماني حسن باشا تقدمه في زحفه وما قام به من الأعمال وجه إليه كتابا يسبر به غوره ويستوضحه نواياه وما يقصده من هذه التحركات فكان جواب المير محمود إنه رأى من واجبه الديني وحميته الإسلامية ان يطهر البلاد من الكفرة الفسقة الذين عاثوا في الأرض فسادا وإنه على الشريعة الإسلامية السمحاء وليست له أطماع وأغراض أخرى كما وإنه من الموالين للدولة العثمانية ويستمد منها العون لشد أزره في سبيل المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وإزالة الكفر والفسوق من بين المسلمين وبعد هذا الجواب أصدر مفتي الديار العثمانية عام ١١٣٥هـ/ فتوى بضرورة شد أزر المير محمود في جهاده ومناصرة اتباعه وعساكره[٢٢٢].

كان مير محمود كما يصوره المؤرخون رجلا قاسيا إلى ابعد الحدود ومن الممكن إنه كان مصابا بمرض السادية الخبيث[٢٢٣]، اتبع مير محمود "الشاه محمود" فيما بعد في بداية حكمه سياسة معتدلة وعقلانية نسبيا[٢٢٤] فقد عاقب أولئك الزعماء الفرس الذين استمروا على وفائهم للشاه السابق السلطان حسين وانزل العقاب بالذين خانوه[٢٢٥] ولكن هذه السياسة المعتدلة تغيرت من أساسها عندما شعر محمود

بأنه غير قادر على السيطرة على الأوضاع في إيران بسبب الاضطرابات التي وقعت فيها وروح المقاومة التي أبداها الإيرانيون ضده فعمد على استقدام قوات جديدة من افغانستان بعد ان عجز عن استخدام المزيد من الجند من داخل إيران نفسها فأصبح الافغان يعيشون في أرض معادية واصبحوا اقلية تعيش وسط محيط مضطرب ولم يكن باستطاعته السيطرة على كل إيران ولا حتى على الجزء الأكبر منها لا بقوة السلاح ولا بدعوى الغلبة للاقوى فيها، إذ أصبحت إيران عبارة عن قوى متعددة مسيطرة على اقاليمها المختلفة هذا فضلا عن القوى الأخرى الكبرى المرتبطة بإيران كالعثمانيين والروس وقيام الأسرة الصفوية ممثلة بطهماسب بن شاه سلطان حسين الوريث الشرعي للدولة الصفوية ضده مطالبة حقها الشرعي في العرش.

ولما عجز مير محمود عن السيطرة على مقاليد الأمور في إيران تملكه اليأس والاحباط، ولأجل الخروج من مأزقه هذا استطاع ان يجتذب إليه الاكراد وان يجندهم ويصبحوا قوة لها فعاليتها كان الاقبال الكردي على الانخراط في مسلك الجندية الافغانية والذي يرجع أساسا على التقارب المذهبي بين الطرفين قد وضع الاكراد في مثل تلك الظروف في مكانة الصدارة(٢٢٦) وكانت من أشد المدن المؤيدة لطهماسب مدينة قزوين التي ثارت على امان الله خان قائد الجيش الافغاني في قزوين الذي دخل المدينة فاتحا وضيق الخناق على سكانها بطلب الأرزاق والأموال والنساء وهو ما أدى إلى ثورة أهالي المدينة على الافغانيين ووقعت معركة عنيفة بين الثوار وعساكر الافغان سقط خلالها ١٢٠٠ من جنود الافغان واسفرت عن جرح امان الله خان مما دعاه لترك المدينة ناجيا بحياته وحياة قواته عائدا إلى اصفهان(٢٢٧) وثارت على الافغان كذلك مدينة كاشان وخوانسار ويزد وشيراز وبندر عباس وبهبهان.

تحول محمود الافغاني إلى سياسة العنف الشديد والاحتكام إلى السيف بدل العقل السليم وفي أحد الأيام من السنة التالية من حكمه لإيران أقام في اصفهان وليمة كبرى دعا إليها زهاء ثلاثمئة من أعيان البلدة وعندما استقر المجلس بهم أمر بذبحهم جميعا وبرمي جثثهم في الميدان الكبير ثم أرسل من يذبح نحو مئتين من اطفالهم وكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل معللا قتلهم بانهم ما داموا قد خانوا ملكهم فلا خير يرجى منهم لأنهم سيخونون أيضا في الفرصة المناسبة(٢٢٨) والظاهر إنه كلما يزداد تعطشا للدماء كلما أمعن في القتل فقد أصدر قرارا ثانيا بقتل كل شخص كان

في خدمة الشاه السابق واستمرت المذبحة في هؤلاء خمسة عشر يومـا[٢٢٩] دون ان تبدو منهم أية محاولة للمقاومة حتى كادت اصفهان ان تفرغ من سكانها[٢٣٠].

وفي عام ١٧٢٥م قرر مير محمود قتل جميع أفراد الأسرة الصفوية باستثناء الشاه سلطان حسين فجمعوا بأمره في ساحة القصر وقد ربطت أيديهم إلى ظهورهم وكان بينهم طفلان من أولاد الشاه وتقدم مير محمود بنفسه مع اثنين من أعوانه فأخذوا يقتلونهم شدخا بالسيف وهنا شوهد منظر مفجع للغاية إذ صادف ان كان الشاه السابق قريبا من ساحة المذبحة فأسرع إليها على أثر سماعه صراخ القتلى وإذ ذاك جرى نحوه طفلان لاتذين به وهما يحسان إنه قادر على انقاذهما من القتل وفي تلك اللحظة كان مير محمود شاهرا سيفه وراءهما قاصدا قتلهما فرفع الشاه يده لدرء السيف عنهما ولكنه لم يتمكن من انقاذهما إذ قتلهما مير محمود وأصيب الشاه من جراء ذلك بجراح اتضح لمن شهدوا الحادثة ان مير محمود لابد ان يكون مصابا بخلل في عقله، ان هذا الأمر لا يمكن ان يقوم به ذو عقل سليم.

ولم تمض على تلك الحادثة سوى أيام معدودة حتى أخذ الاختلال العقلي يظهر على مير محمود بوضوح فصار يقذف بالشتائم في وجه كل من يقترب منه ويعض نفسه في هياج، أدرك كبار رجال الافغان ان محمود بدأ بفقد قدراته العقلية فقرروا عزله عن الحكم واطلقوا سراح ابن عمه أشرف خان الذي كان مسجونا واستطاع هذا ان يجمع حوله بضع مئات من الاتباع فزحف بهم نحو القصر الملكي في اصفهان وان يستولي عليه وبعد ثلاثة أيام وجد مير محمود ميتا ولم يعرف حتى الآن هل مات موتا طبيعيا أو مات مقتولا.

وفي اليوم التالي نصب أشرف خان مكانه ملكا[٢٣١] وكان عليه ان يواجه بحزم الأزمات الحادة التي تعرض الوجود الافغاني في إيران للخطر ولكي تكون الصورة أمامنا واضحة يجدر بنا ان نحدد القوى الكبرى التي تتحكم حينذاك في مقدرات إيران، فكان أشرف يسيطر على اصفهان وشيراز وجنوب شرقي إيران ولكن من العسير جدا القول بأنه كان يدير أمور هذه الولايات برمتها كما ان تعدد القوى الخارجية وتعدد الثورات الداخلية جعلت أشرف وهو الذي يعتمد على امكانيات بشرية محددة يركن إلى الأساليب الدفاعية. كان طهماسب يردد باستمرار إنه صاحب الحق الشرعي في العرش الإيراني ومركزه في مازندران ونظرا لقلة جنده كان يراقب تطورات الأمور ومحاولة الافادة منها ولكن بعد ان انظم إليه أحد رؤساء كبار

العشائر القاجار التركية، فتح علي خان قاجار أصبح بمقدوره التأثير على توجيه أحداث البلاد وتطوراتها.

واستمرت روسيا باتباع سياسة القيصر بطرس الأكبر بعد وفاته والسير على وصيته المشهورة الداعية إلى توسيع الامبراطورية الروسية على حساب إيران وفعلا أصبحت روسيا قوة مهددة في عهد كاثرين الثانية والدولة العثمانية على السواء ولكن العثمانيين رأوا ان من مصلحتهم الاتفاق مع الروس على حساب إيران وعقدوا معاهدة معهم بهذا الصدد، كانت الدولة العثمانية ترى في نفسها صاحبة الحق الشرعي في حكم فارس أكثر من الافغانيين أو الروس وكانت قد توغلت قواتها داخل إيران بقيادة حسن باشا والي بغداد الذي فتح كرمنشاه في عام ١٧٢٣م وخرج إليه حاكمها عبد الباقي خان مع أعيان البلدة وسلم له مفاتيح البلدة، قضى حسن باشا الشتاء في كرمنشاه، والظاهر ان الحركات الأخيرة هدت قواه وقد بلغ السبعين من عمره فمات قبل حلول الربيع في كرمنشاه[٢٣٢] وقد امتنع أصحابه من ان يدفنوه هناك خشية ان ينبش الأعداء رفاته فيما بعد فشقت بطنه وغسلت امعاؤه وحشيت بالمسك والعنبر والكافور ثم نقلت جثته إلى بغداد فدفنت في جوار أبي حنيفة النعمان في الاعظمية[٢٣٣].

وبأمر من السلطان العثماني حل محله ابنه أحمد وكان شخصية قوية على نمط أبيه وهاجم بقواته همدان سنة ١٧٢٤م وتمكن من دخولها بعد قتال عنيف دام ثلاثة أيام ثم انتهى القتال بهدنة كان من شروطها ان تكون همدان ولاية عثمانية وان يذكر اسم السلطان في الصلاة العامة[٢٣٤] ولكن أشرف لم يستسلم إلى الأمر الواقع وبدأ يعد العدة لدفع الجيش العثماني إلى ما وراء الحدود الإيرانية العراقية وبعث إلى السلطان العثماني محتجا عليه بسبب تلك المعاهدة التي عقدها مع دولة مسيحية هي روسيا ضد دولة إسلامية بقصد تقسيم إيران[٢٣٥] وأعلن إنه أولى من غيره في حكم إيران وان الجيوش العثمانية يجب ان تنسحب منها وأرسل أشرف خان سفيرا إلى اسطنبول اسمه عبد العزيز سلطان وقد حمل السفير معه محضرا موقعا من قبل تسعة عشر فقيها افغانيا يؤيدون فيه جواز تعدد الائمة، أي جواز ان يكون في الإسلام أكثر من خليفة واحد وذلك لكي يكون لأشرف خان الحق في الحكم في إيران وجاء في المحضر كذلك قولهم انهم من سلالة خالد بن الوليد ولهذا فهم أولى بالخلافة من آل عثمان الاتراك استنادا إلى الحديث القائل الائمة من قريش[٢٣٦].

ان الدولة العثمانية تستطيع ان تتحمل أي رأي عدا مثل هذا الرأي الذي يبعث الريب في صحة خلافتها ولذا انزعج المسؤولون في اسطنبول وسرعان ما اجتمع فقهاء اسطنبول ونظموا محضرا مضادا استندوا فيه إلى الحديث القائل (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني منهما) وأصدر شيخ الإسلام فتوى مفادها إنه لا يصح اجتماع امامين إلا إذا كان بين مملكتهما حاجز عظيم وإلا فيعد باغيا وقتاله واجب[٢٣٧] وبناء على فتوى شيخ الإسلام صدر الفرمان السلطاني باعلان الحرب على أشرف خان بوصفه باغيا وأرسلت الأوامر بذلك إلى أحمد باشا والي بغداد للخروج لقتال أشرف خان الافغاني.

وأخيرا توجه أحمد باشا لمحاربة أشرف خان على رأس جيش كبير والتقى الطرفان في موضع بين همدان واصفهان في العشرين من تشرين الثاني عام ١٧٢٦م وكان أشرف يعرف ضعف جيشه تجاه الجيش العثماني ولكنه أدرك ان في وسعه إحباط معنويات جيش العثمانيين عن طريق الدعاية المنظمة اعد أشرف منشورات تتضمن استنكار القتال بين أهل السنة وأرسل من يوزعها خفية في المعسكر العثماني كذلك أرسل من يقدم الوعود والهدايا إلى بعض رؤساء العشائر الكردية الذين كانوا في المعسكر العثماني وبلغت خطة أشرف خان قمتها حين أرسل أربعة فقهاء إلى أحمد باشا ليسألوه علانية كيف يجوز له ان يحاربهم مع العلم انهم سنيون مثله وانهم مطيعون للشريعة الإسلامية في محاربة الروافض[٢٣٨] وبينما كان هؤلاء الفقهاء يجادلون أحمد باشا إذ ارتفع صوت الاذان للصلاة فنهضوا بصمت واخذوا يقيمون الصلاة في وسط الجيوش العثمانية فأحدثوا فيها تأثيرا نفسيا عميقا[٢٣٩].

أثمرت هذه الأساليب البارعة في اضعاف معنويات الجنود العثمانيين والظاهر ان أحمد باشا لم يكن قد أعارها أي اهتمام اعتمادا على شجاعته وما كان لديه من جيوش جرارة ومدافع ضخمة، فلما نشبت المعركة أحس بفداحة الضربة التي وجهت اليه دون ان يعلم فقد انسحب من صفوفه جميع عساكر الاكراد والذين كانوا يحاربون في صفوف الجيش[٢٤٠] وعندما شعر بخسارته في المعركة أمر بالانسحاب العام بعد ان ترك في الميدان اثني عشر ألف قتيل[٢٤١] فكانت تلك من أكبر الهزائم قساوة التي لحقت بالجيوش العثمانية في تاريخها الطويل، وفي أواخر عام ١١٩١هـ/١٧٢٧م تم الصلح بين الفريقين وكان من شروطه ان تبقى المناطق المفتوحة من إيران في

حوزة من فتحها وان يعترف أشرف خان بخلافة السلطان العثماني ويبقى هو ملكا على إيران وكالة عن السلطان العثماني ثم أرسل أشرف خان هدايا ثمينة إلى السلطان توثيقا لأواصر الصلح بينهما(٢٤٢) ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال بأن أشرف خان بعد انتصاره على الجيش العثماني لم يتعقب فلول ذلك الجيش المهزوم بقصد سحقه إلى الأبد لأنه كان في حاجة للوصول إلى تفاهم مع السلطان العثماني بسبب تفاقم قوة عدوه طهماسب بن سلطان حسين الصفوي الذي كان يعاضده نادر قلي (نادر شاه) فيما بعد الذي قدر له ان يتولى عرش إيران ويلعب دورا كبيرا في تاريخ إيران والمنطقة على السواء كفاتح كبير وبهذا يجدر بنا ان نحدد العوامل التي لعبت دورها في ارتفاع شاه نادر ونتبع سيرته لما كان لها من أثر بالغ في وصوله إلى أعلى المستويات بعد ان تخلص من منافسيه الكبيرين على العرش الإيراني أشرف الافغاني وطهماسب الصفوي.

هوامش الفصل الأول

(١) ن. و. بيكولوسكايا وآخرون: تاريخ إيران ازدوران باستان تاباپان سدة هيجدهم ميلادي. ترجمة كريم كشاورز تهران ١٣٥٤ ص٤٦٨.

(٢) المصدر نفسه ص٤٦٩.

(٣) يعتقد دونالد ولبر بأن الدولة الساسانية قامت على انقاض السيطرة الاغريقية البارثية الطويلة على ايران ولا اتفق مع المؤلف بما ذهب إليه في هذا الصدد لأن الدولة الفرثية هي سلالة ايرانية ازاحت السيطرة السلوقية الاغريقية على البلاد الإيرانية انظر ايران ماضيها وحاضرها ترجمة د. عبد النعيم محمد والدكتور ابراهيم امين، القاهرة ١٩٥٨ ص٨٦.

(٤) يعتقد أكثر المؤرخين بأنه حتى بداية القرن التاسع الهجري كانت اكثرية الشعوب الإيرانية على مذهب السنة والجماعة بصورة رسمية وكان اكثرية سكان المدن الإيرانية يعتنقون هذا المذهب وكان أهالي غرب إيران شافعيي المذهب وان سكنة اصفهان وقزوين وابهر وزنجان ومزدقان وشيراز وكلپايكان ويزد وتبريز واردبيل ومشكين وآهر ونخجوان على مذهب السنة وبحسب ما يذكره المستوفي القزويني بأن المذهب الرسمي للبلاد الإيرانية كان مذهب السنة والجماعة باستثناء امارتي مازندران وكيلان اللتان كانتا على مذهب الشيعة الامامية انظر نزهة القلوب تهران ١٣٣٦ ص٤٩-٥٨ وص٥٩ انظر كذلك بحث الدكتور حسن الجاف بعنوان "الانتفاضات الشعبية في أواخر حكم المغول" الانتفاضة السربدارية" المنشور في مجلة الأستاذ كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد العدد الخامس عشر الجزء الأول ١٩٩٩ ص٢٣٢.

(٥) يطروشفسكي: إسلام در إيران، رايلپايا ولويج. ترجمة كريم تشاوز تهران ١٣٥١، ص٣٧٣.

(٦) شيعكري، بهائيكري وصوفيكري، تهران ١٣٦٧ش، ٣٠٦.

(٧) كانت مدينة سبزوار مركزا لانطلاقة الانتفاضة السربدارية انظر بحث د. حسن الجاف بعنوان الانتفاضات الشعبية في أواخر حكم المغول الايلخانيين، مصدر سابق، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٨) موسى بروخيم: تحولات فكري در ايران، تهران ١٣٣٦ ص١٦٦.

(٩) دكتر عبد الله رازي تاريخ كامل إيران از تاسيس سلسلة مادتا انقراض قاجارية تهران ١٣٧٨ ص٤٠٧.

(١٠) تاريخ عالم اراي عباسي ط١ تهران ١٣٥٠ ص٧.

(١١) الدكتور علي الوردي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي بغـداد ١٩٦٥ ص١٢٨- ١٢٩ وكذلك يان ربيكا وآخرون تاريخ ادبيات ايران ازدوران باستان تا قاجارية. ترجمة عيسى شهابي تهران ١٣٥٤ ص٤٦٢.

(١٢) كليفورد ادموند بوسورث. سلسلة هاي اسلامي. ترجمة فريدون بدره أي تـهران ١٣٤٩ ص٢٥٥-٢٥٧ وكذلك كامل مصطفى الشيبي: الطريقة الصفوية ورواسبها فـي العـراق بغداد ١٩٦٧ ص١٧.

(١٣) صفوة الصفا بومبي ١٩١١ ص١٩ وكذلك شيخ صفي وتبارش تهران ١٣٥٤ ص٤٧.

(١٤) زندكاني شاه عباس أول. جلد أول تهران ١٩٥٥م ص٣.

(١٥) يقول رحيم زاده صفوي عن اللغة الاذرية ما يـأتي: تشـبه الاذريـة اللـهجات الكرديـة والطالشية وهي أقرب إلى اللهجة الكردية والمازندرانية وان كثير من المفـردات الاذريـة مفهومة من قبل المجتمعين الكردي والطالشي انظر شرح جنكهار وتاريخ زندكـاني شـاد اسماعيل صفوي تهران ١٩٦٢ ص٧٢.

(١٦) يطروشفسكي: إسلام در ايران ص٣٨٢ مصدر سابق.

(١٧) Lourn lochnart: The Fall of the Safai and Afghan Occupation of Persia. Cambridge. ١٩٥٧. P.١٨.

(١٨) دونالد ولبر. مصدر سابق ص٨٦- ٨٧.

(١٩) دكتر عبد الله رازي مصدر سابق ص٤٠٩.

(٢٠) يطروشفسكي: إسلام در ايران ص٣٨٤.

(٢١) حبيب الله شاملوني، مصدر سابق ص٥٨٥. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسـلامية ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي بيروت ١٩٨٨ ص٤٩٣.

(٢٢) حسن بيرنيا وعباس اقبال اشتياني: تاريخ إيران ازاغازتا انقراض قاجاريه بـلا ص٦٦١-٦٦٥.

(٢٣) عبد العزيز سلمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ج١ بـيروت ١٩٧٠ ص٢٢.

(٢٤) يحيى بن عبد اللطيف القزويني: لب التواريخ باهتمام جلال الدين الطهرانى طهران ١٣١٤ ص٢٣٨ وكذلك حسن بيرنيا وعباس اقبال المصدر السابق ص٦٦٢.

(٢٥) عبد الله رازي المصدر السابق ص٤١٠ وكذلك حبيب الله شلملونى تاريخ ايـران ازمـاد تابهنوي. تهران ١٣٤٧ش ص٥٨٥.

(٢٦) سرجان مالكم: تاريخ ايران، ترجمة فارس ميرزا بيرت ج١، باب ١٤، انتشارات سـعدي طهران ١٨٧٦م ص١٦٢.

(٢٧) دكتر عبد الله رازي المصدر السابق ص٤١٠.

(٢٨) اميني: تاريخ عالم اراي اميني النسخة المصورة من المكتبة المركزيـة جامعـة طـهران ص٥٤.

(٢٩) بيلوسكايا وآخرون، مصدر سابق ص٤٧٣: وقد أورد حسن بيرنيا وعباس اقبال تـاريخ مقتله سن ٨٦٠هـ. انظر تاريخ إيران ص٦٦٢.

(٣٠) يذكر كارل بروكلمان ان عليا غرق في نهر أثر قتال مع رستم ميرزا انظر تاريخ الشـعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص٤٩٩ ولكن أكثر المؤرخين يؤيدون بأن علي قتل على يـدي رستم ميرزا بعد اسره انظر حسن بيرنيا وعباس اقبال تاريخ إيران ص٦٢٢.

(٣١) انظر مقال ملك زاده بياني بعنوان (دوفرمان از الوند ميرزا اق قويونلو وشاه اسـماعيل صفوي) المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شماره (٤) مهر آبان ٢٥٣٥ شاهنشـاهي ١٩٧٦م ص١٣٠- ١٣٥.

(٣٢) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٥٧٩.

(٣٣) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٣ ط١ ١٩٣٩ ص٣٠٨.

(٣٤) عباس برويرز: تاريخ دوهزار يانصد ساله إيران ج١ ص ٣٣٨ .

(٣٥) اسكندر بيك تركمان: عالم اراي عباس ج١ ص ٢٨ وكذلـك مرتضـى راونـدي تـاريخ اجتماعي إيران جلددوم تهران ١٥٣٦ ش ص ٣٨٠ وكذلك يعطينا ميرخواند صورة بشعة عن مظالم الشاه اسماعيل الصفوي فبعد انتصاره على سلطان مراد بن سلطان يعقوب اباد ثمانية آلاف من اتباعه بعد اسرهم واباد اتباع حسن كيا بعد تدمير قلاعهم وأمر باحراقـهم وهم احياء انظر تاريخ روضة الصفا ج٨ انتشارات خيام تهران ١٣٣٩ ص١٦.

(٣٦) ريجاردكوك بغداد مدينة السلام ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جـواد ج١ بغـداد ١٩٦٢ ص٣١٣.

(٣٧) Edward Browne : Literary History of Persia Cambridge ١٩٥٣ vol. ٤ - ٢٢ - ٢٣.

(٣٨) مصطفى كامل الشيبي الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثـاني عشـر الهجري بغداد ١٩٦١ ص٤١٣ وكذلك فاروق عمر فوزي ومرتضى النقيب: تاريخ إيـران ٦٢١هـ/ ١٥٠٠م بغداد ١٩٨٠ ص٣٣٢.

(٣٩) حبيب الله شاملوني: تاريخ إيران ازماد تابهلوي ص٥٩١.

Edward Brown (op. Cit) vol ٤ p.p. ٥٣ – ٥٤.

وكذلك مرتضى راوندي المصدر السابق، ص٣٧٩.

(٤٠) مرتضى راوندي المصدر السابق، ج٢ ص٣٨٠.

(٤١) المصدر نفسه ص٣٨١.

(٤٢) يحيى القزويني، لب التواريخ ص٢٤٦.

(٤٣) يذكر الدكتور علي الوردي بأن الشاه اسماعيل استطاع في عام ١٥٠٨م فتح بغداد وتشير أكثر المصادر التاريخية إلى إنه فعل بأهل بغداد مثل ما فعل بالايرانيين من قبل فاعلن سب الخلفاء وقتل الكثير من أهل السنة ونبش قبر أبي حنيفة انظر لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٤٣.

(٤٤) ستيفن همسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط بغداد ١٩٦٢ وكذلك د. علي الوردي: طبيعة المجتمع العراقي ص١٢٩ وكذلك ساطع الحصري البلاد العربية والدولة العثمانية بيروت ١٩٦٠ ص٤٠.

(٤٥) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٩٧.

(٤٦) لونكريك المصدر السابق ص١٩.

(٤٧) تشيع علوي وتشيع صفوي سازمان انتشارات حسينية ارشاد تهران بلا ص٥٨-٥٩.

(٤٨) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٨٣.

(٤٩) د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٤٥.

(٥٠) Edwards. Creasy: History of the Ottoman turks. Beirut ١٩٦١ pp. ١٣١ - ١٣٢.

(٥١) بيكلو لو سكايا وآخرون: تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سده هيجدهم ميلادي ص٤٧٤- ٤٧٥ وكذلك يطروشفسكي إسلام در إيران ص٣٩٥.

(٥٢) يطروشفسكي، مصدر سابق، ص٣٩٧.

(٥٣) د. علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٤٣ وكذلك انظر مقال نظام الدين مجير شيباني بعنوان روابط إيران وعثماني المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة ٣ سال ينجم أيلول ١٩٧٠.

(٥٤) ان جميع البلاد الكردية دخلت حكم العثمانيين طواعية بفضل دراية الشيخ ادريس البدليسي في عهد سلطان سليم الأول وقد اعترفت الدولة العثمانية بالاستقلال الذاتي للامارات الكردية على أساس اتفاقية تتضمن المواد التالية:

١ - الاحتفاظ باستقلال الامارات الكردية وحرياتها.

٢ - ان تنتقل الامارة عند خلوها عن شاغلها من الأب إلى أولاده الذكور أو يتصرف فيها بحسب الأصول المحلية القديمة.

٣ - يساعد الكرد الترك في جميع حروبهم.

٤ - يساعد الترك الكرد ضد الاعتداءات الخارجية.

٥ - يدفع الكرد الصدقات والرسوم الشرعية لبيت المال الخاضع للخليفة العثماني وابرمت هذه الوثيقة بين السلطان العثماني سليم الأول ورؤساء الامارات والحكومات الكردية سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م ولكن الحكومة التركية نقضت شروط هذه المعاهدة بعد خمسة عشر عاما من التوقيع عليها شيئا فشيئا حتى أتت على آخر امارة كردية سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م انظر شرف خان البدليسي الشرفنامة، الترجمة العربية جميل روزبياني ص٤٣٦ - ٤٣٧. وكذلك د.حسن الجاف: حياة فرهنكي كرد دربرثو إسلام رسال دكتري دانشكاه تهران دانكشدة الهيات ومعارف اسلامي سال تحصيلي ١٣٥٢-١٣٥٣ش ص٦٠.

(٥٥) الدكتور علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٤٧.

(٥٦) شاملوني حبيب الله مصدر سابق ض٦١٤.

(٥٧) المصدر نفسه ص٦١٥.

(٥٨) شكل أهالي تبريز والقزلباش الموجودين فيها خلايا مقاومة سرية في منطقة شام غازان وكانت تغير ليلا على القوات الانكشارية وتمعن فيهم تقتيلا، انظر حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦١٥.

(٥٩) انظر مقال ملك زاده بياني دو فرمان از الوند ميرزا اق قويونلو بشاه اسماعيل صفوي المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة ٤ سال يازدهم ١٩٧٦ ص١٤٠ وكذلك انظر بحث الدكتور حسين مير جعفري بعنوان نامة شاه طهماسب صفوي به سلطان سليمان قانوني المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة ٥ سال دهم ١٣٥٤ حزيران ١٩٧٥ ص٢٣٥.

(٦٠) يعتقد بعض المورخين بأن الخلافة انتقلت من العباسيين إلى العثمانيين بعد ان تنازل محمد المتوكل علي الله آخر خليفة في السلالة العباسية عن حقه في الخلافة للسلطان سليم الأول

العثماني وسلمه المخلفات النبوية المقدسة وهي البيرق والسيف والبردة وسلمه كذلك مفاتيح الحرمين الشريفين فمنذ ذلك الحين صار كل سلطان عثماني يلقب بـ أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين انظر د. علي الوردي لمحات اجتماعية في تاريخ العراق مصدر سابق ج١ الحديث ط١ ص٤٩.

(٦١) د. علي شريعتي: تشيع علوي وتشيع صفوي ص٥٤.

(٦٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦٣) Edward Brown, Literary History of Persia- Cambridge ١٩٥٣ vol. ٤ p. ٩٣- ٩٤.

(٦٤) هارولد لامب، سليمان القانوني. سلطان الشرق العظيم، ترجمة شكري محمود نديم بغداد ١٩٦١ ص٢٣.

(٦٥) حبيب الله شاملوني مصدر سابق ص٦١٦.

(٦٦) عبد العزيز سلمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ط١ ص٣٥.

(٦٧) د. علي شريعتي، تشيع علوي وتشيع صفوي مصدر سابق ص٥٢-٥٥.

(٦٨) الاوزبك تعني الكلمة بالتركية سيد نفسه والمستقل ويعود نسب الاوزبك إلى اوزبك خان تاسع الحكام من أسرة جوجي الذي أعلن اسلامه هو وقومه المؤلفين من المغول والترك وموطنهم القديم مرتفعات توران على بحر الخزر للمزيد من المعلومات انظر و. بارتلد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى ترجمة أحمد السعيد سليمان مكتبة الانجلو المصرية بلا

(٦٩) عبد العزيز سلمان نوار مصدر سابق ص٣٠.

(٧٠) دكتر عبد الله رازي، مصدر سابق ص٤١٤.

(٧١) عبد العزيز سلمان نوار مصدر سابق ص٣٥.

(٧٢) حبيب الله شاملوني مصدر سابق ص٥٩٦.

(٧٣) عبد العزيز سلمان نوار مصدر سابق ص٤٠.

(٧٤) حسن بيرنيا وعباس اقبال مصدر سابق ص٦٦٧.

(٧٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧٦) استخلف الشاه اسماعيل تسعة أبناء هم كل من طهماسب ميرزا، القاص ميرزا، بسام ميرزا، وبهرام ميرزا وخمس بنات هن بري خان خانم وخانيش خانم ومهيني بانو سلطانم وفرنكيس خانم وزينب خانم.

(٧٧) بيكولوسكايا وآخرون مصدر سابق ص٤٨٢.

(٧٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧٩) مرتضى راوندي جـ٢ مصدر سابق ص٣٨٧.

(٨٠) كان يحكم بغداد في عهد الشاه طهماسب أمير كلهري كردي يدعى ابراهيم سلطان خان وبقي بها حاكما إلى ان اغار عليه ابن أخيه ذو الفقار بن نخوت خان عام ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م عندما كان مخيما في ربوع ماهيدشت فقتله واستولى على ولاية بغداد واستقل بالملك مكانه وبعد ان وطد نفوذه واستولى على أكثر المدن العراقية أراد تقوية نفوذه واستقلاله بالاحتماء بالدولة العثمانية خوفا من الدولة الصفوية فراسل في هذا الشأن السلطان سليمان القانونى وتبادل معه السفراء والوفود فلما علم بذلك الشاه طهماسب توجه الى بغداد سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م وضرب عليها الحصار إلا ان ذا الفقار خان قابله ببسالة ولم يكن لتنثني قواته امام جيشه ولم يكن الشاه ليظفر به لولا ان تشبث بالخدعة والاحتيال فقد أغرى كلا من أخويه علي بك وأحمد بك فقتلاه انظر شرفخان البدليسي الشرفنامة. مصدر سابق ص٢٤٢.

(٨١) بيكولوسكايا وأخرون: تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سدد هيجدهم ميلادي ص٤٨٣.

(٨٢) شرفخان البدليسي، الشرفنامة، الترجمة العربية وكذلك حسين ناظم بيك: تاريخ الامارة اليابانية ترجمة شكور مصطفى محمد الملا عبد الكريم المدرس (اربيل) ٢٠٠١ ص٤٦ وكذلك محمد علي ساكي: جغر افياي تاريخي وتاريخ لرستان، خرم اباد ١٣٤٣ ص٢٧٧ – ٢٧٨.

(٨٣) مرتضى راوندي المصدر السابق ج٢ ص٣٨٩ وعبد العزيز سلمان نوار المصدر السابق ص٥٣.

(٨٤) يعد سام ميرزا ابن الشاه اسماعيل اميرا مثقفا فقد ألف كتابا باسم تحفة سامي في تاريخ الشعر والشعراء وفيه معلومات مفيدة عن الحوادث التاريخية في عهد والده انظر حسن بيرنيا وعباس اقبال المصدر السابق ص٦٦٨.

(٨٥) بيكو لوسكايا وأخرون المصدر السابق ص٤٨٥.

(٨٦) المصدر نفسه ص٤٨٥.

(٨٧) حسن بيرنيا وعباس اقبال ص٦٦٥.

(٨٨) عبد العزيز سلمان نوار المصدر السابق ص٤٥ – ٤٦.

(٨٩) هارولد لامب، مصدر سابق ص٢٣٥.

(٩٠) كان اولامه بيك تكلو أمير امراء اذربيجان في عهد طهماسب وأعلن عصيانه في تبريز وأطلق يده في خزائن الشاه وصادر ما في تبريز من الأموال الطائلة والبضائع الكثيرة وحملها معه

الى ولاية وان العثمانية معلنا طاعته للسلطان القانوني انظر شرفخان البدليسي: الشرفنامة ص٤٤٠.

(٩١) قاضي أحمد غفاري جهان آرا: بسعي مجتبي مينوي تهران ١٣٤٣ ص٢٨٩.

(٩٢) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٢٢. د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جـ١ ص٥٣.

(٩٣) **Ismail hami : Osmanlikronot Lijsibranol ١٩٧١ vol. ١١ p ١٧٩.**

(٩٤) حسن روملو : احسن التواريخ، تهران ١٣٤٧ ص٣٧٨ – ٣٧٩ واسكندر بيك تركمان المصدر السابق ج١ ص٧٨ وكذلك الدكتور خانبا بابياني، تاريخ نظامي إيران (جنكهاي دورة صفوية) تهران ١٣٥٣ ص٢٥١ – ٢٥٢.

(٩٥) **Ismail Hami (op cit) p ١٨٠ – ١٧٩.**

(٩٦) انظر بحث الدكتور حسين جعفري نامه أي از شاد طهماسب صفوي به سلطان سليمان قانوني المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي سال دهم شمارة (٥) اذر دي ١٣٥٤ ش ص٢٤٣.

(٩٧) طهماسب تذكرة شاه طهماسب برلن ١٣٤٣، ص٤٣-٤٢.

(٩٨) النص كما جاء في مذكرات مأمون بك تاريخ ادبيات ايران ترجمة رشيد ياسمى مصدر سابق ص٥٠.

(٩٩) ممن جاء مع القاص ميرزا من الرجال المعروفين أشخاص باسمائهم ويقتلوهم فورا وان يغلو القاص بالاغلال من يديه وعنقه ويبعثوا به مقيدا مسلسلا إليه فقام الامراء بتنفيذ ما أمروا به فقتلوا الرجال وقيدوا القاص وبعثوا به إلى الشاه وأمر الشاه بسجنه في قلعة القهقهة ولم تمض مدة طويلة ان أهلك القاص مع حسن بك بن بين واعمل السيف في بقية رجال القاص فقتلوا شر قتلة. انظر مذكرات مأمون بك بن بيكه بك نقله الى العربية محمد جميل الروزبياني وشكور مصطفى، بغداد ١٩٨٠ ص٥٩-٦٠ جـ٤ تهران ١٣٤٥ ص٨٧-٨٩.

(١٠٠) بررسيهاي تاريخ شمارة (٥) سال يازدهم تهران ١٩٧٦ ص١٦٢.

(١٠١) المصدر نفسه ص١٦٢-١٦٧.

(١٠٢) عبد العزيز سليمان نوار، مصدر سابق، ص٥٠.

(١٠٣) المصدر نفسه ص٥١.

(١٠٤) عندما أصبح السلطان سليمان القانوني امبراطورا للدولة العثمانية عامل ابناءه بشدة وقسوة وفضل أحدهم على الآخر وكان لزوجته الروسية دورا رئيسا لاتخاذه هذه المواقف من ابنائه

وقد برز صراع عنيف بين بايزيد وأخيه سليم على ولاية العهد انتهت بحرب بين الاخوين في منطقة من قونيه وكان النصر في هذه الحرب حليف سليم مما اضطر بايزيد مع عدة كتائب عسكرية يصحبه ابناوه الأربعة وحاشيته من ترك وطنه ووالده سنة ١٥٥٩ واللجوء الى الشاه طهماسب الصفوي. ومع ان طهماسب استقبله بحفاوة في بادئ الأمر الا انه سرعان ما ادرك ان الرجل لن يفيده فسلمه غدرا إلى أبيه مقابل مبلغ كبير من الذهب دخل خزينة الشاه وآل مصير بايزيد إلى القتل على يد والده.

(١٠٥) قاضي أحمد غفاري قزوين تاريخ جهان ارا، بسعي اسناد مجتبي مينوي تهران ١٣٤٣ ص٣٠٥-٣٠٤.

(١٠٦) بيكلوسكايا وآخرون، مصدر سابق ص٤٨٦.

(١٠٧) عبد العزيز سليمان نوار، جـ١، المصدر السابق ص٥٢.

(١٠٨) حسن بيك روملو، أحسن التواريخ، مصدر سابق ص٤١٧.

(١٠٩) عد السلطان سليمان القانوني قبول طهماسب لجوء ابنه بايزيد خلافا لروح اتفاقية اماسيا المعقودة بين الدولتين وان هذا العمل اساءة واضحة للعلاقات الطيبة بين الطرفين وتصعيد لوتيرة الخلاف بين الدولتين وإنه ينوي اعلان الحرب على الدولة الصفوية، انظر فريدون بيك مجموعة منشآت السلاطين جـ٢ استانبول ١٢٧٥هـ ص٤٨.

(١١٠) يذكر قاضي أحمد غفاري بأن الشخصين من حاشية بايزيد وهما قرا اوغلو ومحمود جركس اخبرا الشاه طهماسب بأن بايزيد يمهد لمؤامرة بهدف قتله وعندما علم بايزيد بانكشاف مؤامرته أمر قتل الواشين وهكذا ظهر الخلاف بين طهماسب وبايزيد الى العلن. انظر احسن التواريخ مصدر سابق ص٤١٢.

ويذكر الشاه طهماسب في مذكراته بأن أحد معتمديه المدسوسين في حاشية بايزيد يدعى محمد عرب أخبره بمآرب بايزيد حيث احضر حلوى ممزوج بالسم من بلاده بهدف تسميم طهماسب وحاشيته معا وعندما علم بايزيد بانكشاف مؤامرته قتل محمد عرب وبذلك ايقنت بأن بايزيد يبيت الشر والغدر. انظر تذكرة شاه طهماسب ص٦٧-٦٦.

(١١١) يذكر مصطفى عالي بأن أحد مستشاري بايزيد يدعى قودوز فرهاد أشار عليه ان يهجم بقواته على الشاه طهماسب عندما يأتي الى استقباله ويقتل الشاه ويستولي على عرش العجم ويرضي والده السلطان بذلك. انظر كنة الاحبار النسخة الخطية في كلية الاداب جامعة انقرة الرقم ١٧٨٣-١ ورق ٨-٨٠.

(١١٢) عبد العزيز سلمان نوار جـ١ المصدر السابق ص٥٢-٥٣.

(١١٣) عبد العزيز سليمان نوار جـ١ مصدر سابق ص٥٣ للاطلاع على مفاد هذه الرسائل الودية المتبادلة بين شاد طهماسب وسلطان سليمان القانوني انظر فريدون بيك مجموعة منشآت السلاطين جـ١ وجـ٢.

(١١٤) عبد العزيز سليمان نوار جـ١ مصدر سابق ص٥٣ للاطلاع على مفاد هذه الرسائل الودية المتبادلة بين شاه طهماسب وسلطان سليمان القانوني انظر فريدون بيك مجموعة منشآت السلاطين جـ١ وجـ٢.

(١١٥) أبو القاسم طاهري : تاريخ سياسي واجتماعي إيران، تهران ١٣٤٩ ص٢٠٠.

(١١٦) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٢٦ ، على الرغم من التعصب الظاهري لشاه طهماسب فقد حظي أمير شرف الدين البدليسي مؤلف تاريخ الاكراد الشرفنامة المعروف برغم إنه كان على مذهب السنة بالاحترام العميق من لدنه ونصبه حاكما على ساليان ومحمود اباد ومغان وشيروان واشترك في الحملات العسكرية لشاه طهماسب ضد الثوار الخارجين على حكمه، ونخص بالذكر تمرد حاكم كيلان "بيه بيش" المدعو خان أحمد وعينه شاه طهماسب بعد هذه الحملة حاكما على "تنكابن" ووضع تحت امرته قوات كبيرة من القزل باش دفع بها حملات سلطان هاشم أحد اعوان خان أحمد في تنكابن ودحره في معركة عنيفة بين الفريقين انظر د. شمس الدين موحمه د نيسكه نده ر: ميزووي كورد له سه ده ي ٩١٦ همدا. ترجمة شكور مسته فاكوفاري كوري زانياري كورد زمارة ١٦-١٧ سالي ١٩٨٧ ص١٩١ - ١٩٣ ص١٩٣.

(١١٧) يروي المؤرخون إنه عندما أرسلت الامبراطورة الانجليزية اليزابيث الأولى سفيرها المدعو "انتوني كين سون" إلى بلاط طهماسب أمر بأن تفرش ارضية قصره بنشارة الخشب حتى لا تطأ قدم افرنجي نجس ارضية قصرد فيدنسها انظر هامش كتاب حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٢٦.

(١١٨) د. عبد الله رازي المصدر السابق ص٤١٨.

(١١٩) عبد الحسين نوائي : شاه طهماسب صفوي ص٢٤.

(١٢٠) ينتسب الشيخ علي الكركي إلى قرية كرك نوح من قرى بعلبك. أصدر طهماسب فرمانا الى جميع أنحاء المملكة الإيرانية ذكر فيه ان الشيخ علي هو صاحب الدولة الحقيقي بوصفه نائب الامام الغائب صاحب الزمان وعلى الجميع الامتثال لاوامره فمعزول الشيخ لا يستخدم ومنصوبه لا يعزل. اشتهر الشيخ علي بتعصبه الشديد للمذهب الشيعي وكان لا يركب الا ورجل في ركبه يجاهر بشعائر التشيع وقد أصدر إلى أنحاء إيران أوامر تتضمن قوانين

العدل وكيفية سلوك الولاة مع الرعية في أخذ الخراج وكميته ومقدار مدته وأمر بأن يقور في كل بلد وقرية امام يصلي بالناس ويعلمهم شرائه الدين انظر محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج٤١ بيروت ١٩٥٨ ص١٧٦- ١٧٨.

(١٢١) د. علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٦٠ وكذلك انظر كامل مصطفى الشيبي: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ص٤١٦.

(١٢٢) أصدر الكركي فتوى بوجوب صلاة الجمعة مع العلم ان الشيعة كانوا قد ابطلوها منذ زمن بعيد حيث اشترطوا بها وجود الامام والسلطان العادل وقد ذكر الكركي بأن العدالة متوافرة في حكم طهماسب عليه فيصح إقامة صلاة الجمعة في عهده.

(١٢٣) عالم اراي عباسي : اسكندر بيك تركمان ج١ تهران ١٣٥٠ ص١٢٢ وسرجان مالكم: تاريخ ايران، ج١ باب ١٤ ص١٦٨.

(١٢٤) عبد الحسين نوائي : شاه طهماسب صفوي ص١٧.

(١٢٥) يذكر بأنه خلف أحد عشر ولدا وبعد مماته كان تسعة منهم على قيد الحياة انظر حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٢٧.

(١٢٦) عباس برويز ، تاريخ دوهزار بانصد ساله إيران : از تشكيل صفوية تا عصر حاضر ص٧٧.

(١٢٧) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٢٧.

(١٢٨) يذكر القرماني (فلما مات شاه طهماسب أخذت بنته بري خانم أخيها حيدر ميرزا فقالت يا أخي ادخل إلى الخزانة وانظر إلى ما فيها فإن الملك لا يتم إلا بالمال وكانت قد دست فيها رجالا مسلحين فهجموا عليه فقتلوه وأخرجت جنازته مع جنازة أبيه طهماسب ثم ركبت هي واسماعيل من أب واحد وأم واحدة فعمدت إليه فأخرجته وفوضت الأمر إليه جميعا) انظر أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ بيروت ١٢٨٢ ص٣٤٥.

(١٢٩) عبد العزيز سلمان نوار المصدر السابق ص٥٣.

(١٣٠) يروى إنه عندما وصل مبعوث الشاه وجلاده علي قلي خان إلى شيراز وبيده أمر اعدام محمد ميرزا وابنائه من قبل الشاه اسماعيل الثاني التمس منه أعيان المدينة بحلول شهر رمضان المبارك ارجاء حكم اعدامهم إلى أول يوم من عيد الفطر وقبل علي خان ملتمسهم وفي ليلة العيد عندما كان مقررا ان يعدموا في صباحه وصل رسول من قزوين العاصمة ينعى موت اسماعيل الثاني وانتخاب محمد ميرزا خذا بنده شاها على إيران انظر حبيب

الله شاملوني المصدر السابق ص٢٢٨ وكذلك عبد الله رازي المصدر السابق ص٤١٨ - ٤١٩.

(١٣١) القرماني مصدر سابق ص ٣٤٥ .

(١٣٢) يقول شه مسي موحمه د نه سكندر : استعمل الشاه اسماعيل الثاني سياسة ملائمة مع أهل السنة والجماعة بهدف خلق جو من التفاهم بين الدولتين العثمانية والايرانية وامر بارجاع جميع الهاربين من السنة الى ايران واعتمد ذوي القابليات منهم مشاورين له في جميع المسائل التي تتعلق بتمشية أمور البلاد انظر ميزووي كورد له سه دده ي ١٦ هه مدا كوفاري كوري زانياري عيراق زمارة ١٦- ١٧ سالى ١٩٨٧ ص١٩٦.

(١٣٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص٣٠١.

(١٣٤) حسن بيرنيا ، وعباس اقبال : تاريخ إيران. مصدر سابق، ص٦٧٣.

(١٣٥) يذكر القرماني إنه توفي في الثالث عشر من رمضان سنة خمس وثمانون وتسعمئة مسموما لأنه كان يتعاطى اكل الترياق ويبالغ فيه وقيل هجم عليه خواص ملكه في صورة نساء فقتلوه، انظر أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، مصدر سابق، ص٣٤٥. وكذلك مرتضى راوندي، تاريخ اجتماعي ايران جـ٢، مصدر سابق. ص٢٩٢.

(١٣٦) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٢٩.

(١٣٧) شهد البلاط الصفوي منذ عهد اسماعيل الثاني ومحمد خدا بنده دورا مهما للحريم فقد اسهمن في ايصال من يردن ايصاله إلى الحكم وذلك عندما تآمرت بريخان خانم لقتل الشاه حيدر ميرزا والتمهيد لاعتلاء شقيقها اسماعيل الثاني العرش ويعزو بعض المورخين الموت المفاجئ لاسماعيل الثاني إلى مؤامرة بري خانم التي شعرت بتحديد اسماعيل الثاني صلاحياتها ومنعها من التدخل في شؤون الدولة فما كان منها إلا ان تشير إلى شاب من حاشية اسماعيل الثاني واسمه (حلواجي اوغلو) بدس السم في معجون حشيشته التي يتعاطاها فأدى ذلك إلى موت اسماعيل الثاني سنة ٩٨٥هـ. فكان لها نفوذ واسع في البلاط محمد خدا بنده على ان يأمر بقتلها غيلة سنة ١٥٧٩م فاسحا المجال لزوجته مهد عليا من التدخل السافر في أمور الدولة الصفوية في عهد زوجها الضعيف محمد خدا بنده. انظر حبيب الله شاملوني، مصدر سابق، ص٦٢٨-٦٢٩.

(١٣٨) مرتضى راوندي جـ٢ مصدر سابق ص٣٩٥ وكذلك بيكولوسكايا وآخرون، مصدر سابق ص٤٩٦.

(١٣٩) حبيب الله شاملوني، مصدر سابق، ص٦٣٠.

(١٤٠) حسن بيرنيا وعباس اقبال، مصدر سابق، ص٦٧٥.

(١٤١) حبيب الله شاملوني، مصدر سابق ص٦٣٢ ومرتضى راوندي جـ٢ مصدر سابق.

(١٤٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٤٣) Percy Sykes, A hitory of Persia, London ١٩٥٨ vol.٢ p.١٧٤-١٧٥.

(١٤٤) مرتضى راوندي جـ٢ مصدر سابق.

(١٤٥) بيلوسكايا وآخرون، مصدر سابق وكذلك ادوارد براون تاريخ ادبيات ايران از اغاز صفوية تازمان حاضر جـ٤ مصدر سابق ص٩٦-٤٠٨.

(١٤٦) عبد العزيز سليمان جـ١ مصدر سابق ص١٢.

(١٤٧) مرتضى راوندي جـ٢ مصدر سابق ص٢٩٧.

(١٤٨) David Morgan, Medievel Persia ١٠٤٠-١٧٩٧, London, ١٩٤٥, p.١٤٣.

(١٤٩) Hafez. F. Farmayan, he beginning of Modernization in Iran Utah, ١٩٦٩. PP:١٧-١٨.

(١٥٠) مرتضى راوندي جـ٢ مصدر سابق ص٢٩٧ وكذلك أحمد راسم، تاريخ عثماني جـ١ اسطنبول ١٣٢٨هـ ص٣٦٤- ٣١٥.

(١٥١) د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٦٧ .

(١٥٢) يعتقد ناصر محسني بأن الصفويين استعملوا سياسة الخشونة والقمع مع الاكراد مما أدى إلى ظهور ثورات وانتفاضات كردية ضد النظام الصفوي انظر جغرافياي طبيعي واقتصادي وتاريخي وسياسي كردستان تهران ١٣٢٧ خورشيدي ص٢٢- ٢٤.

(١٥٣) عبد الله رازي المصدر السابق ص٤٢١.

(١٥٤) انتهج الشاه عباس سياسة الشدة والعنف مع اكراد مكري انطلاقا من التعصب المذهبي المقيت ضد اكراد مكري فقد هاجم جيوش القزل باش بأمر من الشاه عباس على امارة برادوست بقيادة أمير خان يكدست وقد دافع القائد الكردي عن قلعته المعروفة بقلعة دم دم دفاع الأبطال الصناديد على الرغم من اندحاره ومقتله في هذا الدفاع البطولي لأجل التعرف على هذه الملحمة انظر اسكندر بيك تركمان عالم اراي عباسي ج٢ ص٧٠٠ – ٨١٤ اسكارمان: قلعة دم دم، ترجمة عزيز ابراهيم مها باد ١٩٤٨ ص١٦.

(١٥٥) ن. و. بيكلو لوسكايا وآخرون : تاريخ إيران ازدوران باستان تاباپان قرن هيجدهم ميلادي ص٥١٣.

(١٥٦) عباس برويز : تاريخ دو هزار بانصد ساله إيران ص٢٧.

(١٥٧) هما اخوان مغامران من أسرة نبيلة في سوشكس في انكلترا حيث حصل الاخ الأكبر انطوان سنة ١٥٩٧ على لقب فارس وفي سنة ١٥٩٩ وصل انطوان شيرلي واخوه يرافقهما ستة وعشرون شخصا إلى إيران من الرحلة وكانت رحلتهم بتوجيه من ايرل اسكس ولكن لم تحمل أية صفة رسمية بل كان الهدف من الرحلة هو مقابلة الشاه عباس الأول واقناعه بالاستعانة باوربا المسيحية في حروبه ضد الدولة العثمانية وان يرتب قيام التجارة الانجليزية على أسس متينة في الشرق انظر ج. ج. لوريمر دليل الخليج، ترجمة مكتب أمير قطر القسم التاريخي ج٦ الدوحة ب. ت. ص٢٣- ٢٤.

(١٥٨) Perter Avery: Modern Irani London ١٩٦٧ p. ١٧.

(١٥٩) الصوباشي : لقب حربي قديم شاع هذا اللقب في الاناضول منذ القرن الرابع عشر الميلادي وقد أصبح لقب الصوباشي أشهر الالقاب المستعملة في سلك الشرطة في الدولة العثمانية التي اقتبسته من السلاجقة الحاكمين في آسيا الصغرى وبكر صوباشي هذا هو قائد الشرطة في بغداد وعظم نفوذه منذ عام ١٦١٩ بعد ضربه بعض القبائل العراقية الثائرة ضد السلطة العثمانية في العراق انظر علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٠- ١٧٥٠ الموصل ١٩٨٥ ص٨.

(١٦٠) العزاب من الكلمة العربية الاعزب والعزاب أي الأشخاص غير المتزوجين Mucara وهم فرقة من مشاة قوات الحدود وكانت علامتهم ارتداء طاقية حمراء، وقوات العزاب هذه بمثابة قوات فدائية يتقدمون الانكشارية في أثناء الهجوم على العدو. انظر: شمس الدين سامي قاموس الاعلام، استانبول ١٣١٧ ص٩٣٥.

(١٦١) اسكندر بيك منشي : تاريخ عالم اراي عباسي، تهران ١٣٣٤ش، ج٣ ص٩١٦.

(١٦٢) السباهية : من (سباه) أي الجيش بالفارسية وتستعمل اسما للدولة وتطلق على فرد من أفراد الجيش أو الجندي، أما في المفهوم العثماني فهم الفرسان العسكريون الذين يمنحون مقاطعات زراعية يعيشون من ايرادها مقابل ما يقدمه الجند من خدمات أثناء الحرب.

(١٦٣) اسكندر بيك منشي : عالم اراي عباسي، مصدر سابق ص٩٨٧.

(١٦٤) د. خليل علي مراد : تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٦٣٨- ١٧٥٠ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧٥ ص٨.

(١٦٥) عباس بن السيد جواد البغدادي : نيل المراد في أحوال العراق وبغداد مخطـوط دار صـدام للمخطوطات رقم ٣٩٩١٥ ورقة ٢٦.

(١٦٦) علي ظريف الأعظمي : تاريخ الدولة الفارسية في العراق، بغداد ١٩٢٧ ص١٠٨.

(١٦٧) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج٤ ص١٧٧ وكذلك لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٧٧.

(١٦٨) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج٤ ص١٧٨- ١٧٩ عبد العزيز سلمان نوار، جـ١ المصدر السابق ص٥٩.

(١٦٩) عبد الرزاق الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث ج١ بيروت ١٩٨٣ ص٣٩- ٤٠.

(١٧٠) يضيف لنا مرتضى افندي نظمي زادة على لسان والده الأوضاع داخل بغداد سـاعة دخـول الصفويين لها بقوله من سلم من القتل لم يسلم من التعذيب انظر كلشـن حلفـا، ترجمـة موسى كاظم نورس النجف ١٩٧١ ص٢٢٠.

(١٧١) د. علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٧٠ وكذلك لونكريـك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٧٩.

(١٧٢) جعفر محبوبه : ماضي النجف وحاضرة النجف ١٩٥٨ ص١٩٣.

(١٧٣) اسكندر بيك تركمان : تاريخ عالم اراي عباسي ج٢ ص٦١٠- ٦١١.

(١٧٤) عبد العزيز سلمان نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٧٧.

(١٧٥) Lochart . op. Cit p ٤١٤ .

(١٧٦) سليم واكيم إيران والعرب بيروت ١٩٦٧ ص١٥٧ – ١٥٨.

(١٧٧) علي الوردي : لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ج١ ص٦٧، أصدر الشاه عبـاس الأول أوامره المشددة بضرورة احترام التجار وعدم التعرض لقوافلـهم إذ الـزم المـدن بتعويض أي تاجر تسرق بضاعته وجهز الحكام بقوات لمطاردة قطاع الطرق وفـي حـال تقاعسهم وفشلهم فإنه كان يحملهم المسؤولية وحول قوانين الشاه عباس ذكـر المـؤرخ الإيراني باستاني باريزي بأنه استمدها من شريعة حمورابي العراقية.

(١٧٨) صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات عن ايران، بيروت ١٩٦٠ ص٧٩-٨٠.

(١٧٩) د. علي شريعتي : تشيع علوي وتشيع صفوي، مصدر سابق، ص٥٧ – ٥٨.

(١٨٠) يذكر الدكتور علي الوردي بأن الشاه اسماعيل اتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسـيلة لامتحـان الايرانيين فمن يسمع السب منهم يجب عليه ان يهتف قائلا: بيش بادكم واظن ان الصحيح هو كم نباد وهذه العبارة تعني باللغة الفارسية الاذربيجانية والاصح (الفارسية) ان السـلمع

يوافق على السب ويطالب بالمزيد منه أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالا وقد أمر الشاه بأن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذرا المعاندين بقطع رقابهم انظر لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ مصدر سابق ص٥٨.

(١٨١) يعلق الدكتور علي شريعتي على هذا التحالف: لقد كانت الحرب بين الدولة العثمانية والدول الغربية المسيحية هي في الواقع حرب الإسلام مع المسيحية ولكننا نحن الايرانيين غيرنا الموقف الحربي والسياسي بتحالفنا مع العالم المسيحي لهجومنا المباغت على الجيوش العثمانية من الخلف تشيع علوي وتشيع صفوي. ص٥٢- ٥٣.

(١٨٢) عبد العزيز سلمان نوار المصدر السابق ص٦٦- ٦٧.

(١٨٣) يذكر حبيب الله شاملوني : ان انتوني شيرلي لم يرجع إلى إيران حيث اختلف مع مبعوث الشاه حسين قلي بيات عند وصولهما إلى روما على من منهما يمثلان الشاه عباس امام المسؤولين في روما واشتد الخلاف بينهما إلى القطيعة فاستولى انتوني شيرلي على الهدايا -المرسلة من قبل الشاه إلى ملوك الدول الاوربية والتجأ إلى اسبانيا وأصبح مقيما فيها انظر تاريخ إيران ازماد تابهلوي، مصدر سابق ص١٣٩.

(١٨٤) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٤٩.

(١٨٥) حسن بيرنيا وعباس اقبال مصدر سابق ص٦٩١ ذكره حبيب الله شاملوني (خدا بنده ميرزا) انظر تاريخ إيران ازماد تابهلوي ص٦٤٩.

(١٨٦) دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها ص ٩٠.

(١٨٧) ن. و. بيكلو لوسكايا وآخرون : تاريخ إيران از دوران باستان تاپايان سده هيجدهم ميلادي. مصدر سابق ص٥٢٤.

(١٨٨) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٦٥٠ وكذلك علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص٨٩.

(١٨٩) يقول لكهارت في هذا الصدد: لقد عمل الشاه عباس على وضع ولي عهده واخوته داخل جدران القصر وبين الحريم فلم يكن في مقدورهم رؤية الناس عدا النساء ولهذا فقد ظلوا بعيدين عن التعليم والاهتمامات الثقافية وفنون القتال والفروسية الأمر الذي صيرهم العوبة في أيدي رجالات البلاط وما ان يتولى ولي العهد أمور السلطة حتى تجده لا يعرف شيئا عن الدولة وكان الشاه صفي انموذجا واضحا لهذه النماذج الشاهية وللدلالة على هذه الحقيقة فقد اعدم الشاه صفي القائد امام قولي خان المعروف بشجاعته النادرة في اخراج البرتغاليين

المحتلين لجزيرة هرمز وابنائه الثلاثة في مدينة اصفهان وهذا دليل واضح على جهل الشاه بأسلوب الحكمة ومصلحة وكذلك بلده. انظر حبيب الله شاملونى المصدر السابق ص٦٥٣. وكذلك نكهارت نادرشاد ترجمة خسرو الجاف بغداد ٢٠٠٤ ص٦.

(١٩٠) حبيب الله شاملونى المصدر السابق ص٦٥٠.

(١٩١) سرجان مالكم المصدر السابق ج١ ص ١٨٧ - ١٩٠.

(١٩٢) لونكريك المصدر السابق ص٩٥ على شاكر علي تاريخ العراق في العهد العثمانى ص٦٤.

(١٩٣) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق ص٩٦.

(١٩٤) نظمي زادد مرتضى : كلشن خلفا . ص ٢٣٣ .

(١٩٥) تختلف المصادر في كيفية احتلال بغداد فالمصادر الفارسية تؤكد حدوث خلافات بين القواد الايرانيين داخل بغداد لاسيما بين بكتاش خان وخلف بيك ونقدي خان وعلي يار ومير فتاح ولما لم يصل بكتاش خان إلى وضع حد لهذه الخلافات قرر تسليم نفسه إلى السلطان مراد الرابع انظر محمد يوسف ذيل تاريخ عالم اراي عباسي تهران ١٣١٧ش ص٢١٧.

(١٩٦) ميرزا حسين فسائي : تاريخ فارسنامة ناصري تهران ١٣١٤هـ ص١٤٧.

(١٩٧) انظر حاشية لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٩٧.

(١٩٨) انظر علي شاكر علي : تاريخ العراق في العهد العثماني ص٦٩- ٧٠. لقد تضاربت المصادر في تحديد عدد قتلى الفرس فياسين العمري يحدد العدد بنحو عشرين ألف أما جبرائيل أصفر حنوش فيوصل العدد إلى خمسين ألف ومثله المجتبي وتبالغ المصادر العثمانية كثيرا في تقدير عدد القتلى فكاتب جلبي يجعل العدد ثلاثين ألف ومثله عبد العزيز قره جلبي أما منجم باشي فقدره بـ تسعة وعشرين ألف من مجموع ثلاثين ألف.

(١٩٩) عباس برويز : تاريخ دو هزار بانصد ساله إيران از تشكيل سلسلة صفوية تا عصر حاضر ص٣٠.

(٢٠٠) حسن بيرنيا وعباس اقبال : تاريخ إيران ص ٩٦٥ .

(٢٠١) المصدر نفسه ، ص ٩٦٩ .

(٢٠٢) مالكم : تاريخ إيران ص ١٩٠ .

(٢٠٣) د. عبد الله رازي ، المصدر السابق ص٤٢٧.

(٢٠٤) د. عبد الله رازي ، المصدر السابق ص ٤٢٧.

(٢٠٥) مالكم : تاريخ إيران ص ١٩١ .

(٢٠٦) حسن بيرنيا وعباس اقبال : تاريخ إيران ، ص ٦٩٨.

(٢٠٧) المصدر نفسه ، ص ٦٩٩ .

(٢٠٨) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، مصدر سابق ص ٥٠٥.

(٢٠٩) حبيب الله شاملونى مصدر سابق ص ٦٥٦.

(٢١٠) ذكر حسن بيرنيا و عباس اقبال اسمه مرتضى ميرزا انظر تاريخ ايران ص ٧٠١.

(٢١١) مالكم : تاريخ إيران ج١ ص ١٩٤ .

(٢١٢) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص ٦٥٧.

(٢١٣) د. عبد الله رازي المصدر السابق ص ٤٢٩.

(٢١٤) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص ٤٣٠.

(٢١٥) انظر محمد هاشم : رستم التواريخ المعروف برستم الحكماء. تصحيح محمد مشيري تهران. ١٣٥٢ ص٧٠- ٧٦.

(٢١٦) علي شريعتي ، تشيع علوي وتشيع صفوي ص ٥٢ – ٥٥.

(٢١٧) د. علي الوردي : لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ج١ ص٩٩.

(٢١٨) د. عبد الله رازي المصدر السابق ص٤٣٠.

(٢١٩) الشيخ رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس. بيروت ب ت ص ١٩.

(٢٢٠) عبد الله رازي ، المصدر السابق ص ٤٣٠.

(٢٢١) عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ص٩٠ وكذلك
Percy Sykes : History of Persia , vol. ٢ London ١٩٥٨ p ٢٣.

(٢٢٢) مرتضى راوندي المصدر السابق ج٢ ص ٤٣١. ليكهارت. الترجمة العربية مصدر سابق ص١١-١٢.

(٢٢٣) شيخ رسول الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٧.

(٢٢٤) د. علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص ١٠١.

(٢٢٥) مرتضى راوندي المصدر السابق ج٢ ص ٤٣٢.

(٢٢٦) عبد العزيز سليمان نوار المصدر السابق ج١ وعبد الله رازي المصدر السابق ص٩٦.

(٢٢٧) عبد العزيز سليمان نوار : المصدر السابق ج١ ص٩٩.

(٢٢٨) مرتضى راوندي المصدر السابق ج٢ ص٤٣٢- ٤٣٣ وكذلك سركيس كيلاننتز : سقوط اصفهان. ترجمة محمد مهريار بلا ص٧٦.

(٢٢٩) حبيب الله شاملونى المصدر السابق ص ٦٧٠.

(٢٣٠) د. علي الوردي ج١ المصدر السابق ص ١٠١.

(٢٣١) يذكر أحمد كسروي واصفا حال الايرانيين في عهد استيلاء الافغان على بلادهم بأنه إذا استثنينا ما آلت إليه حال الايرانيين من كوارث ومآسي في عهد الغزو المغولي لم ير تاريخ إيران وضعا سيئا ومفجعا مثل ما آل إليه وضعهم أثناء استيلاء الافغان على إيران انظر تاريخ بانصد ساله خوزستان تهران ١٣١٢ ص١٢٥.

(٢٣٢) Lavernce Lockhart : The fall of the Safavi Dynyasty- combridge ١٩٥٨ p ٢٠٧- ٢١١.

(٢٣٣) رسول الكركوكلي : دوحة الوزراء ص١٨٠ وكذلك عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء تحقيق صفاء خلوصي ج١ بغداد ١٩٦٢ ص١١١.

(٢٣٤) د. علي الوردي ، المصدر السابق ص ١٠٥.

(٢٣٥) Percysykes : A history of Persia London ١٩٥٨ vol. ٢ p. ٢٣٩.

(٢٣٦) د. علي الوردي ، المصدر السابق ج١ ص ١٠٧.

(٢٣٧) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج٥ ص٢١٧- ٢١٩.

(٢٣٨) د. علي الوردي ، المصدر السابق ص ١٠٨.

(٢٣٩) رسول الكركوكلي : دوحة الوزراء ص٢٢- ٢٣.

(٢٤٠) لونكريك ، المصدر السابق ص ٦٣٢.

(٢٤١) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص ٦٧٤ وكذلك علي الوردي المصدر السابق ج١ ص١٠٩.

(٢٤٢) كان من بين الهدايا فيل مدرب عليه سرير في شكل قبة ويجلس على رأسه ثلاثة رجال انظر عباس العزاوي مصدر سابق ج٥ ص٢٢٢.

- د. علي الوردي : لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ج١ ص٥٩ وكذلك دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. بغداد ١٩٦٥ الفصل التاسع.

الفصل الثاني
ظهور نادر شاه مؤسس الدولة الافشارية

بدايات حياته وشخصيته:

ولد نادر شاه في مدينة دستكرد من خراسان سنة ١١٠٠ للـهجرة ١٦٨٨م[١]، وكان ينتمي إلى عائلة فقيرة تمتهن حرفة الرعي والدباغـة[٢]، فقد ارجع أكثر المؤرخين أصله إلى طائفة عشيرة أفشار التركمانية المعروفة بـ((قرخلو، قرقلـو)) كركلو[٣] وكانت هذه القبيلة جزءا من "عساكر اوغوز خان" وقد تركت وطنها الأصلي تركستان خوفا من الغزو المغولي، واتجهت صوب أذربيجان في البداية أجبرها شاه إسماعيل الصفوي على ترك أذربيجان والاستقرار في شمالي خراسان في منطقة ((ابيورد)). [٤] ليست هناك معلومات مهمة عن والده (امام قلي بيك) عدا كونه فقيرا مغمورا ويقول البعض إنه كان راعيا أو خياطا للفـروات أو راعيا للجمال وعن السنوات الأولى من حياة نادر شاه ليست هناك معلومات عنها لا في المصادر الاوربية ولا الايرانية والمعروف إنه كان يتنقل مع والده بين (كبكان) و(درةخر) وحين شب على الطوق راح يساعده في أمور الحياة.

عاش نادر شاه في شظف من العيش في بداية حياته، فعندما كان عمره لا يتجاوز الثامنة عشرة قبض عليه وعلى والدته الاوزبكيون في إحدى حملاتهم الاجتياحية لخراسان ونقلوهما إلى خيوه، فماتت والدته في الأسر بعد أربع سنوات هناك أما هو فقد تمكن من الهرب والرجوع إلى خراسان والإلتحاق بعشيرته الأفشاريين، فأبدى شجاعة لا مثيل لها في المنازعات والصراعات الدائرة بين أبناء عشيرته وعشائر أخرى في المنطقة من التركمان والكرد والاوزبكيين والتتار، فدخل في الحياة العسكرية منذ ان أصبح عمره خمسة وعشرين عاما، وكان قد أبدى شجاعة "فائقة" في الدفاع عن ثغور وارض خراسان أمام هجوم قبائل الاوزبك فذاع صيت شجاعته واقدامه[٥].

ولا يسع المجال هنا أن نتحدث بإسهاب عن سيرة هذا الرجل الذي يصفه المؤرخون بأنه كان قوي البنية طموحا شجاعا بارزا في الميدان العسكري[٦].

بدأ حياته العسكرية بانضمامه إلى عساكر حاكم ابيورد المدعو بابا علي بك الذي أسدى له نادر خدمات كبيرة فقرر الحاكم تزويجه إحدى بناته المسماة ناز دار خانم له[٧] وقد قطع نادر على نفسه بعد أن آلت إليه الأمور في حكم ابيورد بأن يستعجل الوصول إلى حكم المنطقة بأسرها وتخلص بادئ الأمر من صهره بابا علي بك بالسم[٨] ولم يكن حكم أبيورد بمثابة نهاية مطاف طموحات نادر بل كان يتطلع إلى حكم خراسان كلها وكان يحكمها حينذاك محمود السبيستاني حاكم خراسان فاصطدم به ولكن لم يتمكن من الصمود إمام قوات محمود في بادئ الأمر فاضطر إلى أن يجمع حوله عدداً كبيراً من عشائر ألافشار التركمانية وأكراد قوجان ويتحول إلى قاطع طريق مهدداً أمن المنطقة بعد إن سيطر على قلعة كلات المنيعة التي انتزعها من سيطرة عمه بعد قتله[٩] وقد عرفت هذه القلعة فيما بعد باسم قلعة نادري نسبة أليه وجعلها مركزاً لعملياته بعد أن تجمع حوله المستاؤون والمنشقون على أمراء المنطقة وحكامها جميعهم واصبح نادر في مركز مكنه من المشاركة في الصراع الدائر بسبب الحروب الداخلية منذ عام ١١٢٥ هجري ١٧٢٢م في (إيران)

بدأ نادر يوسع دائرة نفوذه بسرعة فائقة ويتجه إلى فتح نيسابور وبالفعل تم له ذلك ولكن قبل دخولها وضمن مناورات سياسية ذكية. أعلن بأنه لم يفتحها لنفسه بل فتحها لأجل الشاه طهماسب الثاني بن السلطان حسين الصفوي الحاكم والوريث الشرعي، وكان نادر على بينه من قيمة ومنزلة الحكم الشرعي الوراثي لدى الإيرانيين وفي عام ١١٤٠-١٧٢٧ كان وراء نادر خمسة آلاف محارب من الافشار والكرد لنصرة المدعي بالعرش الصفوي[١٠] وقد استهدف من إعلانه هذا سهولة السيطرة على طهماسب الضعيف وتيسير الأمور وحصرها بيده.

ولكي نعطي صورة مختصرة عن ضعف السلاطين الصفويين الذين جاءوا إلى الحكم بعد شاه عباس الكبير لابد أن نشير مرة أخرى إلى السياسة الخاطئة التي اتبعها شاه عباس الأول مع أبنائه وأحفاده حيث أجبرهم على العيش في الحريم والنشوء على حياة اللهو والخنوع والدلال والابتعاد عن السياسة وأمور الدولة والبلاد مما جعل إيران تفتقر إلى شخصيات قوية من الأسرة المالكة الصفوية لتمكنهم من تسيير دفة سياسة البلاد وحفظها من إطماع الطامعين من أعدائها- آنذاك- العثمانيين والروس والأفغان والاوزبك. لذا نرى ظهور شاه سلطان حسين الصفوي بداية لنهاية السلالة الصفوية، فيذكر لكهارت بأن شاه سلطان حسين عندما كانت

اصفهان محاصرة" من قبل محمود خان ألافغاني أراد أن يستنجد بحكام الولايات الإيرانية لإنقاذ أصفهان من الأفغانيين، فطلب ابنه الأكبر محمود ميرزا وجعله ولي للعهد"، وأمره الذهاب سرا إلى أذربيجان لجمع الأنصار والمقاتلين لاستخلاص إيوان وأبعادها من هذه المحنة التي أثارها الأفغانيون. وعندما طلب من محمود ميرزا التهيؤ للرحيل وتنفيذ المهمة الموكلة إليه هاله الأمر وتملكه خوف شديد ولاذ بالحريم ومهما حاولوا إقناعه بالخروج لم يتمكنوا. وكذلك الأمر مع أخيه صفي ميرزا الذي التحق هو بالحريم كأخيه الكبير، ولم يبد استعدادا للخروج منه. وأخيرا كلف الشاه مع أمراء البلاط طهماسب ميرزا ابن الثالث لشاه سلطان حسين بالمهمة فوافق على تنفيذها فكانت أرادته أقوى من باقي إخوانه الأخرين. وترك اصفهان سرا من عام ١١٣٤ هجري ١٧٢٢م على رأس ألفي فارس من أهالي تبريز ونجح في الوصول إلى قزوين لكنه لم يقم بعمل يذكر لإنقاذ والده والعاصمة من الكارثة التي كانت تنتظره[١١]. وفعلا دخل الأفغان العاصمة واجبر الشاه على التخلي عن السلطة، ووضع سلطان حسين تاج إيران بيده على رأس محمود الأفغاني، انتهز نادر قلي الفوضى التي اجتاحت إيران بعد سقوط العاصمة، وبدأ بتنفيذ مخططاته فأعلن انقياده التام لطهماسب ميرزا كشاه لإيران، ووضع طهماسب ثقته في نادر وسلمه قيادة جيشه ومنحه لقب "طهماسب قلي" أي غلام طهماسب[١٢] ويبدو ان سياسة نادر قلي كانت تسير على اتجاهين في تلك المرحلة الزمنية هما:-

١- أن يتوسع في الأقاليم الشمالية باسم شاه طهماسب الصفوي ويعمل على تحريرها من الأفغان.

٢- أن يحتفظ لنفسه باليد العليا في التحرك السياسي والعسكري [١٣]

وقبل ان يستولي نادر على مشهد والانتصار على محمود السيستاني في ٢١ محرم ١١٣٩ هجري أيلول ١٧٢٦ ميلادي في مشهد تخلص من غريمه القوي الذي كان ينافسه في الحظوة والنفوذ لدى طهماسب ميرزا فتح علي خان القاجاري واتهمه بالخيانة والتواطؤ مع محمود السيستاني. حيث قتله بالحيلة والغدر[١٤] وصفا له الجو بعد ذلك فسيطر على مقاليد الأمور فقد أدى استيلاء نادر على مشهد إلى تعاظم مكانته لدى طهماسب ميرزا. وأصبح من القدرة بمكان لكي يمكنه من منافسة اشرف الأفغاني الذي جاء بعد موت محمود الأفغاني إلى حكم إيران. وكان اشرف على علم بنفوذ نادر. وان الإيرانيين سينضمون تحت لواء تحالف نادر وطهماسب ميرزا لكون

طهماسب ميرزا هو الوريث الشرعي لحكم إيران، فأسرع اشرف إلى خراسان لكي يقضي على قوات نادر وطهماسب ويضرب ضربته الساحقة قبل أن تتجمع حولها قوات كبيرة، أدرك نادر بنظره الثاقب أن المعركة القادمة ضد اشرف الأفغاني هي المعركة الفاصلة بين الأسرتين الحاكمتين المتنافستين الصفوية والأفغانية، وأعد لهذه المعركة ما يستطيع من قوة وعند دامغان دارت المعركة الفاصلة التي عرفت بمعركة "مهماندوست" التي أصبحت كارثة على الأفغانيين ولم تقم قائمة لهم بعدها منذ عام ١١٤٢ هجري- ١٧٢٩م وأسفرت تلك المعركة عن اندحار الأفغانيين، شر اندحار وهرب اشرف مع فلول قواته المنهزمة صوب اصفهان ودخل المدينة وقام بمجزرة مروعة أدت إلى مقتل شاه سلطان حسين واتباعه المخلصين عن بكرة أبيهم[١٥]. وعندما علم نادر شاه بذلك توجه إلى اصفهان وبعد الانتصار على فلول قوات اشرف في منطقة مورجه خورت قرب اصفهان وحاصر نادر اصفهان من جميع الجوانب فتمكن من دخولها مع طهماسب ميرزا منتصرا وهرب اشرف حيث فر أمام القوات الإيرانية، وأخيرا قتل اشرف على يد قبيلة بلوش عندما كان يمر في طريقه إلى قندهار وارسل رأسه إلى طهماسب ميرزا عام ١١٤٢هجري- ١٧٣٠م[١٦] وبذلك انتهت سيطرة الأفغان على إيران إلى الأبد.

وكان على نادر بعد ذلك أن يواجه القوى الأخرى التي كانت لا تزال تحتل أجزاء مهمة من أرض إيران، وهي الدولة العثمانية وروسيا القيصرية والقوات العثمانية التي دخلت إيران في عهد الوالي حسن باشا وابنه أحمد باشا[١٧] غربي إيران، ودخلا قوات أحمد باشا بعد وفات والده في همدان عام ١٧٢٤م وانتهى القتال في حينه بهدنة كانت من شروطها ان تكون همدان ولاية عثمانية وان يذكر اسم السلطان العثماني في الصلاة العامة فلم يقبل نادر قلي بهذه الشروط التي عدها عارا على تاريخ إيران فتقدم بقواته واشتبك مع الجيوش العثمانية المستولية على همدان في ربيع عام ١١٤٣ هجري- ١٧٣٠م واضطر القائد العثماني عثمان باشا أن يتقهقر أمام الجيوش الإيرانية منضما إلى قوات تيمور باشا أحد القواد المعروفين في الجيش العثماني.

واثر المعركة بين الإيرانيين والعثمانيين اندحرت القوات العثمانية وقتل القائدان العثمانيان المذكوران[١٨] في ساحة المعركة واستولى الإيرانيون على المدافع والاعتدة المختلفة التي تركها العثمانيون ودخل نادر همدان منتصرا دون ان يلقى

مقاومة تذكر، واستقبله الأهالي بفرح وسرور كبيرين وقتئذ انسحبت فلول الحاميات العثمانية إلى كرمانشاد بعد أن خسرت جميع معداتها.

ثم عبرت الحدود القديمة من زهاو وخانقين، وعندما وصلت أخبار اندحار الجيش العثماني إلى الباب العالي أعلن السلطان أحمد الثالث الحرب على نادر وأوكل تنفيذ هذه المهمة إلى والي بغداد. فزحف أحمد باشا بقواته على جناح السرعة من زهاو وجعلها قاعدة لقواته وتحشداته. وتقدم إلى كرمنشاد فاستعادها من دون حرب كما رجعت أمارة اردلان الكردية إلى حوزة الولاء العثماني. واستمر أحمد باشا في زحفه حتى وصلت قواته مشارف همدان، وكان نادر يومئذ بعيدا عن المنطقة منشغلا بمحاربة الأفغانيين في خراسان. حرض أعوان وحاشية طهماسب ميرزا الذي كانوا ينظرون إلى انتصارات نادر بعين الحسد والغيرة والحقد، طهماسب للخروج إلى مقاتلة العثمانيين زاعمين سهولة ذلك والانتصار المؤزر. وبهذا سوف يثبت شخصيته أمام غريمه نادر، ويبين للجميع بأنه كفوء لتاج إيران. فاستهوت هذه النصائح نفس طهماسب الضعيفة، فتحرك على رأس قوة من جيشه للقاء العثمانيين بقيادة أحمد باشا. ودارت معركة عنيفة بين الطرفين في ١٦ من أيلول ١٧٣١-١١٤٤ هجري قرب همدان في مكان يعرف بـ(كودخان) على بعد مسيرة يوم واحد من همدان واندحر طهماسب وقواته فيها شر اندحار ونجا طهماسب من المهلكة بأعجوبة، وغنم العثمانيون جميع معداته ومدافعه وفر منهزما صوب اصفهان. وخسر جميع المناطق التي ربحها نادر في حروبه السابقة مع العثمانيين[١٩] فاستولى العثمانيون على جميع الأراضي الإيرانية التي استردها نادر منهم حيث استولى أحمد باشا على همدان وابهر، كما استولى قائد عثماني آخر يدعى علي باشا على مراغة وتبريز واستولت قوة عثمانية أخرى في الجنوب على الاهواز. عندما رأى طهماسب ميرزا وهو في صحارى قم وكاشان أن متصرف اماسيه سليم باشا وتحت أمرته ثمانية آلاف فارس قد أخذ طريقه نحو إيران وراح يستولي على ما يصادفه من قرى ومواقع وبلاد ثم هناك الجيش الذي تحرك من ماردين بقيادة صادق اغا واقترابه من بلدة اصفهان بعدما احتل الامكنة التي مر بها فضلا عن الخوف الذي استحوذ عليه من سرعة تقدم هذه الجيوش في أمكنة مختلفة وملاحقته من مكان إلى مكان آخر وأخيرا وبعد هروبه من ولاية قم لجأ إلى طهران وهناك عقد طهماسب ميرزا مجلسا مع اتباعه ومشاوريه وبعد الأخذ والرد تقدم بطلب الصلح بكتاب أرسله مع أحد الوجهاء وهو

المدعو محمد باقرخان وبصحبته أحد رجال الدولة الصفوية المدعو قورجي باشي محمد رضا قلي خان[٢٠] وبعد عرض الأمر على الدولة العثمانية تم الاتفاق على الصلح فقدم طهماسب تنازلات كبيرة للدولة العثمانية على أساس التنازل عن جورجيا وأرمينيا بحسب صلح عام ١١٤٥ هجري- ١٧٣٤م والتي كانت أهم بنودها:

١. تنازلت إيران عن كنجه وتفليس واريفان ونخجوان وكرجستان وشيروان وداغستان وهمدان وكردستان وقسم من كرمنشاد للدولة العثمانية.

٢. تسهيل التجارة وتبادل السفارات بين كل من الدولتين. ولم تنص المعاهدة على بند لاطلاق سراح الأسرى الإيرانيين [٢١]

فلما رجع نادر من حرب الافاغنة (الأفغانيين) منتصرا وسمع بهذا الصلح المشين المهين[٢٢] تملكه الغضب فبعث إلى طهماسب ميرزا رسولا يوبخه على قبول هذه المعاهدة الذليلة كما وأرسل المنشورات والرسائل إلى جميع حكام الولايات الإيرانية يعلمهم فيها بأنه لا يرضى لبلاده الموافقة على مثل هذا الصلح الذي يمس بكرامة الإيرانيين، وأنه عازم على محاربة العثمانيين وإجبارهم على صلح جديد وبشروط مشرفة لإيران. فاهاج برسائله ومنشوراته هذه خواطر وحماس الإيرانيين فظهر وبدى له بأنه اقترب من الساعة التي يمكنه الإطاحة بطهماسب ميرزا والإعلان عن نفسه شاها على إيران. فتقدم نادر إلى اصفهان، وعامل طهماسب في بداية الأمر باللين وتظاهر بالعفو عما فات ودعا طهماسب ميرزا إلى وليمة في حديقة قصرد فلبى طهماسب دعوته، واستمرت الحفلات ثلاثة أيام بلياليها وقدم ما طاب له من الشراب والمأكولات، وافرط طهماسب في الشرب وسكر حتى الثمالة. وبدت منه أعمالا لا تليق بمركزد بوصفه شاها لإيران وحينئذ جمع نادر رؤساء القزل باش والأعيان وقواد الجيش وأعلن للجميع عدم كفاءة وملاءمة طهماسب ميرزا لقيادة دفة البلاد الايرانية. فقرر الجميع خلعه وولوا مكانه ابنه عباس ميرزا وهو حينئذ طفل صغير[٢٣] وأمر بارسال طهماسب ميرزا وحاشيته مخفورا إلى مشهد. ولم يعلن نادر نفسه شاها على إيران خوفا من اتهامه باغتصاب الحكم الشرعي من الوريث لإيران طهماسب ميرزا لأن الأفكار في تلك المرحلة الزمنية، لم تكن مستعدة لقبول هذا التغيير، فامر نادر بتتويج الطفل عباس الثالث في ١٤ ربيع الأول عام ١١٤٥ هجري ٤ أيلول ١٧٣٢م شاها على ايران إذ جلبود مع مهدد إلى ديوان العرش وقام نادر نفسه بوضع سيف السلطة بجانب مهدد وأهدى التاج إليه واستمرت افراح

التتويج مدة سبعة أيام. واعلن نفسه وصيا على الشاه الجديد، واتخذ لقب نائب الشاه أو وكيل الشاه وبهذا خطا خطوة كبيرة نحو العرش(٢٤) وبعد ذلك ارسل عباس الثالث إلى قزوين. وبعد فراغه من هذه الأعمال قضى على تمرد العشائر الزندية جنوبي إيران بإرسال حملة بقيادة قائده بابا خان جابشلو الذي تمكن بالخدعة والغدر الإيقاع بمهدي خان الزندي وقتل رهطا كثيراً من الزنديين(٢٥) وبعدها استعد للزحف على العراق والدخول في حرب مع العثمانيين. وقبل زحفه على العراق أرسل إلى أحمد باشا والي بغداد كتاباً يتوعده وينذره بأنه زاحف نحو بغداد ليضمها حيث قال ليكن معلوماً أننا نطالب بزيارة قبور الائمة علي والحسين والعباس وموسى الكاظم، ونطالب بجميع الإيرانيين الذين اسروا في الحرب الأخيرة، ونحن سائرون على رأس جيشنا المظفر لنتنسم هواء سهول بغداد العليل ونستريح في ظل أسوارها(٢٦) وعندما علم أحمد باشا والي بغداد بنوايا نادر شاه احتل ممرات الحدود في درنه ومندلي وبدرة، وعزز حامياته في زهاو وقصر شيرين هذا زيادة على إصلاحه مراكز الدفاع ومخازن الحبوب في بغداد كما وقد أشعر السلطان العثماني بدنو الخطر الإيراني،

تحشدت قوات نادر شاه في همدان وتجمع لديه قوة تقدر بمئة ألف مقاتل فسار بهذه القوات إلى كرمنشاه ودخلها بسهولة لأن حاميتها لم تقو على الصمود(٢٧) وبعد ان ترك مدافعه الثقيلة وامتعته في ماهي دشت ((مايدشت)) تقدم صوب زهاو وتمكن بسهولة تدمير قوات أحمد باشا باجلان الكردي وتسخير قلعته المحكمة في زهاو وبعد هذا الانتصار عبرت قواته الحدود العراقية وانضم إلى قواته لطف علي بك نائب حكومة أذربيجان، ودخلت القوات الإيرانية إلى قلاجولان قرب السليمانية الحالية(٢٨) وارسل قسما من جيوشه لاحتلال كركوك والموصل بهدف قطع اتصالها ببغداد ودخلت القوات الايرانية طوز خورماتو، وعاثت بقرى كركوك فسادا وأخفقت القوات النادرية في احتلال قلعة كركوك، وكذلك تمكن حسين باشا الجليلي من صد طلائع القوات النادرية التي أرسلها نادر لاستكشاف أمر الموصل فانضمت تلك القوة بعد انسحابها إلى الجيش التي أوكلت إليها مهمة فتح جنوبي العراق أما القوة الرئيسة لجيش إيران بقيادة نادر قلي واصلت زحفها نحو بغداد وسارت القوات النادرية نحو شهربان وخاضت معركة ضد الاتراك هناك ومزقت قواتهم التي كان عددها يبلغ ١٢ ألف مقاتل وفرقت صفوفها وفي اليوم التالي من تلك المعركة تحرك بقواته نحو مدينة بغداد. وفي أواخر رجب ١١٤٥ هجري- ١٧٣٢م بدأ نادر قلي بفرض حصاره على

الجانب الشرقي من بغداد واستعان بمهندس أوربي كان يرافقه في حملته لإنشاء جسر عائم من جذوع النخيل على بعد عدة أميال في شمال بغداد. وذلك لتمكين القوات الإيرانية من العبور إلى الجانب الغربي من نهر دجلة[٢٩] وحينها أمر أحمد باشا سكان جانب الكرخ بالانسحاب العام إلى الجانب الشرقي ليكونوا في حماية أسوارها المنيعة. وفي أثناء ذلك قامت ارتال من القوات الإيرانية باحتلال سامراء والحلة وكربلاء والنجف والديوانية. وعلى الرغم من الضيق الذي أصبح عليه السكان في بغداد بسبب الحصار الشديد الذي فرضه عليه نادر قلي حيث أخذت ويلات المجاعة تأخذ شكلا مروعا. فانهم اصروا على المقاومة

ووصلت الحال باهالي بغداد إلى أن أكلوا لحوم الحمير والكلاب والقطط. وقد بلغت الحال كما يصفها السويدي وهو أقرب المصادر واكثرها صحة لأنه عاصر الأحداث حيث شاهد جماعة من السكان يصطادون الكلاب في الأزقة ويأكلونها وهجم السكان على طعام الوالي وأكلوه مما جعل الوالي يبكي لحالهم ويروي السويدي أيضا إنه خلال خروجه من مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني بعد انقضاء صلاة الجمعة متجها نحو منزله شاهد امرأة ذات جمال وهي منكبة على جيفة حمار وبيدها سكين تقطع منه وتضعه في حجرها ولما سألها عن السبب قالت أنها منذ خمسة أيام لم يدخل في جوفها شيء عدا الماء[٣٠] ولكن أهل بغداد بقيادة أحمد باشا أبوا الاستسلام لنادر قلي[٣١] وفي اليوم السادس من الصفر عام ١١٥٦ هجري- ١٩ تموز ١٧٣٣ وصلت القوات العثمانية بقيادة طوبال عثمان باشا[٣٢] لإنقاذ بغداد من حصار الإيرانيين. ووقعت معركة شديدة بين الطرفين قرب بلد واستمرت تسع ساعات متواصلة وانتهت بهزيمة ساحقة للإيرانيين وتكبيدهم خسائر فادحة في الأرواح تقدر بثلاثين ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير وجرح نادر نفسه في هذه المعركة وفقد أثناء القتال حامل لوائه وقتل فرسان من تحته[٣٣] ويذكر محمد شفيع تهراني أن نادر قلي وقع من حصانه ثلاث مرات وأعطاه أحد جنوده في طريق هربه فرسه الخاص حتى يتخلص من المهلكة[٣٤] وفقد الإيرانيون مدافعهم وذخائرهم فاضطر نادر قلي إلى الانسحاب مع فلول قواته بشكل غير منتظم إلى بهرز ومندلي[٣٥] واستقر بعد هزيمة عسكرية جديدة في همدان وجعلها قاعدة لانطلاق في المستقبل ضد أعدائه العثمانيين[٣٦]

عندما وصلت أخبار هزيمة قوات نادر شاد الرئيسة إلى أحمد شاد خرج بقواته من أسوار بغداد مهاجما القوات الإيرانية المرابطة عند أسوارها وقتل معظم أفراد تلك القوة التي تقدر بـ(١٢) ألف مقاتل[٣٧]. وهرب الباقون إلى الأراضي الإيرانية والتحقوا بنادر في همدان. وظن الكثيرون أن نادر قلي لن تقوم له قائمة بعد تلك الهزيمة المنكرة التي حلت به. ولكن هذا الرجل القوي كان من طراز غير اعتيادي. فقد كانت المشاكل والمحن تستهويه بدلا من قهره وإحباط عزيمته. فاستطاع ان يجمع شمل قواته في همدان ويعيد لهم معنوياتهم من جديد. ولم تمض على هزيمته سوى ثلاثة أشهر أو أقل. وعلى الرغم من ظهور الحركات والثورات في داخل ايوان ولاسيما تمرد محمد خان البلوجي وتأييد انصار طهماسب ميرزا لحركته لكنه لم يأبه بتلك الحركات العصيانية وقلل من شأنها وارجأ القضاء عليها إلى بعد الانتصار على العدو اللدود طوبال عثمان باشا. وتصفية الحساب معه إلى الأبد[٣٨] فأسرع إلى عبور الحدود العراقية ليلقى قوات طوبال عثمان باشا المتمركزة قرب كركوك. وقد ادرك انه لا يستطيع فتح بغداد مادام طوبال باشا موجودا في العراق، ولهذا توجه بقواته نحو العراق بعد أن انضمت إلى جيشه أعداد كبيرة من المتطوعين تدفقوا عليه من جميع أنحاء إيران[٣٩] بالمقابل كان لدى نادر قلي معلومات تفيد أن طوبال عثمان باشا سرح قسما من جيشه[٤٠] وان هناك غلاء فاحش في أسواق بغداد[٤١] وهو ما جعله يعتقد ان مهمته ستكون أسهل من السابق وفي ٢٦ تشرين الأول من عام ١٧٣٣م نشبت معركة عنيفة في منطقة ليلان قرب كركوك. بين الطرفين المتخاصمين، وبعد حرب دامية وقاسية قتل طوبال عثمان باشا في ساحة المعركة وتشتت شمل جيشه وحز أحد الجنود الإيرانيين رأسه وأمر نادر بإحضار جثته ووضع الرأس على الجثة ووقف بخشوع أمام جثته بكل احترام، ثم أرسل جثمانه بمعية قاضي الجيش العثماني عبد الكريم أفندي مع كوكبة من الفرسان باحترام إلى بغداد[٤٢]

وعندما وصل نبأ مقتل عثمان باشا إلى بغداد ساد الهلع فيها وارتفعت أسعار المواد الغذائية وغيرها. واراد أحمد باشا أن يتجنب الخطأ الذي تورط فيه سابقا فأرسل المنادين ينادون في الأسواق والشوارع، ويأمرون من لا يستطيع البقاء في المدينة أن يخرج منها فخرج الكثيرون من بغداد ولما كانت الجيوش الإيرانية تقترب من بغداد فقد ظفرت بهؤلاء الفارين وقتلت بعضهم واسرت بعضهم الآخر[٤٣] وطلب نادر من بعض قواته المرابطة في سامراء بقيادة حاكم لورستان: بابا خان بالاستيلاء

على المدن المهمة في جنوب العراق مثل الحلة والنجف وكربلاء ويمنع إيصال التموينات إلى القوات العثمانية المتبعثرة بعد هزيمتها[٤٤] واطبق نادر قلي بقواته الرئيسة على بغداد وحاصرها ولكن الحصار لم يدم هذه المرة طويلا، فقد وصلت الأخبار إلى نادر مفادها نشوب ثورة في جنوب إيران، يقودها حاكمه على ((كهكيلوية)) محمد خان البلوجي[٤٥] وقد رفع هذا الثائر شعار تأييد الأسرة الصفوية وشرعية حكمها لإيران، فدخل محمد خان هذا في اتصالات سرية مع أحمد باشا والي بغداد لمساعدته ضد نادر قلي، فتوجه نادر تاركا حصار بغداد في بداية الأمر إلى تبريز لاستخلاصها من القوات العثمانية التي يقودها تيمور باشا، وعندما وصل نادر إلى منطقة أذربيجان وصله خبر ترك تيمور باشا منطقة تبريز منسحبا من الأراضي الإيرانية فلم يجد مبررا للبقاء في أذربيجان، فتوجه بقواته صوب مناطق الثورة لإخماد عصيان محمد خان البلوجي، وتمكن نادر من الظفر به في مرتفعات شولستان، ووقع محمد خان البلوجي أسيرا بيد قوات نادر ونقل إلى اصفهان وبأمر من نادر سملت عيناه[٤٦] فارتأى نادر الدخول في صلح مع أحمد باشا والي بغداد وأغلب الظن أن تلك الاتفاقية التي أبرمها مع أحمد باشا والي بغداد في الحادي عشر من رجب ١١٤٦ هجري ١٩ كانون الأول ١٧٣٣م والتي نصت على تعهد الدولة بإرجاع جميع الأراضي الإيرانية التي سيطرت عليها الدولة العثمانية خلال عشر سنوات مضت، والاعتراف بالحدود الرسمية بين الدولتين، بحسب معاهدة عام ١٠٤٩هجري-١٦٣٩ وتبادل الأسرى والاعتدة بين الدولتين، وتسهيل أمر الحجاج الإيرانيين الرامين إلى الزيارة الأماكن المقدسة في الدولة العثمانية[٤٧]، كانت محاولة من نادر لتهدئة الأمور في الجبهة العراقية حتى يتفرغ لإخماد ثورة محمد خان البلوجي التي كانت وراءها أنصار الأسرة الصفوية، وليعود إلى العراق مرة أخرى عندما تحين الفرصة المناسبة له

ويبدو بأن السلطان العثماني محمود الثاني لم يرض بتلك الاتفاقية وعدها تمس كرامة الدولة العثمانية وأمر بسحب أحمد باشا من بغداد وعزم على أن يستعيد فتوحاته في إيران بالقوة مرة أخرى وبعث بجيش قوامه (٧٠٠٠٠) سبعون ألف فارس وخمسون ألف راجل بقيادة عبد الله باشا كوبرلو الذي احتل منصب قيادة الجيوش العثمانية بعد مقتل طوبال عثمان باشا. فما كان من نادر الا أن استدرج جيش عبد الله كوبرلو إلى منطقة (باغوان) قرب قارص في تاريخ ١٨ حزيران عام

١٧٣٥. وعلى الرغم من تفوق الجيش العثماني في العدد والعدة انهزم الجيش العثماني أمام قوات نادر. وقتل قائد الجيش عبد الله كوبرلو. وكذلك قتل سارو مصطفى باشا والي ديار بكر(٤٨) في تلك المعركة وبهذا أحرز نادر انتصارا حاسما واصبحت كل من تفليس واريفان وكنجه تحت تصرفه ونفوذه. وعلى الرغم من هذا الانتصار أبدى نادر شاه تسامحا كبيرا إذ أمر باطلاق سراح (٣٠٠٠) ألف عثماني وقعوا أسرى في تلك المعركة. وامر بارسال جثمان قائد الجيوش العثمانية عبد الله كوبرلو باحترام إلى قارص. كما وارسل جثمان سارو مصطفى باشا صهر السلطان العثماني إلى ايروان وكانت هذه الهزيمة المنكرة سببا في أن يتخلص السلطان العثماني عن تصلبه وان يوافق على ما سبق ان توصل إليه نادر مع أحمد باشا والي بغداد من تفاهم لإبرام الاتفاقية التي سبقت ان ذكرناها ومنح السلطان أحمد باشا قلند الجيوش العثمانية رتبة ممتازة وخوله دخول المفاوضات من أجل الصلح. فتحرك إلى ارضروم. وبدأ السفراء بالتبادل بين الطرفين ولكن نادر اشترط في هذه المرة دفع الدية زيادة على معاهدة بغداد السابقة. فلم يتوصل الفريقان إلى نتيجة حاسمة على الرغم من استمرار المفاوضات أشهر عدة(٤٩) ورأى نادر ان يترك أمر علاقاته مع الدولة العثمانية. وان يتوجه إلى الروس لاستخلاص المناطق الشمالية من بحر قزوين من قبضتهم. وفعلا عقدت معاهدة بين الطرفين في زمن الامبراطورة (آن) Ann سميت بمعاهدة رشت عام (١٧٣٢) الميلادي وافقت فيها روسيا بارجاع كل من مقاطعة مازندان وكيلان واسترأباد إلى إيران. التي منحتها إياها معاهدة بطرسبورغ عام (١٧٢٣) والتزمت روسيا بسحب قواتها الموجودة في المدن المذكورة إلى ما وراء نهر كورا الذي عد حدا فاصلا بين ممتلكات الدولتين فيما وراء القفقاس(٥٠)

ولم يلبث طويلا حتى استرد نادر من الروس بحسب معاهدة كنجه في ٢١ آذار ١٧٣٥. أيضا باكو دربند وهدد الروس بالتحالف مع الدولة العثمانية ضدها. اذا لم ترجع تلك الولايات إلى ايران. وهناك عامل أخر جعل روسيا تترك باكو ودربند لإيران بسهولة. وهو أن من مصلحة روسيا ابعاد الدولة العثمانية عن مثل هذه المناطق لأن ايران لم تكن حينذاك تمثل تلك الخطورة التي تمثلها الدولة العثمانية(٥١) عليها وانطلاقا من هذا التحسس الروسي من الخطر العثماني على أمنها اشترط الروس على الإيرانيين في معاهدة كنجه ان يلتزم الطرفان المتعاقدان بعدم الدخول مع

الدولة العثمانية في مفاوضات من شأنها ان تضر بمصالح أحدهما وان لا يعقد أي منهما صلحا منفردا مع الدولة العثمانية(٥٢)

وبعد هذه الانتصارات الكبيرة توقف نادر فى مروج مغان القريبة من اردبيل بغية الاحتفال بعيد النوروز وكان ذلك في ٢١ آذار ١٧٣٦ وهناك دعا أعيان الإيرانيين وقوادهم ورجال الدين من المذاهب المختلفة. وكذلك مشايخ القرى والأرياف إلى عقد اجتماع كبير بغية انتخاب شاه جديد(٥٣) لإيران ويروى بأن نادر خاطب المدعوين في اجتماع "مغان" بأن طهماسب ميرزا وابنه عباس الثالث على قيد الحياة فانتخبوا "من" ترتونه شاها على إيران ويبدو أن هذه الرواية غير صحيحة حيث ان عباس الطفل قد مات قبل انعقاد اجتماع مغان(٥٤) ومهما يكن من أمر فبان نادر كان على علم تام بأن الوقت قد حان لكي يصل إلى هدفه وان يتوج شاها بلا منازع على إيران لاسيما وان له جيشا قويا من الأفاغنة والتركمان والأكراد يؤيدونه لتحقيق غايته دون خوف من أنصار الأسرة الصفوية. ولاجل تحقيق ذلك كون لجنة يرأسها أحد قواده المخلصين هو طهماسب خان الجلانري(٥٥) لإيصال رأيه وما يريده وينويه إلى المجتمعين. وعندما أعلن نادر بأنه بعد ان انقذ البلاد الإيرانية من أعدائه العثمانيين والروس والأفغان لا ينوي الاستمرار في الخدمة، ويرجح الانزواء والرجوع إلى قلعته في كلات فعليهم ان يختاروا شاها لعرش إيران.فهتف الجميع بصوت واحد بانهم لا يريدون غيره شاها على ايران، واظهر نادر عدم الاكتراث لهتافاتهم(٥٦)، وبعد انتهاء الحفل ظل نادر مصرا على الرفض طيلة شهر كامل. وكلما كانوا يصرون ويزدادون في إلحاحهم عليه كان يزداد هو تظاهرا بعدم قبوله لمطالبهم، وبعد إلحاح طويل قبل ان يتولى عرش إيران بشروط أثارت الدهشة في قلوب المجتمعين ومن أهم تلك الشروط هو ان يترك سب الخلفاء الثلاثة ومواكب العزاء وجميع الأمور التي من شأنها التفريق بين السنة والشيعة وبين بأن شاد إسماعيل الصفوي باتخاذ مذهب الاثني عشرية مذهبا رسميا لإيران جلب لإيران الحروب المدمرة مع العثمانيين. وفرق شمل الإيرانيين وجعلهم شيعا وأحزابا. وادخل البلاد في دوامة من الفتن والاضطرابات الداخلية.(٥٧) واقترح عليهم مذهبا جديدا هو المذهب الجعفري مذهبا خامسا(٥٨) مع المذاهب السنية الأربعة الأخرى ولما كان جعفر الصادق من ذرية الرسول ومحترما لدى الشيعة والسنة فعلى الإيرانيين قبوله اماما لمذهبهم ويصبحوا مقلدين لطريقته في فروع الدين وسائر اجتهاداته.

وافق المجتمعون على شرط نادر سوى عبد الحسين الملا باشي رئيس المجتهدين الشيعة في البلاد الإيرانية. وكذلك أحد أمراء القزل باس المدعو أغزلو خان قاجار حاكم قراباغ ونهض الملاباشي ينصح نادر قلي بأن يحصر جهوده في القضايا الدنيوية ويترك القضايا الدينية للمتخصصين بها واعلن ((اغزلو خان)) بصراحة بأن الملك يجب ان يكون للعائلة الصفوية وقد قتل عبد الحسين الملا باشي قبل يوم من انتخاب نادر شاها على ايران وانتخب نادر ملا علي أكبر بمنصب ملاباشي[٥٩] وخسر أغزلوخان ثلث أملاكه لمخالفته أوامر نادر[٦٠] ومهما يكن من أمر فقد أدرك المجتمعون مغبة ابراز رأي مخالف لإرادة نادر وانتهى بعد هذه الحادثة الاجتماع بقبول شروط نادر وجرى بعدئذ انتخابه شاها على إيران باحتفال مهيب في موعد عينه المنجمون. ويوافق عام ١١٤٨هـ- ١٧٣٦م[٦١] ومنذ ذلك التاريخ أصبح اسمه نادر شاه. ويعلل بعض المؤرخين الشرط الذي اشترطه نادر لقبوله العرش الإيراني بسببين محتملين أولهما: إنه أراد به أن ينسى الإيرانيون الأسرة الصفوية لأن هذه الأسرة هي التي خلقت العدوان والبغضاء بين شرائح المجتمع الإيراني لأنها هي التي روجت مواكب العزاء وسب الخلفاء الثلاثة ورسخت هذه الرسوم والعادات في أذهان أكثرية الإيرانيين وكان هذا قد سبب في ثورات أهالي كردستان وأذربيجان وداغستان وأفغانستان الذين يؤمنون بالمذهب السني الأمر الذي دفع العثمانيين والاوزبك للتدخل في الشؤون الداخلية لإيران[٦٢] والسبب الثاني هو ان نادر شاد كان يحلم بالقضاء على الدولة العثمانية ويبني مكانها دولة إسلامية كبرى تجمع المسلمين من السنة والشيعة معا[٦٣] ولايمكن لإيران ان تحقق ذلك وهي معتنقة المذهب الشيعي الاثنى عشري ويمكن ان نضيف إلى هذين السببين سببا ثالثا وهو ان نادر قلي نفسه لم يكن متعصبا لأية طائفة من الطائفتين المتنازعتين على الرغم من نشوئه بين عشائر السنة وربما جاز ان نعده من أولى الشخصيات التي تعرف في علم الاجتماع بالشخصية الحدية إذ نشأ هو في بيئة سنية وهي قبيلة افشار التركية ثم خالط الشيعة. بعدئذ وقادهم في الحروب وتشير بعض القرائن إلى إنه كان يحاول التشبه بعاهل الهند المشهور أكبرشاه المغولي الذي ابتكر دينا جديدا بغية توحيد الهنود في عقيدة واحدة[٦٤] وربما أراد نادر قلي ان يفعل مثله في إيران والعراق وبعد انقضاء المؤتمر قرر المجتمعون إرسال وفد برأسة عبد الباقي خان الزنكنة وابي القاسم الكاشاني وملا علي أكبر الملا باشي الجديد إلى البلاط العثماني

لمقابلة السلطان محمود الثاني لعرض الشروط الآتية على الدولة العثمانية أساسا لمعاهدة صلح دائم بين الدولتين الاسلاميتين:

١. ان الإيرانيين تركوا مذهب الشيعة الاثنى عشرية واعتنقوا المذهب الجفعري[٦٥] ويجب على العثمانيين الاعتراف بهذا المذهب مذهبا خامسا في الإسلام.
٢. يجب ان يكون للمذهب الجعفري ركن خاص في المسجد الحرام اسوة بالمذاهب الإسلامية الأربعة الأخرى
٣. في كل سنة يعين من الحكومة الإيرانية أمير للحجاج الإيرانيين يحج بالزوار الإيرانيين في مكة المكرمة
٤. تبادل الأسرى بين الطرفين وبيعهم وشراوهم وإطلاق سراح جميع أسرى الطرفين الذين اسروا في المعارك السابقة[٦٦]
٥. يعين وكيلان في الدولتين مهتهما القيام بتمشية مصالح المملكتين وبعد انتهاء مراسيم التتويج عين نادر أخاد ابراهيم خان حاكما على أذربيجان وقفقاس ومنحه لقب ظهير الدولة وعين ابنه الأكبر رضا قلي ميرزا قاندا للقوات الشرقية حاكما على خراسان وجعل قاندد المخلص طهماسب قلي خان الجلانري معاونا له. وعين بابا خان جايشلو حاكما على هرات. ومحمد تقي خان الشيرازي واليا على منطقة فارس. وبعد هذه الإجراءات توجه إلى منطقة بختياري للقضاء على تمرد علي مراد خان رنيس القبانل البختياريةالكردية. وتمكن من إلقاء القبض عليه واقتيادد أسيرا بعد ان وشي به اتباعه عندما كان معتصما بجبال كوركش. فامر بقطع رجليه ويديه وسمل عينيه عقابا على عصيانه. وفي هذه المرحلة بالذات أمر نادر حاكم شيراز تقي خان الشيرازي بضم البحرين والاستيلاء عليها وعلى مسقط وتمكين القوات الإيرانية الاستيلاء على البحرين. واضطر سلطان مسقط الدخول في صلح مع الإيرانيين كانت شروطه دفع الخراج للإيرانيين[٦٧].

فتح الهند

اتجه نادر شاد بعد قضانه على ثورة القبانل البختيارية نحو قندهار وحاصرها حصارا محكما ولكي لايدب اليأس والملل في نفوس عساكرد من طول الحصار أمر ببناء مدينة جديدة قرب قندهار سماها نادر أباد لراحة عساكرد وقادته وفي ٢٢ ذي

القعدة من عام ١١٥٠هـ أمر بالهجوم العام على قندهار وتمكنت قواته بمساعدة الأفواج البختيارية التي أبلت بلاء حسنا من فتح قلعة قندهار واستسلم حاكم قندهار حسين خان أخو محمود الأفغاني إلى نادر شاه، وأمر نادر بسجنه مع اتباعه في إحدى قلاع مازندران، وبعد فتح قلعة قندهار أمر بهدم تحصيناتها واجبر الأفاغنة الابداليين الذين أسكنوا في خراسان على الهجرة صوب نادر أباد والاستقرار فيها ثم أمر بتهجير الافاغنة الغلزائيين إلى محلهم في خراسان(٦٨) بعد فتح نادر شاه لقندهار، أرسل رسولا يدعى مرادخان إلى محمد شاه من سلالة أكبر شاه(٦٩) ملك الهند يطلب منه عدم السماح للمتمردين الأفغان الهاربين أمام قواته بالدخول في الأراضي الهندية وقد تعمد محمد شاه تأخير إرسال جواب رسالته وابقى رسوله عاما واحدا في دلهي فاستشاط نادر غضبا من هذه المعاملة السيئة لرسوله(٧٠) وأمر مراد خان بالرجوع سواء أكان جواب محمد شاه إيجابا أم سلبا، وعزم على فتح الهند، وكان على علم قبل التوجه إلى الهند بما تعانيه تلك البلاد من الفوضى والاضطرابات والمنافسة الحادة على السلطة والحكم وفساد رأي ملك محمد شاه، فكان ملكا ضعيفا سخيف الرأي كسولا منغمسا بالملذات لايصبر دون ان تكون بين ذراعيه خليلة جميلة، أو في يده كأس شراب(٧١)

وكان على نقيض اجداده العظام الذي اتصفوا بالحكمة والعدل وسداد الرأي. سارع نادر على رأس جيوشه بفتح المدن المهمة الواحدة تلو الأخرى، ففتح كابل وجلال أباد، وبعد ذلك عبر ((مضيق خيبر)) وعلى الرغم من تكبده خسائر فادحة فقد نجح في اجتيازه، وبعد ان اجتاز مضيق خيبر هاجم بقواته على بيشاور وصله خبر محزن مفاده مقتل أخيه إبراهيم خان ظهير الدولة على يد القبائل اللزكيه في قفقاس وداغستان(٧٢) ولكنه أوكل محاربتهم والقضاء عليهم بعد فتوحاته في الهند وبعد فتح بيشاور تقدمت القوات الإيرانية لحصار مدينة لاهور إحدى المدن الكبيرة في الهند، وبرغم مناعة أسوار المدينة ارتأى سكانها التسليم لنادر شاه فسلم حاكم المدينة زكريا خان مفاتيح المدينة إلى نادر شاه ودخلت القوات الإيرانية في شباط سنة ١٧٣٩م ودفع أهاليها جزية مقدارها خمسة ملايين ريال مع ستة وخمسين فيلا ونظرا لعدم مقاومة زكريا خان(٧٣) أبقاه نادر حاكما على المدينة واعلن الطاعة لنادر سردار فخر الدين حاكم كشمير الذي فر نتيجة عصيان الأهالي عليه. فعينه حاكما على كشمير وأرسل رسولا إلى أهالي كشمير ومناطقها المختلفة يأمرهم بضرورة

الرضوخ إلى حاكمهم وإلى القوات الإيرانية ومن يخرج عن الطاعة والانقياد إلى أمر شاه إيران سيكون الحساب معه عسيرا، وبعد فتح لاهور وصلت طلائع قوات نادر شاه إلى منطقة كرنال التي تقع على بعد ١٢٥ كيلو مترا في شمالي دلهي ووقعت معركة شديدة بين الطرفين عام ١٧٣٩[٧٤] اضطر على اثرها قائد الجيش الهندي خان دوران[٧٥] على التسليم واستسلم كذلك عدد كبير من قادة الجيش الهندي، وعلى الرغم من تفوق الجيش الهندي في العدد والعدة اندحر أمام القوات الإيرانية بفضل قيادة نادر الفذة وبسالة قواده وجنوده[٧٦]. ووقع محمد شاه اسيرا غير ان نادر شاه عفا عنه بعد ان أذان له بالطاعة والانقياد، واعاده إلى عرش ابائه[٧٧]، وقدم محمد شاه بالمقابل لنادر شاه كنوز أسلافه منها عرش الطاووس الذي لايزال موجودا في طهران، ومن هداياه أيضا: الماسة المعروفة كود نور التي تزين الآن التاج البريطاني ودرياي نور وكانت من غنائم نادر شاه في حملته الهندية الكبيرة وهي لا تقدر بثمن لندرتها ونفاستها وتعد من الاحجار الكريمة التي لامثيل لها

وعلى الرغم من تسليم المدينة واستقرار القوات الإيرانية في العاصمة دلهي بدون مشاكل تذكر في بداية الأمر، إلا ان حادثة مروعة ذهبت ضحيتها آلاف من الأبرياء ومفادها: ان بعضا من الهنود الاشقياء أشاعوا خبر مقتل نادر شاه في قصر السلطان محمد شاه، فأثار كلا من سيد نياز خان وعلي محمد خان الذين كانا مخالفين في تسليم دلهي لنادر شاه، عامة الناس وحرضوهم على قتل جنود وعساكر الإيرانيين، وفعلا قتل عدد كبير من الجنود في الشوارع والأزقة فاستمر الشغب والشقاق والتمرد داخل المدينة وعندما سمع نادر شاه وعلم بالتمرد وقتل أعداد كبيرة من جنوده الذين يقدرهم بعض المورخين بين ٣٠٠٠ و ٧٠٠٠ قتيل من الجنود ومئة ضابط[٧٨]. فهرع إلى ميدان جاند يجوك الذي كان مركزا رئيسا للمتمردين. وقد أوصل الثائرون خسارتهم حدا كبيرا كما وقد رشقوا نادر نفسه بالسهام واصيب أحد مرافقيه واردي قتيلا. فاقتنع نادر بأن الأمر وصل إلى درجة لا تعالج إلا بالقسوة والصرامة، وأمر قواده وجنده بابادة من يقف في طريقهم، فبدأت المذبحة في الساعة التاسعة صباحا حتى الثانية بعد الظهر حيث استمرت سبع ساعات فهلك من سكان المدينة أكثر من ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألف قتيل[٧٩] فاعدم نادر وقطع رؤوس المتمردين وعلى رأسهم نياز خان وعلي محمد خان مع ٤٧٠ من اتباعهما وأنصارهما[٨٠] وقبل انتهاء المجزرة التمس محمد شاه ونظام الملك وقمر الدين خان من نادر شاه إعطاء

الأمان إلى الاهلين والكف عن قتل المزيد من الأبرياء، فامر نادر جنوده بإيقاف المجزرة والمذبحة ورجوع الجميع إلى ثكناهم[٨١].

وبعد ان رجع الاستقرار والسكينة إلى المدينة أراد نادر ان يتصاهر مع الأسوة المغولية المالكة في الهند فزوج ولده الثاني نصر الله ميرزا من ابنة محمد شاه، ويروى ان رجال البلاط الهندي طلبوا من العريس بحسب التقاليد الهندية ان يذكر نسبه الشاهي حتى الجد السابع انطلاقا من مبدأ الفخار بالنسب، فامر نادر ابنه ان يقول بأنه ابن نادر شاه ابن السيف حفيد السيف وهكذا إلى سبعين جدا بدلا من السبعة[٨٢]، وقبل عودته من الهند ارجع عرش الهند إلى محمد شاد، وأمر الجميع ان يطيعود، فتنازل محمد شاه بدوره لنادر عن جميع المناطق الواقعة شمالي نهر السند، وقد تجمع لدى نادر غنائم وأموال كثيرة نتيجة لهذا الفتح، وقرر إعفاء أهالي إيران من الضرائب لمدة ثلاث سنوات، وهنا نرى من الضروري الإشارة إلى ان الأسباب الرنيسة التي أدت إلى فتح الهند هي هروب الافاغنة والتجاؤهم إلى الهند وحمايتهم من قبل محمد شاد لا يمكن ان تكون سببا موجبا لهذا الفتح والغزو الكبير، ولاجل إلقاء الضوء على الأسباب الحقيقية لهذ الفتح لابد من الإشارة إلى العوامل الآتية:-

١- كون نادر جيشا كبيرا من القوميات المختلفة لتحرير إيران من القوى المختلفة التي استولت على مناطق عديدة منها: الأفغان والعثمانيون والروس والاوزبك كما وان تجهيز وإعاشة هذا الجيش كانت فوق طاقة إيران الاقتصادية، ولهذا لا سبيل للاحتفاظ بمثل هذا الجيش إلا بالحصول على موارد جديدة عن طريق الفتح والتوسع وضم أراضي الغير بالقوة لاسيما وقد كانت بلاد الهند الغنية لقمة سائغة أمامه لتحقيق مطامعه التوسعية من جهة وأشغال جيشه الضخم في الحروب المتكررة وإقناعهم وإرضائهم بالحصول على الغنائم والأسلاب والثروة الطائلة.

٢- أدت الفوضى والاضطرابات الداخلية مع غزوات الأجانب لإيران، وكذلك الحروب الخارجية للدولة الصفوية وحروب نادر شاه إلى أيجاد قحط وشح كبير في الموارد الاقتصادية لإيران، وعليه فقد كان فتح بلد غني كالهند ينقذ الاقتصاد الإيراني من الانهيار التام والمحتوم.

٣- كان نادر على علم عن طريق جواسيسه ومعتمديه بالفوضى والاضطرابات السياسية التي تمر بها البلاد الهندية في عهد ملكها الضعيف الفاسد محمد شاه

مع ما تعانيه البلاد من مآسي ونكبات بسبب تكالب الاعيان والقواد والوزراء على السلطة، وصراعهم الحاد فيما بينهم للاستئثار بالحكم. ويؤكد بعض المؤرخين الأوربيين بأن نظام الملك: الوزير القوي المنافس لمحمد شاه الذي كان نائباً لسلطة دكن وسعادة خان: أحد الولاة المحافظين المعروفين في الهند قد زينا لنادر سهولة فتح الهند وطلبا منه تحقيق ذلك(٨٣).

٤- أراد نادربفتحه الهند ان يتشبه بالقادة العظام كاسكندر المقدوني ومحمود الغزنوي وتيمورلنك.

وجه نادر همه بعد الحملة الهندية إلى الحدود الشرقية من امبراطوريته ابتغاء إخضاع الاوزبك في بخارى وخوارزم. وكان الهجوم على خراسان واجتياحها كما كان دأبهم وديدنهم وعادتهم منذ أمد بعيد السبب الرئيس لحملة نادر على الاوزبك وقد تمكن نادر من تحقيق ذلك دون إراقة دماء. فقد استسلم أبو الفيض خان حاكم بخارى إلى القوات النادرية فعينه نادر حاكما مطلقا على المناطق الواقعة بين نهري سيحون ويجحون(٨٤) ومقابل ذلك وعد أبو الفيض خان ان يرفد جيش نادر بـ ٢٠٠٠٠ عشرين ألفا من عساكر الاوزبك والتركمان العائدين إلى جيش بخارى شريطة ان يبقى مستقلا في شؤونه فيصبح اسميا خاضعا للإيرانيين. وبعد فتح بخارى توجه نادر لفتح خوارزم والقضاء على ايلبرس خان الذي هاجم منطقة سرخس وايبورد في خراسان أثناء انشغال نادر بفتح الهند. ونشبت معركة بين نادر والتركمان بقيادة ايلبرس خان في ٢١ رجب ١١٥٣هـ- ١٢ أكتوبر ١٧٤٠م، وبعد قتال عنيف وشديد اندحر ايلبرس أمام القوات النادرية والتجأ إلى قلعة خانقاه الحصينة. ونتيجة الحصار المحكم وقصف المدافع على القلعة اضطر المتحصنون على الاستسلام. فأمر نادر بإعدام ايلبرس خان مع عشرين شخصا من أعيان خورازم(٨٥). وبعد ان تمكن نادر من فتح بخارى وخوارزم وخيود، ذهب إلى قلعة كلات مقره الأصلي وبنى فيها قصرا وضع فيه كنوزه ومجوهراته التي غنمها من الهند وسائر فتوحاته، ثم ذهب إلى مشهد واحتفل هناك بمناسبة انتصاراته، وبذلك بلغ نادر شاه ذروة واوج انتصاراته ومجده وقوته. بحلول عام ١٧٤٠م-١٧٤١م، بدأت الانتكاسات تواجهه شيئا فشيئا وبدأت حالته النفسية تتدهور يوما بعد يوم، وفقد كثيرا من عبقريته العسكرية والسياسية.

كانت أول أزمة وقع فيها: تورطه في القتال مع قبائل اللزكية القاطنة في داغستان الواقعة في قفقاسيا، وكانت هذه القبائل شديدة البأس والمراس وكانت قبائل محاربة ومدربة فلم يكن في وسع أي جيش التغلب عيها بسهولة ويسر. وقد جاء في أحد الأمثال الإيرانية ما معناه: (اذا كان ملك إيران احمق فاتركه كي يذهب لقتال اللزكية)[٨٦] وقد زحفت هذه القبائل عندما كان نادر مشغولا بفتح الهند فاجتاحت داغستان وشروان وغيرها من المناطق التي كانت ضمن سيطرة نادر شاد، وقد وصلت بهم الجرأة إلى حد قتلهم الأخ الوحيد لنادر وهو ابراهيم خان[٨٧] فلذلك اقسم بالانتقام منهم مهما كلفه الأمر من تضحيات جسام. فاختار طريق قوجان واستراباد ومازندران للوصول إلى داغستان وعندما كان الشاد على متن جوادد في مقدمة جيشه وفي غابات مازندران وقعت محاولة فاشلة لقتله من قبل رجل يدعى نيك مقدم حيث كان قبل مدة من الزمن ضمن حرس دولار لقتله من قبل خان القالبجاني، ومن الجدير بالإشارة إليه أن اصابع الاتهام وجهت لولي العهد: رضا قلي ميرزا بأنه كان وراء مؤامرة الاغتيال هذه. وبحسب ما يروى بأن نيك مقدم الذي قدم اعترافا بأن رضا قلي ميرزا وبحضور قائدين من قواد نادر هما: محمد حسين القاجاري، ورحيم سلطان المروي أمر نيك مقدم باغتيال والده نادر شاد ولكن رضا قلي انكر التهمة بشدة فاقتص نادر شاد من ابنه بسمل عينيه، ويروى بأنه لم يسترحم من نادر شاد بل اكتفى بالقول ليست عيناي هما اللتان تطفى أنت نورهما بل أنت الذي تطفى سراج مجد إيران وعظمتها[٨٨]

وبعد تنفيذ نادر لهذه الفعلة الشنيعة، ندم على فعلته اشد الندم، فامر بقتل جميع الرجال الذين حضروا عملية السمل، بحجة إنه كان من الواجب والاولى عليهم وقتئذ ان يفتدوا بارواحهم عيني الأمير الذي يمثل مجد إيران[٨٩] ويؤكد أكثر المؤرخين بأن رضا قلي ميرزا كان بريئا من التهمة اللاصقة به، بل بثها اعداؤه المنافسون لنفوذه وسلطته بوصفه ولي عهد قويا لإيران في المستقبل القريب على الرغم من ان نادر قد ارتاب من سلوك ابنه الميال إلى الاستقلال والمغامرة، حيث اتخذ لنفسه حرسا ملكيا يضاهي في قوته حرس نادر شاد وجيشه القوي المنظم وعندما أشيع خبر مقتل نادر بعد محاولة الاغتيال الفاشلة أعلن نفسه شاها على إيران، وامر بقتل كل من طهماسب ميرزا وابنه عباس الثالث الصفوي[٩٠] كل ذلك أدى إلى تغير قلب نادر تجاد ابنه وامر بسمل عينيه وعزله من ولاية العهد، وعين ابنه الآخر نصر الله ميرزا

محله وليا للعهد. ومهما يكن من أمر فإن مهدي الاسترابادي الذي يعتمد في مروياته والذي كان كاتبا شخصيا له نفى التهمة عن رضا قلي ميرزا، ووضع التبعية على الطامعين ورجال السوء والمعاندين لولي العهد الذين اوغروا صدر نادر على ابنه كي يأمر بسمل عينيه[٩١]. وبعد هذه الحادثة الاليمة المروعة تغيرت اخلاق نادر شاد واصبح سفاكا لا يرحم، ومما زاد في انفعالاته النفسية التي اوصلته إلى حد الجنون واحباطه في القضاء على ثورة اللزكية وعلى العكس اوقعت اللزكية بقواته في داغستان وشيروان خسائر فادحة[٩٢] الأمر الذي اجبره على الانسحاب قبل اتمام الأمر الذي جاء من اجله وهو القضاء التام على مقاومة اللزكيين. وقد تحول نادر شاد بمرور الأيام إلى سفاك لا يرحم[٩٣]، ومن العوامل التي أدت بالشاد إلى تغيير سلوكه عدم استجابة العثمانيين لاقتراحاته بجعل المذهب الجعفري مذهبا خامسا في الإسلام لأن التعصب المذهبي أصبح (حائلا وعائقا) على اتحاد المذهبين السنة والشيعة[٩٤] كما وان ظهور الثورات والاضطرابات في ارجاء البلاد الإيرانية نتيجة للركود الاقتصادي ومظالم جباة الضرائب وحكام الولايات والحروب المدمرة التي خاضها الإيرانيون في سبيل تحقيق اطماع نادر التوسعية وعوامل أخرى كانت وراء تغيير سلوكه وجنوحه إلى الظلم وسفك الدماء. ولاجل إعطاء صورة على ما وصلت اليه الحال من الثورات والانتفاضات في عهد نادر شاد في ايران وما وصلت إليه الأمور من التدهور والضعف نشير إلى بعض الثورات التي اندلعت في ارجاء امبراطوريته المترامية الأطراف:-

ثار سام ميرزا الذي ادعى بأنه ابن السلطان حسين الصفوي في اردبيل وتوسعت ثورته، ولكن إبراهيم خان أخا نادر تمكن من الحاق الهزيمة به، وبعد أسره أمر بجدع انفه واطلاق سراحه بعد ذلك.فهرب سام ميرزا إلى المناطق الشمالية الغربية من إيران فاغرى أهالي دربند وطبرستان على الثورة والتمرد على حكم نادر شاد. وقد ساعد محمد بن سرخاي خان أحد رؤساء منطقة شيروان ثورته وامر نادر ابنه نصر الله ميرزا بالتوجه إلى شيروان للقضاء على تمرده فوقعت معركة عام ١١٥٦-١٧٤٣م بين الطرفين في منطقة باغشاد واندحر سام ميرزا ووقعت قلعة اقصو الحصينة بأيدي القوات الإيرانية. فتمكن سام ميرزا من الهروب إلى كرجستان، ووفق محمد بن سرخاي بدوره أيضا في الهروب جريحا إلى منطقة داغستان وأخيرا وقع سام ميرزا أسيرا بيد القوات النادرية التي قمعت الثائرين بوحشية فائقة[٩٥] وقد

حاول أحد الثوار من انصار محمد خان بن سرخاي اغتيال نصر الله ميرزا بعد انتهاء القتال ولكنه فشل في تحقيق ذلك[٩٦]

وفي منطقة فارس ثار تقي خان والي نادر. على منطقة كهكلويه ضد حكم نادر، ودخل عنوة شيراز. وبعد قتله علي خان والد زوجتين لنادر، توجه نادر على رأس قوة ضخمة إلى سيراز عام ١٧٤٣م ودحر تقى خان بعد قتال شديد وأسرد وأمر بقتل ابنيه وأخيه وأقربانه وتقديم زوجته لجنودد أمام عينيه وعمل برجين من رؤوس الثوار[٩٧]، وقتل آلافا من الأبرياء من سكان المدينة. ونهب قوادد المدينة بكاملها، وكان سبب غضب نادر على تقي خان هو إخفاقه للسيطرة على منطقة الخليج والواقع ان ظروف منطقة الخليج كانت تشجع نادر شاه للسيطرة عليها. وذلك عندما استنجد الإمام سيف بن سلطان الثاني أمام عمان اليعربي سنة ١٧٣٧م من نادر شاد لمواجهة منافسه على الإمامة بليعرب بن حمير ابلغ لطيف خان قنائد الاسطول النادري في الخليج نادر شاه بطبيعة التطورات الجارية في عمان والصراعات الداخلية التي يواجهها فانتهز نادر الفرصة للاستيلاء على عمان. وبعث بحملة للاستيلاء عليها فاجتاح الإيرانيون عمان واستولوا على مسقط وضربوا الحصار على أحمد بن سعيد مؤسس دولة البو سعيد في عمان. وبعد موت الإمام سيف بن سلطان ظل أحمد بن سعيد صامدا أمام القوات الإيرانية حتى استطاع أهل عمان ان يوحدوا صفوفهم وشنوا حربا شعواء على الإيرانيين بعد ان كبدوهم ٢٠٠٠٠ عشرين ألف قتيل وتمكنوا من اخراجهم وطردهم من عمان سنة ١٧٤١[٩٨].

ومن الثورات المهمة التي اندلعت ضد نادر شاد ثورة القبائل القاجاريه بقيادة محمد حسين خان القاجاري الذي قتل نادر والدد فتح علي خان خوفا من نفوذه ومكانته عند طهماسب ميرزا الوريث الشرعي لتاج إيران في تلك المرحلة الزمنية. فالتحقت عشائر يموت التركمانية بمحمد حسين خان القاجاري وأيدته في ثورته على الحكم النادري. واوعز نادر إلى حاكم استراباد بالقضاء على الثورة وقتل جميع من له يد فيها. وفعلا تمكن الحاكم الاسترابادي من القضاء على ثورة القاجاريين والإفراط في التنكيل بهم. واشاع الرعب والخراب والدمار في منطقتهم. ونصب هرمين من جماجم قتلاهم وسمل عيون الآلاف من الفلاحين الأبرياء وسبوا نساءهم واوعز بتقسيمهن بين القوات النادرية[٩٩]

وثارت على نادر العشائر الاوزبكية في خوارزم بقيادة نور علي خان بن أبي الخير القزاق. وقتل الثوار طاهر خان حاكم نادر شاه على خوارزم وأرسل نادر ابنه نصر الله ميرزا على رأس قوة من عساكرد وتمكن من إخضاع المتمردين والقضاء على عصيانهم وعين أبا المجد (ايلبارس) حاكما على خوارزم[١٠٠] في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، حرض قائد الجيوش العثمانية في قارص المدعو أحمد باشا جمال أوغلي شخصا يدعى محمد علي رفسنجاني الذي يلقب بصفي ميرزا فاعلن الثورة في منطقة فارس وقد ادعى صفي ميرزا المذكور بأنه أحد أبناء الشاه سلطان حسين وأنه الوريث الشرعي لتاج إيران. ولكن نادر لم يسمح بمرور الفرصة لخطورة ادعائه، وجهز عليه حملة قوية وتقابل مع انصار الثائر صفي ميرزا والجيش العثماني الذي جاء لمساندته. وبعد قتال بين الطرفين اندحرت القوات العثمانية، ووقع صفي ميرزا أسيرا بيد القوات الكرجيه المساندة لنادر شاد بقيادة تهمورث خان، وأمر نادر بقلع إحدى عينيه وأرسله مع مجموعة من أسرى العثمانيين إلى أحمد باشا تحقيرا لأولياء الأمور في الدولة العثمانية[١٠١] الذين كانوا يتآمرون سرا وعلنا على دولته.

وفي عام ١١٥٧ هجري ثارت القبائل الدنبليه الكردية في منطقة خوي وسلماس نتيجة للاجراءات الصارمة من قبل جباة حكام نادر شاه في المنطقة من جمع وجباية الضرائب الحكومية وجبايتها وقد تمكنت القوات النادرية بصعوبة بالغة من القضاء على ثورة العشائر الكردية[١٠٢] والتنكيل بهم اشد التنكيل. وقد ثارت العشائر العربية في البحرين ومسقط في سنوات ١٧٤٣-١٧٤٤ واوقعت خسائر فادحة بالقوات الإيرانية كما مر. ووقعت ثورات متعددة بين اعوام ١١٥٦-١١٥٩ هجري ١٧٤٣-١٧٤٦م من قبل العشائر القاطنة في خراسان وقامت العشائر البختيارية بالتمرد على السلطة المركزية، وتمكنت القوات النادرية من القضاء على جميع تلك الحركات بعنف وصرامة لا متناهية[١٠٣]. كما ثار على الدولة النادرية خان أحمد خان الثالث والي امارة اردلان الكردية وقد اشترك خان أحمد خان الثالث المذكور في حملة نادر على الهند وابدى شجاعة فائقة فيها مما أثار اعجاب نادر به وعينه منذ ١١٥٣ هجري-١٧٤٠ واليا على اردلان بدلا من والده. وتروي لنا (مستورد من كوردستاني) في تاريخ اردلان سبب ثورته على النحو الآتي:-

أصاب امارة اردلان قحط ومجاعة كبيرة فاضطر خان أحمد خان الثالث إلى توزيع مخازن الحبوب المخصصة لجيش نادر شاه على المحتاجين والفقراء في امارته. وكان نادر مشغولا في تلك المرحلة الزمنية بحربه مع القبائل اللزكية الثائرة في داغستان. وعندما علم نادر شاه بأمر التوزيع في مخازن جيوشه الثائرة في كردستان تملكه غضب شديد وأصدر امرا بعزله واعدامه. ولم يلبث خان أحمد خان ساكنا فجمع قوة من خيرة جنوده عام ١١٥٥هجري- ١٧٤٢م وتوجه إلى المناطق الكرديه العائدة إلى امارة بابان الكردية في كردستان العراق الحالية. وكان يهدف من حركته هذه طلب المساعدة من السلطان محمود العثماني حال وصوله إلى الأراضي العثمانية. وأرسل نادر رسالة إلى ظاهر بيك رئيس عشائر الجاف طالبا منه التصدي لخان أحمد خان الثالث لغاية وصوله على رأس قواته إلى هناك. فهاجم ظاهر بيك مع ثلة من فرسان الجاف على قوات خان أحمد خان الثالث في السنة نفسها فاندحر ظاهر بيك(١٠٤) في المعركة ووقع أسيرا بيد خان أحمد خان الثالث الذي أمر باعدامه في منطقة جمركة القريبة من ناحية دربندي خان الحالية(١٠٥).

وبعد هذا الحادث توجه خان أحمد خان إلى منطقة السليمانية، فرأى خالد باشا حاكم امارة بابان من الحكمة الابتعاد عن مواجهته عسكريا وخرج شخصيا لاستقباله وقدم هدايا ثمينة له ليكفيه شرد، وبهذا الإجراء سلمت امارة بابان من خطر هجوم قوات خان أحمد خان الثالث فتوجه الخان المذكور بعد ذلك إلى منطقة الموصل فتصدى له حاكمها ولم يقبل الانصياع والانقياد لطاعته. فاحتدم القتال بين الطرفين فتم النصر للخان المذكور. ودخل قلعة الموصل واستولى على ديار بكر وحلب. وحينما علم السلطان محمود الثاني بقدومه اكرمه ورحب بقدومه وسانده بقوة عسكرية عثمانية كبيرة تصديا للقوات النادرية. ودخل الخان في معارك كثيرة مع القوات الإيرانية، ولكنه لم يحالفه النجاح في حروبه وحملاته المتكررة، وبعد عقد الصلح بين نادر شاه والدولة العثمانية عين السلطان العثماني خان أحمد خان الثالث واليا على ادرنة العثمانية وبقى هناك حتى وافته المنية(١٠٦)

بدأت الحرب مع الدولة العثمانية للمرة الثالثة في عام ١١٥٤ هجري- ١٧٤١م بعد ان قصد سفراء إيرانيون الباب العالي طالبين الاعتراف الرسمي بالمذهب الجعفري بوصفه "مذهبا خامسا" في الإسلام(١٠٧) فرفض العثمانيون الطلب، واعلن مفتي الديار العثمانية وسائر رجال الدين العثمانيين "مروق الجعفريين عن

الدين الإسلامي واباحة قتلهم واسرهم شرعا . ولما وصل هذا الخبر والجواب الى نادر شاه اتخذه ذريعة الاعلان الحرب على الدولة العثمانية. وسرعان ما توجهت جيوشه نحو العراق وعبر الحدود بالقرب من مندلي وشهرزور وحاصر حصونها. وكان والي بغداد عهدنذ أحمد باشا الذي كان معجبا بشخصية نادر شاه. ولم يكن راغبا في استئناف حرب جديدة مع الإيرانيين. ومما يلفت النظر: ان نادر شاه حينما غزا في هذه المرة لم يتحرش ببغداد وأرسل إلى واليها أحمد باشا ليخبره فيها انه يريد النقاش وفتح باب الحوار معهم بتفاهم ولن يسمح لجيشه ان يقوم بعدوان على بغداد واطرافها وان هدفه الوحيد هو الاستيلاء على الأماكن التي لا تخضع له وانه يمضي في انتصاراته في أراضي السلطان الكبير ولانه صديقه فهو يسأله ابنة من بناته ليتزوجها وخمسة أشخاص رهائن[١٠٨] واستجابة لطلبه سمح أحمد باشا بأن تستولي القوات النادرية على جميع مزارع منطقة بغداد وضواحيها وكان الوقت موسم الحصاد ليمون بها جيوشه[١٠٩].

وعلي الرغم من محاولة نادر اقناع أحمد باشا بتسليم بغداد. لكنه لم يلب طلبه. واشار على نادر التوجه إلى الموصل[١١٠] أولا فإذا تمكن من الاستيلاء عليها فسوف تفتح له بغداد دون قتال وعناء[١١١] ومع هذا فان أعظم الضربات المنتظرة وقعت في شمالي العراق لا في وسطه، فقد تقاطرت القوات النادرية على كركوك عن طريق شهرزور. وهرب خالد باشا حاكم امارة بابان الكردية أمام القوات النادرية. وتوارى عن الانظار مدة ثم ذهب إلى استانبول ولم يكمل سفرته ورجع إلى الموصل واختار الاقامة فيها وتوفي عام ١١٦٥ هجري ١٧٥١م- ١٧٥٢م وحضر ابن عمه سليم بيك بين يدي نادر وقدم له الطاعة والانقياد[١١٢] فسر نادر كثيرا ولاستطاعته تطويع سليم بك شرع يفكر في فصل كردستان عن محور السياسة العراقية ولكنه اراد ان يعزز تحقيق فكرته هذه عن طريق ربطها بالرابطة الدينية[١١٣] ولذلك فقد ارتأى ان يستميل إليه حضرة الشيخ حسن كله زه ردد فبعث إليه رسالة دعاه فيها إليه[١١٤] ودان أكثر رؤساء قبائل الكرد بالطاعة لنادر وان من دخل منهم في باب الطاعة شملته مراحم نادر شاه والطافه ومن عمل خلاف ذلك وانتهز سبيل المقاومة والعناد يكون مصيره العقاب الاليم. الصارم والابادة التامة[١١٥] وبعد حصار نادر لقلعة كركوك تم له الاستيلاء عليها وعاث فيها فسادا وقتل ٥٠٠ من المدافعين عنها[١١٦] فتوجه بعدها للاستيلاء على قلعة اربيل العالية فاستسلم اهلها بعد أربع ساعات من

القصف المدفعي فسيطر نادر شاه عليها واضاف بعض رجالها إلى جنوده بعد ان عبث بالبلدة واموالها[117].

وبعد احتلال اربيل توجه نادر أيضا إلى الموصل وحاصرها من كل الجوانب وجعل منطقة قريبة من مقبرة النبي يونس مقرا لقيادته. ودام الحصار اثنين واربعين يوما يرشق ويقذف خلال تلك المدة ما يزيد على اربعين ألف قنبلة. مع العلم ان اهالي الموصل قد دافعوا عن بلدتهم بقيادة الحاج حسين باشا الجليلي خير دفاع ويقول المؤرخون بأن الشظايا المتطايرة كانت تظلم السماء في النهار وتنيرها في الليل كما تنيرها الشهب وازهقت نفوس كثيرة وتبددت أموال وفيرة إلا ان ذلك لم يؤثر في العزائم والقوى المعنوية للمحاصرين[118] على الرغم من ان مهدي الاسترابادي يقول ان العثمانيين حينما شعروا بانهم لا يتمكنون من المقاومة أمام القوات النادرية تاسفوا على اختيارهم سبيل الحرب والمقاومة، وخاف الباشوات والحكام من الاسود الضواري من جنود نادر لذا ارسلوا جمعا من الرؤساء والمتنفذين يحملون هدايا التي كانت عبارة عن عدد من الجياد العربية الاصيلة لنادر شاه وطلبوا الهدنة وايقاف القتال ريثما يرسلون وفدا إلى الباب العالي ليقنعوا أصحاب الرأي هناك بضرورة قبول شروط الشاه المقدمة إلى الدولة العثمانية[119] ولكن حقيقة الأمر لا تخفى على أحد ذلك بأن نادر اضطر بسبب المقاومة الشجاعة لأهل المدينة على قبول الصلح، فاستقبل وفد الموصل المتكون من قاضي الموصل وعلي افندي الفلاحي مفتي الشافعية وقرد مصطفى بك بحفاوة بالغة. واثنى على بسالة أهل الموصل[120] فتم الصلح بين الطرفين. وتبادلا الهدايا وكانت هدية الحاج حسين الجليلي إلى نادر شاه ثمانية رؤوس من جياد الخيل [121]

عندما اتم نادر عقد الصلح مع اهالي الموصل توجه بجيوشه صوب بغداد فانتشر الرعب والخوف بين سكانها، واستعد أحمد باشا للحصار. ولكن نادر شاه بعد وصوله إلى الكاظمية، ارسل رسولا إلى أحمد باشا يطمئنه بأنه يسعى إلى توكيد الصلح مع الدولة العثمانية، ثم جرت مفاوضات بين الرجلين لم تعرف تفاصيلها[122]، وزار بعد ذلك نادر ضرائح موسى بن جعفر ومحمد الجواد ثم عبر دجلة في قارب، وزار الإمام أبا حنيفة، ولم يتصاعد الخلاف بينه وبين أحمد باشا حتى عندما افصح عن مطالبته بالاقرار على صحة المذهب الجعفري. ثم توجه إلى النجف لزيارة ضريح

الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وليحقق ما يصبو إليه من جعل المذهب الجعفري مذهبا خامسا في الإسلام.

مؤتمر النجف

كانت خطة نادر هي ان يجعل من التشيع مذهبا فقهيا خامسا يضاف إلى المذاهب الأربعة الموجودة عند أهل السنة، وقد اطلق عليه اسم المذهب الجعفري نسبة إلى الإمام جعفر بن محمد باقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويبدو ان نادر شاه لم يكن أول من جاء بمثل هذه الفكرة بل ان الشريف المرتضى الذي عاش في بغداد في العهد البويهي قد سبقه اليها، وقد اتفق الشريف المرتضى مع الخليفة العباسي القادر بالله على ان يأخذ من الشيعة مئة ألف دينار ليجعل مذهبهم في عداد مذاهب السنة، فترتفع إليه التقية والمؤاخذة على الانتساب اليهم، وقد كلف المرتضى الشيعة بأن يجمعوا نصف المبلغ ويدفع نفسه النصف الآخر من خاصة امواله، فلم يوفقوا لذلك[١٢٣]، فإن اخفاق الشريف المرتضى في مشروعه يرجع سببه إلى ان الفرق بين أهل السنة والشيعة الاثني عشرية لم يكن مقتصرا على القضايا الفقهية فقط بل يشمل أيضا قضايا اعمق من ذلك، متصلة بأصول الدين وأصول الدين عند أهل السنة ثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد بينما هي عند الشيعة خمسة حيث يضيفون إليها العدل والإمامة، تعني الثورة الدائمة على الأنظمة القائمة في العالم الإسلامي، مادام الإمام غائبا فكل حاكم جائر غاصب يجوز الخروج عليه عند المقدرة والتمكن وإلا فالتقية واجبة[١٢٤] اضيف إلى ذلك ان الشيعة يؤمنون بأن الائمة الاثنى عشرية كلهم مراجع للعقيدة والفقه، ولا يتميز بعضهم عن بعض في شيء اذهم جميعا في الفضل والقدسية سواء، ومعنى هذا ان الشيعة يفضلون ان يطلق الإمامية أو الاثنى عشرية عليهم بدلا من اسم الجعفرية، فمهما تكون الحال فقد وطد نادر شاه العزم على تنفيذ خطته وبذل قصارى جهوده في سبيل ذلك والظاهر إنه وجد في جعفر الصادق الذي يصلح ان يكون رمزا للتقريب بين السنة والشيعة، فقد كان الإمام يعيش في العصر نفسه الذي عاش فيه مالك وأبو حنيفة وهما من كبار ائمة السنة، والمعروف عنهما أنهما كانا يجلانه كل الاجلال، وكان الإمام جعفر فضلا عن ذلك ينتمي إلى علي بن أبي طالب من جهة أبيه وإلى أبي بكر الصديق من جهة أمه وجدته، والمأثور عنه إنه كان يعلن للناس قائلا: ولدني أبو بكر مرتين، وذلك كي

يردع الغلاة الذين اعتادوا على سب أبي بكر وصاحبه عمر رضى الله عنهما، فأخذ نادر شاد يقسر الإيرانيين ويجبرهم بالقوة على ترك ما كان الصفويون قد احدثود من عادات سينة وطقوس طائفية بغيضة. وحينما وجد مقاومة من بعض علماء الشيعة صار يضيق عليهم الخناق. ويفرض الغرامات الباهظة ثم صادر الاوقاف وامر بقتل الملا باشي كبير مجتهدي الشيعة الاثني عشرية في إيران عندما اعلن عن مخالفته في مؤتمر مغان لمشروعه بجعل الجعفرية المذهب الرسمي لإيران بدلا من الشيعة الاثني عشرية. وقد أراد نادر شاد بتوحيد السنة والشيعة ورفع الاختلافات بينهما وبعدها القضاء على الدولة العثمانية التي عدت حكمها امتدادا شرعيا للخلافة الإسلامية ويبني على انقاض الدولة العثمانية دولة إسلامية كبرى تجمع السنة والشيعة معا، وبعمله هذا سوف يضمن لجانبه تأييد الفرس والأفغان والاوزبك والاكراد والتركمان وسائر القوميات الأخرى[١٢٥] إلى دولته الإسلامية الجديدة، ومما يجدر الارشارة إليه هو ان نادر نفسه لم يكن متعصبا لطائفة معينة في الإسلام، ويروى إنه جمع ممثلي الاديان المختلفة عام ١٧٤١م في مؤتمر في النجف الاشرف وأمرهم بالدخول في نقاش بينهم لم يصلوا إلى جوهر الحقيقة، وبعد الجدال والنقاش الطويل لم يصلوا إلى نتيجة تذكر. تمالك نادر الغضب الشديد، وقال قولته المشهورة " إذا كان الله واحدا فالاديان بالضروة يجب ان تكون واحدة[١٢٦] أيضا" ولاهمية مؤتمر النجف من الناحية التاريخية والدينية من حيث التقريب بين السنة والشيعة نسلط الضوء على أهم قراراته التي صيغت على الآتي:-

١. ان أهل إيران عدلوا عن العقائد السلفية ونكلوا عن الرفض والسب وقبلوا المذهب الجعفري الذي هو من المذاهب الحقة، فالمأمول من القضاء والعلماء والافندية الكرام الاذعان بذلك، وجعله خامس المذاهب

٢. ان الاركان الأربعة من الكعبة المعظمة في المسجد التي تتعلق بالمذاهب الأربعة يشاركهم المذهب الجعفري في الركن الشامي بعد فراغ الإمام فيه من الصلاة، يصلون بإمامهم على طريقة الجعفرية.

٣. في كل سنة يعين من حكومة إيران أمير للحجاج الإيرانيين فيكون في الدولة العلية العثمانية أعلى شأنا من الأمير المصري أو الشامي.

٤. يعين وكيلان في الدولتين من قبل السلطتين لأجل القيام بمصالح المملكتين[١٢٧].

وبهذد السهولة ترتفع الاختلافات الصورية والمعنوية بين أمة سيد الثقليين ثم

سجلت في المحضر خلاصة العقيدة التي تم الاتفاق عليها بين علماء السنة والشيعة وهي الاقرار بالخلفاء الأربعة على الترتيب. وان ذلك مقبول عند ائمة سائر المذاهب، فمن اظهر العداء له يكون بعيدا عن كسوة الدين. ثم سجلت كذلك شهادة اهل السنة على هذه العقيدة التي عدت المذهب الجعفري داخلا في الإسلام ومن أمة سيد الانام وكل من اظهر العداء مع هذه الفرقة فهو خارج عن الدين ومحروم من شفاعة خاتم الانبياء والمرسلين. وان الاختلاف مع أهل هذه العقيدة في بعض الفروع غير مناف ومغاير للإسلام وانهم فرقة من المسلمين من أمة محمد ولا يجوز بين الفريقين المسلمين القتال ونهب وسلب كل واحد منهم الآخر لأنهم اخوان في الدين(١٢٨)

وعلى الرغم من أهمية هذا المؤتمر وعظمته فإنه لم يكتب له النجاح ولم يكن موضع تأييد الإيرانيين الشيعة أو أهل السنة والجماعة في الدولة العثمانية(١٢٩) وان التقارب الطائفي الذي حصل في مؤتمر النجف لم يكن عميق الجذور ولم يتغلغل في اعماق القلوب وقد بقي سوء الظن يلعب دورد على الرغم من الاتفاق الظاهر(١٣٠) ونستنتج من ذلك ان نجاح المؤتمر حينئذ يعود إلى إرادة نادر شاه الذي كان يرغب بانجاح المؤتمر بكل وسيلة حيث اوعز إلى ملا باشي وسائر علماء الشيعة ان لا يكثروا الجدل مع علماء السنة ولا يعاندوهم ويتجنبوا الجدل المنطقي القديم الذي هو طريقة عقيمة لا توصل إلى نتيجة(١٣١) لذلك لم يلبث طويلا حتى استعرت الحرب بين الطرفين العثماني والإيراني بعد مرور بضعة أشهر من انعقاد مؤتمر النجف وبعد مقتل نادر شاه رجعت الأمور إلى ما كانت عليه من الصراع والاقتتال بين السنة والشيعة وقبر المشروع إلى الابد.

في عام ١٧٤٤ اندلعت الحرب من جديد بين نادر شاه والدولة العثمانية على الحدود القريبة من ارمينية، وكانت الجيوش العثمانية بقيادة محمد باشا يكن ودخلت العساكر العثمانية قارص والتقى الجيش الإيراني والعثماني في منطقة "اريوان" واستمرت المعركة على ضراوتها في منطقة "مرادتيه" المكان نفسه الذي هزم فيه نادر قبل عشر سنوات القائد العثماني عبد الله باشا كوبرلو، وعلى الرغم من شدة القتال استمات العثمانيون في المقاومة العنيفة ولكن المعركة انحسمت بهجوم صلعق لقوات نادر شاه الاحتياطية وهو ما أدى إلى حصول ارتباك عظيم في صفوف الجيش العثماني والانسحاب غير المنظم إلى قواعده الأصلية ولم يستمر نادر في الضغط على

العثمانيين بسبب التعب المفرط الذي ظهر على قواته. وبدأ نادر يترقب الاحداث. ويهيئ جيشه للهجوم الأخير وبينما كان مشغولا بترتيباته الأخيرة وصله خبر انتصار ابنه نصر الله ميرزا على قسم من الجيوش العثمانية قرب الموصل بقيادة عبد الله باشا وسلطان ويردي خان الاردلاني(١٣٢) وأرسل نادر رسولا إلى محمد باشا يكن، يخبره بالانتصار الجديد لجيوشه وعدم مقاومته امامه. وعندما وصل الرسول إلى مقر الجيش العثماني علم بخبر اندلاع تمرد دموي في صفوف الجيش العثماني مما أدى إلى مقتل قائده محمد باشا يكن. وبعد هذا الحادث تفرقت الجنود العثمانية شذر مذر وتركوا جميع اعتدتهم ومدافعهم وذخائرهم في ساحة القتال. فقتل في هذه المعركة ١٢٠٠٠ اثنا عشر ألف مقاتل عثماني وثلاثة من الباشوات الكبار وعدد من الضباط برتب عالية(١٣٣). ووقع خمسة الاف من الجنود في الأسر واستولى جيش نادر على جميع محتويات معسكر العثمانيين(١٣٣).

حاولت الدولة العثمانية اعداد جيوش جديدة لاعادة الكرة على نادر غير إنه ابدى رغبته الحقيقية في الصلح، وأرسل من لدنه وفدا إلى اسطنبول للمفاوضة، فلما جاء الوفد إلى بغداد التقى باحمد باشا والي بغداد، فبذل أحمد باشا جهدا كبيرا في التوسط من أجل الصلح بين الطرفين المتخاصمين، ولم ينوه نادر في اقتراحاته الجديدة بوصفها شروط صلح بين الدولتين بضرورة الاعتراف بالمذهب الجعفري مذهبا خامسا في الإسلام(١٣٤)، ولكنه طالب بمنطقة وان وكردستان العثمانية وبغداد والنجف وكربلاء والبصرة، وعدت الدولة العثمانية تلك الشروط قاسية غير قابلة للتنفيذ، وهيأت نفسها لحرب قادمة، ولكن نادر لم يكن مستعدا لدخول حرب جديدة معهم لعلمه التام بتعب جيشه واعيائه وضعف معنوياته وتذمره الشديد من الحروب المتكررة، فلذلك رأى من الحكمة التروي والتساهل في مطالبته، وبذل السفراء بينهما جهودا جبارة لتقريب وجهات نظر الفريقين، وأخيرا تم الاتفاق بينهما في منطقة كروان القريبة من مدينة مهاباد الكردية(١٣٥) على صلح دائم بتاريخ ١٧ شعبان عام ١١٥٦ هجري(١٣٦) ايلول ١٧٤٦م وانتهى عهد النزاع والصراع الحاد بين الدولتين المتخاصمتين. كانت الأيام الأخيرة لنادر شاه مليئة بالمآسي والويلات والقتل وابادة الابرياء، وفر الكثيرون من الناس إلى الكهوف والصحارى خوفا من بطشه وبطش حكامه وقواده وجباته الظالمين، فسخط الناس عليه سخطا شديدا وقد اشرنا إلى بعض الثورات المتكررة في ارجاء دولته في الصفحات السالفة، وكانت ثورة اهالي سيستان بقيادة فتح علي خان السيستاني من الثورات المهمة التي حركت الجماهير

الغفيرة ضد النظام النادري[١٣٧] وعلى الرغم من اندحار فتح على خان أمام الجيش النادري وبرغم اسر قائد الثورة فإن انصاره تجمعوا حول أحد من قواده البارزين يدعى ميركوجيك واعتصموا بقلعة "كوه خواجه" المنيعة. فأرسل نادر ابن اخيه على قلي خان بمعية قائده المعروف طهماسب ميرزا الجلائري لقمع الثورة والقضاء عليها. ولما كان نادر قد خرج من حدود الاعتدال النفسي وفقد توازنه العقلي أرسل رسولا إلى ابن أخيه علي قلي خان يطلب منه جباية مبلغ ١٠٠٠٠٠ مئة الف تومان ضريبة من الاهلين. ولما رأى على قلي خان استحالة جباية هذا المبلغ الضخم من هؤلاء الرعية الفقراء المعدمين ولعلمه بأن نادر لا يمكن ان يتراجع عن قراره هذا فلم ير مجالا غير الانضمام إلى الثورة[١٣٨]. وكان القائد طهماسب ميرزا الجلائري تملكه اليأس من تصرفات نادر شاه فقرر في نفسه تنحية نادر من الحكم وتعيين أحد اولاده شاها على إيران وجعل علي قلي ميرزا قائدا للقوات الإيرانية وكان على قلي خان ميرزا على خصام مع طهماسب ميرزا الجلائري ولم يكن يثق به وأخذ يغتنم الفرص للايقاع به وفعلا افلح بقتله بدس السم في الطعام. وبذلك تخلص علي قلي من خصم لدود ومنافس قوي المعروف باخلاصه الشديد لنادر شاه، واصبح حاكما مطلقا في سيستان[١٣٩].

وبعد هذه الثورة التي قواها علي قلي خان في سيستان وقع عصيان في خراسان اثاره اكراد قوجان واعلنوا تأييدهم وتضامنهم مع علي قلي خان الثائر. واوجس نادر خيفة من توسيع رقعة الثورة. فتحرك على رأس جيش كبير يقدر بـ(١٦٠٠٠) ستة عشر ألف مقاتل للقضاء على ثورة الاكراد أولا، وثورة على قلي خان من بعدها، تمركزت قوات نادر في طريقه إلى قوجان في منطقة فتح اباد. وبحسب بعض الروايات ان نادر كان على علم بما يدور حوله من مؤامرات ودسائس، فقرر الرجوع إلى كلات. ولكن حاشيته اقنعوه بالبقاء كي يتخلص من رؤوس المتآمرين وعلى رأسهم صالح خان الافشاري رئيس بلاطه ومحمد قلي خان القاجاري رئيس حرسه الخاص ووالد إحدى زوجاته[١٤٠] ويقال أنه جمع قبل مقتله بيوم جميع عساكر الافغان الذين كانوا يقدر عددهم باربعة آلاف مقاتل وبقيادة أحمد خان الابدالي بن محمد خان الدوزي واخبرهم بأنه مرتاب من حرسه الخاص وامرهم بتجريدهم من السلاح ومن لم يمتثل للأوامر فاقتلوه بلا رحمة، وأكد ضرورة التخلص من صالح خان الافشاري ومحمد قلي خان القاجاري. ولكن جاسوسا بين قواده أخبر

المتآمرين بالامر فاقسم صالح خان الافشاري ومحمد قلي خان القضاء على نادر شاه مهما كلفهم الأمر من التضحيات وان يتغدوا به قبل ان يتعشى بهم[١٤١]

اجتمع المتآمرون ليلة الحادي عشر من عام ١١٦٠هجري- الثالث والعشرين من شهر حزيران ١٧٤٧م[١٤٢] وحظر مجلسهم كل من قوجه بيك القاجاري وموسى بيك الافشاري وقوجه بيك كوندوزلوي الافشاري[١٤٣]. وكان المتآمرون على اتصال مسبق بـ(علي قلي خان) ابن اخي نادر، فدخل المتآمرون خيمة نادر شاه في تلك الليلة واستيقظ نادر من حركة المتآمرين واستعد للدفاع عن نفسه، وفعلا تمكن من قتل اثنين منهم[١٤٤]، ولكن صالح بيك الافشاري انهال عليه بضربة سيف من الخلف فارداه قتيلا، ومهما تكن الحال فقد مات الشاه ميتة تليق به مقاتلا شجاعا وهنا لا يسعنا إلا ان نشير إلى ما وصفه به جونسن هنوي بأنه جمع في صفاته ظلم وجور نيرون وذكاء هانيبال وشجاعة واقدام سيبيون وحيل وخداع كرمويل وطبع وحرص سبازيانوس والمصير الأسود ليوليوس قيصر[١٤٥]، فلما ذاع نبأ مقتله بين أفراد جيشه شاعت الفوضى والقتال بينهم فاسرعوا إلى خيامه ونهبوها وبدأ القتال بين الشيعة والسنة من أفراد جيشه، فتوحدت القوات الأفغانية الابدالية والاوزبكية بقيادة "احمد خان الابدالي" ودخلوا في قتال مع القوات الافشارية واندحرت الجموع الافشارية ونهبت القوات الأفغانية المعسكر النادري وتوجهوا إلى نادر اباد قرب قندهار، وكون أحمد خان الابدالي دولة في افغانستان وهي الدولة الأفغانية التي لا تزال قائمة هناك[١٤٥] وانتخبت القبائل الافشارية علي قلي خان الذي كان قاطنا حينئذ في هرات شاها على إيران خلفا لنادر شاه ورجع علي قلي خان على جناح السرعة إلى مشهد وقرر التخلص من جميع أبناء عمه اولاد نادر ليخلو له الجو وحده في حكم إيران، وارسل سهراب رئيس خدمه على رأس فوج من القوات البختيارية لقتل أبناء نادر ولما علم ابناؤه خبر مقتل والدهم خرجوا من كلات متوجهين إلى مرو، وقد حاول اخو علي قلي خان المدعو كاظم الافشاري القاء القبض عليهم ولكن افتلوا من قبضته، فارسل دوست محمد قوشجي في طلبهم والقبض عليهم، فافلح دوست محمد في القبض على الأميرين إمام قلي ميرزا بن نادر وشاه رخ ميرزا بن رضا قلي ميرزا على بعد ٥٤ كيلو متر شرقي كلات وارسلهم مخفورين إلى كلات، كما وان دوست محمد أرسل قوة يقودها أحد رجاله الاشداء المدعو: قربان علي للقبض على ولي العهد نصر الله ميرزا، وحاصر قربان علي نصر الله ميرزا في قرية ((حوض ستك)) واستمر القتال بينهما واستمات نصر الله ميرزا في الدفاع عن نفسه وجرح

قائد القوة جرحا بليغا وتمكن من الهرب ولكن رجال من قوته اتو به اسيرا إلى كلات، وقد قتل سهراب رئيس خدم علي قلي خان ورضا قلي ميرزا المسمول مع ثلاثة عشر شخصا من أبناء واقرباء نادر شاه في كلات[١٤٦]، وأخذ معه كلا من نصر الله ميرزا وإمام قلي ميرزا وشاه رخ ميرزا إلى مشهد ليقرر علي قلي خان مصيرهم.

أمر علي قلي خان الذي اغتصب العرش، حيث لقب نفسه عادل شاه بقتل أبناء نادر جميعا وهم كل من نصر الله ميرزا وأمام قلي ميرزا وجنكيز الذي كان عمره وقتئذ ثلاث سنوات، ومحمد فتح خان الذي كان طفلا رضيعا وابقى على حياة شاه رخ ميرزا بن رضا قلي ميرزا[١٤٦] حفيد الشاه سلطان حسين الصفوي من أمه فاطمة الذي كان عهدئذ عمره أربع عشرة سنة وأبقى على حياته خوفا من ثورة الاهالي ولاسيما انصار نادر شاه عليه. وقرر في حال نشوء عصيان عليه بسبب اجراءاته القاسية ضد نادر وابنائه ان يختار شاه رخ شاها على إيران رسميا ويصبح هو صاحب الأمر والنهي في البلاد[١٤٧]، عمت الفوضى والاضطرابات جميع أنحاء إيران بعد مقتل نادر شاه، وشاع القتل والنهب.

انفقد الأمن والاستقرار من كل مكان، وصار الملوك يتتابعون على عرش ايران واحدا بعد آخر، فلا يكاد الأمر يستقيم لاحدهم سوى بضعة أشهر حتىيثور عليه آخر ويخلعه عن العرش ويسمل عينيه وكان علي قلي ميرزا المعروف بـ (عادل شاه) الذي وصل إلى الحكم عام ١١٦٠-١٧٤٧ عن طريق المؤامرات الدنيئة لم يتمكن من المحافظة على عرشه إذ لم يمكث طويلا في الحكم، فقد كانت مدة حكمه مرحلة ضعف السلطة المركزية وانحلالها، ووقع قتال بين جيشه وبين قوات أخيه ابراهيم في منطقة السلطانية القريبة من زنجان، واندحر عادل شاه في هذه المعركة وفر هاربا إلى طهران، وقبض عليه حاكم طهران ميرزا محسن خان وسلمه إلى أخيه إبراهيم خان فسمل عينيه[١٤٨] جزاء على ما اقترفه من ذنوب في قتل أبناء عمومته. واجتمع رؤساء قبائل خراسان وأعيانها حول شاه رخ ميرزا وطلبوا منه قبول عرش إيران كخلف لنادر شاه. ولكنه امتنع عن قبول الحكم في بادئ الأمر[١٤٩] إلا إنه قبله بعد الحاح الخراسانيين، وسار إبراهيم على رأس قوة من جيشه للقضاء على شاه رخ. ولكن عساكره وقواته تفرقوا من حوله وذهبوا إلى سبيلهم، وعند وصوله إلى سمنان رجع إبراهيم خان مع مجموعة من عساكر الافغان إلى مدينة قم لكن أهالي قم منعوه من الدخول إلى المدينة، فالتجأ إبراهيم أخيرا إلى قلعة قلابور ولكن سكنة القلعة الذين كانوا من انصار شاه رخ قبضوا عليه وقيدوه اسيرا إلى شاه رخ فامر بسمل عينيه

قبل احضاره بين يديه، وقد قتل في طريقه إلى خراسان على يد أحد قواده[١٥٠]، وأمر شاه رخ باحضار علي قلي خان المسمول إلى مشهد وأمر بقتله شر قتله[١٥١] سنة ١١٦٢هجري ١٧٤٨. ومما يجدر ذكره ان علي قلي خان (عادل شاه) سبق وان أمر باخصاء اغا محمد خان القاجاري عندما كان صغيرا انتقاما من عصيان العشائر القاجارية واصبح هذا الخصي شاها على إيران واسس السلالة القاجارية المعروفة. لم يبق شاه رخ على العرش سوى مدة قليلة فقد ثار عليه رجل اسمه ميرزا سيد محمد بن مير داود متولي الروضة الرضوية الذي كان من اعيان خراسان وزوج اخت شاه سلطان حسين الصفوي، وقد ثار أهل خراسان على شاه رخ بحجة انه سني المذهب يعادي الشيعة. فاسر شاه رخ وسملت عيناه. واغتصب العرش وتلقب بشاه سليمان إلا إنه لم يلبث طويلا في الحكم إذ ثار عليه أحد قواد شاه رخ المخلصين يدعى يوسف علي فاسره وقتله مع جميع ابنائه واقربائه ونصب شاه رخ المسمول مرة أخرى على عرش إيران[١٥٢] إلا ان شاه رخ لم يلبث هذه المرة طويلا في الحكم فقد ثار اثنان من القادة عليه وهما مير عالم خان وكان يقود القوات العربية، وجعفر خان قائد القوات الكردية على يوسف خان. وقد تمكنا من الانتصار عليه ثم أمر بسمل عينيه واخذ شاه رخ من العرش إلى السجن مرة أخرى[١٥٣]، ولم يلبث ان دب الخلاف الشديد بين القائدين المتحالفين، وشب قتال بينهما وانتصر عالم خان على جعفر خان وسمل عينيه[١٥٤]، فلم يدم حكم عالم خان طويلا إذ اغار على إيران أحمد خان الابدالي أحد قواد نادر شاه سابقا وحاكم افغانستان، وتمكن من قتل عالم خان واقام أحمد خان الابدالي في خراسان دولة صغيرة وعين شاه رخ ابن رضا قلي ميرزا شاها عليها[١٥٥] وقد دام ملك شاه رخ[١٥٦] في خراسان زهاء خمسين عاما من عام ١١٦١-١٢١١هـ/ ١٧٤٠-١٧٩٦م[١٥٧] في الوقت الذي كانت فيه إيران تغلي بالحروب والفتن والاضطرابات من جراء التنافس على السلطة والحكم وتمكن كريم خان الزندي من استغلال الظروف السياسية المشينة والفوضى من تأسيس دولة الزند التي قضى عليها اغا محمد خان القاجاري مؤسس الدولة القاجارية[١٥٨] وبقضاء محمد خان القاجاري على شاه رخ بن رضا قلي ميرزا آلت الدولة الافشارية إلى السقوط في الهاوية. وعلى الرغم من ظهور ابن شاه رخ نادر ميرزا مدة على مسرح السياسة في عهد القاجاريين، وبقتله على يد فتح علي شاه[١٥٩] ابن اخي اغا محمد خان القاجاري سنة ١٢١٨هـ انتهت الدولة الافشارية إلى الابد.

هوامش الفصل الثاني

(١) مينورسكي فلاديمير، تاريخچه نادر شاه. ترجمة رشيد ياسمي تهران ١٣١٣ص٨.

(٢) يذكر بعض المؤرخين بأنه بدأ حياته كجمال وراع ثم قاطع طريق قبل ان يتحول إلى مقاتل في جيش الامراء المحليين في خراسان انظر عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ص١١٣ وكذلك لونكريك المصدر السابق ص٤٦٧.

(٣) بيكولوسكايا وآخرون، تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي ص٥٩٣.

(٤) حسن بيرنيا وعباس اقبال، مصدر سابق ص٧١٠، وكذلك د. محمد وصفي أبو مغلي، إيران دراسة عامة بغداد ١٩٨٥ص٢٥.

(٥) ليكهارت . الترجمة العربية، مصدر سابق، ص١٩.

(٦) لأجل التعرف على شجاعة وظهور نادر شاه أنظر:

Lochart.Nadir Shah.London ١٩٣٢ P. ٢١٥-٢١٦

وكذلك محمد كاظم: عالم اراي نادري بامقدمة ميلكو ج١ موسكو ١٩٦٠ ص٢٢٦

(٧) د. علاء موسى كاظم نورس حملة نادر شاه على بغداد مجلة المورد المجلد الثامن العدد الرابع سنة ١٩٧٩ ص٩٢

(٨) بيكو لوسكايا وآخرون، تاريخ إيران ص٥٩٤

وكذلك محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية بيروت ١٩٧٧ ص١١٤ بينما لوكهات يذكر بأن بابا علي قد مات سنة ١٧٣٣م وترك املاكه لنادر وينفي لوكهارت أية علاقة لنادر بموته.لأن ذلك سيقود إلى نزاع عائلي انظر Lochart opcit p٢١

(٩) مرتضى راوندي ج١ المصدر السابق ص ٤٣٩

(١٠) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٦٧. وكذلك منذر الموصلي: عرب واكراد ط١ بيروت ١٩٨٦ص ١٧٥.

(١١) لكهارت نادر شاه: ترجمة مشفق همداني تهران ١٣٣١ هجري ص١٥. عبد العزيز سليمان نوار ج١ المصدر سابق ص ١١٥

(١٢) يذكر الدكتور علي الوردي أن هذا هو الاسم الذي اشتهر به نادر بين سكان العراق عند مجيئه إلى العراق لفتحه وقد اختزل الاسم على السنة العامة فصار طهماز انظر لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص١١٠.

(١٣) عبد العزيز سليمان نوار تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ج١-١١٥

(١٤) مرتضى راوندي المصدر السابق ج٢ ص٤٣٩.

(١٥) عبد العزيز سليمان نوار ج١ المصدر السابق ص٦١٧.

(١٦) لقد اختلف المؤرخون حول مصير اشرف لكن الشيء الأقرب من الصواب إلى حد كبير إنه لقي حتفه في منطقة سيستان ومعه ثلاثة أشخاص على يد عبد الله خان أحد رؤساء تلك المنطقة. انظر ليكهارت، الترجمة العربية، مصدر سابق ص٤٠ وكذلك عبد الله رازي المصدر السابق ص٤٣٩..

(١٧) شغل أحمد باشا خلال حياته عدة مناصب فقد عهدت إليه ولاية شهرزور سنة ١٧١٥م ثم عين واليا على قونيه وبعدها تولى ولاية البصرة سنة ١٧١٧م وبقي فيها أربع سنوات ثم حل محل أبيه حسن باشا في باشوية بغداد عام ١٧٢٣م وبقي فيها حتى وفاتهما عدا نقله منها سنة ١٧٣٤ إلى ادرنة ثم عودته إليها سنة ١٧٣٦م وقد بلغت مدة حكمه مرتين ٢٢ عاما.

(١٨) لونكريك، المصدر السابق ص١٦٨.

(١٩) شاهين مكاريوس تاريخ إيران، القاهرة ١٨٩٨ ص١٩٩وكذلك لكهارت نادر شاه، ص٨١، لونكريك المصدر السابق ص١٨٩.

(٢٠) محمد علي التبريزي: تاريخ نادر تهران ١٣١٤ص١١٤ وكذلك الكركوكلي، دوحة الوزراء ص٢٨.

(٢١)Edward Brown. Aliterary History Of persia. camb. Rige ١٩٥٣.٧٥١٤-p. ١٣٤. وكذلك ليكهارت الترجمة العربية، مصدر سابق ص٥٣

(٢٢) مرتضى راوندي، المصدر السابق ج٢ ص٤٤٠ وحسن برنيا وعباس اقبال، تاريخ إيران ص٧١٧ وكذلك محمد علي تبريزي المصدر السابق ص٩١٥.

(٢٣) لكهارت، نادر شاه ص٨٩.

(٢٤) ليكهارت، الترجمة العربية، مصدر سابق ص٥٧. مرتضى راوندي المصدر السابق ج٢ ص٤٤٠ وكذلك بهرام افراسيابي: عقاب كلات، تهران ١٣٧٠ص٣٥١

(٢٥) محمد صادق موسوي: تاريخ كيتي كشا. بتصحيح سعيد نفيسي تهران ١٣١٧ ص٥.

(٢٦) لونكريك، المصدر السابق ص١٦٩ وكذلك علي الوردي: لمحات اجتماعية ج٨ ص١١١

(٢٧) الكركوكلي، دوحة الوزراء ص٢٩ وكذلك مينورسكي تاريخجه نادر شاه، ص٣٦.

(٢٨) محمد أمين زكي بك، تاريخ السليمانية، ترجمة الملا جميل الروزبياني بغداد ١٩٥١ ص٧٢.

(٢٩) ليكهارت، الترجمة العربية، مصدر سابق، ص٦٠.

(٣٠) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ط١ مصدر سابق ص١١٢ وكذلك عبد العظيم رضاني: تاريخ ده هزار ساله ايران جلد جهارم از سلسلة افشارية تا انقراض قاجارية تهران ١٣٧٧ ص٢١.

(٣١) مجموعة من أساتذة جامعة بغداد، العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣ ص٥٩٢-٥٩٣. وكذلك عبد العظيم رضاني: تاريخ ده هزار ساله ايران جلد جهارم ص٢١.

(٣٢) طوبال عثمان الاعرج من مواليد اليونان عام ١٦٩٢ وتثقف في استانبول في مدرسة سرايلي في الاستانة وفي السادسة والعشرين من عمره بدأ يتبوأ عدد من المناصب الرفيعة في اليونان وبلاد الروم ايلي وفي عام ١٧٣١م اعتلى منصب الصدارة وابلى بلاء حسنا في كثير من المعارك فتشود جسمه بعدد من الجراح وقد لقب بالاعرج بسبب اصابته في رجله كان شجاعا حكيما ومتزنا شريفا ورفيقا ومتواضعا وكان ذا شخصية خلابة وقد احيل على التقاعد سنة ١٧٢٢ وفي عام ١٧٣٣ قاد حملة عسكرية لانقاذ بغداد. انظر:

Edward Grasy: History of Ottoman Turks:.London. ١٨٧٨. pp٣٥١-٣٥٢

(٣٣) لكهارت المصدر السابق ص١٠٠ وكذلك علي الوردي المصدر السابق ج١ ص١١٤ وكذلك لونكريك المصدر السابق ص١٤١-١٤٢

(٣٤) رضا شعبان، تاريخ نادر شاهي "نادر نامه" تهران ١٣٤٩هجري ص٤٠ وكذلك محمد بن علي التبريزي المصدر السابق ص١٢٢

(٣٥) بهرام افراسيابي: عقاب كلات ص٢١٨

(٣٦) مينورسكي، تاريخجه نادر شاه. مصدر سابق ص٣٨

(٣٧) ذكر عباس العزاوي: بأن نادر قلي قد ترك في بغداد اثني عشر ألف جندي لمواصلة حصار بغداد. انظر العراق بين احتلالين، ج٥ ص٢١٤. وكذلك انظر: ليكهارت، الترجمة العربية، مصدر سابق، ص٦٥.

(٣٨) لكهارت المصدر السابق ص١١٤ وكذلك د. علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص١١٥

(٣٩). j. Fraser. The History of Nadirshah. London ١٩٧٢. p١١٠

(٤٠) بهرام افراسيابي، عقاب كلات ص٢٢٦

(٤١) عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء ص١٢٦

(٤٢) مينورسكي، تاريخچه نادر شاه، ص٤٠. ليكهارت، الترجمة العربية، مصدر سابق، ص٦٨.

(٤٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ص١١٥ وكذلك الكركوكلي دوحة الوزراء، ص٣٤

(٤٤) ليكهارت، الترجمة العربية، مصدر سابق، ص٦٩.

(٤٥) للاطلاع عن تمرد محمد خان البلوجي انظر بهرام افراسيابي عقاب كلات ص٢٤٣-٢٥٠

(٤٦) مينورسكي، تاريخچه نادر شاه ص٤٣. وكذلك عبد العظيم رضائي، جلد مهارم، مصدر سابق، ص٢٢.

(٤٧) لونكريك، المصدر السابق ص١٨٠ وكذلك شاكر صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران بغداد ١٩٦٦ص٤٣ وكذلك محمد حسين ميمندي نزاد، المصدر السابق ص٣٣٩. ليكهارت، الترجمة العربية، مصدر سابق، ص٧٠.

(٤٨) مينورسكي، تاريخچه نادر شاه، ص٥١

(٤٩) لونكريك المصدر السابق، ص١٨١

(٥٠) كمال مظهر احمد: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر بغداد ١٩٨٥ص٢٢

(٥١) لونكريك المصدر السابق، ص١٨١ وكذلك عبد العزيز سليمان نوار المصدر السابق ج١ ص١٢٣

(٥٢) كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص٢١-٢٢

(٥٣) نور الله لازوردي، زند كاني نادر شاه بسر شمشير جاب أول تهران ١٣١٦، ص٩٧

(٥٤) د. علي الوردي، المصدر السابق ط١ ص١١٨

(٥٥) هو أحد القادة البارزين لنادر شاه شارك معه في أكثر فتوحاته وبقي وفيا لـــه حتـــى آخر لحظة من حياته للاطلاع على دوره انظر محمد حسين ميمندي نـــزاد. المصـــدر السابق

(٥٦) لمعرفة تفاصيل تتويج نادر شاه في مغان والقرارات التي اسفرت عن هذا الاجتمـــاع انظر ميرزا مهدي خان استرابادي جهانكشاي نادري تهران ١٣٣١ ص٢٦٦-٢٧٤

(٥٧) ليكهارت. الترجمة العربية. مصدر سابق. ص٩٤ وكذلـــك ازهـــار قاســـم حســـوني. المقاومة العربية للغزو الفارسي في عـــهد نـــادر شـــاه "١٧٣٦-١٧٤٧" اطروحـــة ماجستير باشراف الدكتور حسن كريم الجاف معهد التاريخ العربي والتراث العلمـــي للدراسات العليا اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٩ ص٦٥

(٥٨) المذهب الجعفري نسبة إلى الإمام جعفر الصادق وهو الإمام الســـادس بيـــن الائمـــة الاثني عشر المنحدر من نسل الرسول ص وهو أحد الفقهاء الذين لهم منزلة كبـــيرة في قلوب المجتهدين اولسن روبرت. مصدر سابق ص١٨٤

(٥٩) لكهارت. المصدر السابق. ص٣٩ وكذلك مينورسكي سازمان اداري حكومت صفـــوي. ترجمة مسعود رجب نيا تهران ١٣٣٤ هجري ص٧٢

(٦٠) ن وبيكو لوسكايا وآخرون. المصدر السابق ص٦٠١

(٦١) عبارة "الخير فيما وقع" تقابلها بالابجدية هذا التاريخ والذين لم يرضوا ببيعـــة نـــادر قلبوا التاريخ المذكور إلى هذه العبارة "لاخير فيما وقع وهو أيضـــا" عيـــن التـــاريخ الأولي انظر عبد الله بن حسين السويدي مؤتمر النجف بغداد ١٩٦٨ ص١٣

(٦٢) ن وبيكولوسكايا وآخرون المصدر السابق ص٦٠٢ وكذلـــك Bersy sykes. op. cit. vo١٢ p٢٥٤-٢٥٥

(٦٣) د. علي الوردي. المصدر السابق ج١ ص١١٩

(٦٥) Edward Browne. op. citvo١٤. p١٣٧

(٦٥) يبدو ان نادر قلي لم يكن أول من جاء بمثل هـــذه الفكـــرة فـــالمظنون ان الشـــريف المرتضى الذي كان في بغداد في العهد البويهي قد سبقه إليها وقد اتفق مـــع القـــادر بالله الخليفة العباسي على ان يأخذ من الشيعة مئة ألف دينار ليجعل مذهبـــهم فـــي عداد المذاهب السنية فترتفع التبعية والمؤاخذة على الانتساب اليهم وقد كلف الشريف المرتضى الشيعة بأن يجمعوا نصف المبلغ ويدفع هو النصف الآخر من ماله الخـــلص

فلم يوافقوا إلى ذلك انظر محمد باقر الخوانساري: روضات الجنات في احوال العلماء والسادات. طهران ١٣٦٧ ص٣٧٨

(٦٦) لكهارت. المصدر السابق ص١٤٢ وكذلك نور الله لازوردي زند كاني نادر شاد بسر شمشير ص٩٨ عباس برويز تاريخ دوهزار يانصدساله ايران مصدر سابق ص١١٤ وحسن بيرنيا وعباس اقبال المصدر السابق ص٧٢٣

(٦٧) نور الله لاوردي زند كاني نادر شاد بسر شمشير مصدر سابق ص١٠٢

(٦٨) عباس برويز. تاريخ دوهزار يانصدساله ايران از تشكيل سلسلة صفوية تاعهد حاضر. ص١١٦

(٦٩) سرجان مالكم. تاريخ إيران ج٢ باب ١٣ ص٢٥

(٧٠) جاء في بعض الروايات بأن محمد شاد أمر حاكم كابل بقتل رسول نادر الذي ارسله علي مراد خان

(٧١) سرجان مالكم تاريخ إيران. ج٢ باب ١٧ ص٣٧

(٧٢) محمد علي بن محمد التبريزي. المصدر السابق ص١٨٨

(٧٣) يروي بعض المؤرخين بأن زكريا خان قاوم الجيش الإيراني انظر نور الله لاوردي زند كاني نادر شاد بسرشمشير ص١٣٧وكذلك ميرزا مهدي استرابادي. درد نادري. ص٣٦

(٧٤) يؤكد أكثر المؤرخين بأن معركة كرنال وقعت عام ١٧٣٩ وقد جعل الدكتور علي الوردي خطأ تاريخ نشوبها عام ١٧٣٨ انظر لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص١٢٢

(٧٥) لكهارت نادر شاد. ص١٨٢

(٧٦) يروى بأن نادر رأى بين جنودده المقاتلين في حرب كرنال فارسا شجاعا يقاتل بضراوة وبسالة فائقة فاقترب منه في ساحة المعركة قائلا له: ما اسمك؟ ومن أية وحدة عسكرية أنت؟ فاجابه المقاتل مولاي سارد عليك بعد النصر.

(٧٧) د. عبد الله رازي، المصدر السابق.ص٤٤٢

(٧٨) نور الله لاوردي. المصدر السابق ص١٥٩ وعبد الله رازي المصدر السابق ص٤٤٣

(٧٩) مهدي استرابادي، جهانكشاي نادري. ص٢٠٦

(٨٠) مهدي استرابادي. درد نادري. ص٣٢

(٨١) عبد الله رازي المصدر السابق جـ١ ص١٢٣. وكذلك عبد العظيم رضاني جلد جهارم مصدر سابق ص٣٠.

(٨٢) د. علي الوردي. لمحات. جـ١ ص١٢٣.

(٨٣) لكهارت المصدر السابق ص١٦٥

(٨٤) عباس پرويز. تاريخ دوهزار يانصد ساله ايران. ص١٢

(٨٥) مينورسكي. تاريخچه نادر شاه. ص٨٠

(٨٦) Percy Skes. op. cit. vo١٢ pp٢٦٦-٢٧٧ وكذلك عبد العزيز سلمان نوار جـ١ مصدر سابق ص١٢٨.

(٨٧) علق اللزكيون جثة ابراهيم خان على غصن شجرة ثم حرقوها. انظر: ليكهارت. الترجمة العربية، ص١٦١ وكذلك د. محمد حسين ميمندي نزاد زندكي برما جراي نادر شاه، ص٧٢٢

(٨٨) مهدي استرابادي. تاريخ جهانكشاي نادري. ص٢٣٠-٢٣١ وكذلك محمد كاظم. عالم اراي نادري بكوشش ميكلوخوماكلاي ج١مسكو ١٩٦٠ باب ٧٩ص ٢٩٣ ومرتضى راوندي. المصدر السابق ج٢ ص٣٤٦ وليكهارت. الترجمة العربية. ص١٩٨-١٩٩.

(٨٩) د. علي الوردي، ج١ المصدر السابق ص١٢٦

(٩٠) حبيب الله شاملوني مصدر سابق ص٧١٦، ومما تجدر الإشارة إليه ان بعض المؤرخين يؤكدون بأن قتلهما كان بموافقة ضمنية لنادر شاه ولم يظهر مخالفته على عمله هذا. انظر حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٧٢٨.

(٩١) ليكهات المصدر السابق ص٢٦٤-٢٦٥

(٩٢) دكتر محمد حسين ميمندي نزاد، المصدر السابق ص٧٢٨-٧٢٩

(٩٣) هناك آراء متناقضة حول شخصية نادر شاه فيعتقد نهرو بأن غزاة التاريخ أمثال الكسندر ونابليون ونادر شاه لايمكن احترامهم وتقديرهم لأنهم لم يخطوا خطوة حسنة في الطريق سعادة البشر وتخفيف الآم البشرية ويذكر سربرسي سايكس نقلاً عن لكهارت بأن نادر شاه يعد رجلاً "عظيماً" ويطرح هذا السؤال هل الشخص الذي يتمكن ان يصبح فاتحا لآسيا من لا شيء وهو صفر اليدين يعد شخصا عاديا أم شخصا عظيما الجواب عن هذا السؤال نعم إنه شخص عظيم، تاريخ إيران الترجمة الفارسية ص١٩٢ انظر مرتضى راوندي المصدر السابق ج٢ ص٤٥٤

(٩٤) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق ص٧١٩

(٩٥) حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٧٣١

(٩٦) لكهارت المصدر السابق ص٣٠٢

(٩٧) مينورسكي، تاريخجه نادر شاه، ص: ١٠، لكهارت، المصدر السابق ص٣٠٥

(٩٨) عبد العزيز سليمان نور، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ج١ ص١٣٣ وكذلك انظر د. طارق نافع الحمداني: مقاومة العمانيين للحملات الإيرانية على بلادهم ١٧٣٧-١٧٤٤ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٣٧ السنة العاشرة الكويت يناير ١٩٨٤ ص١١٦ وكذلك روبرت جيرال: عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ترجمة محمد أمين عبد الله، ١٩٧٠ ص٥٢

(٩٩) ن وبيكولوسكايا وآخرون، المصدر السابق ص٦١١ وكذلك حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٧٣١.

(١٠٠) مينورسكي، دره نادر، مصدر سابق.ص٥٠ ودكتر محمد حسين ميمندي نژاد المصدر السابق ص٧٢٩.

(١٠١) نور الله لاروردي المصدر السابق ص٢٠٩-٢١٠ وكذلك حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧١٨ وحسن بيرنيا وعباس اقبال اشتياني، المصدر السابق ص٧٣١.

(١٠٢) مرتضى راوندي، المصدر السابق ج٢ ص٤٦٦

(١٠٣) المصدر نفسه ج٢، ص٤٦٧

(١٠٤) ظاهر بيك هو الجد الأعلى للمؤلف وهو رئيس عشائر الجاف المعروفة بجاف المرادي نسبة إلى مراد الرابع السلطان العثماني "١٦٢٣-١٦٤١"

(١٠٥) انظر كه ريم به كك فه تاح به كك جاف، ته ئريخي جاف ليكو لينه وهد. حه سه ن جاف به غدا ١٩٩٥ص٣٩-٤٠ مه ستوره ي كوردستاني، ميزوي نه ردلان ص٩٧، أية الله محمد مردوخ كوردستاني، تاريخي مردوخ، ج٢ ص١٢٢

(١٠٦) مه ستوره ي كوردستاني، ميزوي نه ردلان ته رجمه ي دكتور حه سه ن جاف وشكور مصطفى بغداد ١٩٨٩ ص٩٩-١٠٠ وكذلك محمد مردوخ كردستاني تاريخ كردو وتوابع ان يا تاريخ مردوخ، تهران ١٣٥١ ص١٢١-١٢٣.

(١٠٧) كانت خطة نادر شاه هي ان يجعل من التشيع مذهبا فقهيا خامسا يضاف إلى المذاهب الأربعة الموجودة عند أهل السنة

(١٠٨) أكد المؤرخ الانجليزي سايكس بأن علاقات صداقة حميمة كانت تربط نادر شاه بوالي بغداد أحمد باشا انظر Sykesop. cit vol٢ p٣٤٣. وكذلك الدكتور سيار الجميل: حصار الموصل. الطبعة الأولى الموصل ١٩٩٠ ص١٣٦.

(١٠٩) د. علي الوردي. جـ١ المصدر السابق ص١٤٧.

(١١٠) يذكر محمد أمين زكي بأن أحمد باشا عمد إلى طريق السياسة والمكر حيث وعد نادر شاه بتسليم بغداد وحين يتم له الاستيلاء على الموصل قاصدا من ذلك عدم الاشتباك في القتال مع نادر شاه لنلا يتعرض جيشه للهلاك. انظر: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان. مصدر سابق. ص٢٢٨

(١١١) أثار أحمد باشا الريبة في نفوس اولياء الأمور في الدولة العثمانية متهمين اياه بالتواطؤ مع نادر شاه للانفصال عن الدولة العثمانية ولكن الحقائق التاريخية تؤيد بأن أحمد باشا والي بغداد استمات في الدفاع عن ولاية بغداد أمام نادر شاه ولم يتوان من المسؤولية التي عهدت إليه قيد شعرة انظر لونكريك، المصدر السابق ص١٩٥-١٩٦

(١١٢) محمد أمين زكي: تاريخ سليماني وولاتي به غدا ١٩٣٩ص ٦٥-٦٦

(١١٣) حسين ناظم بيك: تاريخ الامارة البابانية. ترجمة شكور مصطفى ومحمد الملا عبد الكريم المدرس اربيل ٢٠٠١ ص١٠٠

(١١٤) بعث نادر شاه رسالة إلى الشيخ حسن كله زرده هذا نصه: مني إلى ذي المأرب والمني اعني به السيد حسن أما بعد فإن حبي لجدكم لا يكاد انكاره وان مرامي ترويج مذهب جعفر الصادق فبورود العريضة لابد ان تتشرف إلي وإلا يكون سببا لقهري وكان جواب الشيخ حسن كالآتي أخذت كتابكم ووافانا بالدين خطابكم أما بعد فإن قولك فإن حبي لجدكم لا يكاد انكاره ان كان يعني ان تلك المحبة غير ممزوجة ببغض سائر الاصحاب فطوبى لك في الدنيا وفي يوم الحساب وإلا فالوبال على صاحبها وأما قولك وان مرامي ترويج مذهب جعفر الصادق فإن جعفر الصادق وان كان من أجل التابعين وجدنا ليس له مذهب مدون ولو كان له مذهب مدون اتبعناه وأما قولك فبورود العريضة لابد ان تتشرف إلي فليس لي إلا ان اقول إني رجل كسيف البال وضعيف الحال فلن اقدر على المشي ولكن اوصيكم بوصايا تعملون بها فتكونوا في نجدة: ان لاتحارب السلاطين العثمانية إذ اطلع كثير من أهل الكشف على أنهم باقون إلى يوم القيامة أما أنت مضمر اياه في قلبك من تخريب الموصل فلا تفعل

وإلا كان سببا لهلاك جندك وعليك ان تعجل في التوبة لأنه يقتلك بعض اقاربك الذين الآن معك، انظر حسين ناظم بك. المصدر السابق ص١٠١ ومحمد أمين زكي تاريخ السليمانية، ترجمة الملا جميل الروزبياني بغداد ١٩٥١ ص٧٣

(١١٥) ميرزا مهدي استرابادي دره نادري. مصدر سابق ص٥٣

(١١٦) سيار الجميل حصار الموصل. مصدر سابق ص١٤١

(١١٧) المصدر نفسه، ص١٤٢

(١١٨) لونكريك، المصدر السابق ص١٨٢-١٨٤

(١١٩) ميرزا مهدي استرابادي. دره نادري مصدر سابق ص٥٥

(١٢٠) سيار الجميل، المصدر السابق ص١٧٢

(١٢١) محمد أمين العمري، منهل الاولياء: تحقيق سعيد الديوه جي ج١ الموصل ١٩٦٧ ص١٦٠-١٦١

(١٢٢) يقول المؤرخ رسول الكركوكلي، مثلا في تعليلها ان أحمد باشا وافق على مرور نادر شاه وعلى مكوثه وعده ضيفا ولسان حاله يقول إذا كنت مأكول الطعام فرحب وقال مؤرخ آخر ان أحمد باشا خدع نادر شاه واحتال عليه حيث قال له ان يسير أولا إلى فتح الموصل وعند عودته منها سيجد بغداد مفتوحة بين يديه، انظر دوحة الوزراء ترجمة موسى كاظم نورس ب. ت ص٤٥ سليمان صائغ الموصلي، تاريخ الموصل ج١ القاهرة ١٩٢٣ ص٢٧٨

(١٢٣) محمد باقر الخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق ص٣٧٨

(١٢٤) استمرت الغيبة الصغرى للإمام المهدي بحسب آراء الشيعة الاثني عشرية من سنة ٢٥٦ إلى سنة ٣٢٩ وهي المدة التي كان يتصل فيها بالناس عبر نوابه ويسمون السفراء والابواب ولم يوثق الاثنى عشرية إلا أربعة نواب مع أخذ ورد وهم عثمان بن سعيد العمري ومحمد بن عثمان بن سعيد المعروف الخلاني والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري خاتم النواب وتوفي سنة ٣٢٩ هجري وبدأت الغيبة الكبرى للإمام المهدي بعد ختم النيابة الخاصة على لسان السمري وعاد الأمر بالشيعة إلى اللحظة الثقافية السنية التي تقول بخلو الزمان من نبي بعد وفاة الرسول (ص) وما يسمى بعقيدة ختم النبوة إلا ان عقيدة ختم النيابة عن المهدي عند الشيعة

لم تذهب بهم حيث ذهبت عقيدة ختم النبوة عند السنة فقد لجأ الشيعة إلى عقيدة التقية والانتظار لظهور المهدي وذلك لقطع الطريق أمام مدعي النيابة الخاصة وللانسجام مع الأسس التي قامت عليها الإمامة عدم خلو الأرض من إمام معصوم معين بالنص يتصدى للاجتهاد الديني وللإمامة السياسية فالغيبة في الرؤية الشيعية تعبير احتجاجي على الدولة القائمة تستبطن حجب مشروعيتها إلا في زمن الظهور انظر عبد الحسين مهدي العسكري. العلويين النصيرية بغداد ١٩٨٠ ص٤٥ وكذلك فؤاد إبراهيم، العقد والدولة. بيروت دار الكنوز ص٤٨-٤٩.

(١٢٥) يذكر السويدي بأن نادر شاه قال ان في مملكتي فرقتين تركستان وافغان يقولون للإيرانيين أنتم كفار فالكفر قبيح ولا يليق ان يكون في مملكتي قوم يكفر بعضهم بعض انظر سيار الجميل، المصدر السابق ص١٧٥

(١٢٦) مينورسكي، تاريخچه نادر شاه ص١٢١

(١٢٧) الشيخ محمد حسين المظفر: تاريخ الشيعة، بيروت ١٩٨٥ ص٢٢١

(١٢٨) محمد علي التبريزي، المصدر السابق ص٢٣٦

(١٢٩) بعث نادر شاه السيد نصر الله الحائري إلى مكة المكرمة في موسم الحج وأرسل نسخة من المحضر الذي تم الاتفاق عليه في المؤتمر وأرسل كتبا إلى الشريف مسعود أمير مكة وإلى المفتي والقاضي وسمح له بإقامة الصلاة والقاء الخطبة في الركن الشامي من الكعبة ولكن اهالي مكة لم يستسيغوا القرار وحصلت اضطرابات في موسم الحج مما دعى بالسلطات العثمانية ان تصدر امرا إلى الشريف مسعود باعتقال الحائري وسيق إلى اسطنبول وبعد وصوله إلى اسطنبول قتل بأمر من السلطان العثماني انظر عباس العزاوي، العراق بين احتلالين ج٥ ص٢٧.

(١٣٠) عبد الرحمن السويدي الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية مؤتمر النجف القاهرة ١٣٦٧ ص٢٦-٢٧

(١٣١) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج١، مصدر سابق ص١٣٦ وانظر كذلك علي الوردي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته قم ١٩٩٧ القسم الأول ص١٩-٢٤

(١٣٢) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧١٩

(١٣٣) لكهارت، نادر شاه، ص٣١١-٣١٣. وحبيب الله شاملوني، مصدر سابق ص٧١٩ وعبد العظيم رضاني، جلد جهارم، مصدر سابق، ص٣٤..

(١٣٤) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧١٩.

(١٣٥) لكهارت، نادر شاه، ص٣١٧

(١٣٦) ذكر محمد علي بن محمد التبريزي ان الصلح تم في العام ١١٥٠ للهجرة انظر تاريخ نادر، ص٢٥٠

(١٣٧) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧٢١

(١٣٨) مينورسكي، تاريخجه نادر شاه، مصدر سابق ص١١٥

(١٣٩) ن وبيكولوسكايا وآخرون، المصدر السابق ص٦١٢

(١٤٠) د. محمد حسين ميمندي نزاد: المصدر السابق ص١٠٠٢

(١٤١) لكهارت، المصدر سابق ص٣٠٦ وحبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧٢١

(١٤٢) ارخ بعض اعداء نادر تاريخ اغتياله بالابجديه بالعبارة الآتية (نادر بدرك رفت) نادر ذهب إلى الجحيم الذي يقابله بالابجدية عام ١١٦٠ هجري وهو تاريخ مقتله

(١٤٣) د. محمد حسين ميمندي نزاد، المصدر السابق ص١٠٠٢ وكذلك محمد كاظم، عالم اراي نادري ج٣، ص٥٩ وكذلك نور الله لاروردي نادر شاه بسر شمشير، ص٢٢١

(١٤٤) ينفي ليكهارت قتل نادر أي من المتآمرين ويقول بأن الحظ جافاه إذ التف حبل الحكمة على ساقه فهوى على الأرض وعندما حاول النهوض من كبوته هجم عليه صالح خان وعالجه بضربة سيف قطعت إحدى يديه وبعد ذلك جمد مذهولا ولم يحز على نادر ولما رأى محمد خان قاجار نادر طريحا مال عليه وذبحه من الوريد إلى الوريد. انظر نادر شاه، الترجمة العربية ص٢٤٦-٢٥٠.

(١٤٥) علي الوردي ج١ المصدر السابق ص١٤٤. زندكي نادر شاه ترجمة اسماعيل دولتشاهي تهران ب ت ص٣٢٠.

(١٤٦) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧٢٢ وعبد الله رازي المصدر السابق ص٤٤٦ وعبد العظيم رضاني جلد ٤ مصدر سابق ص٣٨.

(١٤٧) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧٢٣.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص٧٢٣

(١٤٩) نور الله لاروردي، المصدر السابق ص٢٢٣، لكهارت نادر شاه، ص٣٢٨

(١٥٠) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق ج١ ص١٣٣

(١٥١) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧٢٤

(١٥٢) عبد الله رازي، المصدر السابق ص٤٤٦ وكذلك عبد العظيم رضائي جـ٤ مصدر سابق ص٩٢.

(١٥٣) نور الله لازوردي زند كاني نادر شاد بسر شمشير، مصدر سابق ص٢٢٦ وكذلك حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٧٣٧ وعبد العظيم رضائي جـ٤ مصدر سابق ص٤٣.

(١٥٤) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧٢٥ وعلي الوردي، لمحات اجتماعية، ج١ ص١٤٥

(١٥٥) عبد العزيز سليمان نوار ج١ المصدر السابق ص١٣٤ وكذلك حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٧٢٥

(١٥٦) سرجون مالكم، المصدر السابق ج٢ باب ١٧ ص٤١

(١٥٧) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٧٢٥

(١٥٨) يعتقد "دونالد ولبر" سهوا بأن شاه رخ هو ابن نادر شاد أما حقيقة الأمر فهو ابن رضا قلي ميرزا الذي سمله أبوه نادر شاه وقتله علي شاه المعروف بعادل شاد. انظر كتاب إيران ماضيها وحاضرها، مصدر سابق ص٩١

(١٥٩) حسن بيرنيا وعباس إقبال المصدر السابق ص٧٣٧ وحبيب الله شاملوني المصدر السابق ٧٢٦ وعبد العظيم رضائي جلد جهارم مصدر سابق ص٤٣.

الفصل الثالث
الدولة الزندية الكردية ١١٦٦-١٢٠٩ هجري
١٧٥٣-١٧٩٤ميلادي

مهدت الفوضى والحروب الداخلية التي عمت ارجاء إيران لظهور شخصية فذة استطاع بشجاعته الفائقة وحزمه ان يأخذ المبادرة بيده والسيطرة على الموقف المتأزم بكل جرأة، وكان ذلك هو كريم خان الزندي(١)، ولأجل القاء ضوء على ظهور كريم خان لابد من الإشارة إلى كيفية اشتهار اسرته

وكان قد ظهر بين الزنديين اخوان هما: ايناق وبوداق واشتهرا بالشجاعة والاقدام، وكريم خان واخوه صادق خان هما: ابنا ايناق، وبعد وفاة ايناق تزوج أخوه بوداق من والدة كريم خان، وكانت ثمرة هذا الزواج ابنين هما اسكندر وزكي خان وابنة وهي والدة علي مراد خان الذي أصبح بعد وفاة كريم خان شاها على إيران(٢).

ولد كريم خان في قرية يرى "اليرية" عام ١١١٣-١٧٠١ من منطقة ملاير، وتنتسب اسرته إلى قبيلة لك الكردية(٣) التي هي إحدى افخاذ قبائل اللر المعروفة(٤) عمل كريم خان منذ عام ١١٤٠-١٧٢٧ جندياً في جيش نادر شاه ولم يكن له في البداية شأن يذكر عندما استولى نادر على منطقة كردستان، ولكن صيته شاع بين الناس مع مرور الأيام ، فقد ابدى شجاعة فائقة في غزوة نادر للهند مما أثار اعجابه، وبعد مقتل نادر تقلد كريم خان المناصب العسكرية الرفيعة في عهد عادل شاه ولكن سرعان ما وقع الخلاف بينهما، وطلب منه الاذن بالرجوع مع عشيرته إلى موطنهم الأصلي في ملاير. إلا ان عادل شاد لم يوافق على طلبه، وقرر كريم خان ترك صفوف جيش عادل شاد، وتوجه مع أفراد عشيرته إلى موطنه الأصلي في ملاير، وتحصن خوفاً من حملات عادل شاد في قلعة "يري" واتغذها مقرا لقيادته، ولم يلبث طويلاً حتى التحق مع اخيه صادق خان بناء على طلب إبراهيم خان الذي ثار على اخيه عادل شاد بقوات إبراهيم خان ولقب بعد هذا التاريخ بلقب الخان(٥) وذاع صيت كريم خان في ارجاء البلاد.

وبعد هزيمة إبراهيم خان ومقتله وتشتت قواته قرب سمنان تراجع كريم خان مع قواته إلى موطنه مرة أخرى وبدأ يترقب الأحداث بدقة وحذر فاستغل الاوضاع

القلقة والمضطربة التي اجتاحت إيران للاستحواذ على السلطة والحكم، وظهر في أنحاء البلاد رؤساء قبائل وقواد ومغامرون كل يرمي إلى الاستئثار بالسلطة مهما كلف البلاد من مآسي وويلات، فدخلت البلاد الإيرانية في حروب داخلية قاسية كما ذكرنا وكان شاه رخ المسمول اسميا "شاها على إيران" وكان مركز حكمه لا يتجاوز حدود خراسان فقد عين على اصفهان أحد رؤساء القبائل البختيارية المدعو أبو الفتح خان البختياري حاكما من قبله عليها. وكان محمد حسين خان رئيس عشائر القاجار قد وطد مركزه في استراباد واخضعت لسلطانه كافة بلاد مازندران، وكان القاجاريون في عداء مستميت مع احفاد نادر بسبب قتل نادر فتح علي خان والد محمد حسين خان رئيس عشائر القاجار. وحاول أحمد خان الابدالي تجريد حملة على محمد حسين القاجاري لازاحة القاجار من مازندران. لكن حملته باءت بالفشل الذريع أمام بسالة وصمود القاجاريين، واتسع بعد هذه الحملة نفوذ رئيس القاجار محمد حسين خان، واصبح له تأثير واضح في مجريات الأمور السياسية، وكانت ولاية اذربيجان في تلك الاونه يحكمها ازادخان الافغاني، لا ينازعه منازع في السلطة والنفوذ واستطاع أحد الرؤساء المحليين المدعو هدايت خان في السيطرة على كيلان، واعلن استقلاله التام على منطقته[٦] وهكذا كانت الحال في كرجستان التي كانت خاضعة لأحد قواد نادر شاه المدعو (هراقيلوس) وكان طامعاً في الاستقلال التام. في الوقت الذي كان فيه شمالي إيران تسوده الاضطرابات والفوضى من كل جانب. فتوجه علي مردان خان أحد رؤساء عشائر البختيارية الكردية على رأس قوة من العشائر البختيارية والجابلقية والخوانسارية نحو اصفهان ولكن حاكمها من قبل شاه في الافشاري أبا الفتح خان البختياري خرج على رأس قوة كبيرة من جيشه للدفاع عن المدينة أمام المهاجمين وبعد قتال عنيف بين الفريقين، اندحر علي مردان خان ولم ير بداً من الانسحاب، وطلب المساعدة من كريم خان الزندي ليعينه على فتح اصفهان[٧] وفعلاً اتحد القائدان وعاودا الهجوم على اصفهان، وبعد قتال مع قوات أبي الفتح خان انتصر كريم خان على قوات خصمه انتصارا باهرا، وانسحب أبو الفتح خان إلى قلعة (نارين) وتحصن بها ودخل القائدان اصفهان منتصرين.

ولم يلبث كريم خان طويلاً في اصفهان حتى هاجم قلعة نارين، واضطر أبو الفتح خان البختياري على الاستسلام واعلن انقياده وطاعته للقائدين، وتصافى القادة الثلاثة فيما بينهم في بداية الأمر وقرروا انتخاب المدعو ميرزا أبي تراب بن ميرزا

مرتضى حفيد شاه سلطان حسين شاها على إيران باسم شـــاه إســماعيل الثـــالث[8]، وقرر القادة الثلاثة التصافي والاخلاص ومراعاة الوفاء وتجنب الخيانة والغدر بينهم. واتفقوا على ان يكون علي مراد خان وزيرا يساعد الشاه الصفوي في تمشية أمـــور الدولة، ويصبح أبو الفتح خان واليا على اصفهان[9]، وكريـــم خـــان قـــاندا للجيـــش وعساكر البلاد وتقول بعض المصادر ان كريم خان لم يكن يطمح ان يكون على قـــدم المساواة مع علي مردان خان في النفوذ والسلطان بل ما كان يرنو إليـــه ان يكـــون خلفاً له بعد وفاته حيث كان هذا الرئيس البختياري أكبر منه سنا ولا ذرية له.

امعن علي مردان خان بعد استيلائه على اصفهان فـــي التعســف والطغيـــان، وانزال صنوف العذاب بالاهلين، وكان مكروها من عامة الناس، وعلى عكســه كـــان كريم خان على خلق رفيع، لذا ظفر بحب وتقدير اهالي اصفهان، وحال دون تســـرب هذه المظالم إلى منطقة نفوذه في جلفا. وكان معظم القاطنين في هذه المنطقـــة مـــن المسيحيين الذين غمرهم كريم خان بعدله المطلق وارضائهم بالابتعاد عـــن التعصـــب المذهبي والديني، ولم يكن علي مردان خان مرتاحا لشعبية كريم خان الزندي حيـــث ثارت غيرته عليه وتحركت عوامل الحسد والتنافس والبغضاء بينهما، وكـــان علـــي مردان خان يتحين الفرص للايقاع بكريم خان وابعاده من منطقة نفوذه، ولاسيما بعـــد ان أقدم على قتل أبي الفتح خان وازاحته من طريقـــه. علـــى الرغـــم مـــن العـــهود والمواثيق بينهما، وبعد ذلك عين عمه بابا خان واليا على اصفهان بـــدلا مـــن أبـــي الفتح خان[10]. وتخوف كريم خان الزند من اطماع علي مردان خان وعلم مما يبيتـــه له من الغدر والشر. فقرر التصدي له مهما كلفه الأمر. وبعد هجوم علي مردان خـــان على حاكم شيراز صالح خان البياتي، وانتصاره عليه، ودخوله شيراز منتصرا قـــرر كريم خان دخول حلبة الصراع مع علي مردان خان، فادى التنافس والغيرة والحســـد إلى نشوب القتال بينهما. فوقف كريم خان ومن معه من الحلفاء والانصـــار موقفـــا حازما وشجاعا أمام اطماع علي مردان خان. واعلنوا عليه حربـــا لا هـــوادة فيـــها، وحدثت مصادمات شديدة بين الطرفين قرب اصفهان، فاندحر فيها علي مردان خـــان ولاذ بالفرار صوب كرمنشاه ولقي هناك شخصاً يدعي انتسابه إلى السلالة الصفويـــة وحاملاً لقب "شاه سلطان حسين الثاني" فايدد علي مردان خان، ومكث مدة من الزمن في تلك المنطقة قائدا لقوات الشاه المذكور[11] وبازاحة كريم خان لعلي مـــردان مـــن

طريقه خلى الجو له في المناطق الجنوبية من إيران، واصبح سيد المنطقة لا ينازعه على سيادته منازع.

قرر كريم خان الزند التوجه نحو كرمنشاد على رأس جيش قوي للقضاء على علي مردان خان والشاد الجديد ونشبت معركة بين الطرفين قرب "هارون اباد" "شاه اباد سابقا إسلام اباد حاليا" اندحر فيها علي مردان خان شر اندحار، فاسر الشاد المزيف وبقي علي مردان خان متشردا في منطقة كردستان وكرمنشاد حتى ظفر به محمد خان الزندي وقتله[١٢]. قرر كريم خان بسط نفوذه على البلاد الإيرانية كاملة، ولتحقيق ذلك كان لزاما عليه استئصال شأفة خصومه الالداء كافة، وكان على رأسهم ازاد خان الأفغاني[١٣]، ومحمد حسن خان رئيس العشائر القاجارية هاتان الشخصيتان كانتا تقفان حجر عثرة في طريقه لتحقيق طموحه الرامي للاستيلاء على جميع ارجاء إيران، وهاجم كريم خان في البداية ازاد خان قرب قزوين. فكان النصر في تلك المعركة حليف ازاد خان ومني كريم خان بهزيمة منكرة ارغمته على الانسحاب مع اخيه صادق خان نحو اصفهان واضطر قائداه شيخ علي خان الزند إلى التوجه إلى قلعة (بري) للدفاع عنها أمام حملات ازاد خان، وفعلا تحصن القائدان مع جميع أفراد عائلة كريم خان في تلك القلعة. واضطر المحاصرون الاستسلام لقوات ازاد خان بعد حصار طويل. وامر ازاد خان بارسال الاسر الزندية من الرجال والنساء بحراسة قائده "علم خان" إلى قلعة اروميه[١٤] ولكن الاسرى الزنديين تمكنوا من قتل قائد الفوج الأفغاني علم خان المكلف بايصال الاسرى إلى القلعة المذكورة والهروب من قبضة اسريهم. ثم تابع ازاد خان فلول الجيوش الزنديه بقيادة كريم خان الزندي واخيه صادق خان وحاصر مدينة اصفهان واضطر كريم خان إلى الانسحاب إلى شيراز ولكن حاكمها هاشم خان لم يستجب لدعوته الرامية إلى مناصرته ضد ازاد خان الافغاني، فترك كريم خان شيراز متوجها بقواته نحو مدينة "قمشه" من توابع اصفهان ودارت معركة عنيفة بينهما فقتل في ساحة المعركة اسكندر خان اخو كريم خان، واضطر كريم خان أثر مقتل اخيه إلى التراجع إلى منطقة خرم اباد. فاجتمع حوله هناك عدد كبير من روساء العشائر اللرية واصحاب النفوذ، وابدوا استعدادهم لمناصرته في قتال الافغانيين. وتوجه من خرم اباد إلى منطقة بروجرد والتحق به في هذه المنطقة أفراد اسرته وبعض من قواده الذين افلتوا من اسر علم خان الافغاني كما بينا سابقا. وارسل ازاد خان أحد قواده المدعو عبد الله خان لمهاجمة

قوات كريم خان في منطقة بروجرد، ودارت الدائرة على قوات عبد اللـه الافغاني واضطر مقهورا إلى الانسحاب من ساحة المعركة. والتحق الجيش المهزوم بسائر قوات ازاد خان[١٥] فجمع ازاد خان قواته وتوجه للقاء خصمه في منطقة (كرمسير) ودارت معركة عنيفة بين الفريقين المتخاصمين قرب قرية((خشت)) الواقعة على طريق بو شهر اسفرت عن هزيمة منكرة ل (ازاد خان الافغاني) وقواته. وهربوا من ساحة المعركة[١٦]

امعن فريق من الجيش المنتصر في مطاردة فلول الجيش المقهور حتى اشرفوا على ابواب شيراز فدخلوها فاتحين وفر ازاد خان نحو اصفهان ومن ثم توجه إلى اذربيجان فغاب عن الانظار. بعد ان هزمه محمد حسين خان القاجاري قرب اورمية[١٧]، ملتجئاً إلى بغداد في بادئ الأمر واستقبله واليها استقبالا رائعا واكرم وفادته ولكنه لم يقدم له يد العون والمساعدة التي كان يصبو إليها لكي يسترد سلطانه على ممتلكاته التي استولى عليها اعداؤه فلم يجد سبيلا الا اللجوء إلى (هراقليوس) حاكم كرجستان لعله يجد ضالته عنده ولكن هراقليوس، لم يجبه على طلبه، الأمر الذي اضطره أخيرا إلى اللجوء إلى خصمه كريم خان الزندي الذي اكرم وفادته وبجله واحتفى به حفاوة بالغة. وسرعان ما اضحى موضع اهتمام كريم خان الزند، إذ اسند إليه ارفع مناصب الدولة وهكذا انقلب العدو العنيد إلى صديق حميم[١٨]

وبهذا لم يبق هناك من اعداء يهددون نفوذه إلا عدوا واحدا شديد البأس ألا وهو محمد حسن خان القاجاري رئيس عشائر القاجار التركية الذي استمر الصراع بينه وبين كريم خان الزند مدة ستة اعوام. واصبح لمحمد حسن خان القاجاري نفوذ كبير وجيش قوي بعد انتصاره على ازاد خان الافغاني. وتوجه بقواته إلى اصفهان للقضاء على كريم خان الزندي، واضطر كريم خان إلى الانسحاب إلى شيراز والتحصن خلف اسوارها وحاصرتها قوات محمد حسن القاجاري. ولكن كريم خان لم يقف مكتوف اليدين ازاء هذا التحدي السافر فأمر أحد قادته الشجعان شيخ علي خان الزند بالاغارة على قوات القاجاريين بين حين واخر[١٩]، وقد ساعد القوات الزندية في تلك الغارات اهالي القرى والارياف القريبة من شيراز واحرقوا الغلات والحبوب ليمنعوا المؤن من القوات القاجارية وبدأت الفوضى والتذمر تدب في صفوف القاجاريين وهرب بعض من انصاره من صفوف جيشه فاضطر محمد حسن خان مكرها على فك الحصار عن شيراز[٢٠] والانسحاب إلى مازندران، ولما وصل إليها لم

يبق في صفوف جيشه غير اثني عشر ألف مقاتل، فقرر كريم خان اغتنام الفرصة وقصد على جناح السرعة اصفهان ودخلها بلا قتال واستقبله اهاليها بحفاوة بالغة، وأرسل شيخ علي خان على رأس قوة كبيرة للتصدي لمحمد حسن خان والقضاء عليه وتزامن وصول القوات إلى مازندران حصول اختلاف عشائري حاد بين الفخذين الرئيسين لقبيلة القاجار: اشاق باش ويوخاري باش بقيادة محمد حسين خان القاجاري الذي كان على اتصال سابق مع كريم خان ووعد اياه بمساعدته ضد محمد حسن القاجاري، ودارت معركة بين الزنديين وانصار محمد حسن خان القاجاري، وعلى الرغم من ابدائه الشجاعة الفائقة في ساحة القتال، دارت الدائرة على رجال القاجار وقتل على يد أحد رجال القاجار من فخذ دولو يدعى محمد علي خان دولو فتمزق شمل قبيلة اشاق باش وسيطرت القوات الزندية على استراباد مركز القاجاريين واضطر أبناء محمد حسين خان واكبرهم اغا محمد خان إلى اللجوء إلى عشائر يموت التركمانية القريبة منهم[٢١]، وبعد أربع سنوات من اللجوء والتشرد اضطر اغا محمد بن محمد حسن خان القاجاري طلب العون من كريم خان الذي عفا عنهم واكرم وفادتهم[٢٢] وتزوج من إحدى بنات محمد حسن خان خديجة بيكم[٢٣] وقرب إليه اغا محمد خان القاجاري، وجعله موضع اهتمامه، وكان يستشيرد في بعض أمور الدولة لكن اغا محمد خان بقي طوال حياته حانقا على الأسرة الزندية ينتظر الفرص للانقضاض عليهم والقضاء على دولتهم، وقد واتته الفرصة بعد وفاة كريم خان حيث تمكن من تحقيق غايته واسقط الدولة الزندية وأباد معظم رؤساء العشائر الزندية ولاحق أبناء هذه العشيرة في كل مكان وأينما وجدوا في أرجاء إيران[٢٤] سارت الأمور لصالح كريم خان إذ تساقط منافسوه الواحد تلو الآخر، وشرع في حكم إيران بحزم، وامتد حكمه تسعة وعشرين عاما ١٧٤٩-١٧٧٩ وأصبح في مدة العشرين سنة الأخيرة من حكمه حاكما محبوبا لدى الرعية، لا ينازعه فيه منازع في إيران، وعلى الرغم من إنه كان شاها بالفعل لإيران فقد أعلن نفسه وكيلا عن الشاه إسماعيل الثالث الصفوي الذي كان محتجزا لديه[٢٥] وأطلق على نفسه لقب وكيل الرعايا[٢٦] واتخذ من شيراز عاصمة لملكه بدلا من اصفهان وأقام فيها البساتين العامرة والمتنزهات العامة والقصور الفخمة وعني برفاهية الشعب كل العناية، ويرى بأنه كان يدفع للموسيقيين ليعزفوا موسيقاهم الشجية للناس ليستمتعوا بها، وشاعت روح المحبة والاخاء والتسامح والعدل بين الاهالي،

وضرب بشدة على ايدي السراق وقطاع الطرق والمفسدين بتشكيله شعبة للشرطة يعرفون بـ (ريكا) يلبسون البسة موحدة وكانت وظيفتهم الحفاظ على أمن المدن ونظافتها ونظامها وازالة العوانق عن طريق الشاد في مسيرد كأغصان الاشجار المتدلية على الطريق وغيرها[٢٧]

ويروى عن عدله وتسامحه قصص وروايات مختلفة. ولاجل اعطاء صورة عن عدله وتسامحه نذكر هذه الرواية كان كريم خان يجلس يوما خاصا في ديوان العدالة لسماع شكاوى المواطنين ومظالمهم[٢٨] وفي أحد الأيام المليء بسماع الشكاوى والمظلومين والملهوفين رجع متعبا إلى دارد فلما وصل باب القصر صاح رجل بأعلى صوته سيدي الانصاف الانصاف فساله كريم خان ماذا دهاك يا رجل؟ أجابه الرجل: امد اللّه في عمر الأمير إني تاجر عندما كنت نائما في داري سطا السراق على داري وسرقوا كل ما املك من أموال التجارة فقال له كريم خان بلهجة غاضبة: ولم تنام يا رجل ولم تحرس أموالك؟ قال: أيد اللّه الأمير لم اعلم بذلك وحسبتك ساهرا فنمت. فأثر هذا الجواب الصريح في كريم خان وأمر بدفع خسانرد من خزينة الدولة. وأمهل وزيرد يومين للعثور على السراق واسترجاع الأموال المسروقة. وبحسب ما تروي بعض المصادر الفارسية ان كريم خان الزندي كان يراعي في فتوحاته أهالي البلدان والمدن المفتوحة ولكي يمنع تعدي وتجاوز عساكرد على أعراض الناس كان يصحب مع جيشه مجموعة من المومسات في حملاته العسكرية لإشباع الغرائز الجنسية لعساكرد ويمنعهم من التجاوز والتعدي على نساء المناطق المفتوحة وغالبا كان يأمر قوادد وأمراءد ان يصطحبوا عوائلهم وزوجاتهم أثناء الحروب القائمة[٢٩] ولقد أعطى كريم خان فعلا ايران المتعبة التي ملأت أرجاؤها بالبؤس والقتل الجماعي ومآسي الاعتداء على المحصنات وسمل العيون نعمة الهدوء والاستقرار خلال ثلاثين سنة من تاريخه وكان الاستقرار الذي نعمت به إيران في ظل كريم قد شجع الأوربيين وعلى رأسهم بريطانيا إلى إعادة علاقتهم مع ايران. ولما كان كريم خان مهتما باستمرار النشاط التجاري مع الإنكليز وتوسيع نشاطهم التجاري في بوشهر ومنحهم امتيازات مشجعة لتنمية تجارتهم هناك وإعفائها من رسوم الاستيراد والتصدير وأعطى للبريطانيين حق احتكار البضائع الصوفية[٣٠]

وعلى الرغم من تطور العلاقات التجارية بين الإنجليز وكريم خان الزند إلا ان هذه العلاقات سارت نحو التردي والتباعد ووصلت أزمة العلاقات ذروتها بين

الطرفين عندما سحبت شركة الهند الشرقية ممثلها من بوشهر الى البصرة[٣١] وكانت تلك أحد الأسباب لاستيلاء كريم خان على البصرة وهناك عوامل عديدة تلح على كريم خان لكي يستولي على البصرة منها: إقتداوه بسائر الحكومات الإيرانية السابقة بمجرد تأمين السيطرة على الوضع الداخلي وذلك باشغال الأهالي بالحروب الخارجية ضد العثمانيين الذي لا شك في ان قتالهم كان يستثير نخوة الإيرانيين الشيعة منهم ويستميلهم لنصرته وتأييد سياسته. إذ كان يعلم تمام العلم بأن ليس هنالك من عوامل وأسباب تحمل الشيعة وترغمهم على تجنب المنازعات الداخلية وطرحها جانبا. وتجمعهم حول فكرة واحدة. سوى العمل على استرداد الأماكن المقدسة الشيعية التي كان الترك العثمانيون يسيطرون عليها كالنجف وكربلاء ولهذا كان الاستيلاء. على العراق من الأهداف الرئيسة لكريم خان الزند[٣٢]. وقد اختلق كريم خان حجة المعاملة السيئة للولاة والحكام العثمانيين وعلى رأسهم عمر باشا والي بغداد عهدئذ للحجاج والزوار الايرانيين وسيلة لإعلان الحرب، فقد كتب عام ١٧٦٤ رسالة إلى السلطان العثماني مصطفى خان الثالث طالبا منه إعدام عمر باشا[٣٣] لإساءته المعاملة مع الزوار الإيرانيين[٣٤] ولكن السلطان مصطفى الثالث لم يرد على رسالته، فقرر كريم خان تحشيد الجيوش للاستيلاء على البصرة، وقبل وصول القوات الإيرانية البصرة توفي السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد خان وخلفه أخوه عبد الحميد الأول ١١٨٧/ ١٧٧٤- ١٢٠٣/ ١٧٨٨ الذي أذعن بدوره لطلب كريم خان الزند. وأمر بقتل عمر باشا[٣٥] وارسل رأسه إلى شيراز لتفادي الحرب بين الدولتين العثمانية والايرانية[٣٦] وطلب من كريم خان الزند سحب قواته من مشارف البصرة وعد كريم خان هذا التصرف العثماني دليلا ساطعا على الضعف الشديد للدولة العثمانية، وقرر الاستيلاء على البصرة فأوكل قيادة جيشه لأخيه صادق خان، وأمر بالزحف على البصرة وحاصرها بالقوات الإيرانية حصارا شديدا بعد عبورهما من شط العرب سنة ١١٨٩/ ١٢٠٥ هجري قد حمل لواء الدفاع عن البصرة متسلمها المدعو سليمان اغا الذي كان على جانب كبير من المقدرة والشجاعة الذي عرف فيما بعد بسليمان باشا الكبير وكان المتسلم محبوبا من أهل البصرة فتفانى البصريون في الدفاع عن مدينتهم واستنجدوا بكافة القوى التي كانت مستعدة للتعاون معهم فجاءتهم الامدادات البحرية من مسقط[٣٧] واستمات المدافعون حتى استنفذوا طاقتهم وحتى اتاهم الخبر اليقين بأن بغداد لن تمد يد العون اليهم في الدفاع عن

ميناء العراق[٣٨] ولكن كانت الضربة القاصمة لقوى الدفاع عن المدينة قد جاءت على يد المقيم البريطاني في البصرة فعندما اشتد حصار الإيرانيين للمدينة أثر المقيم البريطاني هناك ان ينسحب فجاءة وان يتفق مع الإيرانيين. ففتح الطريق امام القوى المهاجمة الايرانية ودخلت البصرة سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م بعد حصار طويل استمر ثلاثة عشر شهرا ذاق الأهلون البؤس والشقاء نتيجة الحصار الطويل[٣٩] لم يكن في تلك المرحلة امكانية لدى الدولة العثمانية لمساعدة واليها على العراق لانقاذ البصرة من هجوم الايرانيين لأن الدولة العثمانية كانت مشغولة بحرب شرسة مع جيوش قيصرة روسيا الطموحة (كاترين الثانية) فضلا عن ذلك كانت قوات والي بغداد عمر باشا نفسه قبل مقتله بأمر من مصطفى باشا[٤٠] المعين مع عبد الله باشا[٤١] وعبدي باشا[٤٢] من قبل الدولة العثمانية للتصدي للغزو الايراني للبصرة قد أرهقها الطاعون والاضطرابات العشائرية وسوء الحال الامنية وأمام هذه الحال الوخيمة كان من الطبيعي ان تنهار مقاومة عمر امام الهجوم الايراني في شهرزور وقد أبدى اكراد شهرزور الرغبة الملحة بمساعدة كريم خان الزندي الذي كان نفسه كرديا[٤٣] وبهذا سهل الأمر على الايرانيين من الاستيلاء على شمال العراق والبصرة.

بعد دخول صادق خان البصرة استسلم سليمان اغا مع جماعة من اعيان البلاد وأرسلهم باعتقال جميل إلى شيراز[٤٤].

عامل صادق خان أهالي البصرة في البداية معاملة حسنة وعلى عكس ذلك يعتقد بعض المؤرخين بأنه اساء معاملة الناس منذ ان وطأت اقدامه البصرة[٤٥].

نصب صادق خان أحد رجاله المدعو علي محمد خان الزندي[٤٦] قائدا للقوات الايرانية المرابطة في البصرة وحدث ان اندلع لهيب فتنة هوجاء بين عشيرتين من عشائر البصرة فسارع علي محمد خان بالتدخل بينهما دون ان يعد للموقف عدته فاصطدم قواته بقوات الثائرين، فحاقت به هزيمة منكرة وذهب القائد الايراني ضحية هذه الثورة الجامحة[٤٧] وما ان سمع صادق خان بالحادث حتى بادر بالحضور إلى البصرة وعالج الأمر بالسياسة والحكمة، وسرعان ما عادت الأمور إلى سيرتها الأولى وعاد السلام إلى ربوع المدينة.

بقي الايرانيون في البصرة زهاء خمس سنوات لم يبارحوها إلا نتيجة لتطورات الأحداث في داخل ايران عقب وفاة كريم خان الزندي مؤسس الدولة الزندية في ١٣ من صفر سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧١م بمرض السل عن عمر ناهز الأربعة

والسبعين عاما. فقد حكم ايران ثلاثين عاما[48] باستقلال تام ولاسيما في العشرين سنة الأخيرة من حكمه التي كان منفردا من خلالها بالحكم والسلطان في ايران[49].

إيران في عهد خلفاء كريم خان الزند

١٧٧٩ هجري ١١٩٣ ميلادي ١٧٨٨ هجري ١٢٠٣ ميلادي

بعد وفاة كريم خان وقعت سلسلة من الصراعات الداخلية على العرش الايراني. ولم يقتصر هذا الصراع والتنافس على أسرة الزند فقط بل اشتركت فيها قبائل القاجار التي كانت خصما لدودا للزنديين. وكان لكريم خان أخ من أمه يدعى زكي خان وكان هذا معروفا بالعنف والشدة وسفك الدماء[50] عندما وجهه كريم خان ضد القاجاريين الذي يرأسهم حسين قلي خان الملقب بجهان سوز شاد استخدم أساليب بربرية قاسية ضد الثوار الأمر الذي جعله مكروها في مختلف ارجاء البلاد الإيرانية. وعقب وفاة كريم خان هرب اغا محمد القاجاري وأخوه حسين قلي ميرزا بمساعدة عمتهما المدعوة خديجة بيكم إلى استراباد. وأعلن اغا محمد خان خروجه على الدولة الزندية هذا من جهة ومن جهة أخرى قرر زعماء القبائل الزندية وعلى رأسهم شيخ علي خان الزندي انتخاب أبي الفتح خان الابن الثاني لكريم خان[51] خلفا لوالده على عرش ايران. ولكن زكي خان كان مخالفا لهذا التعيين بل راغبٌ في تنصيب صهره محمد علي خان بن كريم خان خلفا لوالده على عرش ايران[52] ونشبت الحرب بين أنصار الاخوين. وأخيرا استقر الرأي على تعيين أبي الفتح خان بصفته الابن الأكبر شاها على ايران. ومحمد علي خان وليا للعهد بتوصية وتأثير من كبرى زوجات كريم خان وعلى الرغم من هذا الاتفاق فقد سعى زكي خان على تقويضه. ودخل إلى سراي الحكومي بحجة توزيع نص الاتفاقية للتوقيع عليها من قبل جميع رؤساء العشائر الزندية. وعندما تم له الدخول إلى السراي اجهز برجاله على جميع الرؤساء الزندية المجتمعين هناك. وقتل منهم خلقا كثيرا وابقى على حياة محمد علي خان وابي الفتح خان وجعلهما شاهين لإيران اسميا وأصبح هو نائبا للسلطنة[53] واستبد زكي خان بأمور البلاد بقسوة بالغة. وعندما علم صادق خان بوفاة أخيه كريم خان توجه على جناح السرعة من البصرة إلى العاصمة شيراز. وأرسل ابنه جعفر خان قبل وصوله إلى شيراز ليقدم فروض الطاعة باسمه لأبى فتح خان بن كريم خان الزند ولكن زكي خان منع جعفر خان من الوصول إلى أبى الفتح

واتهم أبا الفتح خان بالتواطؤ مع عمه صادق خان ضده وألقى القبض على أبي الفتح خان، أثر بالحيل والدسائس على قواد صادق خان الزند وعساكره الذين حاصروا شيراز وافلح في تشتيت شملهم بالخديعة الذكية. فقد أعلن زكي خان بأنه سوف يقدم على اعدام اسر القواد والعساكر الموالين لصادق خان الساكنين في شيراز وقد فعل هذا التهديد فعله في جيش صادق خان المنهك فخاف القواد والعساكر على اسرهم من بطش وقسوة زكي خان فتركوا صفوف جيش صادق خان ولاذوا بالفرار إلى شيراز وأدى هذا إلى افساد خطط صادق خان وافشالها بالاستيلاء على شيراز[٥٤] فاضطر صادق خان إلى الانسحاب بقوة قليلة من شيراز والتوجه نحو كرمان[٥٥] كانت الأسرة القاجارية ولا تزال هي القوة الخطيرة المهددة في وجه الزنديين، لاسيما بعد سيطرة اغا محمد خان الابن الأكبر لمحمد حسن خان رئيس عشائر قاجار علي مازندران فبعث إليه زكي خان ابن اخته علي مراد خان على رأس قوة كبيرة للقضاء على نفوذ اغا محمد خان المتنامي، وقمع تمرده، ولكن علي مراد خان ارتأى عدم الأنقياد إلى زكي خان المكروه عند الناس عامة وفضلاً عن ذلك لا يؤمن جانبه قط، فقرر الخروج من طاعته فلما وصل إلى طهران مع قواد جيشه وافراده وجنوده اخبرهم بأنه قرر الخروج على طاعة زكي خان المنبوذ ويسعى جاهدا لتنصيب نجل كريم خان الزند أبي الفتح خان شاهاً على البلاد الإيرانية وبعد اعلانه عن هذا الأمر توجه إلى اصفهان فانحاز إليه أهالي المدينة قاطبة ووعدوه بنصرته على عدوه زكي خان.

ولما علم زكي خان بعصيان ابن اخته علي مراد خان، عين ابنه (أكبر خان) حاكماً على شيراز، وبادر على الفور إلى حشد جيش كبير سار على رأسه إلى اصفهان للقضاء على علي مراد خان، ولكن الله كان له بالمرصاد، وعندما وصل زكي خان مدينة (ايزد خواست) القريبة من اصفهان اوقع ظلماً كبيراً بسكنتها وأمعن في اضطهادهم، وقد فرّ قواده تخلصاً من جبروته وقتله حراسه من امراء عشيرة المافي المعروفة سنة ١١٩٣ هجري – ١٧٧٩ ميلادي وقد بقي جسده قرب ايزد خواست مدة إلى ان دفنه أهالي المنطقة[٥٦] وانتصرت عشيرة مافي لأبي الفتح خان وجاؤوا به إلى شيراز وعينوه شاهاً على إيران سنة ١١٩٣[٥٧].

وبعد مقتل زكي خان لم يبق منافس قوي امام علي مراد خان إلا صادق خان، وقرر تصفيته، والانفراد بالحكم مهما كلفه الأمر،هوفي هذه المرحلة بالذات دخل

صادق خان شيراز وألقى القبض على ابن أخيه أبي الفتح خان وسمله، ويذكر سر هارفورد جونس على لسان لطف علي خان عندما اجتمع به عندما كان مطاردا من اغا محمد خان القاجاري ذكر له بأن أسرته لم تأخذ بنصيحة ميرزا حسين[٥٨] الذي نصح جده صادق خان والتمسه ان يبقي على حياة أبي الفتح خان بن كريم خان الزندي وان لا يتعرض لعرشه ويصبح هو ولي عهده ويوكل أمر الوزارة إليه ولكن جده بدلاً من الأخذ بهذه النصيحة القيمة ألقى القبض على أبي الفتح خان وسمل عينيه وأعلن نفسه شاهاً على إيران وكان هذا العمل تخبطاً سياسياً قاتلاً من جده وسبب هلاكه وقتله[٥٩].

وصل علي مراد خان أوج قوته بعد قضائه على تمرد ذي الفقار خان الافشاري أحد قواد كريم خان الزند الذي ثار في منطقة كيلان، فتصدى له علي مراد خان بمساعدة القوات الكردية البابانية قرب زنجان فانتصر عليه وأمر بقتله[٦٠] عام ١١٩٥/ ١٧٨٠. وبعد انهائه تمرد ذي الفقار خان لم يبق امام علي مراد خان سوى منافسه صادق خان وابنيه جعفر وعلي نقي[٦١]، فأرسل صادق خان ابنه علي نقي لفتح يزد واصفهان وأكثر الولايات الجنوبية لايران، وتمكنت قواته من الانتصار على قوات علي مراد خان قرب اصفهان.ودخل اصفهان ظافراً، وقد بعث صادق خان رسالة من شيراز لابنه علي نقي خان بحثه فيها على استغلال النصر ومقاومة علي مراد خان ولكن تقي خان ارتأى البقاء في اصفهان للراحة والاستجمام وانشغل باللهو والطرب والعبث ومعاقرة الخمر وانتهاك الحرمات وممارسة الفواحش حتى ضاق به أهالي اصفهان ذرعاً، وكانوا ينتهزون الفرصة للانقضاض عليه، فلما علم علي مراد خان بالأمر سار على رأس جيش قوي إلى اصفهان والتقى الجيشان قرب اصفهان، وبعد قتال مرير بين الطرفين كان النصر حليف علي مراد خان، فولى علي تقي خان الادبار منهزماً صوب شيراز ليلحق بأبيه صادق خان[٦٢] وتبعه علي مراد خان واطبق على العاصمة شيراز من جميع الجوانب، ودام الحصار والقتال بين الفريقين أكثر من تسعة أشهر بكاملها هلك من الفريقين أكثر من خمسة عشر ألف مقاتل، وأخيراً استسلمت شيراز العاصمة لقلة المؤن والمجاعة من طول الحصار الذي دام تسعة أشهر لعلي مراد خان[٦٣]، ودخل منتصراً، واستسلم له صادق خان وأولاده فأذاقهم عذاب الموت، وأمر بسمل عيون صادق خان[٦٤] وابنائه[٦٥] باستثناء جعفر خان الذي خان والده وسبق ان تفاهم معه وأكبر خان بن زكي خان مع علي

مراد خان في حصار شيراز عام ١١٩٥ هجري - ١٧٨١ م [٦٦] فأصر علي مراد خان بقتل أو سمل جميع الذين تورطوا بالتحالف مع صادق خان وضبط اموالهم لصالحه وكافأ جعفر خان بجعله حاكما لكردستان.

ثم قصد اصفهان سنة ١٧٨٠/ ١١٩٥ واتخذها عاصمة لملكه وأعلن نفسه شاها على إيران[٦٧] ويروى بأن علي مراد خان كان يخاف على حياته من غدر ودسانس أكبر خان فقرر تصفيته فحرض جعفر خان بن صادق خان على قتله، وفعلا تم قتله على يديه انتقاما لقتله والده، صادق خان[٦٨]، وما اقترفه من اثام بحق عائلته، وبعد هذا الحادث عينه علي مراد خان حاكماً على شيراز[٦٩] وبعد ان صفا الجو لعلي مراد خان عين ابنه شيخ ويس قائدا عاما للجيش الزندي وأوكل إليه المحافظة على الحدود الشمالية، ومراقبة حركات اغا محمد خان القاجاري، فدخل شيخ ويس في قتال معه، وكتب له الفوز في بادئ الأمر واحرز نصرا عليه باستيلائه على مازندران ودخل مدينة سارى منتصرا[٧٠] واضطر اغا محمد خان إلى الفرار إلى موطنه الأصلي في استراباد فأرسل الشيخ ويس قوة كبيرة لمطاردته والقضاء عليه ولكن محمد ظاهر خان الذي كان يتولى قيادة هذه القوة المطاردة أصيب بفشل ذريع في حملته هذه لضعف في قيادته، ثم ما لبث ان وقع صريعاً في ميدان الوغى وتشتت شمل جيشه شذر مذر على يد قوات اغا محمد خان القاجاري، وسارع من بقي من عساكره إلى الانضمام لجيش الشيخ ويس المرابط في مازندران، واضطر هو الآخر تحت ضغط هجوم القوات القاجارية إلى الجلاء عن مازندران واللجوء إلى طهران وكان ذلك في عام ١١٩٩هـ- ١٧٨٤م.

وتملك علي مراد خان الغضب الشديد من اندحار ابنه الشيخ ويس امام القاجاريين، فأمر بقتل عدد من امراء الجيش الذين رافقوا ابنه اليافع السن لقيادة حملة مازندران، فجمع قوة جديدة اوكل قيادتها إلى ابن عمه رستم خان[٧١] ولما وصلت الهزائم المتلاحقة لقوات علي مراد خان امام القاجاريين إلى مسامع جعفر خان ابن صادق خان أعلن العصيان على علي مراد خان وكان جعفر خان يومئذ حاكماً لزنجان من قبل علي مراد خان، وقد أثار عصيان جعفر خان ألماً وحزناً شديداً لعلي مراد خان فقرر القضاء عليه، وعلى الرغم من مرضه الشديد ونصيحة الأطباء له بالراحة التامة لم يتريث حتى يبرأ من مرضه بل سارع إلى الزحف نحو اصفهان معرضاً نفسه لبرد الشتاء القارس ولكن المنية كانت أسرع منه إذ وافاه الأجل قرب

قرية (مورجه خورت) القريبة من اصفهان عام ١١٩٩هـ- ١٧٨٥[٧٢] فاضطر الزعماء والقوات في الجيش إلى اخفاء خبر وفاته عن العساكر خوفا من الاضطرابات والفوضى حتى وصلوا العاصمة اصفهان. ولما ترامى هذا النبأ إلى مسامع رجال الجيش والعساكر عمدوا إلى النهب والسلب وتفرقوا شيعا ليفسدوا في البلاد وبعد وفاة علي مراد خان توجه جعفر خان على جناح السرعة إلى اصفهان ودخلها بعد ان ازاح واليها باقر خان الذي قاومه على حكم اصفهان واودعه السجن، ولم يبق هناك من ينافس جعفر خان في ادعانه زعامة الأسرة الزندية. سوى شيخ ويس بن علي مراد خان وارتأى جعفر خان ان يتبع سياسة الملاينة والتودد معه حتى يتمكن منه فبعث إليه برسالة رقيقة يستميله إليه حتى نجح في استقدامه. وما ان احضر الشيخ ويس حتى أمر بسجنه وأمعن في ايذائه، وسمل عينيه[٧٣] وهكذا أصبح جعفر خان في مواجهة خصمه القوي اغا محمد خان قاجار، الذي هان عليه عدوه الجديد جعفر خان، لأنه كان يتحرج من مقابلة علي مراد خان لعلمه بشجاعته الفائقة وبسالته النادرة وبعد موت علي مراد خان تحرك اغا محمد خان على رأس قوة من استراباد متوجهاً إلى اصفهان، فانضم إليه في طريقه إلى اصفهان من الأنصار خلق كبير، ولما علم جعفر خان بقدوم القوات القاجارية بقيادة اغا محمد خان ترك اصفهان على جناح السرعة قبل وصول اغا محمد خان قاجار إليها[٧٤] وذلك على أثر ثورة اشعل لهيبها بعض الامراء بالتعاون مع والي اصفهان السابق باقر خان[٧٥] واجبروه على الانسحاب من اصفهان ونهب الثوار جميع ما يمتلكه جعفر خان من أموال ومقتنيات، وسلبوا مرافق الدولة المختلفة. ودخل اغا محمد خان قاجار على رأس قواته اصفهان بسهولة ودون ابداء مقاومة تذكر في اليوم السادس من أيار عام ١٧٨٨ الميلادي وتمكن اغا محمد خان من الاستيلاء على مدن طهران وقم وكاشان واصفهان وكردستان ودخل سكانها في طاعته[٧٦].

اضطر جعفر خان إلى الانسحاب إلى شيراز، وقد واجه منذ دخوله شيراز محاربة بعض من رؤساء وزعماء العشائر الزندية ومناوأتهم، وعلى رأسهم صيد مراد خان الذي عينه علي مراد خان حاكما على شيراز لأن أهالي شيراز ووجهاءها واكثرية رؤساء القبائل المختلفة لم يقبلوا بحكم صيد مراد خان وايدوا جعفر خان شاهاً شرعياً على ايران، وكان أبرز المؤيدين انذاك لجعفر خان هو حاجي ابراهيم كلانتر، الذي عينه جعفر خان والياً على منطقة شيراز، وبمساعدته تمكن من ايداع

جميع مناوئيه من رؤساء الزند السجن، وكان ابرزهم صيد مراد خان وويس مراد خان وشاه مراد خان. كان اغا محمد خان ينتهز الفرص للاجهاز على جعفر خان، ويعمل جاهدا على تقوية جيشه وتهيئة مستلزماته للقضاء على جميع المناوئين لسلطته، والاستيلاء على جميع ارجاء إيران وقد دخل في قتال مع العشائر البختيارية القاطنين في فارس بهدف قمعهم والقضاء على عصيانهم، ولكن النصر لم يكن حليفه في هذا القتال، فاضطر إلى العودة إلى طهران. فانتهز جعفر خان هزيمته وزحف ثانية إلى اصفهان لاستردادها من القاجاريين، وفعلا تم له استردادها بسهولة[٧٧] وقبض على رحيم خان واليها من قبل اغا محمد خان قاجار وقتله، ولكنه لم يلبث في اصفهان طويلا إذ سرعان ما أخلاها حيث بلغه زحف اغا محمد خان عليها بقوات جرارة وفعلا دخلت القوات القاجارية اصفهان مرة أخرى دون مقاومة تذكر فغلب اليأس والقنوط على جعفر خان بسبب اندلاع التمرد والعصيان في جميع ارجاء إيران وكان جميع الثائرين يبغون الاستقلال والاستئثار بالسلطة وعرش ايران، ونخص بالذكر تمرد اسماعيل خان ابن أخ كريم خان زند الذي عينه جعفر خان حاكما على همدان، فأعلن خروجه على جعفر خان واستعان في تمرده بخسرو خان والي امارة اردلان الكردية[٧٨] فقرر جعفر خان قمع تمرده بأسرع وقت ممكن، فجمع جيشا كبيرا وسار على رأسه للقضاء عليه فانسحب اسماعيل خان امام قوات جعفر خان إلى منطقة كروس ونشبت هناك عام ١٧٨٥/ ١٢٠٠ الحرب، واضطرت القوات المساندة الاردلانية لاسماعيل خان الزندي بدخول القتال مع قوات جعفر خان في مدينة بهار، وعلى الرغم من كثرة جيش جعفر خان في العدد والعدة اندحرت القوات الزندية امام بسالة الاردلانيين بعد قتال دام أربعة ايام، وفر جعفر خان من ساحة المعركة إلى شيراز بعد ان استولى خسرو خان على جميع مدافعه وعدده وذخائر جيشه، ولم يكتف خسرو خان بهذا النصر بل أثر إرسال ابنه الأكبر أحمد خان في اعقابه للقبض عليه وانهاء حكمه إلى الابد، وقد قتل وأسر في هذا القتال من امراء الزند جماعة كثيرة ورجع خسرو خان بعد هذا الانتصار إلى همدان ووزع الغنائم على قواده وعساكره[٧٩]، وقد أدى هذا الاندحار المشين لجعفر خان إلى التسريع في ضعف وفتور الدولة الزندية[٨٠] على الرغم من بعض الانتصارات الجزئية التي أحرزها ابنه الشجاع لطف علي خان في الاستيلاء على قلعة لار وتهيئة جيش منظم للدفاع عن الدولة الزندية[٨١].

بعد رجوع جعفر خان المهزوم إلى شيراز انتهز بعض رؤساء قبائل الزند الذين أمر بسجنهم جعفر خان[٨٢] الفرصة للهروب من السجن مقابل تقديم رشوة مقدارها(٢٠٠٠) الفا قطعة ذهبية (اشرفي) لحارس سجنهم المدعو كاكا محمد[٨٣] وافلحا في الهروب من السجن، وكان من المقرر اعدامهم في صباح أحد الأيام بأمر من جعفر خان. فجمع كل من صيد مراد خان ورشاه مراد خان وويس مراد خان انصارهم وهاجموا ليلاً مقر إقامة جغفر خان وداهموه في فراش النوم. وعندما استيقظ جعفر خان على جلبة المتآمرين علم بما يبيته مهاجموه، فاحتكم إلى مسدسه وأردى اثنين من المهاجمين قتلى، ولكن المتآمرين لم يمهلوه للدفاع عن نفسه لكثرة عددهم فانهالوا عليه بالهراوات والسيوف والخناجر فخر جعفر خان صريعا[٨٤] فجز صيد مراد خان رأسه[٨٥] وألقاه من شباك القلعة على الجماهير الغفيرة الذين تجمعوا لمعرفة ما يدور في مدينتهم، وعندما ألقى رأسه من الشباك أعلن للشيرازيين نهاية حكم جعفر خان[٨٦] وصادف مقتله ليلة الخميس ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٧٨٩/ ١٢٠٣هـ[٨٧].

لطف علي خان ١٢٠٣هـ / ١٧٨٩ م

كان جعفر محبوباً لدى أهالي شيراز، واشتهر بالعدل والحلم، فتأثر الشيرازيون لمقتله كثيراً[٨٨] وعلى الرغم من اعلان المتآمرين بصيد مراد خان شاهاً على إيران في ٢٥ ربيع الثاني عام ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م إلا ان الأعيان ووجهاء البلدة وعامة الناس بقيادة الحاج ابراهيم كلانتر لم يذعنوا إلى هذا التغيير، وكانوا يتحينون الفرص للانقضاض على الثائرين المتآمرين وتعيين لطف علي خان بن جعفر خان شاهاً على إيران خلفاً لوالده، وكان لطف علي خان خارج شيراز عندما قتل والده على أيدي المتآمرين، وهناك روايات مختلفة عن وجوده عندما قتل والده، يروي بعضهم إنه كان في رحلة صيد بمنطقة ارزن (دشت نركس) سهل "النرجس" القريبة من شيراز، بينما يرى آخرون إنه كان في إحدى المدن الساحلية، ومنهم من يرى إنه كان في مدينة كرمان[٨٩]. ومهما كان الأمر فإن لطف علي خان وصل إلى شيراز بعد مقتل والده باسبوع أو عشرة أيام، ودخلها في ٨ جمادى الأولى من عام ١٢٠٣هـ - ١٧٨٩ الميلادي على رأس نخبة ممتازة من انصاره الشجعان وبمساعدة حاجى ابراهيم كلانتر، وكان لطف علي خان محبوبا لدى أهالي شيراز لوسامته وسخاء

طبعه وكرمه الفائق وشجاعته النادرة، وعندما علم صيد مراد خان بوصول لطف علي خان إلى شيراز هيأ نفسه لمقاومته وأرسل فوجا من عساكره بقيادة شاه مراد خان الزندي لمقابلته ولكن أولاد نظر علي خان الزندي وهم كل من فضل علي خان ونقد علي خان ثارا عليه واقتاداه اسيرا إلى لطف علي وأمر بقتله[٩٠] وبعد هذه الحادثة توجه بسرعة فائقة نحو شيراز وهناك روايات مختلفة حول مقتل صيد مراد خان وحسب الروايات الإيرانية بأن أهالي شيراز بقيادة حاجي ابراهيم كلانتر ثاروا على صيد مراد خان وتمكنوا من القاء القبض عليه، وقيدوه بالسلاسل، واحضروه بين يدي لطف علي خان الذي أمر بقتله ولكن أكثر الروايات تنص على ان لطف علي خان اقتحم على رأس انصاره وبمساعدة أهالي شيراز بقيادة حاجي ابراهيم كلانتر مقر إقامة صيد مراد خان، وألقى القبض على جميع المتآمرين، وأمر بقتلهم جميعا وعلى رأسهم صيد مراد خان، وشاه مراد خان، وويس مراد خان، وقبل قتلهم حقق معهم ليعلم كيفية هروبهم من سجن والده. فأخبروه بحقيقة دفع مبلغ (٢٠٠٠) الفي قطعة ذهبية رشوة مقابل اطلاق سراحهم لحارس السجن كاكه محمد[٩١] الذي فر إلى جهة مجهولة فقال لهم لطف علي خان: اخزاكم الله أيها الاغبياء، لو كنتم تدفعون هذا المبلغ الكبير إلى والدي لعفا عن جميع ذنوبكم مهما كانت كبيرة، وعلى كل حال أمر لطف علي خان بقتل رؤوس المتآمرين وبعض من اعوانهم وانصارهم من الزنديين[٩٢] عين لطف علي خان بمساعدة حاجي ابراهيم كلانتر شاها على إيران خلفا لوالده جعفر خان عام ١٢٠٣هـ- ١٧٨٩[٩٣] عن عمر لم يتجاوز عشرين عاما[٩٤] ونظرا لانشغاله في عهد والده ممارسة أمور الدولة وقيادة الجيش فقد اكتسب خبرة كبيرة في الأمور العسكرية والادارية وعلى الرغم من صغر سنه، وكانت كل أعماله وتصرفاته تتسم بطابع الجرأة والاقدام، على الرغم من انشغاله بحروب قاسية مع عدوه اللدود والحقود اغا محمد خان القاجاري، فقد ابدى رغبة فائقة في اصلاح البلاد واعمارها وأمر بتشييد ثلاث طرق مهمة بين شوشة وشيراز وبوشهر وشيراز وبندر عباس وبندر لنكه وشيراز لتسهيل التجارة وعبور القوافل التجارية وللمسافرين عن طريق هذه الشبكة والطرق الرنيسة، وعزم على بناء سد صخم على نهر (موند) الذي ينبع من جبال فارس، ولو قيض الله له تنفيذ هذا المشروع لأصبحت الأراضي الواقعة على أطراف هذا النهر بفضل إنشاء هذا السد من اخصب الأراضي الزراعية في العالم[٩٥]. ولكن الحروب الداخلية التي فرضها

عليه اغا محمد خان القاجاري حال دون تنفيذ خططه ومشاريعه لاعمار البلاد، وعلى الرغم من هذا فإن شروعه بتنفيذ هذهِ المشاريع العملاقة يظهر بجلاء بأنه كان متقدماً بوعيه وافكاره بمدة قرنين على معاصريه، لأن بناء السد على الانهار يعد من المشاريع المهمة في عصرنا الحاضر، ولم يكن شائعاً في العصور القديمة، وهنا يجب الإشارة إلى نقطة جوهرية وهي محاولة أكثر مؤرخي البلاط القاجاري الاساءة إلى سمعة وسيرة هذا الأمير الشجاع وتصويره على إنه كان ماجناً خليعاً وزيراً للنساء مدمناً على الشراب، ولكن محاولاتهم هذه لم يكتب لها النجاح لأن أكثر المؤرخين ينصفون هذا الأمير ويعددون مناقبه الحسنة يقول عنه سير هارفور جونس[٩٦] بأنه كان كريماً سخياً محبوباً في اوقات الدعة والسلام وشجاعاً صبوراً حازماً في اقسى حالات المحن والأزمات[٩٧] ولو اتيحت له الفرصة في الحكم لتمت على يده عظائم الأمور[٩٨]. ولكن لسوء حظه ورث دولة اضعفتها وانهكتها الصراعات الداخلية بين الأسرة الزندية نفسها بعد وفاة كريم خان الزندي اوصلت تلك الحال الدولة الزندية إلى حافة الهاوية والسقوط الحتمي وخلقت تلك الظروف القاسية له جواً مأساوياً لم يتمكن بعدها تجسيد قابلياته الكامنة فانهار امام خصمه الحازم الحقود اغا محمد خان القاجاري ولم يتمكن من الوقوف في وجهه، ووجه الدسائس والمؤامرات اللئيمة التي كانت تعمل على اسقاطه وانهاء الدولة الزندية.

فوجيء لطف علي خان في أوائل حكمه بزحف خصمه اغا محمد خان القاجاري نحو شيراز ولكن لطف علي خان بدلاً من الركون إلى اسوار مدينة شيراز، والاحتماء وراءها أمر حاجي ابراهيم كلانتر واليه على المدينة بجمع ما يتمكن عليه من الغلات والحبوب وخزنها داخل المدينة لمقاومة حصار خصمه. وخرج لطف علي خان على رأس قوة من عساكره لمقابلة جيش اغا محمد خان، واشتبك الفريقان في معركة غير متكافئة اسفرت عن اندحار لطف علي خان الزندي امام قوات عدوه اغا محمد خان وقتل من عساكره حسب إحدى الروايات ثمانية آلاف مقاتل في رواية أخرى الفي مقاتل ووقع في الاسر عدد من خيرة قواده واسر من عساكره (٨٠٠٠ آلاف) اسير[٩٩] فانسحب على جناح السرعة إلى شيراز، واحتمى وراء اسوارها، وألقى اغا محمد خان الحصار على شيراز غير إنه لم يلبث طويلاً حتى أثر فك الحصار لقلة المؤن لعساكره، والعلف لدواب جيشه[١٠٠] فانسحب إلى عاصمته طهران في ٢٠ ذي الحجة ١٢٠٣هـ لتنظيم وتهيئة جيشه[١٠١] مرة أخرى وبعد عام

من هذا القتال كان لطف علي خان قد اعد نفسه وأضحى على أتم الاستعداد للقاء خصمه العنيد بيد ان اغا محمد خان لم يزحف على شيراز لانشغاله في اذربيجان صارفا همه على توحيد القبائل القاجارية والقضاء على لطف علي خان وانهاء السلالة الزندية إلى الأبد. وقبل التحرك إلى شيراز ارتأى بناء على نصيحة كاتبه جعفر تنكابني، إرسال رسالة إلى لطف علي يدعوه إلى التسليم والانقياد لسلطته، وأكد في رسالته عدم جدوى المقاومة امام قواته ووعده في حال قبول الطاعة بالعفو عنه. ويوكل إليه وظيفة مرموقة في بلاطه تليق بمقام أسرته النبيلة، وعلى الرغم من ان اغا محمد خان كان على يقين بأن غرور وشجاعة لطف علي خان تحول دون الخضوع والانقياد له، ومع ذلك أرسل رسالته إلى لطف علي خان لاتمام الحجة، فرد لطف علي خان على رسالته بجواب قاس مفاده إنه لا يزال في إيران رجال يمكنهم تسيير دفة حكم البلاد وإذا ندر الرجال فنحن رجال وأبناء الأسرة الزندية لن نسمح لأنفسنا ان نخضع لخصي ونفضل حكم امرأة على خصي علينا(١٠٢) فقرر اغا محمد خان التوجه بقواته إلى شيراز والقضاء على لطف علي خان مهما كلفه الأمر من تضحيات.

وفي هذه المرحلة بالذات ارتكب لطف علي خان خطأ فاحشاً بخروجه من شيراز على رأس قواته محاولاً فتح كرمان والقضاء على تمرد حاكمه سيد أبو الحسن خان كهكي(١٠٣) وقد عين في غيابه اخاه خسرو خان الذي كان فتى يافعا، وحاجي ابراهيم كلانتر(١٠٤) كلاهما حاكمين على شيراز، كما عهد بقيادة حامية قلعة شيراز ومسؤولية المحافظة على أمر المدينة إلى برخوردار خان الزندي"(١٠٥) وكان هذا القائد ضعيف النفس مغروراً معتداً بنفسه يحاول دوما التجاوز على تخصصات ومسؤوليات حاجي ابراهيم الكلانتر واذلاله بشتى الطرق، بل أخذ يحرض لطف علي خان ضده ويوغر صدره عليه حتى أتت هذه الدسائس اكلها فتزعزعت ثقة لطف علي خان بوزيره الحاج ابراهيم الكلانتر(١٠٦) وكان هذا الوزير محبوباً في بداية الأمر لدى أهالي شيراز وحائزاً على ثقة ولاة الاقاليم وزعماء العشائر في المناطق المختلفة ويورد أسباب أخرى لبروز الخلاف والانشقاق بين الأمير ووزيره حاجي ابراهيم نحجم(١٠٧) عن ذكرها لتفادي البحث الطويل.

خرج لطف علي خان في شهر صفر سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠ على رأس قوة من عساكره لقمع تمرد أهالي كرمان وسيستان بقيادة أبي الحسن الكهكي وكانت هذه الحملة من قبله خطأ سياسيا وعسكرياً ارتكبه أدى إلى ضعف معنويات جيشه،

فاضطر إلى الانسحاب بحال يرثى لها من كرمان، بعد ان خسر خيرة عساكره ومواشيه وحيوانات نقله في حصار عقيم لكرمان من أثر البرد القارس وثلوج متراكمة في شتاء تلك السنة وهو ما أدى إلى هياج الجند وانتشار روح التذمر بين صفوفهم فاضطر لطف علي خان إلى العودة إلى شيراز وهو في حال يرثى لها[١٠٨] ويروى بأن سبب انسحابه السريع من كرمان[١٠٩] يرجع إلى وصول خبر تحرك اغا محمد خان القاجاري إليه على رأس جيش كبير لفتح شيراز، ولما وصل لطف علي خان شيراز علم بحركة القوات القاجارية بقيادة خانبا باجها نباني، (فتح علي شاه بعدئذ) الذي عينه اغا محمد خان القاجاري ولي عهد له وأمره بفتح اصفهان والعاصمة الزندية شيراز فخرج لطف علي خان على رأس قوة من عساكره بعد ان عهد ولاية شيراز للحاج ابراهيم الكلانتري، وقيادة الحامية العسكرية إلى برخوردار خان، وقد صحب معه في هذه الحملة الابن الأكبر للحاج ابراهيم الكلانتري ليؤمن جانب والده، وبعد خروج لطف علي خان من شيراز قام الحاج ابراهيم الكلانتري بخيانة دنيئة فقرر التواطؤ مع اغا محمد خان القاجاري ليسلمه شيراز ولأجل تنفيذ مؤامرته عمد إلى دعوة برخوردار خان لاجتماع عاجل للتباحث معه، وعندما حضر برخوردار خان الاجتماع أمر الحاج ابراهيم رجاله باسره وتجريد جماعته من السلاح واستولى بعد اتمام هذه العملية على القلعة الداخلية لشيراز واسر محافظ المدينة وقائد الحامية بسهولة بفضل بسالة جماعته الذين اعدهم من أهالي شيراز بقيادة ابن أخيه محمد حسين خان تم طير هذا النبأ إلى أخيه الذي كان مع جيش لطف علي خان المعسكر على مسافة خمسة فراسخ من قرية كومه ريشا وكان جيش القاجاريين بقيادة خان بابا جهانباني ابن اخ[١١٠] اغا محمد خان التقى الجيشان الزندي والقاجاري في منطقة سميرم[١١١] وبعد مصادمة عنيفة بين الطرفين تمكن خان بابا جهانباني من شراء ذمة عبد الرحيم خان الشيرازي[١١٢] الاخ الأكبر للحاج ابراهيم الكلانتري الذي كان مقيماً حينئذ في شاه رضا، وقدم خان بابا له الوعود بتعيينه حاكما على ولاية فارس وجنوب إيران وتأمين رواتب جنده لمدة سنة واحدة، اذ أبدى الاستعداد للتعاون والتواطؤ معه، والدخول في صفوف جيش لطف علي خان بهدف تنفيذ حركة مناوئة في جنح الظلام داخل الجيش الزندي، وكانت الخطة ترمي إلى أحداث ضجة هائلة، واطلاق سراح خيول العساكر الزندية لتسهيل هجوم القوات القاجارية، وفعلاً تمكن عبد الرحيم خان الشيرازي من اغواء لطف علي خان وتنفيذ مؤامرته، وافلح في تشتيت قوات لطف علي خان[١١٣] أثر هجوم ليلي مباغت،

فاضطر لطف علي خان إلى الانسحاب السريع مع سبعين فارسا من جماعته إلى شيراز سنة ١٧٩١ على زعم ان قواده وعساكره فيها ما زالوا محتفظين بها، ولكنه عندما وصل أبواب مدينة شيراز رأى أبواب المدينة مسدودة امامه بأمر من الحاج ابراهيم الكلانتري الذي استولى بالحيلة على حامية شيراز واعتقل قائدها برخوردار خان[١١٤] وحاول لطف علي خان عبثا إقناع الحاج ابراهيم بفتح أبواب المدينة له ولكن محاولاته هذه باءت بالفشل واصر على فتح عاصمته بالقوة وعسكر بجنوده امامها وأخذ في اعداد وسائل القتال وكله ثقة في نفسه وفي جنده وقواده ولما رأى حاجي ابراهيم جحافل خصمه عمد إلى حيلة جهنمية قلبت فكرة خصمه رأسا على عقب إذ أرسل إلى قواد وجنود لطف علي خان ينذرهم ويتوعدهم بأن كل من له منهم أسرة أو صلة قرابة في شيراز سوف يعدم أفراد أسرته وذوي قرباه إذ لم يفارق لطف علي خان ويعود إلى البلدة على الفور وكان لهذا التهديد أكبر الأثر في نفوس الجند والقواد الذين انسلوا من الجيش وتركوه زرافات ووحدانا حتى لم يبق معه إلا عدد قليل من جنوده وعساكره[١١٥] وعلى الرغم من هذه الخيانة الكبيرة من قبل رجل كان يعتمد عليه لطف علي خان كل الاعتماد فقد بقي صامدا قوي العزيمة مؤمنا بقضيته مستعدا للدفاع عن ملكه حتى آخر رمق من حياته تجمع نفر من الخدم والجنود حول لطف علي خان بعد تشتت قواته في شيراز وتوجه هاربا نحو دشتستان[١١٦] ثم توجه إلى ميناء بوشهر لكن حاكمه لم يبد له مساعدة تذكر لأنه كان صديقا حميما للحاج ابراهيم الكلانتري[١١٧] ولما يئس من مساعدته توجه إلى ميناء "ريك" ليأمن مساعدة حاكمه أمير علي خان حيات داودي الذي كان صديقا لوالده جعفر خان، وقد أكرم حاكم ريك وفادته، وأمده بعدد قليل من الرجال[١١٨] فتوجه لطف علي خان مرة أخرى صوب شيراز ومما تجدر الإشارة إليه ان بعض المؤرخين يعتقدون ان لطف علي خان بعد انسحابه من سميرم وعلمه بمؤامرة الحاج ابراهيم الكلانتري وسده أبواب المدينة بوجهه توجه إلى كرمان وجمع عددا لا بأس به من الجنود المتطوعين، وهاجم عام ١٧٩١ شيراز مرة أخرى دون ان يحقق نتيجة تذكر، ولا ريب بأن هذه الفاصلة الزمنية من تاريخ حياة لطف علي خان منذ اندحاره في معركة سميرم امام قوات خان بابا جهان باني يشوبها الغموض ومما لا يشوبه الشك بأن لطف علي خان بعد انهزامه في معركة سميرم هاجم شيراز عدة مرات، ودخل في معارك عديدة مع خصومه في تلك المنطقة واحرز بعض الانتصارات في تلك المعارك ونخص بالذكر انتصاره على حاكم بوشهر المدعو شيخ

نصر الموالي لحاج ابراهيم الكلانتري وحاكم كازرون رضا علي خان الذي دحره بقوة قليلة[١١٩] وقبض عليه وسمل عينيه[١٢٠]، وانتصاره الحاسم على مصطفى خان قائد القوات التي ارسلها اغا محمد خان لنجدة الحاج ابراهيم الكلانتري[١٢١] وكذلك دحره القوات المساندة التي ارسلها اغا محمد خان بقيادة جان محمد خان ورضا قلي خان، وقد اسفر القتال بين الفريقين عن تشتيت القوات القاجارية واندحارها، ووقوع رضا قلي خان أحد قائدي الحملة اسيراً بيد لطف علي خان[١٢٢]، ولما ترامى نبأ تلك الانتصارات التي احرزها لطف علي خان مسامع اغا محمد خان تملكه الذعر والفزع لاسيما بعد ان راسله الحاج ابراهيم الكلانتري، مبيناً وخامة الأوضاع وعدم استطاعته الوقوف والصمود امام لطف علي خان الزندي وان الزمن يسير في صالح لطف علي خان، لأن شأنه يزداد يوماً بعد يوم ولخطورة الموقف اقترح حضوره الشخصي مع قواته على جناح السرعة لحسم الموقف، وانقاذهم من هذه الورطة التي يعيشون تفاصيلها، فزحف اغا محمد خان على رأس جيش قوي قوامه ثلاثون إلى خمسة وثلاثين ألف مقاتل، وكانت نسبة هذه القوة بالنسبة لعساكر لطف علي خان كنسبة المئة للواحد. وعلى الرغم من هذا الجيش الجرار فقد هاجم لطف علي خان في منطقته برسبوليس. وفي إحدى الليالي على رأس ٤٠٠- ٥٠٠ فارس من انصاره الشجعان قوات اغا محمد خان القاجاري والتبس الأمر على عساكر اغا محمد خان القاجاري من هول الهجوم المفاجئ على قلب الجيش القاجاري[١٢٣] واعتقدوا بأن قوة كبيرة دخلت في صفوفهم واشتبكوا في قتال بعضهم مع بعض، وقتل جمع غفير من جنود القاجار، وفرّ الكثيرون في جنح الظلام لا يلوون على شيء، وتشتت اكثرية القوات القاجارية ولكن خبراً بثه ميرزا فتح الله خان الاردلاني في صفوف مقاتلي لطف علي خان الزندي بايقاف القتال[١٢٥] والانسحاب من المعسكر القاجاري.

وارتكب الخان الزندي بايقاف القتال وعدم استمراره في التقدم واستثمار نصره خطأً عسكرياً فادحاً فأدىٰ إلى هزيمته عند الصباح وعند اذان المؤذن أيقن لطف علي خان أن اغا محمد خان لم يبرح مكانه ولا يزال موجودا في معسكره يحاول تنظيم صفوف جيشه عندئذ علم لطف علي خان بأن الفرصة افلتت من يديه وايقن بأنه لن يتمكن من الصمود امام هذه القوة العظيمة للخان القاجاري فأثر الانسحاب السريع من المنطقة لكي لا تدركه قوات القاجاريين وكانت البسالة النادرة التي اظهرها لطف علي في هذه المعركة غير المتكافئة والمعارك الأخرى خير دليل على همة وبأس هذا

القائد الفذ الذي خانه الحظ طوال حياته القصيرة على الرغم من اللياقة الكاملة التي اظهرها في جميع الميادين. واسطع دليل على لياقته وشهامته ما شهد به عدوه اللدود اغا محمد خان القاجاري بعد وصوله إلى عرش إيران إذ قال بالحرف الواحد على المهتمين بتاريخ إيران ان يكتبوا بماء الذهب ثلاثة أشياء جديرة بأن تنقش على صفحات التاريخ للاجيال المقبلة ألا وهي:

١- شجاعة الحاج ابراهيم الكلانتري وتدبيره وحزمه الذي تمكن من المحافظة على شيراز بشرذمة من الأهالي المدنيين من البقالين والتجار والكسبة ويدفع عن شيراز شر المعتدين من جنود العشائر المحاربين الذين جبلوا على حب القتال(١٢٦).

٢- بسالة لطف علي خان الزندي وبطولته الخارقة التي حدت به إلى ان يهاجم على رأس اربعمئة إلى خمسمئة من جنوده على جيش كبير قوامه ثلاثون ألف ويزيدون.

٣- رباطة جأش اغا محمد خان القاجاري حين ضاقت به السبل بعد هزيمة عساكره في تلك الليلة التي هاجم لطف علي خان على قواته. وعلى الرغم من الخطر المحدق به من كل جانب وحراجة موقفه لبث في معسكره صامدا قوي الجنان حتى الصباح وبهذا أثبت ان تلك الهزائم والاضطرابات لم تنل من عزيمته الصلبة، ولم يتأثر لها ولا بها(١٢٧). ومن الشواهد الأخرى على بسالة هذا القائد ما روي عن اغا محمد خان القاجاري بأنه عندما وصله خبر ان زوجات خان بابا جهان باني ابن أخيه قد رزقن ثلاثة أولاد في يوم واحد وكان ذلك قبل استيلائه على كرمان دعا الله ان يبرز منهم رجل يضاهي شجاعته وبسالة لطف علي خان(١٢٨).

توجه لطف علي خان بعد انسحابه امام القوات القاجارية إلى منطقة خراسان محاولا الوصول إلى طبس بأمل نيل مساعدة حاكمها القوي مير حسين خان صديقه الحميم وقد واجه أشد الصعوبات بمروره في صحراء لوط القاحلة حتى تمكن من الوصول إلى طبس فأكرمه حاكمها وقدره خير تقدير وأمده بالقوات لمساعدته في صراعه مع خصمه القاجاري وتوجه اغا محمد خان بدوره بعد هروب لطف علي خان إلى شيراز ودخلها وصفى أموال الأسرة الزندية وقتل وسمل رجالها وسبى نسائها وأمر بنبش قبر كريم خان زند وحمل عظامه ليدفن تحت كرسي عرشه ليطأه بقدميه بقيامه وقعوده(١٢٩) ونصب ابراهيم الكلانتر حاكماً على شيراز ولقبه بلقب

اعتماد الدولة وعين اخاه عبد الرحيم خان حاكما على ولاية منطقة فارس، وأصبحت أسرة كلانتر في عهد اغا محمد خان القاجاري الحاكم المطلق لجنوبي إيـــران لا يـــد فوق ايديهم إلا يد الله واغا محمد خان.

ولكن القدر كان بالمرصاد لهذه الأسرة الخائنة، فقد غضب عليهم فتـــح علـــي شاه ونكبهم واحدا بعد آخر وأمر بسمل عين حاج ابراهيـــم وقطـــع لســـانه ولســـان اخوانه[١٣٠] وصادر اموالهم وقتل جميع اقربانهم المقربين فأصبح من بقي منهم على قيد الحياة متسولين يتسكعون في شوارع قزوين. وقد جاهد لطف علـــي خـــان بعـــد استيلاء اغا محمد خان على شيراز عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤ حتى يوم أســـرد جـــهاد الأبطال في سبيل استرجاع ملكه المغتصب من القاجاريين واعوانهم، ولاجـــل القـــاء الضوء على جهاده المستميت نشير إلى بعض المعارك التي خاضها ضد القاجـــاريين فقد دخل في قتال عنيف مع القوات التي ارسلها اغا محمد خان القاجاري بقيادة عبـــد الرحيم خان الكلانتري للقبض عليه ومع قوات علي تقي خان حاكم يزد ولكنه اندحـــر في هذه المعركة منسحبا إلى مدينة ابرقود محاولا الاستيلاء عليها وعلى دار ابجـــرد وتبريز، وقد دخلت قواته في قتال عنيف مع حسين خان قوالوي الذي ارســـله اغـــا محمد خان القاجاري للقبض عليه واشتبك الطرفان في وادي خرمـــن كـــوه بمنطقـــة تبريز إذ كان النصر فيها حليف القوات القاجارية بفضل ذكاء ودراية قائدهـــا محمـــد حسين خان قوالوي[١٣١] وتوجه بعد هذه المعارك للاستيلاء على كرمان ولكن حاكمها محمد حسين خان قره كوزلو سد أبواب مدينة كرمان امامه، فاضطر لطف علي خـــان للتوجه مع انصاره إلى قاين وقندهار طالبا مساعدة محمد خان وعظم خان الافغـــاني، وجها نكير خان محمد خان السيستاني حاكم مدينة بم وضواحيها، وتوجه مرة أخـــرى على رأس قواته إلى كرمان فتعاطف معه أهالي كرمان وثاروا على حاكمـــهم محمـــد حسين خان (قره كوزلو)، فاضطر حاكم كرمان على الفرار امام الثوار المتعاطفين مع قوات لطف علي خان. ودخل لطف علي خان مدينة كرمان فاتحا وقد أعلـــن نفســـه شاها على إيران وأمر بسك النقود باسمه ولما علم اغا محمد خـــان بـــأمر اســـتيلاء لطف علي خان على كرمان تملكه الغيظ الشديد ويروى أنه عندما رأى قطعـــة نقـــود منقوش عليها اسم لطف علي فقد توازنه العقلي من فرط الغضب وأمر فورا باحضـــار ابن لطف علي خان فتح الله خان الذي كان طفلا صغيرا، وأمر باخصانه[١٣٢] وأمـــر بقتل عدد من اسرى الزندية وتوجه بعد ذلك على رأس جيش جرار للاستيلاء علـــى كرمان والقضاء على لطف علي خان، وأرسل ابن أخيه خان بابا جهان بـــاني علـــى

رأس قوة أخرى إلى جيرفت لقمع تمرد اشعله أنصار لطف علي خان في تلك المنطقة، ولما علم لطف علي خان بوصول قوات الخان القاجاري قرب كرمان خرج على رأس قوة من انصاره لمقابلتها. فاصطدم لطف علي خان بطلائع الجيش القاجاري بقيادة حسين علي خان القاجاري وتمكن لطف علي خان من الانتصار عليه ولكنه أثر الانسحاب إلى كرمان والاحتماء خلف اسوارها عملا بنصيحة مستشاريه. وعلى رأسهم جهانكير خان السيستاني الذي اقنعه بعدم التصدي المباشر للقوات القاجارية مزينا له الاحتماء باسوار كرمان بحجة ان الخان القاجاري وجيشه لن يتمكنوا من تحمل البرد القارس بعد حلول الشتاء في منطقة كرمان، ويضطر اغا محمد خان إلى الرجوع من حيث اتى وفك الحصار عن كرمان(١٣٣) ولكن هذه التوقعات لم تكن في محلها، فقد أمر اغا محمد خان القاجاري ببناء مدينة كاملة لقواته خارج اسوار كرمان لتتحمل عساكره برد الشتاء، وبعد حصار لكرمان دام أربعة أشهر سادت مجاعة قاسية في تلك المنطقة اضطر اهلها إلى اكل لحوم الميتة والجيف ولحم الكلاب والقطط، ويروى ان نفوس كرمان قبل المجاعة كانت ٢٠٠,٠٠٠ مئتي ألف نسمة؛ وأصبحت بعد فتحها من قبل اغا محمد خان مئة ألف نسمة(١٣٤) هلك معظمهم بسبب المجاعة ومرض التيفوئيد الذي تفشى بين سكان المدينة، وسيف الفاتحين القساة وقد قاسى المحاصرون الكثير من الويلات وصنوف العذاب ودبت روح التذمر بين الأهالي وأنصار لطف علي خان الزندي.

ونتيجة لخيانة بعض من أنصار لطف علي خان(١٣٥) ايقن اغا محمد خان من وخامة الأوضاع الداخلية في كرمان ودنو ساعة الهجوم أمر قواته بالهجوم من كل صوب وجانب على المدينة، واستعمل البارود في نسف سور المدينة وتمكن من فتح ثغرة في الجناح الغربي من السور وتوغلت قواته من هذه الثغرة إلى داخل المدينة وانقسموا إلى وحدات ومجاميع للاستيلاء على ابراج المدينة والمراكز الحساسة فيها، ولم يتمكن المدافعون في الابراج ابراز مقاومة تذكر لهذا الهجوم بسبب المجاعة وضعف معنوياتهم بعد سماعهم بدخول القوات القاجارية إلى المدينة فذبحتهم العساكر القاجارية ذبح النعاج وكان لطف علي خان في سراي المدينة عندما علم بدخول القوات القاجارية إلى داخل المدينة، فبادر على رأس مئة فارس من عساكره وقواده بالهجوم على القوات القاجارية، فدارت معركة عنيفة بين الطرفين، ولكن القوتين لم تكونا متكافئتين. وقد انقذ لطف علي خان فرسه قرآن المعروفة بسرعة الجري والمناورة مرات عديدة من المواقف الحرجة في ساحة القتال حتى

أشيع بين الناس بأن لطف علي خان لن يموت إلا بعد ان تقتـل فرسه المعروفة بـقرآن أو غران[١٣٦] فتمكن من الهروب بعد ان جن الليل بين الجموع الغفيرة من القوات القاجارية، بعد قتله عددا كبيرا منهم، فخرج من كرمان سالما على صهوة فرسه متوجها نحو مدينة "بم" مركز ولاية أخي قائده جهانكيز خان السيستاني، ولما علم اغا محمد خان القاجاري بهروب لطف علي خان الزندي تملكه غضب جنوني، ويروى إنه عض يده عضا قويا حتى ادماها وأمر باباحة المدينة على الرغم من استسلامها لمدة ثلاثة أيام كاملة، وحصد الأهالي حصدا، وأمر بسبي وتوزيع ثمانية آلاف امرأة وغلام كرماني بين قواده وعساكره[١٣٧]، وسمل عين من اشتبه به بأنه كان بين المؤيدين لـ(لطف علي خان)، ويروى بأنه سمل عيون عشرين ألف رجل من أهالي كرمان[١٣٨] وهدد قائد هذه العملية بأنه إذا جاءه بأقل من هذا العدد باثنين فقط لن يكمل العدد إلا بسمل القائد نفسه فقام القائد بتنفيذ ابشع مهمة[١٣٩] وشيد من رؤوس قتلى المدينة اهراماً من الجماجم فكانت تلك البربرية المتناهية الضربة القاضية لكرمان وقد ظلت هذه المدينة تعاني من أثر هذه الفاجعة مدة طويلة[١٤٠].

ومن جهة أخرى قوبل لطف علي خان في مدينة بمْ في بداية الأمر بالحفاوة والاكرام من قبل حاكم "بم"[١٤١] محمد علي خان السيستاني، ولكن الخوف والشك ركبه حول مصير أخيه جهانكير خان الذي تصور بأنه اسر من قبل قوات اغا محمد خان القاجاري وأمر رجاله بالهجوم على ضيفه لطف علي خان، بحجة عدم احضاره معه أخيه جهانكير خان[١٤٢] وعلى الرغم من دفاع لطف علي خان عن نفسه دفاعا بطولياً نادراً لكنه سقط مغشياً بعد اثخانه بالجروح من قبل رجال محمد علي خان السيستاني[١٤٣] وقرر تسليم ضيفه بخلاف الشيم والاخلاق الإنسانية إلى عدوه اللدود اغا محمد خان طمعاً في الجائزة والعفو عن اخيه، ويعتقد بأن محمد علي خان لم يقدم على عمله الشنيع هذا بهدف إنقاذ أخيه جهانكير خان من غضب اغا محمد خان القاجاري بل كان طامعاً في جائزته والمحافظة على أملاكه ونفوذه، ولعل ما يؤيد هذا الرأي هو ان محمد علي خان لم يطلق سراح اسيره عندما حضر أخوه جهانكير خان سالماً إليه بل اقنعه بضرورة تسليم لطف علي خان تحقيقاً لمصالحهم الذاتية، ورافق جهانكير خان اخاه على هذه الخيانة فسلما لطف علي خان إلى آمر حامية المكلف بتحويل لطف علي خان المدعو محمد ولي خان. وعندما وصل محمد ولي خان مع اسيره إلى ماهان اشتد المرض والحمى الشديدة على لطف علي خان بسبب جراحه فخاف محمد ولي خان على حياة اسيره إذا قيده بالسلاسل والقيود، وبعد وصولهم

إلى كرمان قيد الاسير الشجاع في عنقه ورجليه بالسلاسل الحديدية، واقتيد لطف علي خان على هذه الحال إلى معسكر اغا محمد خان القاجاري الواقع في الناحية الغربية من كرمان وعندما وصل الاسير إلى حضور اغا محمد خان امره محمد ولي خان بالسجود والركوع امام شاه إيران اغا محمد خان، فأجابه الأمير بكل إباء وشمم انني لا أسجد لكائن من كان إلا رب العالمين. فضربه محمد ولي خان على رأسه فأجبره بالقوة على الركوع حتى لامس رأسه التراب، ولكن لطف علي خان بقي على شجاعته وصموده ورباطة جأشه وحاول الوقوف على قدميه مرة أخرى احتد اغا محمد خان برفع صوته(١٤٤) من شدة الغضب، ألم تزل محتفظا بغرورك يا لطف علي؟ سوف أمرغ رأسك بالتراب، واعاملك معاملة لن تجرؤ على ان ترفع رأسك مدى الحياة، فأمر بعض رجاله ان يأخذوه إلى الاسطبل ويعملوا معه عمل قوم لوط(١٤٥) وأمر بانتهاك حرمة زوجته وزوج ابنته إلى احقر شخص في ذلك الحين وأمر باخصاء ابنه الصغير(١٤٦) وبهذه الأعمال المشينة التي يترفع التاريخ عن ذكرها أثبت اغا محمد خان عن دناءته وخسته وسفالته ناسيا ان القبائح والذنوب تكبر بكبر مقلم الأشخاص الذين يرتكبونها كما يقول الشاعر: (وتأتي على قدر الكرام المكارم).

وعلى الرغم من هذه المعاملة الوحشية الحقيرة والجبانة التي تندى لها جبين الإنسانية فقد بقي هذا الأمير الشجاع محافظا على بسالته حتى آخر رمق من حياته، فلم يتخاذل لجلاده، وعندما احضر مرة أخرى بين يدي اغا محمد خان القاجاري، وهو لا يقوى الوقوف على قدميه فأجبروه على القيام والوقوف على رجليه، فسأله اغا محمد خان القاجاري باستهزاء هل لا تزال يا لطف علي محتفظا بغرورك؟ فرفع لطف علي خان رأسه بصعوبة بالغة وبصق في وجه اغا محمد خان قائلا له اعلم أيها الخصي السافل على الرغم من معاملتك الدنيئة وما عملته وما سوف تعمله معي، فانني اقوى منك ولن اخافك ابدا، فأنت احقر وأصغر من ان تنال من عزيمتي وغروري، ولما تفوه لطف علي خان امام الخان القاجاري بكلمة الخصي هجم اغا محمد خان على اسيره وقلع عينيه بيديه(١٤٧)، وحسب ما يرويه بعض المؤرخين بأنه أمر جلاده بسمل عينيه وهو ينظر بقرب ضحيته إلى عملية السمل بشغف زائد عن الوصف(١٤٨).

وبعد قلع عيني لطف علي خان أمر الخان القاجاري بمعالجته حتى لا يموت سريعا لأنه يريد ان يراه يتعذب ولكي يحقره كلما وقع عليه نظره. وأمر ابن أخيه بابا خان جها نباني الذي عينه حاكما على ولايات فارس وكرمان ويزد وجميع

الولايات الجنوبية بايران، ان يعالجه وان يأخذه بعد شفائه إلـى طـهران. وبحسب روايات بعض المؤرخين بأن أهالي طهران بدأوا يهتمون بالاسير الزندي ويحترمونه ويجلونه غاية الاجلال لأنهم كانوا يذكرون عدالة الزعيم الزندي كريم خان عندما كان حاكما عليهم بكل احترام، وأشيع في المدينة خبر مفاده ان لطف علي خان احق من أسرة القاجار بحكم ايران، وعندما وصل هذا الخبر إلى مسامع اغا محمد خان القاجاري الذي كان خارج طهران وقتئذ في رحلة صيد وقنص في سلطانية (زنجان)، أمر حاكم طهران ميرزا محمد خان القاجاري بقتله. وفعلا قتل هذا الأمير الشجاع المنكود الحظ بشكل فظيع في طهران ودفن في مقبرة أمـا مـزاده زيـد فـي سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م[١٤٩] وقد انقذه الموت من عذاب الحياة الذي لم يفارقه طوال عمره القصير المليء بالنكبات والمآسي. وبموت هذا الأمير الذي اشتهر بالصفات الحميدة العالية، والمزايا الفذة القيادية بين أسرة الزند والت دولة الزنديين. عمليا من الساحة السياسية الإيرانية، وبعد قتل لطف علي خان انـزل اغا محمد خان القاجاري صوت العذاب على العشائر الزندية أين ما وجدوا، ولم يكن التنكيل قاصرا باخلائهم من فارس إلى الاقاليم النائية الموبوءة، واسكن مكانهم القبائل الأخرى. وبعد قتل لطف علي خان لم تجر محاولة من قبل الزنديين مرة أخرى لارجاع السلطة إليهم إلا مرة واحدة في عهد فتح علي شاه القاجاري[١٥٠] حيث ثار عليه محمد خان نجل زكي خان الزندي مطالباً بالاستقلال، واستولى على بعض الولايات الإيرانية ولاسيما اصفهان، غير إنه لم يتمكن من المحافظة على الأماكن التي استولى عليها.

واضطر إلى الهروب تحت ضغط القاجاريين، ملتجئاً إلى الدولة العثمانية وبقمع هذه الحركة المتواضعة انتهت دولة الزنديين إلى الأبد.

هوامش الفصل الثالث

(١) يعتقد أكثر المؤرخين بأن ظهور سلطنة كريم خان الزند بدأت منذ سنة ١١٦٣ هجري ولابد من الإشارة إلى حقيقة ان كريم خان الزندي عندما كان يلقب في اصفهان وكيل الدولة لم يدع الشاهية. انظر محمد حسن بن علي المراغة أي صنيع الدولة تاريخ منتظم ناصري تهران ١٣٠٠- ١٢٧٩ ص٢٩٩ وكذلك د. هادي هدايتي تاريخ زندية تهران ١٣٣٤ ص١٢٣.

(٢) مالكم ، المصدر السابق ج٢ باب ١٨ ص٥٠.

(٣) رشيد ياسمي ، كردوبيوستكي نزادي وتاريخي أو ص٢٣٨ ومحمد أمين زكي بك خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، مصدر سابق ص٤٥٦.

(٤) يؤكد أكثر المؤرخين ان اللر هم شعبة من الشعب الكردي، وفي الحقيقة يجمع الاكواد واللر التاريخ المشترك وتشابه اللغة والأدب والحال الاجتماعية المشتركة. جاء في قاموس تاج العروس للزبيدي تحت كلمة كرد وهم قبائل كثيرة لا تحصى ولكنهم يرجعون إلى أربعة قبائل وهي السوران والكوران والكلهر واللر وانهم يتشعبون إلى شعوب وقبائل كثيرة. انظر: مرتضى الزبيدي: تاج العروس طبعة بنغازي ولمزيد من المعلومات عن التاريخ المشترك للكرد واللر انظر المسعودي: التنبيه والاشراف ترجمة أبو القاسم باينده تهران ١٣٤٩ ص٨٩ ومحمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٤٥٦، رشيد ياسمي كردوبيوستكي نزادي وتاريخي ص٩- ١١٧.

(٥) عبد العظيم رضائي، جلد جهارم مصدر سابق ص٤٥ وكذلك عباس برويز، تاريخ دو هزار يانصد ساله إيران از تشكيل صفوية تا عصر حاضر ص١٤٥. أبو الحسن بن محمد أمين كلستانه مجمل التواريخ بكوشش مدارس رضوي تهران ب ت ص١٤٩.

(٦) عبد الله رازي ، المصدر السابق ص٤٢٩ .

(٧) محمد صادق الموسوي ، تاريخ كيتي كشادر تاريخ خاندان زند تصحيح سعيد نفيسي طهران ١٣١٧ ص١٢- ١٣. وكذلك حبيب الله شاملوني مصدر سابق ص٧٣١.

(٨) حسن بيرنيا وعباس اقبال ، المصدر السابق ص٧٤٠. حبيب الله شاملوني مصدر سابق ص٧٣٢.

(٩) ميرزا محمد صادق الموسوي ، كيتي كشا، ص١٦ .

(١٠) المصدر نفسه ص ١٥. وكذلك عبد العظيم رضائي، جلد جهارم مصدر سابق ص٤٦.

(١١) حبيب الله شاملوني ، المصدر السابق ، ص ٧٣٥ .

(١٢) عباس برويز ، تاريخ دوهزار يانصد ساله إيران ، ج٣ ص١٤٦ .

(١٣) جاء اسمه في بعض المصادر التاريخية اسد خان بدلا من ازاد خان. والاسم الوارد في المتن هو الصحيح انظر كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ص١٣٧.

(١٤) ميرزا محمد صادق الموسوي ، المصدر السابق ، ص٣٧ .

(١٥) المصدر نفسه ص ٤٢ .

(١٦) حبيب الله شاملوني ، المصدر السابق .

(١٧) ميرزا محمد صادق الموسوي ، المصدر السابق ، ص٦٠ .

(١٨) محمد أمين زكي بك ، تاريخ الدول والامارات الكردية، ص٢١٩. وكذلك حبيب الله شاملوئي مصدر سابق ص٧٣٦.

(١٩) كانت إحدى الأساليب الحربية التي اتبعها واتقنها كريم خان الزندي هي الحملات الليلية المفاجئة على اعدائه وقد تمكن بهذا الأسلوب من ايقاع خسائر كبيرة باعدائه، انظر محمد أمين كلستانه مجمل التواريخ، مصدر سابق ص١٥٩- ٢٨٣.

(٢٠) مالكم ، المصدر السابق ، ج٢ باب ١٨ ص٤٨ .

(٢١) ميرزا محمد صادق الموسوي ، كيتي كشاص ٨٨ وكذلك حسن فهمي جاف، بالله واني زند. بغداد ١٩٥٦ ص٣. حبيب الله شاملوني مصدر سابق ص٧٣٧.

(٢٢) حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ، ص ٧٤٢ .

(٢٣) جاءت في بعض المصادر بأن خديجة بيكم هي بنت اخت محمد حسن خان القاجاري وليست ابنته. انظر: حبيب الله شاملوئي مصدر سابق ص٧٣٧.

(٢٤) عامل كريم خان الزند الأسرة القاجارية بكرم واخلاق رفيعة عالية على عكس ما عامله اغا محمد خان القاجاري للأسرة الزندية بعد تمكنه منهم، ويروى ان كريم خان عندما جلب له أحد المقاتلين القاجاريين المدعو سبز علي برأس محمد حسن خان رئيس عشائر القاجار بعد انتصاره عليه تملكه الحزن الشديد ووقف امام رأس خصمه بخشوع واجلال وأمر بأن يؤتى بصابون له وغسل الرأس بيده ورشه بماء الورد وبعد ذلك وضعه في تابوت وشيع الرأس بنفسه بالاحترام ودفنه كما يدفن الامراء والملوك ولكن عندما وصل اغا محمد خان إلى الحكم أمر بنبش قبره ودفن عظامه قرب كرسي عرشه حتى تقع رجلاه على قبره في قيامه وقعوده انظر حسن

فهمي جاف ياله واني زه ند مصدر سابق ص١٣- ١٤ وميرزا صادق الموسوي، كيتي كشا مصدر سابق ص٨٧.

(٢٥) Percy Sykes op cit vol zr p ٢١١- ٢٨١.

(٢٦) بعد ان خلع كريم خان الزند الشاه اسماعيل الثالث من الحكم لعدم كفاءته صرح بأنه كان وكيلاً للسلطنة والدولة في زمن شاه اسماعيل الثالث ومن اليوم فصاعدا فهو وكيل الرعايا والملة انظر حبيب الله شاملوئي ص٧٣٩ وكذلك حسن بيرنيا وعباس اقبال المصدر السابق ص٧٤٨ وعلي الوردي، لمحات اجتماعية ج١، ص١٤٦.

(٢٧) ميرزا حسن حسني وسامي فارسنامه ناصري ج١ تهران ١٣١٣ ص٢١٩.

(٢٨) محمد بن حسن علي المراغه أي صنيع الدولة، تاريخ منتظم ناصري ج١ ص٢٩٩، انظر تاريخ منتظم ناصري ج٢ تهران ١٢٧٩- ١٣٩٩ ص٢٩٦ وعبد العزيز سليمان نوار، تاريخ زنديه، دكتر هادي هدايتي، ج١ تهران ١٣٣٤ ص١٢٣ وعبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث مصدر سابق ج١ ص١٣٨.

(٢٩) دكتر عبد الحسين نوائي ، كريم خان الزند، تهران ١٣٤٤ ص٥٧ وكذلك أبو الحسن محمد أمين كلستانه مجمل التواريخ، مصدر سابق ص٥٥.

(٣٠) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص١٣٩- ١٤٠.

(٣١) حبيب الله شاملوئي ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٣٢) محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، ص ٣١٦ .

(٣٣) عمر باشا من ولاة بغداد ترقى في المناصب حتى صار يتحدى سليمان باشا أبي ليلة أول ولاة المماليك وقد عرف ببطشه ودهائه وطموحه وقام بحملات عسكرية لضرب القبائل العربية القوية فنكل بالخزاعل سنة ١١٨١ هجري/ ١٧٩٦م وبطش بقبائل المنتفق ومارس ضغطاً سياسياً على الجليليين في الموصل إلا ان حدوث الطاعون الهائل سنة ١١٨٦ هجري وغزو الايرانيين للبصرة سنة ١١٨٩/ ١٧٧٥م اضعفا من سلطته وفسح المجال لمناوئيه بالعمل ضده انظر الكركوكلي، دوحة الوزراء ص١٣٧- ١٥٣ وانظر رحلة نيبور إلى بغداد، ترجمة مصطفى جواد، مجلة سومر سنة ١٩٦٤ ص٦٥.

(٣٤) يذكر عثمان بن سند الوائلي ان ملك العجم شكا عليه عند السلطان العثماني وقد ظلم فلذلك ما امده وقوى بايده زنده بل كان ينهاه عن فتح باب المحاربة ويحثه

على المسالمة والمصاحبة لشكاية كريم خان زند عليه لدى السلطان. انظر مطالع السعود وتحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد. بغداد ١٩٩١ ص٨٣ ويستفاد من مقال منشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شماره ٦ سال دهم مارت ١٩٧٦ ص١٣٦ بعنوان جند سند تاريخي ازدوره زندية وقاجارية بأن كريم خان الزندي كان مستاء في رسائله إلى محمد درويش باشا الصدر الأعظم العثماني من عمر باشا والي بغداد وبتهمة تحريض سكان مسقط للتمرد على سلطان الحكومة الزندية.

(٣٥) يذكر الكركوكلي : بأن السلطان عبد الحميد أمر بعزل عمر باشا بوصفه السبب بهذه الفوضى والاضطرابات وعهد بولايتي بغداد والبصرة إلى أمين باشا إلى عبد الجليل وولايتي الموصل وكركوك إلى ولده سليمان باشا وبالنظر لوفاة أمين باشا أنيطت ولاية بغداد والبصرة باحد الوزراء العظام هو مصطفى باشا وامتثل عمر باشا لهذه الأوامر وغادر مقره ولكن سليمان باشا هجم عليه ليلاً واشتبك معه ومع رجاله واتباعه في خصام ولما حاول عمر باشا الهروب نحو الكاظمية سقط من فرسه والتوت رقبته وتمكن بعض الاكراد من القبض عليه وقتله وقطع رأسه وجيء به إلى مصطفى باشا فأرسله هذا بدوره إلى الاستانة انظر دوحة الوزراء، مصدر سابق ص١٥٣.

(٣٦) عباس برويز ، تاريخ دوهزار يانصد ساله ايران، مصدر سابق ص١٥٤- ١٥٥ وكذلك حسن بيرنيا وعباس اقبال ، المصدر السابق ص٧٤٧.

(٣٧) كان كريم خان الزندي في نيته الاستيلاء على منطقة عمان وسواحلها والحرب مع سكان تلك المنطقة ليتخلص من هجماتهم على السفن التجارية الإيرانية ولذلك كانوا يترصدون لقوات كريم خان وعندما هاجم صادق خان البصرة هب العمانيون للدفاع عن البصرة ودار قتال بين الطرفين اندحر فيها العمانيون وانسحبوا إلى عمان. انظر محمد صادق الموسوي. كيتي كشا، المصدر السابق. ص٥٦ وكذلك بحث برويز رجي، بعنوان ارتش إيران در دوره زنديه المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شماره سال ٦ خرداد تير ١٣٥٠/ ١٩٧١ ص١٢.

(٣٨) يذكر عثمان بن سند الوائلي : ان مصطفى باشا محب للعجم في الباطن ويظهر خلافه من عامة الناس فكتب إلى متسلم البصرة سليمان اغا ان المدد لكم بعيد من جهة السلطان فأما ان تصطلح مع العجم وأما ان تسلم البلدة لا جرم انظر مطالع السعود ص٨٤.

(٣٩) يذكر عثمان بن سندي الوائلي : فامتد الحصار وقل المدد والأنصار واكل الـهر الكلب واستغيث ولا مغيث بعد الله إلا الغضب انظر مطالع السعود ص٨٢.

(٤٠) هو مصطفى باشا الاسبيناخجي (أي بائع السبانخ) تولى ارضروم ودمشق وقوتية تم تولي بغداد سنة ١١١٠- ١٧٧٦ ووصفه معاصروه بأنه كان حاكماً عادلاً ذا مال وفير وما ظلم احدا انظر السويدي: حوادث بغداد والبصرة ص٥٦- ٥٧.

(٤١) الوزير عبد الله باشا الملقب بـ(اوزون) أي الطويل وكان والياً على ديار بكر وقدم على رأس ثلاثة آلاف جندي انظر الكركوكلي دوحة الوزراء ص٥٢.

(٤٢) هو عبدي باشا بن سرخوش علي باشا من ولاة الدولة العثمانية تولى ولايات عديدة ونال رتبة الوزارة وعين محافظاً وهو منصب عسكري لا اداري لعدد من المدن وتولى قيادة الجيش من عمليات مهمة وورد بغداد بحسب رواية العمري محافظاً. انظر عثمان بن سند الوائلي، مطالع السعود ص٨٣.

(٤٣) لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٢٢٨- ٢٢٩.

(٤٤) يذكر الكركوكي : دخل صادق خان بجيوشه بلدة البصرة وفور دخوله قبض على متسلم البصرة وموظفي الكمرك وكما قبض على بعض الوجوه من السكان وسيرهم مقيدين إلى كريم خان في شيراز واستولى على اموالهم واملاكهم ثم اباح البصرة لجنوده فراحوا ينهبون ويقتلون ويرتكبون مختلف الفضائع حتى صار الاغنياء يتسولون في الشوارع لكسب قوتهم اليومي. انظر دوحة الوزراء ص١٥٥.

(٤٥) يذكر عثمان بن سند الوائلي بأن صادق خان عندما دخل البصرة لم يبق مأثم إلا ارتكب منها المتون وعمل من فنون الظلم ما لا تتصوره من غير الظنون، انظر مطالع السعود ص٨٤.

(٤٦) يذكر محمد أمين زكي اسمه سهوا على محمود خان..

(٤٧) يذكر عثمان بن سند وقتل محمد علي خان وسر بقتله أهل الايمان انظر مطالع السعود ص٩٣ ويؤكد حسن بيرنيا وعباس اقبال بأنه قتل على يد أحد غلمانه انظر تاريخ إيران ازاغار تا انقراض قاجاريه ص٧٤٧.

(٤٨) يذكر مالكم بأن عمره ناهز خمسة وسبعين أو ستة وسبعين ومنهم من اوصلوه إلى ثمانين عاماً وحكم ٢٦ سنة انظر تاريخ ايران، باب ١٨ ص٥٥ وكذلك حسن بيرنيا وعباس اقبال يؤكدان إنه عاش وقد ناهز الثمانين ومدة حكمه دامت ثلاثين عاماً وثمانية اشهر. تاريخ إيران ص٤٤٧.

(٤٩) دكتر محمد رضا خيري ، اسناد ومكاتبات تاريخي إيران دوران قاجاريه جلد اول ص١٥.

(٥٠) حبيب الله شاملوئي ، المصدر السابق ، ص٧٣٩.

(٥١) كان لكريم خان خمسة أولاد اكبرهم صلاح خان ، ويليه أبو الفتح خان ومحمد علي خان ومحمد رحيم خان وابراهيم خان وقد سمل عيون جميعهم وقطعت السنتهم من قبل اقربائهم الطامعين بالعرش ما عدا محمد رحيم خان الذي مات موتاً طبيعياً في حياة والده، انظر حسن فهمي جاف، باله واني زند، ص٢٧.

(٥٢) حبيب الله شاملوئي ، المصدر السابق ، ص ٧٤٤.

(٥٣) المصدر نفسه ، ص٧٤٥ .

(٥٤) حسن بيرنيا وعباس اقبال ، المصدر السابق ص٧٤٩. وكذلك محمد أمين زكي، تاريخ الدول والامارات الكردية، ص٣١٧.

(٥٥) حبيب الله شاملوئي ، المصدر السابق ، ص ٧٤٥.

(٥٦) انظر محمود هاشم آصف حاشية رستم التواريخ باتصحيح وتحشية محمد مشيري تهران ١٩٧٣م ص١٣ وكذلك حبيب الله شاملوئي ، المصدر السابق ، ص ٧٤٥.

(٥٧) عبد الله رازي ، المصدر السابق ، ص٣٣٩ .

(٥٨) ميرزا حسين بن ميرزا عيسى الملقب "وفا" من منطقة هزاوه دخل في خدمة الدولة الزندية سنة ١١٨٥/ ١٧٦٦م أصبح وزيراً لصادق خان ١١٩٢- ١١٩٥ وجعفر خان ١٢٠٠- ١٢٠٣ ولطف علي خان ١٢٠٣- ١٢٠٩ بعد سقوط الدولة الزندية وافق على الخدمة في الدولة القاجارية ولكنه بقي مخلصاً للزنديين وذهب إلى العتبات المقدسة في العراق انظر مقال ابراهيم دهكان: حاج محمد حسين وزير زنديه متخلص بـ"وفا" سالنامه فرهنكك اراك ١٣٣٩ ص٧٤ وكذلك رضا قلي خان هدايت معجم الفصحا، جلددوم باهتمام مظاهر مصفا تهران ١٣٣٩ ص٥٢٧.

(٥٩) سر هار فورد جونس: آخرين روز هاي لطف علي خان زند، مترجمين هما ناطق وجان كركي جاب أول تهران ١٣٥٣ ص٧٦- ٧٧.

(٦٠) محمود هاشم، أصف رستم الحكماء، ص٥٢٧ وكذلك ميرزا صادق الموسوي الاصفهاني، المصدر السابق، ص ٢٣٠- ٢٣١.

(٦١) يذكر أمين زكي بك اسمه سهواً تقي خان بدلاً من علي تقي خان.

(٦٢) محمود هاشم، أصف رستم الحكماء، ص١٨.

(٦٣) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق، ص٧٤٦.

(٦٤) يذكر سرجان مالكوم بان هناك روايات مختلفة حول مصير صادق خان البعض اعتقد بأنه قتل ويقول البعض الاخر بانه مات بدس السم له في الطعام ومنهم من يعتقد بانه سمل وبعد سمله اصابته حال من الجنون والهستريا وانتحر بالضرب بكلتا اليدين على رأسه بقوة حتى مات جراء ذلك انظر تاريخ ايران ج٢ باب ١٩ ص ٦٠، وكذلك ستانلي لين بول، طبقات سلاطين إسلام ترجمة عن الفارسية مكي الكعبي بغداد ١٩٦٨ ص ٢٤٢.

(٦٥) يذكر بعض المؤرخين بان اكبر خان بن زكي خان هو الذي سمل عينيه وعين ابنه علي تقي خان. انظر ميرزا محمد صادق الموسوي الاصفهاني، المصدر السابق، ص٢٤٢- ٢٤٣.

(٦٦) حسن بير نبيا وعباس إقبال، المصدر السابق، ص٧٥٠. عبد العظيم رضاني، جلد جهارم مصدر سابق ص٥٩.

(٦٧) محمد هاشم أصف رستم الحكماء: رستم التواريخ، ص١٨.

(٦٨) محمد امين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٣٢٣.

(٦٩) حبيب الله شاملوني، مصدر سابق، ص٧٤٦.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٧٤٧، ص٧٤٧.

(٧١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها. ص ٧٤٧.

(٧٢) حسن برنيا وعباس إقبال، المصدر السابق، ص ٧٥١، سرجان مالكم تاريخ إيران، ج٢، ص٦٢٠.

(٧٣) محمد أمين زكي بك، تاريخ الدول والامارات الكردية، ص ٣٢٥.

(٧٤) حبيب الله شاملوني. المصدر السابق، ص٧٤٩.

(٧٥) يذكر محمد أمين زكي اسمه بكر خان سهوا والصحيح هو باقر خان، انظر تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٣٢٦.

(٧٦) حسن بيرنيا وعباس إقبال، المصدر السابق، ص ٧٥١.

(٧٧) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧٨) يذكر محمد تقي سيهر بان اغا محمد خان القاجاري امر خسروا خان والي كردستان وعلي خان حاكم منطقة الخمسة ورؤساء قبيلة قراكوزلو بالتصدي لجعفر خان في منطقة همدان واسفر القتال بينهم عن اندحار جعفر خان اندحارا شنيعا وترك أمواله وأثقاله وعدته في ساحة المعركة وترك منطقة فراهان وفر بسرعة فائقة واستقر في (دهق) ثم رجع إلى شيراز على جناح السرعة، ناسخ التواريخ، ج١، ص ٥٠.

(٧٩) مه ستوره كوردستاني: ميثروي نه رده لان ته ر جمه ي د. حسن جـــاف وشــكور مصطفى، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٥١.

(٨٠) مالكم: تاريخ إيران، ج٢، باب ١٩، ص ٦٢.

(٨١) محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٢٢٧.

(٨٢) د. عبد الله رازي، المصدر السابق، ص ٤٥٤.

(٨٣) يذكر محمد هاشم اصف بان جارية كرجية فكت وثاق رؤوس التآمر كل مـــن حيـدر مراد خان وتامر مراد خان وجهان كير خان ود مراد خان الذين سجنهم جعفر خـــان وتمكنوا من قتل جعفر خان والقوا برأسه من قصره انظر رستم التواريـــخ ص ٤٥١ وكذلك حاج ميرزا حسن فسائي فارسنامه ناصري جاب سنكي، بلا تـــهران وكذلـك سرها رفورد جونز، مصدر سابق، ص٧١.

(٨٤) يذكر حسن برنيا وعباس إقبال بان جعفر خان مات مسموما اثر مؤامرة مـــن بعـض أمراء الزندية وصيد مراد خان الذي حل في محلة في السلطة وحكم الدولة الزنديـــة، انظر تاريخ إيران. ص ٧٥١.

(٨٥) خواجه تاجدار، ترجمة ذبيح الله منصوري، ج ٢، ص ٧- ٩.

(٨٦) يذكر أمين زكي بك نقلا عن تاريخ إيران لما لكم بان من بين المتآمرين أحد القـــواد الشجعان لجعفر خان يدعى الحاج علي قلي خان الكازروني الذي ترك صفوف قـوات جعفر خان لتنكره لوعد قطعه له بالعفو عن الأســرى الخراســانيين ولــهذا السـبب تصاعد الخلاف بينهما إلى حد القطيعة. وأمر جعفر خان بإيداعه السجن لتمرده عليـه وتعاون حاج علي قلي خان مع صيد مراد خان وجماعته بعد خروجهم من الســجن، انظر: حسن فهمي جاف. باله واني زد ند مصدر سابق ص ٩٦- ٩٧، وكذلك محمـد أمين زكي تاريخ الدول والإمارات الكردية. مصدر سابق ص ٢٢٧.

(٨٧) انظر مقال مقابر هريك سلاطين إيران المنشور في مجلة يادكار شماره ٢ سال ســوم مهر ماه ١٣٢٥، ص ١٩.

(٨٨) اشتهر بين الناس بان جعفر خان لم يدفن وان قبره غير معروف وفي بحـــث السـيد فاضل انواري يفند هذا الرأي ويذكر بان قبري صادق خان وجعفر خان وجـــدا فـــي شيراز وقد ارخ فاضل انواري وفاة كل منهما حسب التاريخ الابجدي ببيـــت شـعر، انظر مقال، محل قبر صادق خان وجعفر خان زند المنشور في مجلة يادكـــار سـال سوم شمارة (٣) أبان ١٣٤٩، ص ٦١- ٦٥.

(٨٩) مالكم: تاريخ إيران، ج٢، باب ١٩، ص ٦٤.

(٩٠) انظر: ميرزا محمد صادق موسوي تاريخ كيتي كشا تاريخ خاندان زند مصدر سابق ص ٣١٨.

(٩١) يذكر محمد تقي سيهر بان المتآمرين تواطؤا مع غلامين لجعفر خان إحداهما يدعى رجب والآخر باقر الذين كانا مسؤولان عن إطعام المتآمرين فهيئا للمتآمرين المجال للخروج من السجن وقتل جعفر خان الزندي، انظر: ناسخ التواريخ، ج ١، ص ٥٥.

(٩٢) زان كوره، خواجه تاجدار مصدر سابق ص ١١، وكذلك ميرزا محمد صادق موسوي، تاريخ كيتي كشا، مصدر سابق ص ٣١٨.

(٩٣) انظر: ميرزا محمد صادق موسوي ذيل كتاب تاريخ كيتي كشا، ص ٣٢١.

(٩٤) ن. وبيكولوسكايا وآخرون، مصدر سابق، ص ٦١٨.

(٩٥) زان كوره خواجه تاجدار، ج ٢، ص ١١.

(٩٦) سر هارفورد جونز ١٨٤٧- ١٧٦٤م زار إيران في أواخر عهد الدولة الزندية بصفة تاجر مجوهرات تقابل مع لطف علي خان بن جعفر خان عندما كان شاها على إيران في قصره بشيراز وذهب لزيارته عندما كان هاربا من بطش اغا محمد خان القاجاري في منطقته سهل خشت وكان معجبا بشخصية لطف علي خان واثنى على شجاعته وإقدامه وبعد سقوط الدول الزندية اصبح سفيرا للامبراطورية البريطانية في بلاط فتح علي شاه القاجاري، انظر: مقدمة كتاب آخر بن روز هاي لطفي علي خان ص ٤٨٠- ٥٢٠.

(٩٧) سر هارفورد جونز، آخرين روز هاي لطف علي خان زند، مصدر سابق ص ١٠.

(٩٨) شاهين مكاريوس، تاريخ إيران، ص ٢١٦.

(٩٩) محمد تقي سيهر، ناسخ التواريخ، ج ١، ص ٥٩.

(١٠٠) زان كوره خواجه تاجدار، ج ٢، مصدر سابق ص ٢١٠.

(١٠١) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق، ص ٧٤٩.

(١٠٢) زان كوره، خواجه تاجدار، ج ٢، ص ٣٥.

(١٠٣) أحمد كسروي علي خان وزيري كرماني: تاريخ كرمان به كوشش د. إبراهيم باستاني جاب دوم تهران ١٣٥٣، ص ٥٥٢- ٥٥٦. وكذلك انظر: غلام حسين مصاحب، دائرة المعارف فارسي - ج ١، ص ٩- ١٠.

(١٠٤) حاجي إبراهيم كلانتر (اعتماد الدولة) هو إبراهيم بن هاشم كان أبوه مدير لشرطة محلة حيدري في مدينة شيراز وقد سملت إحدى عينيه بأمر من نادر شاه سنة ١١٦٠هـ بتهمة الاختلاس ودخل ابنه إبراهيم في خدمة الدولة الزندية وارتقى في المناصب الإدارية وأصبح رئيسا لشرطة شيراز في عهد جعفر خان الزندي وبعد مقتل جعفر خان ساعد ابنه لطف علي خان للوصول إلى السلطة وكان محل ثقة واعتماد لطف علي خان إلى درجة مناداته بعبارة ابتاه ثم تنكر لـ(لطف علي خان) وتواطأ مع اغا محمد خان القاجاري ضده وقربه إليه وعينه وزيرا لدولته واستمر في هذا المنصب حتى عهد فتح علي شاه ونكب في عهده.

(١٠٥) يطلق أمين زكي عليه اسم بختيار خان والصحيح هو برخودار خان لأن اسمه جاء كذلك في اكثر المصادر الفارسية. انظر غلام حسين مصاحب دائرة المعارف فارسي وتاريخ الدول والإمارات الكردية ص ٣٣٢ ص٩- ١٠.

(١٠٦) مالكم: المصدر السابق، ج٢، ص٦٧.

(١٠٧) يذكر سير هارفورد جونز بان حاجي إبراهيم كلانتر تشفع لميرزا مهدي لدى لطف علي خان وكان متهما بقطع اذني جعفر خان بعد إلقاء رأسه من قبل المتآمرين من القصر انتقاما لقطع اذنه من قبل جعفر خان بتهمة الاختلاس وقبل لطفي علي خان شفاعة حلجي ابراهيم في بادئ الأمر لكنه تحت إصرار والدته التي طالبت بقتل ميرزا مهدي لعمله الشنيع اضطر أن ينكل بوعده وأمر بقتل ميرزا مهدي الذي كان كاتبا للجيش في عهد والده جعفر خان وكان هذا الحادث سببا جوهريا للخلاف بين حاجي إبراهيم ولطفي علي خان انظر آخرين روزهاي لطف علي خان، المصدر السابق، ص ٩، وفسائي، فارسنامه ناصري، ص ٢٣٢- ٢٣٣.

(١٠٨) سير هارفورد جونز، المصدر السابق، ص١٠.

(١٠٩) محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٣٣١- ٣٣٢.

(١١٠) يعتقد محمد أمين زكي سهوا بانه ابن أخت اغا محمد خان، انظر: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٣٣٥.

(١١١) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق، ص ٧٤٩.

(١١٢) ذكر حبيب الله شاملوني اسمه حاجي عبد الكريم، تاريخ ايران، ص ٧٤٩- ٧٥٠.

(١١٣) لغرض الاطلاع على كيفية تنفيذ عبد الرحيم خان الشيرازي لمؤامرته انظر كتاب زان كوره، خواجه تاجدار، ج٢، ص ٨٠- ٩١.

(١١٤) سير هارفورد جونز. المصدر السابق، ص ٥٤.

(١١٥) د. عبد الله رازي. المصدر السابق. ص ٤٥١، وكذلك سير هارفورد جونز. المصدر السابق. ص ٢٩. محمد أمين زكي تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٣٢٧.

(١١٦) يذكر زان كوره بان لطف علي خان اثناء تواجده قرب شيراز تجمع حوله بقية قواته المشتتة بعد معركة سميرم فتوجه على رأس ثلاثمئة فارس من انصاره نحو دشتستان، انظر خواجه تاجدار، ج ٢، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(١١٧) يقول زان كوره بان حاكم بو شهر كان صديقا لـ(لطف علي خان) وامده بقوة كافية ليهاجم شيراز من جديد ولكن لم اجد في سائر المصادر القاجارية ما يؤيد هذا الرأي. انظر خواجه تاجدار، ج ٢، ص ١٠٠.

(١١٨) سير هارفورد جونز. المصدر السابق. ص ٥٣.

(١١٩) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(١٢٠) محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية. ص ٣٣٨.

(١٢١) سرجان مالكم: تاريخ ايران، ج ٢، باب ١١، ص٦٩.

(١٢٢) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق، ص ٧٥٠.

(١٢٣) سير هارفورد جونز، المصدر السابق، ص ٦٧.

(١٢٤) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق، ص ٧٥٠.

(١٢٥) يعتقد بعض المؤرخين أن هذه النصيحة ابديت بحسن نية بينما يعتقد آخرون بان الرجل كان جاسوسا لاغا محمد خان القاجاري في صفوف القوات الزندية ولأجل الإطلاع على من يوسمه بالخيانة انظر حبيب الله شاملوني، المصدر السابق، ص ٧٥، ونكاد نجزم بان الرجل كان بريئا من التهمة الشنيعة بدليل جوهري أن اغا محمد خان القاجار عندما دخل شيراز فاتحا هرب ميرزا فتح الله الاردلاني إلى يزد وعندما قبض عليه وأحضروه بين يدي اغا محمد أمر بقطع لسانه، انظر محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ، ج١، مصدر سابق ص٦٣.

(١٢٦) ذكر سر هارفورد جونز بان اغا محمد خان أبدى دهشته وعجبه بمدى عظمة خيانة حاجي إبراهيم كلانتر ويذكرها ضمن أولى الاشياء الثلاثة العجيبة التي يجب أن تدون في التاريخ، انظر آخرين روز هاي لطف علي خان. المصدر السابق. ص ٦٨.

(١٢٧) مالكم، تاريخ ايران. ج ٢، باب ١٩، ص٧٠.

(١٢٨) محمد أمين زكي. تاريخ الدول والإمارات الكردية. مصدر سابق ص ٣٤٤. وكذلك حسن فهمي جاف. باله واني زه ند. مصدر سابق ص ١٤٤.

(١٢٩) حبيب الله شاملوني. المصدر السابق. ص ٧٥١. وكذلك عبد الرفيع حقيقت رفيع. تقويم تاريخ سياسي از اغاز تادورد يهلوي تهران ٣١٨٩، ص ٤٨٣.

(١٣٠) Malcom Sir John: Sketches of Perisa, London. J. Murra, Y. ١٨٢٨, P. ١٥٤.

وكذلك سير هارفورد جونز. المصدر السابق. ص ٨١.

(١٣١) زان كوره، خواجه تاجدار، ج ٢. مصدر سابق ص ١٦٢.

(١٣٢) عباس برويز. تاريخ دوهزار بانصد ساله ايران، ص ٧٧٠، وكلك: حبيب شاملوني، المصدر السابق، ص ٧٥١.

(١٣٣) زان كوره خواجه تاجدار، ج ٢، مصدر سابق ص١٧٢.

(١٣٤) يعتقد زان كوره بان هذا الرقم مبالغ فيه لان نفوس طهران العاصمة في أواخر حكم ناصر الدين شاه القاجاري لم يتجاوز منة ألف نسمة ولا يعقل أن يكون نفوس كرمان وهي مدينة اصغر من طهران في عهد اغا محمد خان القاجاري منتا ألف نسمة، انظر خواجه تاجدار، المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٩.

(١٣٥) من القواد الذين خانوا لطف علي خان هو لحق قلي خان الذي تواطأ مع القاجاريين انظر: عبد العظيم رضائي جلد جهارم مصدر سابق ص٦٤ وكذلك عبد الرفيع حقيقت رفيع، المصدر السابق، ص ٤٨٢.

(١٣٦) كان هذا الفرس عائدا إلى كريم خان الزندي واهداه إلى لطف علي خان لشجاعته وفروسيته وكان هذا الفرس يضرب به المثل لمقاومته وسرعة جريه ومناورته في القتال.

(١٣٧) يذكر مرتضى راوندي: عند ترك عساكر اغا محمد خان كرمان كانت آلاف من بنلت هذه المدينة حاملات من جنوده مما اضطررن إلى عملية إسقاط جنينهن، انظر تاريخ اجتماعي ايران، ج ٢، مصدر سابق ص٤٨٤.

(١٣٨) حسن فهمي جاف، باله واني زند. ص ١٥٨، ودونالدولبر. المصدر السابق، ص٩٧.

(١٣٩) ن. و. بيكولوسكايا وآخرون، المصدر السابق، ص ٦١٨ وكذلك دونالدولبر مصدر سابق ص١٤٧.

(١٤٠) مرتضى راوندي. مصدر سابق. ج ٢. ص٤٨٥/ ٦١٨. وكذلك عبد العزيز سليمان نوار. المصدر السابق. ص ١٤٧.

(١٤١) يذكر محمد أمين زكي سهوا مدينة نرمانشير والصحيح هو بم. انظر تاريخ الدول والإمارات الكردية. ص ٣٤٩.

(١٤٢) مرتضى راوندي. المصدر السابق. ج ٢. ص ٤٨٤.

(١٤٣) محمد أمين زكي. المصدر السابق. ص ٣٥٠.

(١٤٤) كان صوت اغا محمد خان صوتا نسانيا لذلك لم يكن يرفع صوته عند الغضب أو مناداة الخدم. وكان يستعمل قرع الطبل عندما يريد احضار الخدم. فسمي الخصي قارع الطبل.

(١٤٥) أحمد علي خان وزيري كرماني. تاريخ كرمان. ص ٤٨٥. مرتضى راوندي. المصدر السابق، ج ٢. ص٤٨٥، سير هارفورد جونز. المصدر السابق، ص٦٩.

(١٤٦) سير هارفورد جونز. المصدر السابق، ص٨، وكذلك عبد الله رازي، المصدر السابق، ص٤٨٣.

(١٤٧) عبد الله رازي، المصدر السابق. ص٤٥٨. وعبد العظيم رضائي جلد جهارم مصدر سابق ص٦٤.

(١٤٨) انظر: زان كوره خواجه تاجدار. ج ٢. المصدر السابق، ص٢٦٨، وسرجان مالكم تاريخ ايران، باب ١٩، ص ٧٣. وحسن فهمي جاف باله واني زند. مصدر سابق ص١٦١.

(١٤٩) عبد الرفيع حقيقت رفيع، المصدر السابق، ص٤٨٣، وحبيب الله شاملوني، المصدر السابق، ص٧٥٣. عبد العظيم رضائي جلد جهارم مصدر سابق ص٦٤-٦٥.

(١٥٠) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق، ص٧٥٣.

الفصل الرابع

الدولة القاجارية (١٢٠٠ —١٣٤٣هجري) (١٧٨٥ —١٩٢٤ميلادي)

تنسب قبيلة قاجار إلى اتراك سهل قبجاق ومن العنصر المغولي[١] ويذكر انهم جاءوا مع عساكر جنكيز خان واخلافه من منغوليا إلى البلاد الإسلامية وسكنوا في مناطق بين الشام وايران واستوطنوا في ارمينيا بالذات[٢] وليس هناك ذكر للقاجاريين في التاريخ إلا ابان ظهور الدولة الصفوية. وقد قدمت هذه القبيلة التي تعد إحدى القبائل السبع التي أسهمت في تأسيس الدولة الصفوية بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي بمساعدات قيمة إلى الصفويين مكنتهم من فرض سيطرتهم على اذربيجان أولاً وعلى أرجاء إيران كافة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي. قسم شاه عباس الأول قبيلة القاجار على ثلاثة أقسام. يسكن القسم الأول في منطقة مرو القسم الثاني في منطقة كرجستان والقسم الثالث منها في سواحل نهر جرجان[٣] ودب الانقسام بين صفوف هذه القبيلة، فانقسمت على نفسها إلى قبيلتين متخاصمتين هما قبيلتا يوخاري باش واشاقة باش[٤] وكانت الرئاسة في القاجار تبرز دوماً من بين قبلة بوخاري باش حتى تصدر رئاسة قبيلة اشاقة باش فتح علي خان الذي اصبح بدوره قائداً لعساكر الشاه طهما سب الثاني الصفوي، فأهله هذا المنصب الرفيع للاستحواذ على رئاسة قبيلة قاجار برمتها، وبعد مقتل فتح علي خان على يد نادر شاه[٥]، أبان تأسيس الدولة الافشارية أراد خصومه من القاجار القضاء على ولديه محمد حسن خان ومحمد حسين خان ليتخلصوا من منافستهما في رئاسة القبيلة. توفي محمد حسين خان في مرحلة مبكرة من حياته، واضطر محمد حسن خان الابن الأكبر لفتح علي خان خوفاً من أعدائه، وحفاظاً على حياته، إلى الالتجاء إلى عشائر التركمان القاطنين في السواحل الشرقية من بحر قزوين[٦].

وعلى الرغم من تركهم مناطق سكناهم. اضطروا إلى الدخول في حروب ومنازعات حادة مع القبائل التي كانت في خصام معهم، ارتفع شأن محمد حسن خان بوصفه رئيساً لقبيلة القاجار في الدولة الافشارية، وأصبحت هذه القبيلة قوة مهددة للملوك الذين خلفوا نادر شاه الافشاري وقد جرد عادل شاه ابن اخ نادر شاه حملة تأديبية على القاجاريين واستولى على مناطق سكناهم في مازندران وألقى القبض

على أبناء محمد حسن خان وأمر باخصاء الابن الأكبر لمحمد حسن خان المدعو اغا محمد خان[٧] الذي يرجع إليه الفضل في تأسيس الدولة القاجارية. قتل محمد حسن خان في العهد الزندي حيث أرسل كريم خان الزند قوة للقضاء عليه. وبعد قتال مرير قتل محمد حسن خان في ساحة المعركة من قبل خصومه من قبيلته القاجار[٨]، وعامل كريم خان الزند الأسرة القاجارية بروح التسامح والكرم وعامل الابن الأكبر لمحمد حسن خان اغا محمد خان في شيراز بالاحترام والود والتقدير وعامل اخاه حسين قلي خان معاملة حسنة وعينه سنة ١١٨٤ هـ حاكما على دامغان ولكنه ثار على كريم خان الزندي ولم يلبث طويلاً حتى قتل من قبل قبائل التركمان[٩] ولأجل وأد الضغينة والحقد بين الأسرتين تزوج أخت محمد حسن خان المدعوة خديجة بيكم التي ساعدت ابن أخيها اغا محمد خان[١٠] عندما كان كريم خان الزند على فراش الموت على الهرب من شيراز والوصول إلى موطن قبيلته في استراباد.

ركز اغا محمد خان جم جهوده لإحلال الوفاق والوئام بين فرعي العشيرتين المتخاصمتين اشاقة باش وبوخاري باش، وقد افلح في رأب الصدع وجمع شمل العشيرة وتوحيدها من جديد، استغل اغا محمد خان حال الفوضى التي دبت في المناطق الجنوبية من ايران، بسببً الصراع الدامي بين أمراء الزند الذين خلفوا كريم خان الزندي على السلطة فتمكن من الاستيلاء على كركان (جرجان) ومازندران وكيلان وجميع مناطق شمالي ايران، وبسط الخان القاجاري نفوذه في أوائل تسلم علي مراد خان عرش إيران إلى المناطق القريبة من اصفهان. وبعد وفاة علي مراد خان ومقتل جعفر خان دخل في صراع مرير مع آخر أمراء الأسرة الزندية. الأمير لطف علي خان على السلطة، وبعد حروب طويلة تمكن من دحر لطف علي خان وقتله، وبمقتله دالت الدولة الزندية، وتربع على عرش إيران اغا محمد خان معلناً تأسيس الدولة القاجارية[١١] التي استمر حكمها لغاية أواسط العقد الثالث من القرن العشرين.

اغا محمد خان ١٢٠٩ـ١٢١١هـ / ١٧٩٥ـ١٧٩٧م

يعدّ اغا محمد خان مؤسس الدولة القاجارية فقد تمكن بعزمه الراسخ وجهوده الجبارة من التغلب على المنافسين لسلطته كافة، وأزاحهم الواحد تلو الآخر عن طريق تأسيس دولة قوية شملت جميع أرجاء المنطقة، وأنهى الصراعات العديدة

التي شملت البلاد الإيرانية من أقصاها إلى أدناها. كان اغا محمد خان يحلم ببعث سطوة الصفويين وإحياء إمبراطورية نادر شاه الافشاري الواسعة فقد كان خطط من اجل إقامة دولة شاسعة تضم كل من خراسان وشعوب تركمانيا وكل مناطق القفقاس وهرات وافغانستان وكردستان(١٢) دون ان يأخذ بنظر الاعتبار واقع تناسب القوى على الصعيد الدولي، فما إن استتب له الأمر في الحال، لاسيما بعد قضائه على تمرد أخيه مصطفى قلي خان(١٣) الذي أعلن خروجه عليه، واحتل العاصمة طهران، محتميا بسوره المنيع. حتى وجه له اغا محمد خان جيشا بقيادة قائده (مجنون بازوكي) الذي تمكن من دخول العاصمة طهران بقواته، فاضطر مصطفى قلي خان إلى الاعتصام في مرقد الإمام زيد، وبعد مناوشات بين قوات بازوكي وأنصار مصطفى قلي خان. اضطر الأخير إلى التسليم، وبعد أسره أمر اغا محمد خان بسمل عيني مصطفى قلي خان(١٤) وارتاب اغا محمد خان في أمر أخيه الآخر جعفر قلي خان الذي ساعده كثيراً في حربه مع أعدائه حتى استتبت له أمور البلاد، وظل على إخلاصه لأخيه حتى قرر اغا محمد خان على جعل ابن أخيه خان بابا جهانباني وريثا له على ملك ايران، فغضب جعفر خان من هذا التعيين المجحف بحقه وأعلن عدم رضاه ولكن لم يعلن الخروج على السلطة المركزية، وطلب من أخيه اغا محمد خان تعيينه حاكماً على اصفهان، فامتنع من تلبية طلبه هذا. وبدلاً من تعيينه حاكماً على اصفهان ولاه على قسم من بلاد مازندران، وحدث بعد هذا ان استدعى اغا محمد خان أخاه جعفر قلي خان ليأخذ برأيه في إحدى المسائل فلم يحضر، وظن اغا محمد خان ان ذلك بادئة العصيان والتمرد على سلطته فاستماله بالحيلة وأقنعه بالحضور إلى طهران حتى يراه بحجة الشوق إليه فجاء جعفر قلي خان وقابله أخوه اغا محمد خان في بداية الأمر بكل حفاوة وتكريم حتى أوشك النهار ان ينقضي فأشار إليه ان يرتاح في قصر أعد له خصيصاً لإقامته وعندما دخل جعفر القصر وكان الجلادون ينتظرونه بأمر من اغا محمد خان فقضوا عليه وقتلوه غدراً(١٥).

وبعد ان دانت له البلاد الإيرانية طفق لإعادة سيطرته على مناطق ما وراء القفقاس لاسيما على وادي نهر كورا الأوسط وجورجيا. ولتحقيق أحلامه أولى مؤسس الدولة القاجارية الجيش جانباً كبيراً من اهتمامه وكان يعتقد بان دوام دولته منوط بجيش قوي مستعد للتضحية من اجله(١٦) وكان الجيش الايراني في عهده يتألف من قوات ثابتة قوامها قوات حرس الشاه الخاص التي تقدمها الولايات

الايرانية. وقد رتب الخان القاجاري أمور رواتب الجيش المختلفة من الجنود والضباط والقادة وبذلك فرض احترامه على الجيش بصنوفه ومراتبه كافة[١٧]. وتمكن بهذا الجيش القوي من التفوق في السياسة الخارجية، وكانت جميع الدول القريبة من إيران تتحاشى الاصطدام باغا محمد خان القاجاري باستثناء هرقل حاكم جورجيا وتيمور شاه ملك افغانستان، وخلفه زمان شاه الذي انشغل بالأمور الداخلية لبلاده، وعلى الرغم من التجاء نادر ميرزا ابن شاه رخ ميرزا الافشاري عدو اغا محمد خان القاجاري إلى بلاط شاه زمان في كابول، فان الأمير حاول التملص من مساندة نادر ميرزا، وتجنب إثارة نار حرب بينه وبين اغا محمد خان. فوافق على التخلي عن مدينة بلخ للخان القاجاري. مقابل (٢٠٠٠٠٠) مئتي ألف تومان. دفعت لرسول اغا محمد خان المدعو محمد حسن خان قراكوزلو، وبهذا العمل انتفت الحاجة إلى القتال بين الطرفين، وأما حكام بخارى من الازبك فعلى الرغم من محاولاتهم الكثيرة في ضم خراسان في عهد شاه مراد بك، وخلفه شاه سعيد خان الذي استولى على مدينة مرو، ولكنهم فشلوا في بسط نفوذهم على خراسان، وآثروا ترك إيران وشأنها خوفاً من قوة اغا محمد خان القاجاري وجبروته.

أما الدولة العثمانية العدوة التقليدية للحكومات الإيرانية فقد انشغلت بمشاكلها الداخلية والخارجية ولاسيما حربها مع النمسا وروسيا[١٩] تاركة أمور ايران لأهلها. وكان على حكم بغداد منذ عام ١٧٨٠ وحتى ١٨٠٢ والى مملوكي معروف هو سليمان باشا الكبير[٢٠] الذي كان معنياً بتوطيد علاقاته السلمية مع القاجاريين، وقد فسحت ظروف انشغال أعداء إيران بأمورهم الداخلية المجال أمام اغا محمد خان القاجاري لتحقيق طموحاته بضم الولايات التي كانت جزءا من إيران في عهد الصفويين ونادر شاه ونخص بالذكر ولايات كردستان وارمنستان وقراباغ التي كانت ضمن الممتلكات الايرانية، فعندما أعلن خليل خان جوانشير حاكم قراباغ التمرد على الحكومة الإيرانية وامتنع عن دفع الخراج السنوي المقرر لولايته، قرر اغا محمد خان القضاء على تمرده وعصيانه، وتوجه على رأس جيش كبير للاستيلاء على جميع الولايات الواقعة في ما وراء القفقاس، وبعد حصار طويل لمدينة شوش حاصر قره باغ للمرة الأولى اضطر اغا محمد خان إلى الانسحاب وفك الحصار عن شوش لمناعة اسوارها ودفاع أهلها المستميت بقيادة خليل خان جوانشير واكتفى بإبقاء (٢٠٠٠٠) من عساكره حول شوش لإدامة محاصرتها[٢١] وحقيقة الأمر تكمن في

فك الحصار عن شوش خوف اغا محمد خان وصول الإمدادات الروسية لهرقل حاكم جورجيا لو انشغل طويلاً بحصار شوش، وبعد الانسحاب من قره باغ توجه اغا محمد خان بقواته نحو عاصمة جورجيا تفليس للقضاء على تمرد هرقل هراكليوس الثاني، حاكم كرجستان الذي احتمى بقيصرة روسيا كاترين الثانية[٢٢].

وفي العام ١٧٩٥ بعث الخان القاجاري رسالة إلى هرقل يطالبه بالاعتراف بسيادة إيران على بلاده ودفع ما ترتب عليه من خراج، وعبر الزعيم القاجاري في رسالته عن استغرابه لتوجه هرقل إلى الروس مع ان كرجستان جزء من إيران على مدى مئات السنين، وفي ختام رسالته هدده بالسير إليه إذا لم يعلن الطاعة والانقياد التام. فكان جواب هرقل مخيباً لآمال اغا محمد خان القاجاري فقد أكد انه لا يعترف بسيادة دولة أخرى على بلاده إلا بسيادة روسيا[٢٣] وبعد ان تبين له بوضوح عبث محاولاته بإقناع هرقل لاعلان الطاعة والانقياد لايران توجه اغا محمد خان القاجاري على رأس قواته مستهدفاً عاصمة كرجستان (تفليس) وبعد قتال لم يدم طويلاً اندحر هرقل[٢٤]، واضطر إلى ترك العاصمة تفليس تحت وطأة ضغط الجيش القاجاري واعتصم بالجبال المجاورة لمدينة تفليس وأعلن أعيان مدينة تفليس ورؤساؤها ان المدينة مفتوحة أمام القوات القاجارية، بلا قتال، وشكل أهالي المدينة وفداً لاستقبال اغا محمد خان وطلبوا منه الأمان لأهالي العاصمة (تفليس)، ولكن اغا محمد خان أمر قواته بقتل عام لأهالي تفليس ونهبها وأمر بقطع رؤوس سبعين شخصاً من أعيان (تفليس) الذين حضروا بين يديه لاستقباله طالبين الأمان لمدينتهم المسالمة بعد تخريب مدينة تفليس التي لم تسلم حتى كنائسها من التخريب والهدم وخنق الأساقفة ورجال الدين وذلك بربط أرجلهم وأيديهم وإلقائهم في الأنهار والمياه العميقة وأعمال السيف في رقاب ساكنيها وسبي نسائها، ويروي بعض المؤرخين بان اغا محمد خان القاجاري سبى خمسة عشر ألف[٢٥] شاب وشابة في تفليس وبيع بعضهم في أسواق النخاسة وتحول بعضهم الآخر إلى خدم في بيوت أمراء الدولة القاجارية وأعيانها وقوادها[٢٦] وتعد استباحة دماء أهالي تفليس العزل نقطة سوداء أخرى في تاريخ حياة اغا محمد خان القاجاري المليئة بالظلم والمآسي. وبعد فتح تفليس دانت له جميع مدن كرجستان، ومنها مدينة كنجة المعروفة بدون قتال، وبعد إتمام هذه الفتوحات رجع إلى إيران واستقر في سهول مغان وطرق سمعه ان مرض الطاعون انتشر في العاصمة طهران، فأجل رجوعه إليها. وتوجه إلى طالش ومنها

إلى كيلان ومازندران ووصل طهران في نهاية الخريف بعد انحسار الطاعون عن العاصمة وبعد عودته واستقراره أعلن عن نفسه شاهاً على إيران في اليوم السابع ذي القعدة ١٢١٠هـ - ١٧٩٦م[٢٧] ومنذ ذلك التاريخ تلقب باغا محمد شاه.

وبعد تتويجه شاهاً توجه إلى خراسان لإزاحة الشاه رخ بن رضا قلي ميرزا الافشاري من حكم خراسان، وعندما طرق أسماع نادر ميرزا ابن شاه رخ الضرير نبأ اقتراب جيوش اغا محمد خان من خراسان رجح الفرار على القرار وتوجه إلى كابل ثم إلى هرات خوفاً من بطش الخان القاجاري وأمر اغا محمد خان القاجاري بتعذيب شاه رخ الضرير ليعلن عن مكان الخزائن النادرية المخبأة عنده، وقد سلمه الشاه رخ ما كان يخبئه من خزائن نادر شاه، ولم يلبث شاه رخ طويلاً في الحياة إذ قتل على أيدي جلاوزة اغا محمد خان في قرية مزينان بمنطقة مازندران[٢٨]. وقد أرسل اغا محمد خان قوة بقيادة أحد قواده المعروفين محمد ولي خان للقبض على نادر ميرزا الذي التجأ إلى شاه زمان حاكم كابل فاثر محمد ولي خان العودة إلى مشهد لحلول فصل الشتاء والسماع بان شاه زمان لن يسلمه نادر ميرزا وتعذر انتصاره على شاه زمان بهذه القوة القليلة. وعندما كان اغا محمد خان في خراسان يتهيأ لإرسال قوة إلى (مرو) لتأديب قبائل الاوزبك المهاجمة طرق سمعه نبأ حملة الروس على الممتلكات والأقاليم الإيرانية إذ كان رد فعل روسيا على حملة اغا محمد خان على جورجيا شديداً فأمرت إمبراطورة روسيا كاترين الثانية قائد جيشها فاليري زوبوف بالتوجه إلى اذربايجان والاستيلاء على جميع المقاطعات التي استولت عليها إيران في حملاتها الأخيرة.

وتقدمت القوات الروسية من "قزلر" يوم ١٨ نيسان عام ١٧٩٦ وحاصرت مدينة دربند التي احتلتها بعد ثمانية أيام من الحصار، وفي ١٥ حزيران واستولى الروس على بادكوبه وباكو في وقت واحد وواصلوا التقدم واحتلوا شيروان ونوفا وقرباغ[٢٩] ولغاية ٢١ تشرين الثاني من العام نفسه وصلت القوات الروسية إلى النقطة التي يلتقي فيها نهر اراس وكورا استعداداً للتقدم في عمق الأراضي الايرانية، بعد ان اصبح الطريق إلى تبريز مفتوحاً أمامها، وبدأت كاترين الثانية تقترب من تنفيذ وصية القيصر الروسي بطرس الكبير المعروفة بضرورة وصول الروس إلى المياه الدافئة. وكما يستفاد من مذكرات كاترين الثانية فان رئيس وزرائها "بوشم الكبير"[٣٠] أوصاها بضرورة دخول الجيوش الروسية الأراضي الايرانية، والهجوم

على الجيوش العثمانية من الخلف، ولكن كاترين لم توافق في حينه على خطته ولكن بعد فضائع اغا محمد خان في "تفليس" وافقت على الدخول في الأراضي الإيرانية وإعلان الحرب عليها. ولما علم اغا محمد خان بتوغل الجيوش الروسية في شمال إيران والقفقاس أوكل إلى قائده محمد ولي خان الدفاع عن خراسان أمام حملات الاوزبك ونادر ميرزا بن شاه رخ الافشاري، وهرع إلى عاصمته طهران وطفق يجمع جيشا جرارا من الاقاليم الإيرانية كافة وتأمين المؤن والعدد اللازمة لمقابلة الجيوش الروسية الهاجمة، وعندما وصلت طلائع القوات القاجارية بقيادة فرح بيك اشاقة باش إلى المناطق التي استولى عليها الروس، وصل خبر انسحاب القوات الروسية إلى اغا محمد خان. وكان مرد انسحاب هذه القوات من الأراضي الإيرانية وفاة كاترين الثانية وانتقال العرش الروسي إلى ابنها. "بول بافل" الأول في سنة ١٧٩٦، وقد اتبع القيصر الجديد سياسة جديدة تختلف عن سياسة والدته[٣١] على الصعيد الخارجي لبلاده وامتدت آثارها إلى إيران ومناطق القفقاس، ففي كانون الأول من العام نفسه أصدر الأوامر إلى قواته العاملة في الجبهة الإيرانية بالانسحاب من منطقة القفقاس، الأمر الذي وضع الحاكم الجورجي هرقل هراكليوس الثاني في موقف حرج لاسيما بعد ان تجاهل جميع رسائل الشاه الايراني بصدد الخضوع له[٣٢]، ولكن لم يحل قرار القيصر الروسي الجديد دون إقدام اغا محمد خان على تنظيم حملة ثانية ضد حاكم قرباغ خليل خان جوانشير الذي كان يمقته مقتاً شديداً، وكذلك إخضاع حاكم كرجستان هرقل الثاني الذي طلب مساعدة الروس لدرء الخطر الايراني، وكان وراء حملة روسيا على الأقاليم الإيرانية تحرك اغا محمد خان من طهران بعد ان انتخب خان بابا جهانباني ابن أخيه كولي عهد[٣٣] نحو اذربيجان وتمركز بقواته في سهول السلطانية ليراقب عن كثب تحركات إبراهيم خان خليل خان جوانشير حاكم قرباغ، وبعد مدة زحف نحو شوش، ولما علم إبراهيم خليل جوانشير بوصول القوات القاجارية قرب نهر ارس خرج على راس قوة من أنصاره لمباغتة قوات اغا محمد خان القاجاري ليلا، وتمكن بواسطة القوارب المليئة بالحصى من إيجاد سد صناعي في مجرى نهر ارس وتوجيه فائض ماء النهر نحو معسكر اغا محمد خان المعسكر قرب ساحل النهر المذكور، وفعلاً داهم السيل المستحدث بسبب ارتفاع مستوى الماء في النهر معسكر اغا محمد خان القاجاري[٣٤] وجرف معه عدداً كثيراً من المدافع والخيم والمؤن لجيش القاجار وأحدثت خسائر كثيرة وكبيرة في

التجهيزات والأرواح في المعسكر القاجاري، ولم يلبث طويلا حتى تمكن اغا محمد خان من السيطرة على الموقف وتنظيم صفوف جيشه، وتهيئة المؤن والتجهيزات اللازمة له. وقرر مهاجمة شوش بأقرب وقت ممكن، وفعلا حاصر مدينة شوش بقواته في جميع الجهات(٣٥).

وعلى الرغم من خروج إبراهيم خليل خان لمقاومة جيوش الخان القاجاري بشجاعته المعهودة إلا ان القوات القاجارية كانت تطبق بيد حديدية على مدينة شوش واضطر إبراهيم خان تحت ضغط القوات القاجارية إلى ترك المدينة مع عائلته سرا والتوجه إلى شكى ومنطقة اللزكية(٣٦) واستقر في قرباغ للاستمداد من حكام المنطقة ليعينوه في نضاله ضد القوات القاجارية علما ان مناطق قراباغ تقع بين مناطق الجركس وكرجستان وبحر قزوين، واكثر ساكنيها هم من القبائل التركية المجاورة التي تعد من أهم قبائل القفقاس واشهرها، وأوكل إبراهيم خليل خان الدفاع عن المدينة لأحد قواده المدعو اسماعيل شماخي الذي أثار الهمم في نفوس أهالي مدينة شوش، ودعاهم إلى تحمل شدة حصار الجيش القاجاري، واخبرهم بأن دفاعهم وصمودهم سيمنع الخان القاجاري من استباحة مدينتهم التي وقفت ببسالة أمام غروره وبطشه. وعلى الرغم من تهديدات اغا محمد خان القاجاري لأهالي المدينة باستباحة مدينتهم إذ دخلوها عنوة، لكن الأهالي رفضوا فتح أبواب المدينة وأخيرا توصل أعيان المدينة ووجهاؤها وأهل الرأي في المدينة إلى حل يكمن في إرسال مرشدهم الديني الحاج بابك إلى معسكر اغا محمد خان القاجاري ليلتمس الأمان لأهالي شوش إذ فتحوا أبواب مدينتهم أمام الجيش القاجاري لدخوله بلا قتال وتحت إلحاح حاجي بابك وعد اغا محمد خان القاجاري بإعلان العفو عن جميع أهالي شوش شريطة ان يدفعوا إليها مئتي ألف قطعة ذهبية لقاء العفو عنهم- تعويضا لما تحمله من الخسائر في الحرب معهم وفعلاً بر أهالي المدينة بوعدهم وفتحوا أبواب المدينة لتدخلها القوات القاجارية وبعد جباية الجزية المطلوبة من أهالي شوش أرسل قوة بقيادة محمد حسين خان قاجار للاستيلاء على شماخي عاصمة شيروان(٣٧) وبعد الاستيلاء على شماخي وقمع عصيان حاكمها مصطفى خان ومصادرة أمواله رجع قافلاً إلى مدينة شوش وعسكر حولها وقد حدث في هذه المدينة حادثة لم تكن في الحسبان فقد دبر صادق النهاوندي(٣٨) مع اثنين من الخدم الخاص لاغا محمد خان القاجاري الذي كان من المقرر ان يعدما في صباح تلك الليلة بأمر من الشاه أمر

اغتياله في خيمته في ليلة الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٢١١هـ الموافق يوم ١٨ آيار ١٧٩٧م[٣٩] في عمر لم يتجاوز الثالثة والستين.

كان رئيس حراس اغا محمد خان في تلك الليلة هو محمد حسين خان القاجاري فعندما وصل إلى باب خيمة اغا محمد خان ليتأكد من وجود الحرس شاهد الحارسين مقتولين فهرع إلى داخل خيمة الشاه فشاهد اغا محمد خان مقتولا ومضرجا بدمائه وأخبر لتوه مفتش الممالك رضا قلي خان نوائي الذي كان كاتبا لاغا محمد خان القاجاري، وميرزا أسد الله خان وزير الجيش بمقتل الشاه وعندما علم حسين قلي خان الأخ الأصغر لخان بابا جهانباني بمقتل عمه تملكه الذعر الشديد من هول الخبر، ولم يتمكن من السيطرة على الموقف، على الرغم من كونه قائدا لقوات الحرس الخاص لاغا محمد خان القاجاري ففر الكثيرون من المدينة وساد جو من الفوضى والارتباك في معسكر اغا محمد خان[٤٠] بينما بقي الحاج إبراهيم كلانتري اعتماد الدولة محافظاً على رباطة جأشه وهدوئه النفسي، ولم يبرح شوش، على الرغم من احتمال هجوم أهالي شوش على حاشية اغا محمد خان القاجاري، ولكن الحاج بابك المجتهد الشوشي منع أهال المدينة من الهجوم على الحاشية وسلم حاج ابراهيم الكلانتري جثة اغا محمد خان لحاج بابك لدفنه بصورة مؤقتة حتى يقرر ولي عهد إيران أمر نقلها إلى مكان آخر، وقرر إرسال خزائن اغا محمد خان بمعية ابناء خانبابا جها نباني تحرسهم ثلة من العساكر إلى العاصمة طهران كما أرسل رسولا إلى شيراز ليبلغ خانبابا جها نباني بخبر اغتيال اغا محمد خان، وعزاه على ذلك كما هنأه أيضاً كونه اصبح شاهاً لايران خلفاً لعمه الراحل. وتوجه على جناح السرعة إلى طهران وساعد بشجاعته ولي العهد خانبابا جهانباني المقيم في شيراز للوصول إلى طهران واعتلاء عرش القاجار خلفاً لعمه اغا محمد خان وتقديرا لجهوده في هذا الصدد عينه وزيره الأول (الصدر الأعظم) للدولة القاجارية[٤١].

استغل رئيس أركان الجيش القاجاري صادق الشكاكي سوء الأوضاع وانهماك قادة الجيش في تقسيم الغنائم والنزاعات الشخصية. فتوجه على رأس جيش قوي للاستيلاء على طهران العاصمة طامعا في عرش ايران. وفي الوقت نفسه حاول حسين قلي خان الأخ الصغير لخانبابا جهانباني فتح طهران أيضا. لكن رئيس وزراء اغا محمد خان ميرزا شفيع وحاكم مدينة طهران ميرزا محمد خان القاجاري دولو[٤٢] على الرغم من عداوتهما القديمة اتحدا بوجه الطامعين في عرش إيران وامتنعا عن

فتح أبواب سور طهران أمام صادق خان الشكاكي وحسين قلي خان، وأعلنا صراحة ان أبواب طهران ستبقى مسدودة إلا أمام ولي عهد إيران الشرعي خانبابا جهانباني[٤٣].

هذا من جهة ومن جهة أخرى عندما علم علي تقي خان أخي اغا محمد خان بمقتل أخيه توجه على رأس جيش كان بإمرته في ايروان إلى طهران واستقر في قرية علي شاه القريبة من طهران وكان هدفه الاستيلاء على السلطة وان يصبح شاهاً خلفا لأخيه[٤٤].

فتح علي شاه (١٢١٢- ١٢٥٠هـ/ ١٧٩٧- ١٨٣٤م)

عندما وصل خبر مقتل اغا محمد خان إلى خانبابا جها نباني، أعلن نفسه شاها على إيران وتلقب بلقب شاه بابا قاجار في بداية الأمر وأرسل الفرامين إلى رؤساء وحكام الولايات معلناً لهم بداية حكمه، واصبح لقبه الرسمي منذ ٢٠ صفر ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م فتح علي شاه وتوج شاهاً رسمياً في عيد الفطر من تلك السنة في عاصمة ملكه طهران[٤٥].

وبعد هذه الإجراءات القي القبض على عمه علي تقي خان الطامع في عرش إيران وسملت عيناه[٤٦] وبعد هذه الحادثة توجه للقضاء على تمرد صادق خان الشكاكي الذي اتخذ من قزوين عاصمة له. وتمركز بقواته هناك. وقد ارتكب صادق الشكاكي خطأ سياسياً وعسكريا بانتخابه قزوين مقرا لقواته، وكان الأحرى به التوجه إلى تبريز للالتحاق بقوات أخيه محمد علي سلطان الشكاكي حاكم تبريز وأخيه الآخر جعفر قلي خان الشكاكي حاكم قراجة داغ واشتبك فتح علي مع خصمه صادق خان قرب قرية "خاك علي" القريبة من قزوين، وبعد قتال عنيف بين الطرفين اندحر صادق خان الشكاكي في القتال شر اندحار[٤٧] ووقع أكثرية عساكره أسرى في أيدي القوات القاجارية ودخل فتح علي شاه قزوين منتصراً وبعد استراحة اسبوعين في تلك المدينة قرر تعقيب صادق خان الشكاكي والتوجه نحو اذربيجان للقضاء على خصمه قضاءً تاماً. وقد أشاع صادق خان في جميع القرى والمدن التي كان يمر بها في طريقه إلى اذربيجان ان مرض الطاعون قد تفشى بين جنوده وهو في طريقه إلى مكان آخر آمن خال من مرض الطاعون وقد انتشر هذا الخبر بين الناس من مدينة إلى أخرى وبدأ أهالي القرى والمدن يتركون مساكنهم إلى الجبال والوهاد والوديان

والمدن والقرى البعيدة وعندما وصل فتح علي شاه على رأس قواته إلى اذربيجان طرق مسامعه ان جميع قرى وأرياف ومدن اذربيجان قد تفشى فيها مرض الطاعون ويموت من جراء المرض يومياً الآلاف من سكنة هذه الأقاليم وقرر فتح علي شاه الانسحاب إلى طهران خوفا من المرض المزعوم وترك صادق خان الشكاكي وأمره إلى فرصة أخرى وبوصوله العاصمة طهران أمر بنقل جنازة اغا محمد خان من شوشي إلى طهران ومنها أرسلها في موكب مهيب لدفنها في مقبرة أشادها في حياته بالنجف ودفن في تلك المقبرة في ٢٠ من شهر رجب عام ١٢١٢هـ- ١٧٩٧م.

ثار في عهد فتح علي شاه، محمد خان بن زكي خان الزند وتمكن زكي خان بقوة صغيرة وبمساعدة ميرزا عبد الوهاب المستوفي الذي كان ذا نفوذ كبير في اصفهان ومخلصاً للأسرة الزندية من احتلال اصفهان[٤٩] فأرسل فتح علي شاه قوة كبيرة بقيادة حسين قلي خان دولو لطرده من المدينة، والقبض عليه، وسلك حسين قلي خان بجيشه طريقاً أقصر من الطريق المتبع إلى اصفهان، وباغت حسين قلي خان الثائر وبوصوله السريع حول أطراف مدينة اصفهان، لم يجد محمد خان الزند وقريبه نجف خان الزند مفراً غير الهروب من اصفهان إلى جهة مجهولة، فألقى القبض على ميرزا عبد الوهاب المستوفي بتهمة مساندته محمد خان علي للاستيلاء على اصفهان وتمكن ميرزا عبد الوهاب من إقناع حسين علي خان دولي باطلاق سراحه بعد إجراء مسرحية مزيفة لعملية سمله أمام الجمهور، وقدم ميرزا عبد الوهاب لقاء نجاته جميع أملاكه في اصفهان وتويسر كان إلى حسين علي خان دولو وترك ميرزا عبد الوهاب اصفهان وسكن العراق حتى أواخر حياة فتح علي شاه حيث رجع إلى موطنه اصفهان.

أصدر حسين قلي خان دولو أمراً إلى حكام الأقاليم المختلفة بإلقاء القبض على محمد زكي خان ونجف خان أينما وجدوا، فألقى يوسف خان البختياري القبض على نجف خان الزندي في مدينة شهركرد بعد ان دافع نجف خان عن نفسه بشجاعة نادرة، وتمكن من جرح يوسف خان البختياري وقتل أحد رجاله، وسلم يوسف خان غدراً إلى حسين قلي خان حاكم اصفهان فأرسله الأخير إلى طهران ليبت الشاه بمصيره، وبعد مكوثه في السجن مدة ثلاثة اشهر في طهران أمر فتح علي شاه بقتله جراء تمرده على السلطة المركزية[٥٠]. وألقى القبض أيضاً على محمد خان بن زكي خان الزند، وأمر فتح علي شاه بسمل عينيه[٥١] وترك محمد خان الزندي إيران

متوجهاً إلى العراق ليعيش بقرب مراقد الأئمة حتى وافاه الأجل عندما كان مقيماً في مدينة البصرة. وحاول صادق خان الشكاكي جمع فلول قواته متحدا مع حاكم اورمية محمد قلي خان الافشاري واتفقا على تجهيز جيش لمحاربة فتح علي شاه على نفقة صادق خان الشكاكي، وعندما وصل فتح علي شاه خبر محاولة صادق الشكاكي جمع القوات ضده. تحرك فتح علي شاه على رأس قوة كبيرة وتمكن من دحر صادق خان والقبض عليه، ولكنه عفا عنه بشفاعة سليمان خان القاجاري "اعتضاد الدولة" شريطة إطاعته وانقياده للدولة القاجارية[٥٢]، وعلى الرغم من إعلان العفو عنه فقد لجأ صادق خان إلى التمرد على الحكومة القاجارية مرة أخرى عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م ولكن تمرده هذا باء بالفشل الذريع هذه المرة كسابقته أيضا، وألقي القبض عليه فأمر فتح علي شاه بوضعه في غرفة ضيقة ولم يقدم له الطعام حتى مات جوعاً في تلك الغرفة[٥٣].

ومن التمردات الكبيرة التي واجهها فتح علي شاه أثناء حكمه تمرد أخيه حسين قلي خان المعروف (حسين قلي خان الثاني) وكان متمردا شرس الطبع عينه فتح علي شاه حاكماً على كاشان ثم اصبح حاكماً على جميع الولايات الجنوبية في إيران وعندما وصل إلى شيراز أعلن عصيانه وتمرده على أخيه فتح علي شاه وعندما علم الشاه بأمره وهو في اذربيجان على رأس جيش لقمع عصيان أهالي شيراز وقراباغ رجع على جناح السرعة إلى جنوب إيران وقرر قتال أخيه لكن المسألة سوت بوساطة أمهما مهد عليا[٥٤] واستقر الصلح بين الطرفين ولم يلبث طويلاً حتى أعلن حسين قلي خان تمرده مرة أخرى فسار إليه فتح علي شاه على رأس جيش والتقى الطرفان في قتال في منطقة تسمى "كمره" اندحر فيها حسين قلي خان اندحار شنيعاً وتشفعت أمه مهد عليا له لدى الشاه مرة أخرى وعفا عنه فتح علي شاه وعينه حاكماً على قم وقد غلبت عليه طبيعته المتمردة مرة أخرى فثار على أخيه الشاه للمرة الثالثة فتمكن فتح علي شاه من دحره وأسره في قم سنة ١٢١٦هـ وسمل عينيه[٥٥] ولكي يقطع دابر العصيان وطمع الطامعين بعرش إيران من بعده عيّن ابنه الرابع عباس ميرزا وليا للعهد بحسب وصية مؤسس الدولة القاجارية اغا محمد خان وعين ميرزا عيسى قائم مقام ووزيرا له ونظام الدولة قائدا لجيشه وأرسله حاكماً على اذربيجان[٥٦].

ومن الحوادث المهمة في عهده تمرد نادر ميرزا بن شاه رخ الافشاري الذي استولى على خراسان بمساعدة شاه زمان دراني أمير كابل ولما علم فتح علي شاه بأمره سار على رأس جيش إلى خراسان واضطر نادر ميرزا ان يسلك طريق الصلح فأبدى إخلاصه وانقياده إلى فتح علي شاه وزوج إحدى بناته إلى أحد أمراء القاجار وعفا عنه الشاه لكنه تمرد على الدولة القاجارية مرة أخرى فأرسل فتح علي شاه جيشا بقيادة ولي ميرزا القاجاري الذي تمكن من دحره وأسره وأرسله إلى طهران وقتله فتح علي شاه بقساوة بالغة وذلك بقطع يديه في بادئ الأمر ثم قطع لسانه وسمل عينيه ومات بعد عذاب شديد(٥٧).

وفي عهد فتح علي شاه أبيدت أسرة حاجي إبراهيم كلانتر عن بكرة أبيهم على الرغم من ما قدمه من خدمات كبيرة للأسرة القاجارية وجحوده بحق أولياء نعمته الزنديين وقد زاد حساده من القاجاريين الى حد كبير حتى زينوا لفتح علي شاه ان حاج إبراهيم كلانتر بتعيينه إخوانه وأقربانه حكاما وموظفين كبارا في الولايات الإيرانية المختلفة يرمي إلى توطيد مركزه السياسي. للوثوب على السلطة وإخراجها من أيدي القاجاريين وعليه أمر فتح علي شاه بقتل جميع إخوانه وأقربانه في يوم واحد وقطع لسان حاجي إبراهيم وسمل عينيه ثم قتل(٥٨) في قزوين واصبح ميرزا شفيع خان المازندراني وزيرا خلفا له.

فتح علي شاه والدول الأوربية

بدأ في عهده فتح علي شاه الاتصال المباشر بالدول الأوربية، وقد توجهت أنظار الدول الكبرى فعلا نحو إيران اكثر من السابق لاسيما بعد بروز نابليون بونابرت على المسرح السياسي لأوربا، فبعد ان فشلت حملته على مصر فكر نابليون في حملة جديدة تكون وجهتها الهند عن طريق ايران(٥٩) ولتحقيق ذلك عقد عام ١٨٠٠م معاهدة مع القيصر الروسي "بول الأول" الذي كان معجبا بشخصية نابليون إعجابا شديدا نصت بنودها على اشتراك قوات بلديهما في الحملة المقرر إرسالها إلى الهند عن طريق هرات واستراباد وقندهار. وقد باشر قيصر الروس سنة ١٨٠١م بتنفيذ المرحلة الأولى من خطة غزو الهند، وقد أجرى الفرنسيون أيضا اتصالا مباشرا مع فتح علي شاه وتقرر ان يتقدم الفرنسيون من البحر الأسود إلى نهر الدون ثم نهر الفولغا إلى بحر قزوين فأستراباد في طريقهم إلى هرات داخل

افغانستان والالتقاء بالقوات الروسية على الحدود الشمالية الغربية للـــهند(٦٠) لكــن سرعان ما فشلت الخطة الفرنسية الروسية المشتركة لغزو الهند اثر اغتيال القيصــر الروسي "بول الأول" المعادي للبريطانيين والمعجب بنابليون في قصرد اثــر مؤامــرة داخل قصرد كان البريطانيون أحد أطرافها كما ان خلفة القيصر اسكندر الأول لم يكــن راضيا عن تنفيذ هذه الخطة العسكرية والتعاون مع نابليون العــدو اللــدود لروســيا القيصرية ونتيجة هذه التطورات اضطر نابليون إلى الاهتمام مــرة أخــرى بــايران وافغانستان وجعلهما جسرا للوصول إلى هدفه المنشود بلاد الهند.

في ١٢ تشرين الأول عام ١٨٨٤م أرسل روسو Rousseau التاجر الفرنســي المقيم في حلب رسالة إلى وزير خارجية فرنسا يخبره فيها انه اطلع صديقه الحميــم مجتهد اصفهان شيخ الإسلام بصدد رغبة نابليون بتبادل الرسائل مع شاه ايــران(٦١) وان شيخ الإسلام رد بان شاه إيران على أتم الاستعداد لقبــول اقــتراح نــابليون(٦٢) وأخبره بان الشاه ليس مرتاحا من التردد الدائم لممثلي بريطانيا إلى بلده، وقد اخــبره ممثل البريطانيين مانستي Mansty بانه ليس على استعداد لتعريض مصــالح بلــدد والاتفاقيات مع شركة الهند الشرقية إلى الخطر وانه لا يجــد دليــلا مقنعــا لإعــادة علاقات بلده مع حاكم قندهار، وقد اقترح روسو إرسال الحكومة الفرنسية وفدا إلــى إيران لإيجاد اتحاد واتفاق مع حاكم قندهار(٦٣) ومما تجدر الإشارة إليه هو ان رغبــة إيران في التقارب مع فرنسا ترجع إلى الحروب الروسية الإيرانية في عهد فتح علــي شاه ومحاولة الشاه الحصول على حلفاء أقوياء يساعدونه في حروبه هذه ضد عــدوه الروسي ومما لا شك فيه ان نشوب الحرب بين نابليون وروســيا القيصريــة عــام ١٨٠٥ اصبح عاملاً مهماً لتقارب إيران مع فرنسا لأن هاتين الدولتين كان يجمعــهما العداء المشترك لروسيا القيصرية(٦٤).

وقد بدأت نشاطات الممثلين والمبعوثين الدبلوماسيين من كلا الطرفين بــاطراد ملحوظ لتقريب وجهات النظر وتوطيد صلات الصداقة بين الدولتين إيــران وفرنســا. ويمكن هنا ذكر أسماء الشخصيات البارزة التي لعبت دوراً رئيساً في هذا المجال وفي هذه المرحلة بالذات منهم زوير الذي أرسل معه فتح علي شاه ميرزا محمــد رضــا القزويني سفيراً لايران في فرنسا وقد وصل في حزيران عام ١٨٠٦ ربيــع الثــاني ١٢٢٠ ووصلت من العاصمة الإيرانية بعد زوير شخصيات فرنسية عديدة نذكر منهم روميو Romieu مرافق نابليون الخاص وقد وصل طهران بعد مشقة زائدة في أوائل

تشرين الأول سنة ١٨٠٥ أواسط رجب ١٢٢٠[٦٥] ووصل أيضا زوزف ماري زوانن Joinin ميسو وديلا بلانش Dela Blache ابن اخ وزير خارجية فرنسا واوكست بن تان لي فور (Augosts bontems lefort) وميسو رومن Rouman وأصبحت مساعي الحكومة الفرنسية للكولونيل روميو في طهران تفويضا بالتفاهم مع فتح علي شاه على أساس تحالف فرنسي فارسي ضد روسيا[٦٦] ونتيجة لتبادل السفراء كانت العلاقات الفرنسية الإيرانية في توسيع وازدهار وقد اختتمت هذه العلاقات المتطورة بإبرام معاهدة فنكن شتاين[٦٧] (Finkentein) في ٤ ايار ١٨٠٧/ ٢٥ صفر ١٢٢٢[٦٨] بين إيران وفرنسا وقبل صلح فرنسا مع روسنيا وإبرام معاهدة تلست[٦٩] بشهرين فقط التقى ممثل فتح علي شاه ميرزا محمد رضا القزويني بنابليون في معسكرد بفنكن شتاين داخل بروسيا الشرقية تم عقد معاهدة تحالف بين إيران وفرنسا تكون فيها الدولتان على قدم المساواة وقد نصت العاهدة على الأمور الآتية:

١. الصداقة والاتحاد بين العاهلين.

٢. حماية استقلال ايران.

٣. ان تبذل فرنسا كل ما في وسعها لدفع روسيا إلى عقد معاهدة مع إيران تتخلى بموجب بنودها عن المناطق التي كانت تتبع إيران في السابق بضمنها أراضي جورجيا والتي تعدها فرنسا ضمن ممتلكات ايران.

٤. تزويد الجيش الايراني بالأسلحة بما في ذلك المدافع وكذلك بالضباط من اجل تدريب أفراده.

٥. ان يكون لفرنسا لدى إيران سفير دائم مع عدد من الممثلين الدبلوماسيين.

٦. ان تقطع إيران علاقاتها السياسية والتجارية مع بريطانيا وتعلن الحرب ضدها وتدفع كل ما في وسعها لدفع الافغان وسائر طوائف قندهار إلى الجهة المعادية لها وان تفتح موانئها أمام سفن فرنسا الحربية وأراضيها أمام قواتها البرية في حال إقدامها على تنظيم حملة ضد البريطانيين في الهند.

٧. ان تتحالف الدولتان لمجابهة أي تحالف تعقده بريطانيا وروسيا ضدهما[٧٠].

وبعد مرور اقل من اسبوع على توقيع فنكشتاين[٧١] تقرر إرسال بعثة فرنسية إلى إيران برئاسة الجنرال كلوديو مانيتو غاردان فتكون الذي يسميه في رسالته للشاه (وزيري المختار) وقد وصل جنرال غاردان[٧٢] مع ميرزا محمد رضا طهران

في خريف عام ١٨٠٧ وتم توقيع اتفاقية التحالف بين الدولتين في ٢١ كـانون الأول ١٨٠٧م(٧٣) كما وتم إجراء استقبال رائع للوفد الفرنسي ومنح غاردان لقب الخان من الحكومة الايرانية. وقد انصبت جهود الوفد الفرنسي على منع التقارب الايراني البريطاني وتوسيع شقة الخلاف بين روسيا وايران والحذر من استمرار الضرب على وتر جورجيا وإرجاعها إلى طهران وبذل الجهود لعقد معاهدة تحالف ثلاثية فرنسا وايران والدولة العثمانية ولإفساح المجال للأساطيل الفرنسية للوصول إلى السواحل الإيرانية ١٨٠٨م وصل إلى العاصمة طهران البارون ورد ممثل عن حاكم روسيا في منطقة قفقاز كورديج وطلب من أولياء أمور الحكومة الإيرانية إرسال ممثل عنها واعطاء صلاحيات مطلقة لعقد صلح دائم مع روسيا وطلب الممثل الروسي من الحكومة الفرنسية التوسط لإحلال الصلح بين الدولتين(٧٤) شريطة ان تكون الحدود الفاصلة بين الدولتين نهري كورا وأرس ولكن الايرانيين كانوا مصرين في مطاليبهم بضرورة إخلاء الروس جميع الاقاليم العائدة لايران، وكان الايرانيون يرفضون الصلح مع الروس معتمدين في رفضهم على مساعدة ومساندة الحكومة الفرنسية ولكن توقعاتهم ذهبت أدراج الرياح، وخابت آمالهم في مساندة الفرنسيين بعد إبرام معاهدة تلست (Tilist) المارة الذكر بين الدولتين الروسية والفرنسية، إذ اصبح من المتعذر على نابليون ان يوافق على مواد معاهدة فنكنشتاين بعد توقيعه على المعاهدة المذكورة عام ١٨٠٧م التي يطلق فيها الامبراطور الفرنسي يد روسيا على حساب الدولة الإيرانية (٧٥) وقد ألزمت أوامر الحكومة الفرنسية جنرال كاردان لاتباع سياسة جديدة تتناقض مع بنود معاهدة فنكنشتاين وتتماشى مع روح معاهدة "تلست" المعقودة بين الروس والفرنسيين وكان جوهر هذه السياسة الجديدة ترمي إلى إحلال الصلح بين الدولتين الإيرانية والروسية (٧٦) وكان من الطبيعي ان يهز هذا التغيير المفاجئ البلاط الايراني حتى ان فتح علي شاه عدّ معاهدة تلست خيانة من نابليون تجاه بلاده(٧٧) واغتنم البريطانيون هذه الفرصة فتحركوا بسرعة فائقة للحد من سياسة التوسع الفرنسية في هذه المنطقة ولأجل تحقيق هذا الهدف فقد أرسلت الحكومة البريطانية إلى إيران بعثتين إحداهما صادرة عن حكومة الهند البريطانية أمر الحاكم البريطاني اللورد مينتو Mento وشركة الهند الشرقية أسندت إلى سر جان مالكوم والثانية صادرة عن حكومة لندن وأسندت إلى سير رفوردجونس بريدجس Sir Harford Jones Brydges(٧٩) وكانت البعثات ذات أهداف عسكرية

واقتصادية معلومة. وقد وصل مالكولم مدينة بوشهر في ١٠حزيران سنة ١٨٠٨ وطلب مقابلة فتح علي شاد ولكن فتح علي شاد لم يكن راغبا في لقائه وخول والي منطقة فارس للتفاوض معه[٨٠]. وأصر مالكولم على مقابلة فتح علي شاد بنفسه، وأكد في رسائله إلى البلاط الايراني انه على استعداد لدفع خمسمئة الف تومان لجلالة الشاد لو أتاح لهم الدخول إلى الأراضي الإيرانية وان الحكومة البريطانية على استعداد لقتال أعداء الدولة الإيرانية ولكنه لم ينس أيضا إطلاق بعض التهديدات ضد إيران مشيرا في رسائله إلى ان توطد إيران علاقاتها مع فرنسا يعد عملا عدائيا ضد البريطانيين وإذا ثبت ذلك تعد حكومة بريطانيا هذا الإجراء إعلان حرب عليها[٨١].

ولكن الدولة الإيرانية لم تسمح للجنرال مالكولم وجماعته من النزول إلى البر الايراني فاضطر إلى ترك السواحل الإيرانية في ١٢ تموز عام ١٨٠٨ وأعلن بانه سوف يعود على رأس قوة كبيرة لاحتلال جزيرة خارك وسوف يثأر لكرامته المهدورة بسبب هذه المعاملة السيئة التي تلقاها من قبل الحكومة الايرانية.

وهنا يجب القول في هذا الصدد بان مالكولم كان يعتقد بضرورة احتلال جزيرة خارك وسائر السواحل الإيرانية فكان يهدد دوما الحكومة الإيرانية بأنه سوف يزيح الأسرة القاجارية من حكم إيران وينصب مكانها محمد علي خان بن علي مراد خان الزندي[٨٢] أما بعثة سر هارفورد جونز فقد طالت مدة وجوده دون طائل بينما كانت الحكومة الهند البريطانية تعد العدة لاحتلال جزيرة خارك (خرج) فأثرت الحكومة الإيرانية ان تطلب من سر هارفورد جونز الخروج من ايران. تمكن سر هارفورد جونز ان يبدد الخطط والأساليب الاستفزازية لـ مالكولم واقنع أولياء الأمور في الحكومة الإيرانية بان مالكولم لا يمثل سياسة الحكومة البريطانية وانه شخص تمرد على حكومته وبذلك افلح السر هارفورد جونز من التغلب على المشكلات والصعوبات الكبيرة التي واجهها منذ بداية مغادرته وان يستميل فتح علي شاه إلى جانبه ويخطب وده ويغير آراءه نحو الفرنسيين ويحصل على موافقته على عقد معاهدة صداقة مع الحكومة البريطانية[٨٣].

في ١٢ مارس ١٨٠٩[٨٤] هدد غاردان بترك إيران إذا حظى بريطاني واحد بلقاء فتح علي شاه وبرغم ذلك كما سبق ذكرنا فقد نجح السفير البريطاني من إيصال مقترحات حكومته إلى شخص فتح علي شاه والتي كانت تدور حول عقد معاهدة تحالف بين البلدين ودفع مساعدات مالية سنوية لايران مقدارها ١٦٠ ألف تومان ما

يعادل ١٢٠ ألف باون استرليني[٨٥] مع التعهد بارسال ضباط بريطانيين لتدريب الجيش الايراني وبعد مرور اقل من شهر تم التوقيع في ١٢ ايار من تلك السنة على المعاهدة الثنائية بين بريطانيا وايران التزمت طهران بموجب بنودها بأن تقطع جميع علاقاتها بفرنسا وكل دولة أخرى معادية لبريطانيا التي تعهدت بتقديم شركة الهند الشرقية مساعدة سنوية لايران مقدارها ١٢٠٠٠٠ الف تومان لحين انتهاء حربها مع روسيا والتزمت أيضا بتقديم الأسلحة والذخيرة للجيش الايراني وارسال الضباط لتدريب أفراده واهم ما ورد في معاهدة ١٨٠٩ امتناع الشاه على السماح لأية قوة بالمرور عبر إيران لغزو الهند وبمساعدة بريطانيا للشاه عسكريا إذا ما تعرض لغزو من جانب دولة أوربية ونصت المعاهدة على تقديم تسهيلات عسكرية للقوات البريطانية في الموانئ الإيرانية استنادا إلى بنود موجهة ضد روسيا وفرنسا وعلى أساس ما سبق فان المعاهدة كانت موجهة ضد روسيا بصورة مباشرة واستهدفت تحريض إيران للاستمرار في حربها معها[٨٦] وتوضح للفرنسيين بان بنود هذه المعاهدة قد وضعت حداً نهائياً للنفوذ الفرنسي في إيران وتعد هذه المعاهدة الهيكل والبنية التحتية للمعاهدة النهائية لعام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م بين إيران وبريطانيا ويعد عقد معاهدة كهذه نجاحاً باهرا للدبلوماسية الصائبة التي انتهجها سر هارفورد جونز بريدجز وخلفه سر كور اوزلي Sir Gorosey فقد وصلا في محاولاتها الناجحة الرامية إلى تحسين العلاقات الإيرانية البريطانية إلى نتائج إيجابية بينما كان الجنرال غاردان الفرنسي يصول ويجول في الساحة السياسية والايرانية مستندا إلى انتصارات نابليون في اوربا ونخص بالذكر فتحه لمدريد عاصمة اسبانيا وكان يرسل الضباط الفرنسيين الواحد تلو الآخر إلى إيران محتفظا بعلاقاته مع الشاه إيران فتح علي شاه[٨٧] وعلى الرغم من نشاط السفير الفرنسي فان الدبلوماسية البريطانية تمكنت من قهر الدبلوماسية الفرنسية وقد أدى النشاط الدبلوماسي البارع للبريطانيين من طرد البعثة الفرنسية من طهران واستغناء الشاه عن خدمات كاردان[٨٨] وعقد معاهدتي ١٨١٢ و١٨١٤ وحقق المبعوث البريطاني جون مالكولم نجاحاً باهراً بعقده معاهدة ١٨١٢ مع الايرانيين بفضل ما كان يحمل من هدايا ثمينة قدرت المصادر الفارسية قيمتها بمليوني روبية[٨٩] بينها ماسة كبيرة[٩٠] أضافت إلى وهج فتح علي شاه نوراً جديداً فقد وقع جون مالكولم معاهدة مع الشاه في ذلك العام نصت بنودها على:

١. ان تقوم القوات الإيرانية بغزو افغانستان في حال قيامها بالهجوم على الهند على ان تحتفظ إيران بقواتها هناك لحين تخلي افغانستان عن أطماعها في الهند.
٢. ان يتعاون الطرفان لوضع حد لمحاولات فرنسا للتغلغل في المنطقة.
٣. ان تقدم بريطانيا المساعدات العسكرية الضرورية لايران في حال تعرضها لهجوم فرنسي أو أفغاني.
٤. ان تفتح إيران موانئها أمام التجار الإنكليز والهنود. وتعفى البضائع والأقمشة والمعدات الحديدية وغيرها من دفع الرسوم[٩٢].

الحرب الروسية الإيرانية ١٨٠٤-١٨١٤:

بعد مجيء الاسكندر الأول القيصر الروسي (١٨٠١- ١٨٢٥) للحكم طرأ تحول جديد في سياسة روسيا الخارجية وقد امتدت آثار هذه السياسة الجديدة إلى القفقاس فقد عاد حكام روسيا إلى نهج السياسة نفسها التي انتهجتها كاترين الثانية تجاه ايران. فاصدر القيصر الاسكندر الأول في ١٢ ايلول ١٨٠١م بياناً يقضي بضم جورجيا إلى روسيا التي بدأت منذ ذلك الحين تولي تحصينها اهتماماً خاصاً[٩٣] وقد كان لاتصال زعماء جورجيا وشيروان وكنجه وارمينيا وقره باغ واذربيجان بالروس سبب من الأسباب التي أدت إلى توتر العلاقات وتصاعد الخلافات بين الدولتين الروسية والايرانية[٩٤].

يعطينا جهانكير ميرزا[٩٥] صورا واضحة بهذا الصدد فيقول بان بعض الزعماء والأعيان مثل السلطان أحمد خان حاكم قبه ومصطفى خان حاكم شيراز وحسين قلي خام حاكم بادكوه ومهدي خان بن إبراهيم خليل خان جوانشير القراباغي واقر لوان حاكم كنجه والكسندر ميرزا ابن اوكلي خان والي كرجستان وسرخاي خان ونوح خان حاكم داغستان وسليمان خان حاكم شكي هؤلاء جمعاً ثاروا على الدولة الايرانية، وطلبوا حماية قيصر روسيا وأتوا بقوات الروس إلى ولاياتهم وسلطوها على حياة المسلمين ونواميسهم في تلك الأقاليم، وعلى اثر المظالم التي ارتكبتها روسيا والأعمال المشينة للقوات الروسية بحق الأهالي في هذه المناطق ندم هؤلاء على فعلتهم باستقدام الروس إلى أوطانهم وتسليطهم على شعوبهم، وثاروا على الروس وحاولوا إخراجهم من أوطانهم، لكن مساعيهم هذه باءت بالفشل الذريع فلم يتمكنوا من طردهم من بلادهم واضطر الكثيرون منهم إلى هجر ولاياتهم والالتجاء إلى ايران.

حاول هؤلاء اللاجئون إثارة وتحريض فتح علي شاه وأركان الحكومة الإيرانية والرأي العام الايراني ضد الروس. وحثهم على انتزاع بلاد المسلمين من براثن الدولة الروسية الكفار. ويضيف جهانكير ميرزا ان حسين خان الذي ارتقى إلى منصب القائد في الجيش الايراني اصبح في عهد فتح علي شاه حاكم على ايروان المتصلة بكرجستان. وحاول محمد حسين علي خان إيجاد أزمة سياسية حادة حول منطقة بكسن الواقعة ضمن كرجستان الرازحة تحت الاحتلال الروسي فحرض حسين خان الشاه القاجاري مصورا الأمر له وكأن الروس يريدون الشر بايران وان لم يقف أمام أطماعهم التوسعية سوف يحتلون جميع الولايات الواقعة تحت حكم ايران. وكان حسين خان يهدف إلى تزييف الحقائق وإثارة حرب بين الدولتين[٩٦] لكي يتمكن بحجة تهيئة رواتب العساكر والذخائر والمؤن التهرب من دفع خراج إقليم ايروان إلى الحكومة الايرانية[٩٧].

أثارت هذه المشاكل إيران فبدأوا يعدون العدة لحملة جديدة على ارمينيا وجورجيا وهكذا أصبحت الحرب وشيكة الوقوع بين الدولتين وهيأ هذا التوتر المستمر في العلاقات بين الحكومة الإيرانية والحكومة الروسية الطريق لاندلاع حرب أعوام ١٨٠٤- ١٨١٣ فأقدمت القوات الروسية في كانون الثاني في عام ١٨٠٤ على احتلال كنجة في اذربيجان الشمالية وقد حاول عباس ميرزا ١٧٨٨- ١٨٣٣ الابن الثالث لفتح علي شاه وولي عهده الذي يعده المؤرخون اعظم أمير قاجاري وأبرزهم شجاعة وشهامة بين إخوانه[٩٨] تفادي الحرب بين الدولتين لأنه كان على علم بضعف قواته أمام القوات الروسية وحسن تنظيم الجيش الروسي ولكن إصرار والده فتح علي شاه على اثر الدعاية القوية التي أقامها حكام الولايات القفقاسية في صفوف الايرانيين الذين كانوا يطالبون حكامهم بوقف الروس عند حدهم بالقوة العسكرية والدخول في حرب معهم[٩٩] اندلعت الحرب بين الروس والايرانيين وعلى الرغم من الصمود الايراني بقيادة عباس ميرزا إلا ان الجيش الايراني كان يعاني من نقص خطير في التدريب والتجهيزات والعدد ولاسيما المدافع لذا كان من الطبيعي ان يندحر الجيش الايراني أمام القوات الروسية[١٠٠] بقيادة (تسيتسيانوف) وبعد سلسلة من المعارك تابع الروس تفوقهم وكسبوا معركة اسلاندوز Aslanus بقيادة القائد الروسي المعروف كاتلار يسكي في ٣١ تشرين الأول عام ١٨١٢ واضطر الايرانيون

إلى عقد معاهدة كلستان في عام ١٨١٣ والتي نصت على تنازل إيران عن كثير من أرضها على النحو الآتي:

١. تنازلت إيران عن كثير من الخانيات مثل كنجة وقرة باغ وجزء من طالش وشك وشيروان وباكوي ودربند وجميع داغستان وكرجستان والمناطق القريبة منها إلى الحكومة الروسية وأعلنت إيران عدم ادعائها بالسيادة على تلك الأقاليم.

٢. تعهد القيصر الروسي بمساندة ولي عهد إيران الذي ينتخبه الشاه في احتلال عرش ايران[١٠١].

٣. الاعتراف بسيادة العلم الروسي في بحر قزوين.

٤. العمل من اجل إقامة علاقات تجارية متبادلة لصالح الدولتين كانت معاهدة كلستان ضربة كبيرة إلى حيثية إيران القومية فقد انسلخت عنها جميع الولايات المهمة من قفقاسيا وكرجستان واصبحوا تابعين لقياصرة الروس وحنق مسلمي هذه الولايات على القيادة الإيرانية وعدوها مسؤولة عن ضياع بلدانهم ووقوعها تحت براثن الروس وقد ظهرت شخصية شجاعة في داغستان يدعى شامل أو شاميل[١٠٢] قاد ثورة ضد الاحتلال الروسي منذ عام ١٨٢٠م وكان هدف في بداية الأمر إرجاع السيادة الإيرانية على الولايات التي خسرتها إيران بموجب معاهدة كلستان ولكنه عندما أيقن باستحالة زحزحة الروس من الولايات التي احتلوها دعا إلى استقلال داغستان عن السيادة الروسية واستمر في ثورته مدة ٤٠ عاماً وتمكن من دحر القوات الروسية التي أرسلها القياصرة لقمع حركته الواحدة تلو الأخرى معتصماً بجبال داغستان المنيعة وبعد نضال مرير وطويل تمكنت القوات الروسية من محاصرته في جبال كونيب داغ واقتيد أسيراً[١٠٣] إلى روسيا وما زال أهالي داغستان يحجون مقره في كونيب داغ ويعدونه شخصا مقدساً في مصاف الأنبياء، وبقي شاميل في روسيا أسيرا محترما وفي عام ١٨٧٠م سمحت الحكومة الروسية له بالذهاب إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول في المدينة المنورة وسمح له بالسفر عن طريق استانبول وتوفي في السابع من آذار ١٨٧١ في المدينة المنورة ودفن هناك[١٠٤].

وكانت دسائس البلاط والفساد الإداري والاجتماعي الحاد الذي انتشرت في جميع مرافق الحياة في البلاط الايراني وحرمان إيران من قيادة لانقة تقود البلاد على

نحو حياة افضل نص بالذكر القيادة الفاشلة لفتح علي شاه للبلاد الإيرانية وانشغاله بملذاته وإطفاء شهواته في أحضان النساء والمحضيات فيروى انه كان مزواجا بلغ عدد زوجاته ١٦٠ زوجة(١٠٥) وقصوره في استيعاب التطورات السياسية التي تحيط بالعالم وجهله المطلق بقدرات خصومه الذين قطعوا أشواطا بعيدة في مضمار التقدم في جميع مجالات الحياة واعتماده في الحكم على الأساليب البالية المستندة إلى الحكم الفردي المطلق كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى سير أوضاع البلاد الإيرانية من سيئ إلى أسوأ وتقهقر الجيش الايراني أمام القوات الروسية بشكل مخز حتى دخلت القوات الروسية تبريز والشاه غير مكترث بما يدور حوله ويأمر أزلام بلاطه بكتابة فرامين الانتصارات المزيفة ويتوعد وهو على كرسي عرشه باسكوفيج قائد القوات الروسية بأنه سوف يطيح برأسه بضربة من سيفه هذا بحيث يرى دخان ضربة سيفه في عاصمة ملكه بطرسبورغ ويطلب من سليمان ميرزا ان لا ينسى عندما يأتي إلى استقباله يحضر معه (نوش آفرين) بنت بدرخان الزندي تلك الحسناء الجميلة ذات الضحكة السكرية مع علمه التام بان قواته اندحرت شر اندحار وقد وقع الآلاف من عساكره قتلى وأسرى بيد الروس(١٠٦) وقد وصل الشقاق والخلاف ومؤامرات البلاط حدا بانه أفسد رأي فتح علي شاه بولي العهد وصوره بأنه متحالف مع الروس ضدد وان الروس هم الذين يحركونه بهدف تنحيته وجعل عباس ميرزا شاها على إيران وقد أيقن فتح علي شاه بصحة الخبر فهرع إلى اذربيجان على رأس قواته بينما كان عباس ميرزا يذود عن بلاده أمام هجمات القوات الروسية وتبين لفتح علي شاه بأن الخبر عار عن الصحة وتأكد من زيف ادعاءات خصوم عباس ميرزا الذي لم تلمس مخيلته أبداً خيانة والده فتح علي شاه(١٠٧) فحاول فتح علي شاه تبرير هزيمة بلادد العسكرية والسياسية بحجج واهية وعد المناطق التي انسلخت من إيران بموجب معاهدة كلستان لا قيمة لها من وجهة نظره وعلى الرغم من هذا فقد جرت محاولات ايرانية عن طريق سفرائها لإقناع الروس بإعادة جميع المناطق التي استولى عليها الروس في حروبهم مع إيران ولكن هذه المحاولات لم تسفر عن نتيجة تذكر فقد أعلن القيصر الروسي الاسكندر الأول في بيان أصدره يوم ١٦ كانون الثاني عام ١٨١٨م ان مضمون معاهدة كلستان غير قابل للتغيير والتعديل(١٠٨).

لم تقتصر خسائر إيران الجسيمة على ما تضمنته معاهدة كلستان فقط فان تسع سنوات من الحرب ابتلعت أموال خزينة فتح علي شاه وأتت على ذخائر عباس

ميرزا ولاسيما ان خزينة اذربيجان هي التي تحملت أعباء الحرب دون ان تشترك خزائن الولايات الأخرى بشيء يذكر فقد امتنع محمد علي ميرزا دولة شاه حاكم غربي إيران ومحمد ولي ميرزا حاكم كرمان عن تقديم المساعدات العسكرية والمادية لأخيهما عباس ميرزا[109] ولا شك ان نقص الموارد المادية أصبح أحد الأسباب المهمة التي كانت وراء اندحار القوات الإيرانية أمام القوات الروسية. كان حكام إيران لا يميلون وعلى الرغم من هزائمهم المستمرة في حرب ١٨٠٤- ١٨١٣ إلى إنهاء حربهم مع روسيا إلا ان ظروفا دولية خاصة هي التي أجبرتهم على الرضوخ للأمر الواقع فوقعوا معاهدة كلستان على مضض منهم لذلك كان من المتوقع ان تتحول مدة ما بعد كلستان إلى مرحلة الإعداد لحرب جديدة ضد روسيا فقد ازداد اهتمام عباس ميرزا بتطوير الجيش الايراني فأقام في تبريز ورشة خاصة لإنتاج المدافع أولاها جانباً كبيراً من اهتمامه ورعايته[110].

واستمرت الاستعدادات العسكرية الإيرانية بصورة مستمرة جلبت أنظار المراقبين الروس بعد مدة وجيزة من عقد معاهدة كلستان في الوقت نفسه كان الايرانيون يحاولون التملص إلى أقصى حد ممكن من تنفيذ التزاماتهم بموجب بنود معاهدة كلستان لاسيما فيما يخص المادة المتعلقة بأسرى الروس والسماح للأراضي الحدودية الرامية في الدخول في الانتقال إلى داخل الحدود الجديدة لروسيا ووضع الخرائط الخاصة بالحدود بين الدولتين بحسب منطوق المادة الثانية من معاهدة كلستان ولقد بلغ الخلاف بين الطرفين حداً كبيراً حيث طلب وزير الخارجية الروسية (تفود) من اجنرال يار مالوف بتاريخ ٣٠ كانون الأول ١٨١٩ ان يخبر بلاط الشاه ان موقف عباس ميرزا وتهربه من تطبق معاهدة كلستان قد يجبر الإمبراطور اسكندر الأول على إعادة النظر في أمر الاعتراف به ولياً للعهد على العرش الايراني[111]وفي هذه المدة جرى تبادل عدد من الوفود بين إيران وروسيا للتباحث من اجل حل لمشاكل المتعلقة بين الطرفين.

كان الريطانيون وراء تحريض إيران على التعنت وتنكر الطرفين لبنود معاهدة كلستان ولم يقف الروس من جانبهم مكتوفي الأيدي بل كانوا يتحينون الفرص لمد حدودهم داخل إيران لتصل نهر اراس وحاولوا بشتى الوسائل والأساليب التغلغل في البلاط الايراني نفسه وكسب الوزراء والأمراء القاجاريين إلى جانبهم وتغذية الخلافت المحتدمة بين أبناء فتح علي شاه فقد تمكنوا في تلك المدة ان

يكسبوا محمد علي ميرزا دولة شاه الابن الأكبر للشاه الذي يقف على رأس حزب قوي للغاية يضم معظم الأسر الإيرانية المعروفة والعريقة وكان محمد علي ميرزا المعروف بنشاطه الجم وشجاعته الفائقة يطمح ان يخلف والده على العرش بصفته اكبر أبنائه وقد أرسل من جانبه بمبعوث خاص إلى بطرسبورغ للتداول في هذا الصدد بصورة سرية في الوقت نفسه عمل الروس بنشاط متزايد من اجل التغلغل في صفوف العشائر الإيرانية المعارضة للحكومة القاجارية وكانوا يتوقعون الاستفادة من هذه العشائر في حال اندلاع حرب جديدة بينهم وبين ايران.

استغلت روسيا الحرب الجديدة التي اندلعت عام ١٩٢١- ١٩٢٣ بين الدولة العثمانية وايران التي يقود جيوشها محمد علي ميرزا دولت شاه وكان الانتصار فيها لايران فاحتلت القوات الروسية جزءاً من المنطقة الممتدة بين بريفان وبحيرة كوكجة التي كانت تعدها ضمن ما التزمت إيران بالتنازل عنها بموجب بنود معاهدة كلستان وقد بدأت بتبادل الوفود بين الدولتين لاجتياز الأزمة دون نتيجة تذكر وبهذا أصبحت الحرب وشيكة الوقوع من جديد بين إيران وروسيا وقد ساعدت في تعجيل الحرب ثلاثة عناصر جديدة فعلى الرغم من محاولات الروس لكسب ولي العهد الايراني إلى جانبهم إلا ان عباس ميرزا تمادى في تصديه لروسيا وكان عباس ميرزا متعطشا للخوض في حرب جديدة ضدها وأرادها وسيلة لغسل عار هزيمة حرب ١٨٠٤- ١٨١٣ الذي كان الجميع يعدونه المسؤول الأول عنها الأمر الذي دفعه اكثر إلى التشدد لاسيما بعد وفاة شقيقه الأكبر محمد علي ميرزا دولة شاه ولم يعد احد من إخوانه له القدرة الكافية على منافسته على عرش والده الأمر الذي جعله في غنى عن مساندة روسيا له لتبوء العرش كما نص على ذلك أحد بنود معاهدة كلستان وقد دفع الايرانيون على التعنت أيضاً لتحريض العثمانيين لايران وتأجيج نار الخلاف بين الفريقين وهناك سبب آخر يتعلق بتدهور الوضع السياسي في داخل روسيا أثر تنازل ولي العهد قسطنطين عن العرش عندما مات شقيقه الاسكندر الأول يوم ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٢٥ فقد استغل (الديسمبريون) الوضع وفجروا انتفاضة مسلحة في العاصمة بطرسبورغ وفي اوكرانيا سرعان ما تمكنت قوات القيصر الجديد نيقولا الأول من إخمادها وقد علق عباس ميرزا على هذه الاضطرابات في روسيا آمالا كبيرة بعد ان صورها البريطانيون له على غير حقيقتها إذا أكدوا له ان الانتفاضة هزت إمكانات روسيا.

الحرب مع روسيا ١٨٢٦ – ١٨٢٨م

بدأت الحرب من جديد بين إيران وروسيا بقساوة شديدة وقد استعد لها الايرانيون بإمكانات اكبر ولكي يعطوا الحرب طابعا دينيا طلب فتخ علي شاه من كبار رجال الدين وعلى رأسهم السيد علي المجتبى والشيخ جعفر النجفي وصدر الدين محمد التبريزي وحاجي ملا باقر السلماسي وميرزا ابو قاسم جابلقي إصدار فتوى تحث المسلمين على جهاد الكفار الروس وجعل الاسهام في الحرب فريضة على جميع المسلمين(١١٢) كما حاول الايرانيون الاستفادة إلى أقصى ما يمكن من زعماء القفقاس المستائين للأسباب التي ذكرناها من الروس.

استهدفت الخطة الاستراتيجية الإيرانية التي اشترك الضباط البريطانيون في وضعها الهجوم المباغت على أراضي ارمينيا الشرقية واذربيجان الشمالية وجورجيا على ان تبدأ مرحلتها الأولى بهجوم قوات عباس ميرزا باتجاه قره باغ بهدف احتلال شوش وكنجة وان يصاحبها هجومان موازيان الأول من جانب سردار يريفان حسين قلي خان إلى قومر في ارمينيا والثاني على طالش من قبل القوات الخيالة التي تركزت في اردبيل وبعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية بهجوم مشترك بهذه القوات على تبليس(١١٣) ولكن على الرغم من الاستعدادات الإيرانية لم تلبث ان هزمت القوات الروسية المدربة الجيوش الإيرانية في معركة شماخي ثم في كنجة وحاصر قائد القوات الروسية في جبهة القفقاس المدعو باسكوفيتش قلعة عباس اباد الحصينة فخرج أميرها عباس ميرزا بأربعة آلاف مقاتل بعد معركة عنيفة فانتهت المعركة باندحار الايرانيين، وفي شهر أيلول سنة ١٨٢٧ حوصر قائد القوات الإيرانية في جبهة ققفاس ودخل الجيش الروسي مدينة تبريز بقيادة الجنرال بنكر انيف واستولى على المدينة بعد معارك دامية ولما رأت الحكومة الإيرانية ان لا قبل لها على استمرار الحرب قررت الدخول في المفاوضات مع الحكومة الروسية التي عينت الجنرال باسكوفيتش مندوباً عنها وعينت حكومة إيران عباس ميرزا مندوبا عنها وتم عقد الصلح في ٢٣ شباط سنة ١٨٢٨ في قرية تركمان جاي وبموجب بنود معاهدة تركمان جاي التي تضمنت:

١. تخلي إيران عن خانيتي ايروان وخجوان واوردوباد وأصبحت جميع مقاطعات قفقاس عائدة لروسيا واصبح نهر اراس الحدود الفاصلة بين إيران وروسيا[١١٤].
٢. دفع إيران خمسة ملايين تومان وثلاثة ملايين جنيه استرليني والتي تعادل عشرين مليون روبل ذهب غرامة خسائر حرب لروسيا.
٣. حصلت روسيا على حق تعيين القناصل في الولايات الإيرانية المختلفة وتحديد الضرائب على الواردات والصادرات الروسية وإدخال سفنها في بحر الخزر[١١٥] وتقرر تحديد الرسوم الكمركية على البضائع الروسية الداخلة إلى إيران والبند الخامس منح الرعايا الروس في إيران حق شراء واستئجار البنايات الخاصة سواء لسكانهم أم لتحويلها إلى مخازن يديرونها وجردت بنود الملحق الجهات الرسمية الإيرانية من حق النظر في الدعاوي التي تقام ضد المواطنين الروس داخل إيران دون حضور القنصل الروسي والأكثر من ذلك شمل هذا البند حتى المواطنين الايرانيين العاملين لدى المؤسسات الروسية داخل إيران ونص البند الثامن في ملحق معاهدة (تركمان جاي) على ان كل مسؤول ايراني في المقاطعات المختلفة لا يلتزم بفحوى ما ورد في بنود الملحق يبعد عن وظيفته في الحال ليحل محله شخص آخر.

لقد أنهت معاهدة تركمان جاي عهداً كانت فيه إيران على قدم المساواة مع الدول الكبرى وأصبحت لهم فيها امتيازات اقتصادية وقضائية وأدت الحروب الإيرانية الروسية ولا سيما الحروب الأخيرة إلى نتائج اقتصادية واجتماعية ونفسية وخيمة بالنسبة لإيران التي لم تكن مهينة لتحمل أعبائها وقد وقع الجانب الأكبر من ثقل نفقات هذه الحروب على كاهل الجماهير الإيرانية المنتمية إلى الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا ومما زاد من تأثير ذلك على الناس ان حكومة فتح علي شاه لجأت إلى فرض الضرائب الفادحة حتى تتمكن من دفع التعويضات المالية الكبيرة إلى روسيا التي فرضت عليها بموجب أحد البنود معاهدة تركمان جاي الأمر الذي أدى إلى تفاقم استياء الأوساط الفقيرة الواسعة في إيران فشهدت إيران على مدى عقود بعد آخر حرب لها مع روسيا أحداث انتفاضات وتمردات اتخذت طابعاً عنيفاً في كل من اذربيجان وكردستان وكرمان في الوقت نفسه تراكم الحقد في نفوس الايرانيين ضد روسيا القيصرية وكانت الجهات الحاكمة الإيرانية تغذي هذا الشعور وتحاول

بالوسائل المتاحة لديها كافة إبعاد نقمة الجماهير عن نفسها إيجاد متنفس لتلك النقمة عن طريق تشديد نار الحقد ضد روسيا وإلقاء جميع مآسي إيران على عاتقها.

ولم تكن معاملة روسيا جيدة مع إيران المغلوبة على أمرها وحاول أولياء الأمور في الدولة الروسية إذلالها الأمر الذي أدى إلى تفجر حقد الايرانيين على الروس في حادثة مذبحة أعضاء السفارة الروسية بطهران وعلى رأسهم غريبا يدوف[١١٦] في مطلع عام ١٨٢٩.

كان غريبا يدوف كاتبا دراميا وشاعرا ودبلوماسيا بارعا وهو ابن أخت قائد الجبهة القفقاسية باسكوفيتش ويروي المؤرخون بان غريبا يدوف كان مع الرأي المنادي بالتصرف مع الايرانيين بصورة متوازنة ولاسيما التخفيف عنهم بقبول التعويض الحربي بحسب بنود معاهدة تركمان جاي على شكل بضائع ايرانية من حرير وقطن وأحجار كريمة بدل النقود والذهب. ولا سيما انه كان على علم بان عباس ميرزا اضطر إلى صهر تحفيات أسرته حتى يتمكن من دفع ما ترتب على بلاده من تعويض مالي إلى روسيا. ولكن قيصر روسيا نيقولاي الأول كان ضد توجهات (غريبا يدوف)، وأصر على ضرورة تطبق معاهدة تركمان جاي نصا وروحا[١١٧]. لم تصل جهود (غريبا يدوف) إلى نتيجة. ففي تشرين الأول عام ١٨٢٨ طلبت الحكومة الروسية منه ان يقدم مذكرة إلى حكومة الشاه بخصوص دفع القسط السنوي من الغرامة الحربية المفروضة عليها نقدا ومن اجل إيجاد مخرج للمشكلة قرر السفير غريبا يدوف السفر بنفسه إلى إيران للقاء فتح علي شاه شخصيا، وقد وصل طهران بمعية المستشار الأول للسفارة الروسية في طهران المدعو مالزوف، والمستشار الثاني ادلولك. مع أمير كرجي وضابط وخمسة عشر جنديا من القوقاز وخادما وعدد من الارمن وشخصين من جورجيا[١١٨].

وبوصول غريبا يدوف طهران بدأت حملة واسعة معادية له ولبلاده لعب فيها بعض كبار المسؤولين الايرانيين دورا مباشرا، منهم الوزير وخال الشاه الله يارخان "اصف الدولة" وغيرهم من كانوا يعتقدون ان الظروف أصبحت مواتية للخوض في حرب جديدة ضد روسيا طالما أنها كانت منهمكة وقتنذ بحربها مع الدولة العثمانية.

ولم يكن دور البريطانيين في تحريض الايرانيين قليلا فانهم كانوا يهدفون فتح جبهة جديدة ضد روسيا لتحقق ضغطها على الدولة العثمانية التي اضطرت قواتها

إلى الانسحاب من مواقع كثرة بسبب الانتصارات الروسية عليها، ولا شك ان البريطانيين لم يكونوا ينظرون بعين الرضا إلى الامتيازات التي حصل عليها الروس في إيران بفضل بنود معاهدة "تركمان جاي" التي كانت تؤلف في الوقت نفسه ضربة لنفوذها في تلك البلاد وقد لعب رجال الدين دورا مباشرا بقيادة المجتهد المعروف (ميرزا مسيح) في إذكاء نار العداء ضد البعثة الروسية[١١٩]. واستغل المحرضون حادثة لجوء فتاتين ارمنيتين كانتا جاريتين لدى اللـه يارخان اصف الدولة إلى السفارة الروسية لغرض تسفيرهما إلى بلدهما بحسب بنود معاهدة تركمان جاي ذريعة لإثارة عامة الناس ضد البعثة الروسية بقيادة غريبا يدوف وقد أفتى المجتهد الحاج ميرزا "مسيح" ان على المسلمين إنقاذ المسلمات[١٢٠] من أيدي المشركين[١٢١] قد اعتنقتا الإسلام وهكذا هاج المجتمعون يوم ١ شباط ١٨٢٩ في مساجد وجوامع طهران وتوجهوا نحو مقر السفارة الروسية فوقع صدام عنيف بين المهاجمين الذين كانوا يرومون الدخول إلى السفارة والبعثة الروسية وسائر أعضاء السفارة في طهران.

دافع غريبا يدوف عن السفارة بجرأة حتى النفس الأخير وقد قتل ومن معه من أعضاء بعثته عدا سكرتيرها ملتوف الذي لم يكن موجودا أثناء وقوع الهجوم[١٢٢] وكانت النتيجة قتل ثلاثين نفرا من ضمنهم غريبا يدوف وقتل من المهاجمين ما بين سبعين أو ثمانين شخصا[١٢٣] وقد صور لنا جهانكير ميرزا الحادثة على غير حقيقتها ويرجع سبب الحادثة إلى كبر وغرور وطيش غريبا يدوف وطيشه إذ لم يراع حرمة المجتمع الإسلامي، وأصر رجاله على دخول بيوت المسلمين عنوة لإخراج النساء اللواتي اعتنقن الإسلام من بيوت أزواجهن دون التحقق من رغبتهن بالعودة إلى أوطانهن أو تفضيلهن البقاء في ايران[١٢٤].

وبعد وقوع هذه الحادثة المروعة تملك الذعر والفزع أوساط الحكومة الإيرانية وعلى رأسهم فتح علي شاه وولي عهده عباس ميرزا، وقررت الحكومة الإيرانية بتوصية من عباس ميرزا إرسال وفد رفيع المستوى لتقديم الاعتذار الرسمي لقيصر الروس، وإقناع الحكومة الروسية بان إيران لم تكن على علم بهذا الحادث المؤسف، ولذلك تشكل وفد إيراني برئاسة الأمير خسرو ميرزا ابن عباس ميرزا وعضوية كل من محمد خان الزنكنة أمير نظام وميرزا تقي خان الفراهاني الاتابك الأعظم الذي لقب فيما بعد بالأمير الكبير، وميرزا مسعود الانصاري وميرزا صالح الشيرازي

وميرزا بابا الطيب ومحمد حسين خان[١٢٥] وقد لعب خسرو ميرزا دورا إيجابيا في بعثته هذه وأدار بحكمة وتعقل المفاوضات الجارية بينه وبين الحكومة الروسية وتمكن الوفد بنجاح إقناع قيصر روسيا ببراءة الحكومة الإيرانية من حادثة اغتيال غريبا يدوف وجماعته وتلقى العاهل الروسي بارتياح كبير هدية فتح علي شاد الخاصة له وكانت عبارة عن ماسة ثمينة تعرف باسم نادر شاد. وقد تنازل القيصر الروسي عن مليوني روبل ٣٠٠ ألف باون من مبلغ التعويض الحربي الذي فرضته معاهدة تركمان جاي على إيران كما وافق على تأجل الأقساط الأخرى لمدة خمس سنوات[١٢٦].

ومن أشهر أعمال فتح علي شاد انتصاره على العثمانيين في وقائع عديدة منها دخول الجيش الإيراني الأراضي العراقية التي كانت جزءا من الإمبراطورية العثمانية آنذاك والقريبة من بغداد بقيادة ابنه محمد علي ميرزا دولة شاد وما هو جدير بالإشارة ان منطقة كردستان كانت مبعث النزاع بن الدولة العثمانية وإيران فإذا حدث النزاع على الحكم بين زعماء الأكراد هنالك أسرع بعضهم إلى حكومة إيران ليتخذها سندا على خصمه وقد تنتهز حكومة إيران الفرصة فترسل قواتها لمساعدة هذا الفريق من الأمراء ضد الآخر وقد يؤدي ذلك إلى نشوب القتال بين البلدين وهذا ما وقع فعلا في أواخر عام ١٨٠٧ وفي أوائل عام ١٨٠٨ حيث استغل الشاهزاده محمد علي ميرزا دولت شاه نزاعا وقع بين أمراء بابان الكردية فوجه ثلاثة جيوش تستهدف احتلال بغداد أحدها من جهة السليمانية بقيادة محمد علي خان اغا البياتي والثاني من جهة بدرة وجصان بقيادة كلهر علي خان وجيش ثالث بقيادة حسن خان الفيلي[١٢٧] لمهاجمة مندلي والظاهر ان داود باشا والي بغداد قد حاول استرضاء الشاهزاده وعقد الصلح معه فوافق على معظم الشروط التي قدمها الشاهزاده محمد علي ميرزا دولت شاه من اجل الصلح. منها إبقاء محمود باشا بابان حاكما على السليمانية[١٢٨] وبعد مفاوضات ومراسلات استمرت شهرين تم عقد الصلح بينهما ولكنه كان صلحا مؤقتا إذ لم تلبث ان تجددت الحرب بين الطرفين وعليه يمكن حصر العوامل التي كانت تؤدي إلى إذكاء نار الخلافات بين الدولتين في النقاط الآتية:

محاولة الدولتين الإيرانية والعثمانية السيطرة على الإمارات الكردية وسعي كل منهما لاستمالتها واستعمالها أداة في منازعاتهما المستمرة وكانت استمالة حكام الإمارات الكردية أساسا لسياسة الدولتين وقد حاولت الدولة العثمانية الاستفادة من

إمارة بابان في اثارتها ضد الحكومة الإيرانية وأما بالنسبة للحكومة الايرانية فانها استعملت إمارة اردلان وحرضتها ضد الدولة العثمانية(١٢٩) والإمارة البابانية التي كانت على الأكثر تحت نفوذها واستفاد الإيرانيون من عشائر الجاف(١٣٠) ضد الدولة العثمانية وبقي هذا الوضع إلى ان دب الضعف في أركان الدولتين المتخاصمتين وآلت علاقتهما إلى عقد معاهدة ارض روم الأولى ١٨٢٣ والثانية في ١٨٤٧م واتبعت الدولتان سياسة القضاء على الإمارات والحكومات المحلية والعشائر الكردية القوية(١٣١) فقضي على إمارة بابان من قبل والي بغداد نجيب باشا(١٣٢) سنة ١٨٥١ وقضي ناصر الدين شاه على إمارة اردلان واغتيل محمد باشا الجاف في مؤامرة مدبرة من قبل حكام الدولة العثمانية(١٣٣) واغتيل جوامير الهماوندي في مؤامرة مدبرة بين الدولتين الإيرانية والعثمانية(١٣٤) وفي الحقيقة قتل جوامير الهماوندي ومحمد باشا الجاف على اثر التقاء مصالح الدولتين الإيرانية والعثمانية(١٣٥) وفضلا عن نزاع الدولتين المذكورتين على المناطق الكردية كان سوء معاملة الولاة الأتراك في الدولة العثمانية للزوار الإيرانيين المتوجهين لزيارة الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء في العراق ومكة المكرمة والمدينة المنورة في الحجاز واحدا من الأسباب التي كانت تثير الخلاف والنزاع بين الدولتين الإيرانية والعثمانية. وتجدر الإشارة إلى ان هذه القضية والتدخل في شؤون الإمارة البابانية الكردية كانت من القضايا الملتهبة بين الطرفين فضلا عن سعي كل منهما لجر مجموعة من العشائر الكردية والعربية المهمة المتنقلة عبر حدود البلدين وان تكون تابعة لها مثل عشائر السنجابي والهورمان والكلهر والجاف ومنكور ومحاسن وبنو لام(١٣٦) فكان ذلك من بواعث الخصام والنزاع بين الدولتين الإيرانية والعثمانية(١٣٧).

لم يمض على عقد الصلح بين الدولتين العثمانية والإيرانية وقت طويل حتى وقعت حادثة بين أحد الأمراء البابانين في كركوك وهو محمد باشا بن خالد باشا ومتسلم والي بغداد في المدينة المذكورة موسى اغا والتي أسفرت عن فتنة عظيمة في كركوك أفضت بالأمير الباباني إلى ان يلتجئ إلى إيران(١٣٨) وقد اجتمع في مقر الشاه زادة محمد علي ميرزا جميع أعداء حكومة بغداد(١٣٩) فشرعوا يبثون الدعايات ضد والي بغداد والدولة العثمانية هذا من جهة ومن جهة أخرى كان حاكم اذربيجان عباس ميرزا ولي العهد يختلق الحجج والمبررات لإثارة حرب جديدة مع الدولة العثمانية بتحريض من القنصل الروسي في تبريز فكان من المتوقع في كل ساعة ان

تعلن الحرب بين الدولتين وأخيرا ظهرت بوادر الحرب سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢١م فالتحق الأمير الباباني عبد الله باشا ومحمد باشا ومعهما سلمان بك بشاهزادد محمد علي ميرزا فأمرهم بالاتجاه نحو الحدود العراقية الإيرانية فاجتازوا منطقة زهاو وتطاولوا على خانقين فوصل هذا الخبر والي بغداد فتوجهت عساكر الحدود لإيقاف زحف الأمراء البابانيين وفعلا توقف زحفهم لمدة محدودة وعندما تفشى خبر احتلال عباس ميرزا لبعض المناطق الشمالية في كردستان طلب الوالي داود باشا المساعدة من الدولة العثمانية فأمر السلطان العثماني باعلان الحرب على الحكومة الإيرانية وإرسال خمسة آلاف عسكري من القوات الارناؤطية الالبانية لمساعدة والي بغداد، ولأجل ان يأمن جانب الإمارة البابانية اعترف داود باشا بحكومة محمود باشا الباباني على إمارة بابان من جديد مع العلم ان الشاه زادة محمد علي ميرزا كان قد وطد العزم بأن ينيط حكم الإمارة البابانية بعم محمود باشا المدعو عبد الله باشا ولأجل تنفيذ هذا الهدف كان قد جهز قوة هائلة لاحتلال السليمانية وتوجه الشاه زادة بنفسه على رأس جيش نحو شهرزور هذا في حين ان داود باشا أيضا سير إلى السليمانية جيشا مجهزا بأربعين مدفعا بقيادة كتخدا محمد اغا لمساعدة محمود باشا. وقد وصل الكهية بجيشه إلى زنكا باد وقرد تبة وموقع كفري القديم في ايلول عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م وتقدم بجيشه عن طريق كركوك حتى وصل دربند وتحصن فيها وبعد ان عسكر هناك مدة أربعين يوما زحف بجيشه لمقابلة عبد الله باشا الذي وصل مع خمسة آلاف مقاتل من الإيرانيين إلى شهرزور، فتحرك الجيشان كل من جهته إلى السليمانية واتفق كيخسرو بك رئيس قبيلة الجاف مع عبد الله باشا الأمير الباباني لمساعدته في حربه ضد محمود باشا والكهية محمد اغا.

تملك اليأس قوات الكهية ومحمود باشا بسبب انحياز الجاف إلى قوات الشاد زادة عبد الله باشا فعسكر جيش كتخدا ومحمود باشا في قرة ريكة على الجانب الأيسر من نهر تانجرو وطلب عبد الله باشا مساعدة الشاد زادة محمد علي ميرزا. وفي الواقع ان الأمير شخص بنفسه على رأس الف مقاتل فمر بزهاو في طريقه إلى زنكاباد. أما جيش كتخدا ومحمود باشا فقد فشا فيهم مرض الطاعون وفتك فيهما فتكا ذريعا فاستغل عبد الله باشا هذه الفرصة واصطدم بجيش الشاه زادة قرب قرية (قره كول) على طريق السليمانية فنشبت حرب عنيفة بين الفريقين أسفرت عن اندحار جيش داود باشا بقيادة الكهية والباباني بقيادة محمود باشا، فانسحبا إلى

كركوك ولم ير الكهية محمد اغا مفرا إلا الالتحاق مع اتباعه بقوات شاد زادة محمد علي ميرزا خوفا من بطش داود باشا ويقال ان الهزيمة كانت مدبرة من قبل الكهية نفسه[١٤٠] إذ كان قد اتفق سرا مع الشاد زادة محمد علي ميرزا على تعيينه واليا على بغداد بعد احتلالها من قبل القوات الإيرانية. ولكن الكثيرين يبررون عمله هذا ويعدونه قائدا باسلا ساقه خوفه بعد كارثة الهزيمة أمام الإيرانيين. للالتجاء إلى صفوف أعدائه[١٤١].

انفتح الطريق بعد هذا الانتصار أمام الجيش الإيراني فاخذ يتقدم في كردستان العراق متوجها إلى بغداد بعد ان عين عبد الله باشا حاكما على السليمانية[١٤٢] وانصرف بعد ذلك لمطاردة فلول جيش الكهية فشن غارات النهب والتخريب على أنحاء كركوك وضواحيها وقراها فقضى على نفوس كثيرة أما قلعة كركوك فقد دافعت عن نفسها دفاعا مستميتا فلم يتمكن محمد علي ميرزا من فتحها وإذ يئس من إمكان احتلال المدينة ولى وجهه شطر بغداد فنهب في طريقه قرى وقصبات داقوق وطوز خورماتو وكفري وقرد تبة حتى وصل دلي عباس[١٤٣] وتقدم في زحفه إلى بغداد حتى وصل إلى قرية هبهب وهي على مسيرة يوم واحد من بغداد فساد الرعب في بغداد وارتفعت الأسعار واخذ المئات من الناس يهربون نحو الحلة والفلوجة ثم وصلت بعض الطلائع من الجيش الإيراني خان بني سعد الذي يبعد عن بغداد مسافة خمسة عشر ميلا وأيقن كثيرون ان بغداد على وشك السقوط تحت ضربات قوات محمد علي ميرزا، أو سوف تقع تحت وطأة حصار عسير. عندئذ جهز داود باشا مدينة بغداد تجهيزا جيدا ورمم أسوارها وكان مستندا في ذلك إلى خزينته المليئة بالمال ومخازنه الممتلئة بالذخائر والطعام وحسن تدريب قواته المدافعة عن بغداد كما ان داود باشا لم يكن يخشى الخيانة من صفوف حاشيته وجيشه. وبينما كانت القوات الإيرانية في طريقها لمحاصرة بغداد انتشر مرض الهيضة بين أفرادها حتى ان المرض أصاب الشاد زادة نفسه وكان ذلك لداود باشا بمثابة فرج من السماء وقد أدرك الشاد زادة محمد علي ميرزا انه غير قادر على الاستمرار في الحرب فأرسل إلى الشيخ موسى كاشف الغطاء يطلب منه التوسط لعقد الصلح مع داود باشا وكان الشيخ قد تولى الزعامة الدينية في النجف بعد وفاة والده الشيخ جعفر فجاء مع حاشيته إلى بغداد ونجح في عقد الصلح بين الفريقين المتحاربين[١٤٤] ولم يكد الشاد

زادة محمد علي ميرزا يصل إلى مقرد في كرمنشاد حتى مات في أواخر صفر عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م في بلدة كوندر[١٤٥].

على ان الهدوء الذي خيم على العلاقات بين الدولتين العثمانية والإيرانية في العراق لم يدم طويلا بعد موت محمد علي ميرزا لان القتال بينهما كان مستمرا فقد هاجم الجيش الإيراني بقيادة حسين ميرزا بن الشاد زادة محمد علي ميرزا والذي خلف أباد في حكم كرمنشاد والولايات الغربية من إيران الأراضي العراقية حتى وصل إلى بلدة شهربان. غير ان وباء الهيضة بدأ يهدد الجيش الإيراني كما فعل في المرة الأولى مع جيش والده[١٤٦] ومن جهة أخرى حاول داود باشا ولوج باب الصلح بين الطرفين وأرسل شيخ موسى للتوسط في إحلال الونام والصلح بين الفريقين وتم الصلح بشروط[١٤٧] وسحب حسين ميرزا حشمة الدولة قواته من العراق ورجع إلى إيران. وفي منطقة ارضروم هاجمت القوات الإيرانية بقيادة عباس ميرزا الجيش العثماني بقيادة محمد أمين رؤوف[١٤٨] في مكان يسمى (طوبراق قلعة) فانزل بالجيش العثماني هزيمة منكرة. وقتل في هذه الحرب من العثمانيين سبعة وعشرين ألفا. وجرح عشرة آلاف واسر أربعة آلاف جندي عثماني. وغنم الإيرانيون جميع المدافع والمهمات والتجهيزات الحربية العثمانية[١٤٩]. وقد قتل من الإيرانيين سبعة آلاف جندي ووقع عدد منهم في الأسر. استغل عباس ميرزا انتصاره هذا فتوجه إلى منطقة (وان) والموصل واحتلهما عنوة[١٥٠] وفي عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م تم الصلح بين الدولتين العثمانية والإيرانية وإبرام معاهدة ارضروم الأولى في ١٩ من ذي القعدة على أساس معاهدة ١٧٤٣هـ المعقودة بين نادر شاد والسلطان محمود العثماني[١٥١] ومما يثير الدهشة حقا في هذه المعاهدة ان بنودها صيغت لصالح العثمانيين على الرغم من انتصارات الجيش الإيراني في المعارك التي دارت بين الفريقين واحتلال إيران مناطق واسعة من الدولة العثمانية. وقد أصر محمود أمين رؤوف باشا ممثل الدولة العثمانية في المعاهدة المذكورة على ضرورة إعادة إيران لجميع المناطق الحدودية في آذربيجان التي احتلتها إلى الدولة العثمانية[١٥٢] وان تغض إيران النظر عن المطالبة بقبائل سبيكي وحيدرانلو الكردية التي هاجرت إلى الأراضي العثمانية ولا شك ان هذه البنود كانت تبدو وكأنها بنودا أقرتها دولة غالبة على دولة مغلوبة لذلك نرى بان نصوص هذه المعاهدة لم ترض الجانب الإيراني وأصر البلاط الإيراني على إعادة النظر في نصوصها وكلف قاسم خان سفير إيران

في الدولة العثمانية ونجيب أفندي ممثل الدولة العثمانية في إيــران حمـل النسـخة المصححة من قبل الحكومة الإيرانية إلى استانبول[153] وقد أقرت المعاهدة فى أواخـو ربيع الثاني من عام ١٨٢٣[154] في عهد السلطان محمود الثاني العثماني.

ويستفاد من بنود المعاهدة بان الفريقين اتفقا على تسوية القضايا التي كـانت تثير الخصومة بينهما كقضية الحدود وضرائب التجـارة ومعاملـة الـزوار الذيـن يقصدون العتبات المقدسة[155] ولما كان انتقال العشائر سببا جوهريا أدى إلـى هـذه الحرب فقد وضعت في هذه المعاهدة نصوص تقضي بان تضع الدولتان حدا لتذبـذب العشائر بين إيران والدولة العثمانية. كما نصت المعاهدة على اتفاق الدولتيـن علـى عدم قبول أي منهم للأشخاص الفارين من الدولة الأخرى والكف عن تدخل إحداهمـا في شؤون الأخرى ولا تقوم الدولة الإيرانية بفرض سيطرتها على الرعايا التـابعين للدولة العثمانية. وإذا ما عبرت إحدى عشائر الدولتين الحدود إلى الدولـة الأخـرى خلال هجراتها الصيفية والشتوية. فعلى باشا بغداد وممثل ولي عهد إيران ان يتفقـا على الضرائب التي تفرض على هذه العشائر وكذلك نصت المعاهدة على إعلان العفـو عن أولئك الذين فروا من إحدى الدولتين إلى الأخرى على ان لا يعاقبوا على خيانتهم السابقة[156] وعلى ان لا تطالب إحدى الدولتين الأخرى بتعويضات على الخسائر التي سببتها الحروب بين الطرفين. وفي ١٠ جمادى الثانية ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٢م توفـى عباس ميرزا ولي العهد عن عمر ناهز سبعة وأربعين عاما بمرض عجز الكليـة[157]، وانتخب فتح علي شاه محمد شاه بن عباس ميرزا وليا للعهد مكانه. وقد قضى فتـح علي شاه اكثر ايامه بعد وفاة ابنه عباس ميرزا في اصفهان فتوفي في يوم الخميـس ١٩ جمادى الاخرة لسنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٣م بعد ان عاش ٦٧ عاما حكم منـها ٣٧ سنة[158].

محمد شاه ١٨٣٤ ـ ١٨٤٨م

خلف فتح علي شاه على الملك محمد ميرزا ابن عباس ميرزا الذي مات قبـل والده فتح علي شاه بسنة واحدة. وقد صادف محمد ميرزا عنـد اعتلائـه العـرش منافسة حادة من قبل إخوانه وأعمامه. ولكن كفته كانت هي الراجحة لمساندة وزيـود المقتدر أبى القاسم قانمقام الفراهاني له. الذي تمكن بمقـدرة عاليـة مـن إفشـال منافسيه وأعداء الشاد الجديد[159]. وكان الفراهاني وزيرا لوالده عباس ميرزا والـذي

كان واليا على أذربيجان وقاندا للقوات الإيرانية ولعب دورا بارزا في الحروب الإيرانية الروسية وعلى الرغم من معاداته لهذه الحرب الشرسة التي نخرت بكيان الدولة الإيرانية إلا انه لعب دورا بارزا في تدبر أمور حكومته بأذربيجان وأدار دفة الحرب بين إيران وروسيا بمقدرة كاملة. وتمكن أبو القاسم الفراهاني بحنكته ووطنيته المشهودة وصرامته المعهودة في القضاء على فتنة تمرد إخوان محمد شاه وأعمامه وأقرانه الطامعين في العرش الإيراني وقطع دابر أطماع الدول الأجنبية في إيران ولاسيما الدولتين المتنافستين على امتلاك إيران بريطانيا وروسيا اللتين كانت أهدافهما تلتقي في إذلال إيران ونهب ثرواتها ولم يكن يردعهما عن هذا الهدف الاستعماري وازع أخلاقي أو قانون مدني أو دولي متعارف عليه بين الأمم.

وقد سارت الدولتان على سياسة شراء ذمم رجال الحكومة القاجارية وأعضاء البيت الملكي القاجاري الذين كانوا مستعدين لبيع ذممهم للدولة الأجنبية لقاء رشاوى ورواتب شهرية تدفعها لهم وزارة الخارجية البريطانية أو الروسية أو الفرنسية عن طريق سفرائها وعملائها في طهران(١٦٠) وقد ظهر أشباه من الرجال في الدولة القاجارية الذين أبدوا الاستعداد الكامل لخدمة مصالح الدول الأجنبية والتنكر لوطنهم وشعوبهم نذكر منهم على سبيل المثال ميرزا أبو الحسن خان ايلجي(١٦١) وزير خارجية فتح علي شاه ومحمد شاه الذي كان يتسلم عشر روبيات من مسؤولي شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند، وقد اصبح هذا الرجل عاملا في إفساد ذمم أكثرية رجال البلاط الإيراني لمصلحة الدولة البريطانية، وبعد موته عام ١٨٤٦م طلبت وزارة الخارجية البريطانية من شركة الهند الشرقية دفع نصف راتبه إلى ابنه، ولكن أولياء الشركة المذكورة لم يوافقوا على هذا الطلب لان دفع هذا المبلغ كان إزاء تقديم المعلومات السرية التي كان يقدمها الوزير إلى وزارة الخارجية البريطانية ولتعذر قيام ابنه بواجبه عليه فلا يمكن صرف المبلغ المذكور حفظا على ثروة الشركة الإنجليزية من الهدر والضياع بدفع رواتب لا محل لها في نشاط الشركة المذكورة(١٦٢) وقررت الحكومة البريطانية بالتنسيق مع إدارة الشركة الهندية الشرقية دفع راتب شهري مقطوع إلى ابن أخيه وابن أخته ابو الحسن المدعو ميرزا محمد علي خان الشيرازي(١٦٣) الذي ادخله في شبكة التنظيمات الجاسوسية البريطانية لقاء مبلغ خمسين تومان واصبح هذا الرجل مستعدا لبيع مصالح بلاده بأثمان بخسة لأية دولة أجنبية تدفع له مبلغا اكثر ولم يتوان عن اخذ رشوة من

رئيس الوزراء الدولة العثمانية رشيد باشا إزاء إجراء تعديلات في معاهدة ارضروم (ارضروم الأولى) المعروفة لصالح الدولة العثمانية(١٦٤).

ونذكر أيضا من الذين لعبوا دور التجسس والتبعية للبريطانيين اللهيار خان آصف الدولة بن محمد خان قاجار دولو صهر فتح علي شاد وخال محمد شاد. حيث تزوج عباس ميرزا ولي العهد من إحدى أخوات اللهيار خان (آصف الدولة) وكانت ثمرة هذا الزواج محمد علي ميرزا الذي اصبح شاها بعد وفاة جدد فتح علي شاد. وقهرمان ميرزا وكان اصف الدولة يتصدر منصب وزارة البلاط في عهد فتح علي شاد. ووصل إلى مرتبة الصدارة العظمى في عام ١٢٤٠- ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٤-١٨٢٧م في عهدد. وكان مورد تبجيل وتقدير واحترام عباس ميرزا ومن بعدد محمد شاد ومن مواصفات هذا الرجل انه كان جشعا مخادعا جبانا منفورا من الرعية تربطه علاقة وثيقة بأولياء أمور الحكومة البريطانية وخدم بإخلاص وأمانة مصالح هذه الحكومة(١٦٥) وكانت له اليد الطولى في إثارة نار الحرب للمرة الثانية مع روسيا (١٨٢٦- ١٨٢٨) تلك الحرب التي أسفرت عن هزيمة منكرة لإيران وعقد معاهدة تركمان جاي المشينة في تاريخ إيران.

وعلى الرغم من إذكائه نار الحرب بين الدولتين لم يتمكن من الصمود بقواته الكبيرة أمام القوات الروسية ليوم واحد ورجح الفرار بدل القرار في ميدان الحرب وكان فراره سببا رئيسا لاندحار القوات الإيرانية ثم ولى هاربا إلى تبريز فألقت القبض عليه قوات الجنرال الروسي ريستوف حيث كان مختبئا في أحد بيوت تبريز(١٦٦) وبعد إبرام معاهدة تركمان جاي أطلق سراحه وذهب إلى العاصمة طهران، واتهم آصف الدولة بالخيانة العظمى وعزله فتح علي شاد من الصدارة وأمر بجلدد بالسياط لتخاذله وجبنه في أداء واجبه للدفاع عن وطنه أمام أعدائهم الروس(١٦٧).

بقي آصف الدولة طوال بقية حياته يسعى جاهدا لتبوء مقام الصدارة العظمى مرة أخرى لاسيما بعد مقتل قائممقام الفراهاني في عهد محمد شاد ولكن الشاد أبى تعيينه في المنصب المذكور وعينه واليا على خراسان وكان يطمع بالصدارة طوال حياته وعندما يئس في نيل مبتغاد حرض ابنه سالار بمساندة من المسؤولين البريطانيين بالثورة والعصيان على الحكومة المركزية في ولاية خراسان وبعد قمع تمرد ابنه سالار نفاد محمد شاد إلى العتبات المقدسة في العراق.

ارتبط آصف الدولة بمصالح البريطانيين ارتباطا وثيقا وقد كان له دور رئيس بتحريض من السفارة البريطانية في طهران بإثارة الغوغاء وعامة الناس ضد السفارة الروسية التي أدت إلى مقتل السفير الروسي غريبا يدوف[١٦٨] وبعثته التي كادت ان تشعل نار حرب جديدة بين الدولتين الروسية والإيرانية تكالب محاولات إخوان وأعمام محمد شاه لخلعه من العرش، ولأجل الوصول إلى هدفهم احتموا بالحكومتين البريطانية والروسية حفظا لمصالحهم الذاتية. واصبحوا عبئا إلى جانب العلل والكوارث التي أحاطت بهذا البلد.

ولأجل ان نلقي الضوء على هذا النزاع والمنافسة بن أعضاء البيت المالك القاجاري في عهد محمد شاه نذكر بعض الحركات والتمردات التي حصلت أبان تسلم هذا الشاه السلطة في إيران، فقد ثار عليه عمه حسين علي ميرزا حاكم شيراز وأخيه حسن علي ميرزا شجاع السلطنة حاكم كرمان المسنودين من قبل الحكومة البريطانية، فوجه محمد شاه أخاه فيروز ميرزا نصرة الدولة على رأس جيش بمساعدة من جوهر خان (معتمد الدولة) لإخماده تمرده، وفعلا تمكن فيروز ميرزا من احتلال شيراز، وأصبح حاكما عليه وجعل معتمد الدولة وزيرا له[١٦٩]. وقد عامل فيروز ميرزا أهالي منطقة فارس معاملة قاسية وهاجم عشائر منمي وولي خان ونهب قراهم وسمل العيون وقطع أعناق الكثيرين[١٧٠] بحجة انهم لصوص وقطاع طرق ومفسدون في الأرض. وثار على محمد شاه أيضا عمه علي شاه بن فتح علي شاه المعروف (ظل السلطان) الذي سيطر على العاصمة طهران بعد وفاة والده فتح علي شاه وكان حاكما من قبله على اصفهان وأعلن نفسه شاها على إيران[١٧١] وتلقب بلقب عادل شاه[١٧٢] واستولى على خزائن فتح علي شاه وقصوره وكان يحرضه على التمرد أخوه علي نقي ميرزا ركن الدولة وميرزا أبو الحسن خان وزير خارجية فتح علي شاه، وكان لمؤامرات الإنكليز دور في إثارة العائلة المالكة ضد الشاه الجديد الذي أناط الصدارة بميرزا أبي القاسم خان قائمقام الفراهاني المعادي للانكليز ومصالح جميع الدول الأجنبية في إيران فتمكن محمد شاه من إنزال الهزيمة بمساعدة قائمقام الفراهاني بقوات ظل السلطان وأخيه[١٧٣]، ولم يدم علي نقي ميرزا ركن الدولة[١٧٤] حاكما في طهران اكثر من تسعين يوما[١٧٥] ولكنه في هذه المدة القليلة من حكمه تسبب في إفلاس خزينة الدولة التي جمعها فتح علي شاه ببخله

المعروف بتبذيره أموال الخزينة على أنصاره وحاشيته المتزلفين وقد كانت الخزينة خالية عندما وصل محمد شاه طهران ولم يبق منها من الأموال شيء يذكر(١٧٦).

أودع علي شاه السجن في قلعة اردبيل وبقي فيها مع إخوانه اكثر من سنة وبمساندة الحكومة الروسية تمكن ظل السلطان وعلي نقي ميرزا وإمام وردي ميرزا من فتح ثقب في جدار القلعة والهرب من السجن والالتجاء إلى الحكومة الروسية. وقد قابلهم القيصر الروسي باحترام واكرم وفادتهم، وعين لهم راتبا ذاتيا قدره ألف اشرفي، وطلب الأمراء لقاء القيصر الروسي طالبين مساعدتهم بقوة عسكرية ضد الحكومة الإيرانية، فلم يوافق القيصر على مواجهتهم وامتنع عن مساعدتهم، ونقض الاتفاق بينه وبين الدولة الإيرانية، فغضب الأمراء وطلبوا إذن السفر فرحلوا إلى الحكومة العثمانية وكرروا نفس الطلب من السلطان العثماني ففشلوا في مسعاهم معه أيضا وتوجهوا إلى مصر لطلب مساعدة محمد علي باشا، وعلى الرغم من إبداء الأخير الاحترام اللازم لهم لكنه لم يبد حماسا لمساندتهم في مسعاهم فطلبوا الإذن للسفر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وتوجهوا إلى العراق وأقاموا في كربلاء والكاظمية(١٧٧).

انتهج أبو القاسم قائمقام الفراهاني سياسة الشدة والصرامة مع المتمردين والجواسيس للدول الأجنبية في حكومته ووطد العزم على تصفيتهم الواحد بعد الآخر، فقرر تصفية أخوان محمد شاه الذين لم يبدوا حماسا في تأييد الشاه الجديد نذكر منهم جهانكير ميرزا وخسروا ميرزا ومصطفى علي ميرزا واحمد علي ميرزا فحث محمد شاه على سمل عيون جهانكير ميرزا وخسروا ميرزا وألقى القبض على كل من أعمام وأقرباء محمد شاه من البيت المالك القاجاري إذ أودع السجن كل من علي شاه ظل السلطان وعلي نقي ميرزا ركن الدولة كما ذكرنا، وامام ويردي ميرزا أبناء فتح علي شاه ومحمد حسين ميرزا حشمة الدولة بن محمد علي ميرزا ودولت شاه وبديع الزمان ميرزا بن محمد قلي ميرزا ملك ارا ونصر الله ميرزا بن علي قلي ميرزا(١٧٨) وابعد اللهيار خان اصف الدولة إلى خراسان وسلبه جميع امتيازاته.

وفي هذا الجو المشحون بالمؤامرات والدسائس والعمالة، حاول أبو القاسم قائمقام الفراهاني ان يقف أمام دسائس ومؤامرات الدولتين البريطانية والروسية ضد إيران، والحد من أطماعهم التوسعية فيها ومنعهما من نهب ثرواتهما، ولأجل تنفيذ هدفه هذا وقف بحزم وشدة مع أمراء البيت الملكي القاجاري الطامعين بالعرش الإيراني(١٧٩) وبمساندة الأجانب، وحاول تصفيتهم بشتى الوسائل وازاحتهم عن طريقه وأنقذ البلاد من شرورهم. واستعمل السياسة نفسها مع الوزراء والأعيان ومنتسبي البلاط القاجاري ورجال الدين من وعاظ السلاطين(١٨٠) فاصبح سيفا مسلطا على رؤوسهم. فكانوا يتحينون الفرصة للقضاء عليه. وقد التقت مصالح هذه الشرائح مع أطماع الدول المتربصة بإيران كالحكومة البريطانية حيث يستفاد من مذكرات ورسائل (سرجان كامبل) الوزير المختار للحكومة البريطانية في العاصمة القاجارية طهران بأن أبا القاسم قائمقام الفراهاني كان ضد تأسيس القنصليات للدولتين الروسية والبريطانية في المدن الإيرانية لأنه كان على يقين بان هذه القنصليات سوف تكون وكرا للجاسوسية ضد إيران، وان التجارة الحرة مع هاتين الدولتين تؤثر سلبا في الاقتصاد الإيراني وسوف تؤدي إلى تهريب ذخائر إيران إلى خارج البلاد، ويضيف (كامبل) إلى ذلك قوله (لم تبق وسيلة لم تطرق لكي يقنع الشاه ورئيس وزرائه لإثبات فائدة الاتفاقيات التجارية لإيران ولكن جميع البراهين لم تكن مؤثرة في أبي القاسم ولم يقتنع بمبرراتها ولم يرد على طلباتنا بالإيجاب مطلقا وكان استدلال قائمقام يستند إلى هذه الحقيقة ان استئثار هاتين الدولتيبن بتجارة إيران تؤدي إلى الدمار والموت التدريجي لهذا البلد المعدم الفقير، واتباع هذه السياسة سوف ينتج عنها تقسيم إيران بين أسدين قويين غرسا مخالبهما في جسم هذا البلد الضعيف)(١٨١).

ولهذا نرى بان البريطانيين والروس يحرضون محمد شاه الضعيف الشخصية والإرادة المشحون بالعقائد الخرافية(١٨٢) على إقالة أبي القاسم قائمقام الفراهاني وتفويض سلطته إلى أشخاص آخرين مستعدين لتحقيق مآربهم ومخططاتهم الاستعمارية وهكذا نرى بان السفير البريطاني سرجان كامبل يحرض محمد شاه

لطرد القائمقام ويهول للشاه خطورة استمراره في السلطة على حكمه كشاه على إيران ويحرك الطابور الخامس من عملائه لإفساد سمعته وتهويل أخطائه حتى وصل الأمر حدا ان قرر محمد الشاه التخلص منه فأمر بإيداعه السجن في ٢٥ صفر ١٢٥١هـ ٢٠ حزيران ١٨٣٥م وقتل في آخر شهر صفر من تلك السنة[١٨٣] عندما علم السفير البريطاني بمقتله تنفس الصعداء ووصفه كأنه مرض الطاعون وان يد العدالة كانت له بالمرصاد لأنه يستحق هذا المصير المحتوم جزاء ما اقترفه من آثام لا شك ان تضافر قوى الشر والفساد في بلاط محمد شاه وبتحريك وتحريض من السفير البريطاني في طهران أطاح بـ "قائمقام الفراهاني" وأدى إلى قتله[١٨٤] وبقتله خسرت إيران شخصية سياسية فذة وعالما وأديبا لامعا صوره اعتماد الملك خدماته للأدب وثقافة إيران كخدمات شاتوبريان وجان جاك روسو للأدب الفرنسي وشكسبير للأدب الانكليزي وشلر وكوته للأدب الالماني وكذلك تولستوي للأدب الروسي[١٨٥] وبعد مقتل أبي القاسم الفراهاني خلفه في رئاسة الوزارة والصدارة ملا عباس بيات ايرواني المعروف بحاج ميرزا اغاسي كان اغاسي رجلا جاهلا بأمور عصره وإدارة البلاد[١٨٦] ويتخذ من السب والشتم واللعن مسلكا في تعامله مع مرؤوسيه مؤمنا بالخرافات والسحر والشعوذة ولذلك لم تكن مدة صدارته نقمة على إيران في جميع نواحي الحياة المختلفة فحسب بل أصاب البلاد الانحطاط والفساد والتخلف من جميع النواحي ومن مهزلة القدر كان محمد شاه مؤمنا بقدرات صدره الأعظم هذا ويعتقد بان له الكرامات وانه قطب للشريعة والطريقة[١٨٧] ومن الحوادث المهمة التي وقعت في عهد صدارته تحرك الجيش بأمر محمد شاه للاستيلاء على افغانستان وقد عهد اليه قبل تسلمه العرش والده عباس ميرزا بفتح هرات وعندما كان مشغولا في حصار المدينة وصله خبر وفاة والده عباس ميرزا في ١٠ جمادى الثاني ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م فانسحب من هرات وفك الحصار عنها[١٨٨] وعندما وصل إلى منطقة خراسان عسكر فيها واتخذها معسكرا لجيشه من جديد واتجه صوب أفغانستان مرة أخرى وقد أبدت الحكومة البريطانية مخالفة شديدة لهذه الحملة وأنذرت إيران وأعلنت وخامة استمرارها في الهجوم على أفغانستان ولكن محمد شاه

لم يعر مخالفة البريطانيين اهتماما يذكر لا سيما عندما اطمأن لمساعدة قيصر روسيا نيقولا الأول له لفتح أفغانستان وأبدت الحكومة البريطانية استعدادها لكامران ميرزا بن محمود ميرزا الافغاني بمساعدته ماديا ومعنويا لردع الهجوم الإيراني(١٨٩) وفعلا أرسلت الحكومة البريطانية ضابطا مدفعيا باسم بوتنجر بالإشراف على القوات الأفغانية المدافعة عن مدينة هرات، وقد استمر الحصار والقتال بين الإيرانيين والأفغانيين ما يقارب سنة كاملة(١٩٠) بدت بشائر النصر للقوات الإيرانية ودب الضعف في صفوف الجيش الأفغاني وهو ما دعا السفير الإنجليزي سر جان ماكنيل توجيه إنذار شديد اللهجة لمحمد شاد بوجوب سحب قواته من افغانستان ولما لم يحصل على جواب مقنع بهذا الصدد ترك طهران وقصد اصفهان، وارسل رسالة إلى الشاه يعلمه بان حكومته قد أعلنت الحرب على إيران بسبب حملته على أفغانستان ومحاولته الإضرار بالمصالح البريطانية(١٩١) وفعلا هاجم الأسطول البريطاني (معسكر بوشهر) وجزيرة خارك واستولى عليهما(١٩٢) وعندما يئس محمد شاه من معاضدة الروس الحربية له ضد البريطانيين عمد إلى مصالحة بريطانية لاسيما بعد تمرد عشائر منطقة فارس وعصيانها بتحريض من البريطانيين، وسحب قواته من أفغانستان ورجع بتأريخ جمادى الثاني ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م إلى طهران، واحتلت القوات البريطانية بالمقابل جزيرة خارك(١٩٣). وأصبحت افغانستان تدريجيا تحت نفوذ البريطانيين(١٩٤).

هوامش الفصل الرابع

(١) يرجع بعض المؤرخين نسب القاجاريين إلى قاجار نويان بن سرتاق نويان الذي جاء مع قوات هولاكو إلى إيران واصبح له أولاد وأحفاد كثيرون ولتعالي نفوذ هذه الأسرة في عهد غازان خان انتسبت اليهم طوائف كثيرة اشتهروا بالقاجار. انظر: مرتضى راوندي، جـ٢، مصدر سابق، ص٤٨٢، وكذلك د. عبد الله رازي، المصدر السابق، ص٤٨١، انظر ميرزا محمد تقي سبهر، سلاطين قاجارية به كوشش وتصحيح وتخشيه محمد باقر بهبودي تهران ١٣٤٤، ص٨. وكذلك عبد العظيم رضائي جلد جهارم مصدر سابق ص٧٧.

(٢) جسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق، ص٧٥٤.

(٣) عبد الرفيع حقيقت رفيع، المصدر السابق، ص٤٧٣.

(٤) تتفرع من قبلة اشاقة باش الأفخاذ التالية: قوانلو، عز الدين لو، شام بياتي، قراملو، ساله لو، زياد لو، وداشلو، وتتفرع من قبيلة يوخاري باش، دولو، قياخ لو، خزينة دار لو، سيانلو، كهنة لو، كرلو. أنظر محمد جعفر خور موجي، تاريخ قاجار، بكوشش حسين خديوجم تهران ١٣٤٤، ص٣.

(٥) بهرام افراسيبابي عقاب كلات، ص٧٠-٧١.

(٦) ميرزا محمد تق سبهر، ناسخ التواريخ، ج١، ص١٥، وكذلك سرجان مالكم، تاريخ إيران، ج٢، باب ٢١، ص٩٥-٩٦.

(٧) عبد الرفيع حقيقت رفيع، المصدر السابق، ص٤٧٤.

(٨) يذكر محمد تقي سبهر بانه قتل على يد سبز علي الكردي ومحمد علي دولو القاجاري اخي حسين خان القاجاري بعد ان سقط من حصانه عندما كان يهم لعبور جسر صغير، انظر ناسخ التواريخ، ج١، ص٢٧، وكذلك عبد الله رازي، المصدر السابق، ص٤٨٢.

(٩) محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ، ج١، ص٢٠- ٣٣، وكذلك حسن برنيا وعباس اقبال، المصدر السابق، ص٧٥٦.

(١٠) حسن برنيا وعباس اقبال، المصدر السابق، ص٧٥٦، وكذلك حسن فهمي جاف، المصدر السابق، ص٣١، ويعتقد سايكس بأن خديجة بيكم هي اخت لـ اغا محمد خان انظر تاريخ إيران الترجمة الفارسية، ج٢، ص٤٥٤.

(١١) حكم سبعة ملوك من الأسرة القاجارية إيران وهم على التوالي: ١-اغا محمد خان القاجاري. ٢-فتح علي شاه. ٣-محمد شاه. ٤-ناصر الدين شاه. ٥-مظفر الدين شاه. ٦-محمد علي شاه. ٧-واحمد شاه.

(١٢) د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ١٩٨٥، ص٢٣.

(١٣) يذكر حسن بيرنيا وعباس اقبال بان مرتضى قلي خان ورضا قلي خان ومصطفى قلي خان من إخوان اغا محمد خان السبعة لم يكونوا على وئام واتفاق معه ولم يقبلوا رئاسته على عشائر اوشاقة باش وقد اتفق الأخوان رضا قلي خان ومرتضى قلي خان على معاداة أخيهما وأسفر الخلاف بين الفريقين بالعصيان على سلطة اغا محمد خان. انظر محمد تقي سبهر ناسخ التواريخ، ج١، ص٣٥- ٣٦، وكذلك تاريخ إيران از اغارتا قاجارية انقراض القاجارية، ص٧٥٦.

(١٤) زان كوره: خواجده تا جدار، مصدر سابق، ص١٤٠- ١٥٠، وعبد الله رازي المصدر السابق ص٤٨٣.

(١٥) شاهين مكاريوس تاريخ إيران، ص٢٣٢.

(١٦) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق، ص٢٦٢.

(١٧) زان كوره، خواجه تاجدار، ج٢، ص٣٣٣- ٣٣٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص٣٢١.

(١٩) سايكس، تاريخ إيران، ج٢، ص٤٥٧.

(٢٠) بدأ حكم سليمان الكبير في بغداد عام ١٧٨٠م ودام اثنتين وعشرين سنة وتلك مدة طويلة لم يحظ بها والي آخر غيره في تاريخ العهد العثماني كله وهو انما لقب بـ "الكبير" تمييزا له على وال آخر اسمه سليمان باشا الصغير تولى الحكم فما بعد وهو يستحق هذا اللقب من بعض الوجود. انظر علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، ص١١٨. لو نكريك، المصدر السابق، ص٩٣.

(٢١) محمد جعفر خورموجي. تاريخ قاجار، مصدر سابق. ص٩. وكذلك حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق. ص٧٥٨.

(٢٢) حبيب الله شاملوني. المصدر السابق، ص٧٥٨.

(٢٣) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران، ج١. طهران، ١٣٤٢. ص٣٩-٤٠.

(٢٤) مالكم: تاريخ إيران، ج٢، باب٢١، ص١٠٩.

(٢٥) ذكر بعض المؤرخين بان اغا محمد خان اسر ٢٢ الف من الرجال والنساء من ابرياء كرجستان. انظر ن.و. بيكولوسكايا وآخرون. المصدر السابق. ص٦١٩.

(٢٦) زان كوره خواجه تاجدار. ج٢. ص٢٩٢. سعيد نفيسي. تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر. ج١. تهران. ١٣٣٥. ص٦٤. وكذلك عبد الله رازي. المصدر السابق. ص٤٨٤.

(٢٧) محمد تقي سبهر. ناسخ التواريخ. ج١. ص٧٩. سايكس. ج٢. المصدر السابق. ص٤٥٩. وكذلك خورموجي. تاريخ قاجار. ص٩.

(٢٨) خورموجي ، تاريخ قاجار، ص٩. وكذلك زان كوره خواجه تاجدار. ج٢. ص٣٨. وكذلك شاهين مكاريوس: تاريخ إيران. ص٢٣٤. ويذكر سايكس بان شاه رخ مات من اثر الجراح الواردة به نتيجة التعذيب الذي مارسه معه رجال اغا محمد خان لإخفاء مخابئ مجوهراته وخزانته. انظر تاريخ إيران. ج٢. ص٤٦٠.

(٢٩) حسن بيرنيا وعباس اقبال. مصدر سابق. ص٧٦٣.

(٣٠) زان كوره خواجه تاجدار. ج٢، ص٣٠٦.

(٣١) سايكس، تاريخ إيران، ج٢. ص٤٦٠.

(٣٢) الدكتور كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مصدر سابق ص٢٧.

(٣٣) هناك اختلاف بين المؤرخين حول التاريخ الصحيح لانتخاب اغا محمد خان خانبابا جهانباني ابن أخيه ولي عهد له فمنهم من يعتقد بان هذا الانتخاب كان في سنة ١٢١١هـ قبل الحملة الثانية لاغا محمد خان على منطقة قفقاس.

(٣٤) يذكر حبيب الله شاملوني بان نهر "اراس" كان في حال فيضان شديد وقرر اغا محمد خان عبوره بجيشه كاملا مما أدى إلى غرق عدد غير قليل من جنوده وعدده وتمكن في الأخير من الاستيلاء على هذه القلعة. انظر: تاريخ إيران، مادتا يهلوي، ص٧٦.

(٣٥) عبد الرفيع حقيقت رفيع، المصدر السابق، ص٤٨٤.

(٣٦) محمد تقي سبهر. ناسخ التواريخ، ص٨٤.

(٣٧) تقع بلاد شيروان في شمال نهر ارس في الأطراف الشرقية من جبال قفقاس بالقرب من بحر قزوين ومن أهم مدنها دربند التي يسميها العرب باب الأبواب.

(٣٨) كان صادق خان النهاوندي من أفراد حرس حسين قلي خان جهانسوز اخ محمد القاجاري الذي قتل في عهد كريم خان الزندي لإعلانه التمرد على الدولة الزندية

وبعد هروب اغا محمد خان من شيراز التحق صادق خان بخدمته في طهران وتدرج في الوظائف ومنح لقب الخان واصبح نائبا لرئيس الحرس الخاص لاغا محمد خان القاجاري.

(٣٩) هناك اختلاف بن المؤرخين في تحديد تاريخ مقتل اغا محمد خان فمنهم من يرى بأنه قتل في ١٨ ذي الحجة من عام ١٢١١ وفريق يعتقد بأنه قتل في ١٨ ذي الحجة ١٢١٢. انظر محمد تقي سبهر. ناسخ التواريخ. ج١. ص٨٤. وكذلك سايكس. المصدر السابق. مصدر سابق. ج٢. ص٤٦١. وكذلك عبد الله رازي. المصدر السابق. ص٤٦٠- ٤٦٢.

(٤٠) محمد تقي سبهر. ناسخ التواريخ. ج١. مصدر سابق. ص٨٥.

(٤١) حسن بيرنيا وعباس اقبال. المصدر السابق ص٧٦٠ وكذلك انظر مقال جنرال برنس سجر باتوف بعنوان مقدمات جنك دوم إيران وروسية المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة (٢) سال ٩ حزيران- تموز ١٩٧٤ ص٥٢-٥٣.

(٤٢) قدم ميرزا محمد خان قاجار دولو خدمات جليلة للأسرة القاجارية بعد مقتل اغا محمد خان القاجاري وقد قربه خانباباجهانباني ابن أخ اغا محمد خان والذي اشتهر باسم فتح علي شاه وصاهره وتزوج من إحدى بناته المسماة كوهر خانم وزوج ابنه اللهيار خان اصف الدولة إحدى بناته الأميرة مريم خانم وكان ثمرة هذا الزواج أربعة أولاد هم كل من حسن خان الملقب بسالار. محمد خان الملقب بـ(بيكلر بيكي)، ومحمد علي خان وحسين خان انظر سلطان أحمد ميرزا، تاريخ عضدي، توضيحات وإضافات عبد الحسين نوائي تهران ٢٥٣٥ ش ص٢٥٥.

(٤٣) عبد الرزاق مفتون دنبلي، مآثر سلطانية. باهتمام غلام حسين صدري افشار. تهران ١٢٤١ ش ص٢٨.

(٤٤) محمد تقي سبهر: ناسخ التواريخ ج١. ص٨٦.

(٤٥) حسن بيرنيا وعباس اقبال. المصدر السابق. ص٧٦٥ ومرتضى راوندي. المصدر السابق. ج٢ ص٤٨٧.

(٤٦) محمد تقي سبهر. ناسخ التواريخ. ج١. مصدر سابق. ص٨٩.

(٤٧) المصدر نفسه ج١ ص٨٩- ٩٠.

(٤٨) زان كوره: خواجه تا جدار. ج٢ ص٤٢٨. ومحمد تقي سبهر. المصدر السابق ج٢ ص٩١.

(٤٩) حسن بيرنيا وعباس اقبال. المصدر السابق ص٧٦.

(٥٠) قتله فتح علي شاه بربطه بفوهة مدفع. انظر محمد تقي سبهر. ج١ ص٩.

(٥١) حسن بيرنيا وعباس اقبال. المصدر السابق ص٧٦٧.

(٥٢) محمد جعفر خور موجي، تاريخ قاجار. ص١٠-١١.

(٥٣) زان كوره، خواجه تا جدار. المصدر السابق ج٢ ص٤٩.

(٥٤) خور موجي. المصدر السابق ص١١.

(٥٥) حسن بيرنيا وعباس اقبال. المصدر السابق ص٧٦٧ وحبيب الله شاملوني. المصدر السابق ص٧٦٥ وكذلك سلطان أحمد ميرزا تاريخ عضدي. ص١٩٩.

(٥٦) خور موجي. المصدر السابق ص١١.

(٥٧) حبيب الله شاملوني. المصدر السابق ص٧٦٦.

(٥٨) سر هارفورد جونز. المصدر السابق ص٨١.

(٥٩) يذكر كنت الفرد دوكاردان. يرجع اهتمام نابليون بونابرت بإيران إلى تقارير تاجر فرنسي مقيم في القسطنطينية اسمه (اسكالن Escalon) الذي أرسل تقريرا إلى مارشال برون Brune سفير فرنسا في القسطنطينية وأرسل السفير التقرير إلى وزارة الخارجية الفرنسية يؤكد فيه على أهمية إيران بالنسبة لفرنسا وإمكانية الوصول عن طريقها الهند انظر ماوريت زنرال كاردان در إيران، ترجمة عباس اقبال تهران ١٣٦٢ ص١٣.

(٦٠) كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر. مصدر سابق ص٣٠ وكذلك انظر مقال مونيكا روشن ضير بعنوان. نفوذ سياسي انكليس در دربار قاجار ورقابت باسياست فرانسه. مجلة بررسيهاي تأريخي شمارة ٢ سال ١٢ خرداد تير ٢٥٣٦ش.

(٦١) Rawlinson Sir Henry England and Russia in the East London ١٩٧٥ p١٥.

(٦٢) انظر بحث الدكتور حسن الجاف بعنوان (ره نكك دانه وه ي كيشه ي نيو ده ولـه تان له سه ره تاي سه ده ي نوزده هه مدا، المنشور في مجلة الأستاذ مجلة كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد العدد ١٢ حزيران سنة ١٩٩٨ ص٥٤.

(٦٣) Lokhart. The fall of the Safavi Dynasty, Cambridge ١٩٥٨- p٣٠٠.

(٦٤) انظر بحث محمد أمين رياحي بعنوان اتحاد فرانسه وإيران المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة (٢) سال ١٠ خرداد- تير ١٣٠٤ ش ص٣.

(٦٥) توفي روميو بعد وصوله إلى طهران بأيام قليلة في ظروف غامضة وقد عزا البعض وفاته إلى أسباب سياسية وقد دفن بالقرب من الباب الرئيس لشاه عبد العظيم انظر كنت الفرد دو كاردان. المصدر السابق ص١٨.

(٦٦) عبد العزيز سليمان نوار. تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث. ج١ ص١٧٩.

(٦٧) انظر مفاد الترجمة الإنجليزية لهذه المعاهدة في النشرة: Diplomacy In The Near And Middle East. A Documentary Record ١٥٣٥- ١٩١٤ N.V. ١٩٥٨.

(٦٨) كنت الفرد دو كاردان. المصدر السابق ص٢٠.

(٦٩) تلست مدينة أصبحت ضمن ممتلكات روسيا في الحرب العالمية الثانية وتعرف اليوم باسم ساوتسك.

(٧٠) انظر تفاصيل معاهدة فنكن شتاين في كتاب كنت الفرد دوكاردان ماموريت زنرال كاردان، ص٤٤-٤٧.

(٧١) توجد في متحف فرساي بباريس صورة زيتية بريشة الفنان الفرنسي هانري مولارد تظهر استقبال نابليون بونابرت للوفد الإيراني المكون من سبعة أشخاص برئاسة ميرزا محمد رضا القزويني وقد أسفر هذا اللقاء عن توقيع معاهدة فنكن شتاين.

(٧٢) للمزيد من المعلومات عن نشاط كاردان في إيران انظر كتاب كونت الفردو كاردان بعنوان ماموريت زنرال كاردان در إيران وكذلك كتاب خانبا با بياني. سياست نابليون در إيران تهران ١٣١٨.

(٧٣) Morier James Justinian: A Journey through Persia Armenia and Asia Minor To Constantinople In The Year ١٨٠٨ And ١٨٠٩ London ١٨١٢ p٢٥٣.

(٧٤) Brydges Sir Harford Jones The Dynasty Of The Kajars London ١٨٣٣ p.٣٣٠.

(٧٥) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق. ج١ ص١٧٩.

(٧٦) كنت الفرد وكاردان. المصدر السابق ص٣١.

(٧٧) كمال مظهر أحمد. دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر. مصدر سابق ص١٧٩ وكذلك د. علي بينا تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران ج١ تهران ١٣٢٤ ص١٢٥.

(٧٨) Sir Percy Sykes A History Of Persia London ١٩٥٨. P٣٠٦.

(٧٩) سر هارفورد جونس بريد جيس هو أول سفير بريطاني أرسل من قبل الوزارة الخارجية الإنجليزية إلى بلاط فتح علي شاه القاجاري وبقي في منصبه من سنة ١٨٠٧- ١٨١١ وقد زار إيران بصفة تاجر في عهد جعفر خان الزندي وابنه لطف علي خان. وكان معجبا بشخصيته وشجاعته لطف علي خان واثنى عليه وأطنب في وصفه. انظر مقدمة كتابه اخرين روزها لطف علي خان زند باللغة الفارسية ص٥-٧.

(٨٠) الأمر الذي هو جدير بالذكر هنا ما نشاهده من اختلافات محسوسة في هذه المرحلة الزمنية بين السياسة المتبعة من قبل الهيئة البريطانية الحاكمة في الهند وبين أولياء الأمور في وزارة الخارجية البريطانية ويبدو بوضوح بان سر هارفورد جونس كان له ضلع في إصرار فتح علي شاه بعدم مقابلة مالكولم ومما يؤيد هذا الخلاف انه في الوقت الذي أرسل اللورد مينتو السفير مالكولم إلى البلاط الإيراني انتدبت وزارة الخارجية البريطانية في الوقت نفسه السر هارفورد جونس سفيرا للحكومة البريطانية عن بلاط الشاه القاجاري. انظر Morier James Justinian: A Journey through Persia Armenia and Asia Minor To Constantinople In The Year ١٨٠٨ And ١٨٠٩ London ١٨١٢ p١٦ ٧٣.

(٨١) Brydges Sir Harford Jones Account of H.M.S. Mission of the court of the Persia Rega and Leipzig١٨٠٤. Pp ٣٦-٨٧.

(٨٢) يعتقد سر هارفورد جونس، بأن محمد علي خان هو ابن جعفر خان الزندي ومن الواضح انه لم يكن لجعفر خان ابن يدعى محمد علي خان ومن المرجح بانه ينتمي إلى بقايا الأسرة الزندية المعروفة.

(٨٣) Watson R. G. History f Persia Londn ١٨٦٦- p١٦٦. وكذلك محمد تقي سبهر. ناسخ التواريخ. ج١ ص٨١.

(٨٤) يقول عبد العزيز سليمان نوار: كان لنجاح سر هارفورد جونز في إبرام معاهدة سنة ١٨٠٩ الأثر البالغ لاستغنائه عن غاردان وخدماته انظر تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحدث. ج١ ص١٨١.

(٨٥) حسن بيرنيا وعباس اقبال. المصدر السابق ص٧٧٥.

(٨٦) د. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر. ص٤٥٠.

(٨٧) Morer James Justinin, op.cit p(II).

(٨٨) عبد العزيز سليمان نوار ج١، المصدر السابق ص١٨١ وكذلك كلودبوس جيمس ريج، سفر نامه ريج ١٨٢٠ ترجمة وتعليق د. حسن الجاف بغداد ١٩٩٧ ص٢.

(٨٩) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دورد معاصر ص٩٣.

(٩٠) J. M. Upton, The History of Modern Iran, an interpretation ٤th edition Harfard ١٩٦٨- p٤.

(٩١) كمال مظهر أحمد، المصدر السابق ص٣٠.

(٩٢) R. K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran a Developing Nation in world affairs, Virginia- ١٩٦٦ pp. ٣٨-٣٩.

(٩٣) كمال مظهر أحد، المصدر السابق ص٣٠-٣١ بالاستفادة من وثائق وزارة الخارجية الروسية التسلسل الأول المجلد الأول ص٢٤-٢٦ الوثيقة رقم ٧ ص٧٢-٧٧ وكذلك الوثيقة رقم ١٧.

(٩٤) يقول الدكتور كمال مظهر أحمد في هذا الصدد، دب نشاط كبير من الاتصالات بين المسؤولين الروس وزعماء ارمينيا وقره باغ واذربيجان الذين تفاقم نفورهم من سياسة حكام إيران القصيرة النظر ففي مذكرة بعثها زعماء الأرمن أواخر سنة ١٨٠٢ إلى بطرسبورغ يطلبون صراحة حماية القصر الروسي وإرسال القوات لإنقاذ الأرمن الذين بقوا تحت سيطرة إيران الذين يهددهم خطر التهجير إلى المناطق النائية للبلاد. انظر دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص٣١ بالاستفادة من وثاق وزارة الخارجية الروسية المجلد الأول ص٣٦٧.

(٩٥) جهانكير مرزا ١٢٢٥- ٢٢٦٩ هجري هو الابن الثالث لولي عهد إيران عباس ميرزا سمل عينيه بتحريض من ميرزا أبي القاسم قائمقام الفراهاني في عهد أخيه محمد شاه كان أميرا مثقفا وله تأليفات من ضمنها تاريخ نو الذي يعد من الكتب المعتمدة في تاريخ الأسرة القاجارية.

(٩٦) يقول الدكتور كمال مظهر ان العديد من كبار المسؤولين في مناطق ما وراء القفقاس التي كانت إيران تدعي السيادة عليها قد تحولوا إلى أشبه ما يكونوا بحكام مستقلين عن طهران، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ص٣١.

(٩٧) تاريخ نو / بسعي واهتمام عباس اقبال تهران ١٣٢٧ ص٦٠.

(٩٨) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر ج٢ ص٤ ولمعلومات أوفر حول عباس ميرزا، انظر ناصر نجمي، إيران درياي طوفان باشرح زندكاني عباس ميرزا نائب السلطنة وجنكهاي إيران وروس تهران ١٣٣٦.

(٩٩) جهانكير ميرزا، تاريخ نو، مصدر سابق ص٧.

(١٠٠) على الرغم من الانتصارات الروسية فان الجيش الإيراني أبدى صمودا في ساحات الحرب وقد انتصر الجيش الإيراني في بعض المعارك ولاسيما بعد مقتل القائد الروسي سيسيانف قرب أسوار باكو من قبل ابن عم حاكم باكو حسين قلي خان انظر حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٧٧٨.

(١٠١) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر ج٢، ص٣١.

(١٠٢) يذكر ناصر الدين شاه قاجار في سفره إلى روسيا انه زار القائد الروسي باري نيوتسكي الذي كان حاكما على القفقاس والذي تمكن من قمع ثورة شامل واسره، انظر سفر نامه ناصر الدين شاه، جاب اصفهان ب. ت.، ص٣٣.

(١٠٣) زان كوره. خواجة تاجدار ج١، ص٣٥٩-٣٦١.

(١٠٤) يروي سلطان أحمد ميرزا بان زوجات والده فتح علي شاه اللاتي اشتهرن أو جاءت أسماؤهن في السجلات الرسمية القاجارية قاربن مئة وسبعين زوجة ويضيف بعض المؤرخين بان عدد زوجاته ومحضياته جاوزن ألفا وبلغ عدد أولاده خلال أربعين عاما من حكمه ٧٠٠ ابن وبنت وحفيد وحفيدة ومات أكثرهم في حياته. انظر تاريخ عضدي بتوضيحات وإضافات د. عبد الحسين نوائي، تهران ٢٥٣٥ ض ص١٦٧-٣١٥.

(١٠٥) أحمد ميرزا، تاريخ عضدي، المصدر السابق ص٤٧.

(١٠٦) جهانكير ميرزا، تاريخ نو، ص٧١-٧٢.

(١٠٧) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران ج١ از كلناباد تاتركمان جاي، تهران ١٣٤٢ ص١٩٢-١٩٣.

(١٠٨) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر، ج٢ ص٦.

(١٠٩) عباس ميرزا (١٧٨٨- ١٨٣٣) هو الابن الثالث لفتح علي شاه الذي اختاره وليا لعهده بين العشرات من أبنائه بسبب مقدرته وكفايته علما بأنه لم تكن في العهد القاجاري قوانين تنظم مسألة ولاية العهد بل كان ذلك يعتمد على رغبة الشاه في هذا الصدد. ويعد المؤرخون عباس ميرزا اعظم أمير قاجاري ونظرا لشجاعته وشخصيته القوية فقد عاداه إخوانه الآخرون ونخص بالذكر منهم محمد علي ميرزا المعروف بدولت شاه ومحمد قلي يرزا المعروف بملك ارا ومحمد ولي ميرزا وقد حاول هؤلاء حبك الدسائس ضده ومنعوا وصول الإمدادات اللازمة إليه في حربه مع الروس بهدف اندحاره أمام القوات الروسية وبهذه الصورة يهيئون الجو المناسب لخلعه من ولاية العهد. انظر سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر، ج٢ ص٥٠.

(١١٠) مينورسكي، تاريخ تبريز، ترجمة وتحشية عبد العلي كارنك، تبريز ١٣٣٧ ص٦٨.

(١١١) د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والعاصر، ص٦١.

(١١٢) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر، ج١ ص٧١-٧٢.

(١١٣) د. كمال مظهر احمد، المصدر السابق ص٦٥.

(١١٤) انظر بحث الدكتور محمد عبد الله العزاوي، الصراع البريطاني الروسي ١٨٠٤-١٨٣٩ المنشور في مجلة الخليج العربي العدد ٦ السنة ١٩٨٨ ص٦٠-٧١.

(١١٥) شاهين مكاريوس، تاريخ إيران، ص٢٣٨.

(١١٦) ولد غريبا يدوف في عام ١٢٠٩هـ- ١٧٩٥م في موسكو وقتل في طهران عام ١٢٤٤هـ- ١٨٢٩م.

(١١٧) د. كمال مظهر أحمد، المصدر السابق ص٨٠.

(١١٨) سعيد نفيسي: تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر، ج٢ ص١٩٥.

(١١٩) حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق، ص٨٠١.

(١٢٠) وقد تذرع ميرزا مسيح في فتواه على أساس ان الفتاتين الأرمنيتين شانهن شان الجواري الأخريات قد اعتنقن الإسلام ولا يجوز المساس بشريعة الله.

(١٢١) جهانكير ميرزا، المصدر السابق ص١١٩.

(١٢٢) د. كمال مظهر احمد، المصدر السابق ص٨١.

(١٢٣) حامد الكار، دين ودولت در إيران نقش علماء در دوره قاجار، ترجمة د. أبو القاسم سري تهران، بزنز ص١٤٠.

(١٢٤) تاريخ نو، المصدر السابق ص١٢١ وكذلـــك عبـد الله رازي، المصــدر الســابق ص٤٩١-٤٩٧.
(١٢٥) فريدون ادميت، أمير كبير وإيران تهران ١٣٤٨ ص٥٦.
(١٢٦) جهانكير ميرزا، تاريخ نو، س١٢٥.
(١٢٧) الفيلية عشيرة كردية تسكن إيران والعراق.
(١٢٨) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإســلامية فــي العصــر الحديــث ج١، ص٢٠٣.
(١٢٩) انظر بحث الدكتور حسن الجاف بعنوان نه خشي هوزي جاف له ساه يه ي جه نـد سه رو كيكيه وه له ميزووي كورددا كوفاري كوري زانباري عــيراق بــه شــي كوردي به ر كي ٢١-٢٢ به غدا ١٩٩٠.
(١٣٠) يقول عبد العزيز سليمان نوار، ان عشائر الجاف خلقت للدولة العثمانيـــة مشــاكل ومتاعب كثيرة اضطرتها إلى ان تخلع على محمد باشا الجاف رئيس عشائر الجـاف لقب الباشا غير ان هذا اللقب على ما يبدو لم يؤثر في محمد باشا الذي لـــم يكـن على استعداد للخضوع لأي من الدولتين العثمانية والإيرانية وما بناؤه قلعة حصينة ما زالت شاخصة حتى اليوم إلا دليل على روحه النزاعة إلى الحرية والاستقلال عن نفوذ الدولتين المذكورتين انظر تاريخ العراق من نهاية حكم داود باشا إلى نهايـــة حكم مدحت باشا القاهرة ١٩٦١ ص٧٠ وكذلك بحث الدكتور حسن الجاف، مصــدر سابق، المجلد ٢٥-٢٦.
(١٣١) تنص المادة الثامنة من هذه المعاهدة على الآتي وافقت الدولتان ان تقمع عســاكر الدولتين العشائر الرحالة الكردية التي تثير الاضطرابات والفوضى علـــى الحــدود المشتركة للدولتين وان تتمركز قوات الدولتين على المناطق الحدوديـــة للدولتيــن، انظر د. فريدون ادميت، أمير كبير وإيران، ص١٣٦.
(١٣٢) أصبح نجيب باشا في سنة ١٨٤٢م واليا على بغــداد واشــتهر بالشــدة والعنــف ولاسيما مع العشائر العربية والكردية وفي عهده وقعت مذبحة كربــلاء المعروفــة التي أصبحت عاملا لاشتداد النزاع والخصام بين الدولتين الإيرانية والعثمانية، انظر لو نكريك أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث.
(١٣٣) انظر بحث د. حسن الجاف بعنوان باتوزيك وردتر له روداوه ميزووينه كان بكولينه وه المنشور في مجلة روشنبيري نوي زماره ١١٦ كانون الأول ١٩٨٨.
(١٣٤) محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، مصدر سابق ص٩٤.

(١٣٥) كه ريم به كي فه تاح به كي جاف، ته نريخي جاف ليكو لينه وه ي دوكتور حه سه ن جاف بيشه كي محمد علي قه ره داغي، به غدا ١٩٩٥ ص٥٩.

(١٣٦) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق ص٣٣٤.

(١٣٧) أثناء الحرب الإيرانية الروسية كانت العلاقة بين الإيرانيين والعثمانيين طبيعية ولكن هذه الحال لم تدم طويلا فبعد عام ١٨١١ بعد دحر الروس الجيوش العثمانية بقيادة أحمد باشا قرب (نهر الدون) الأمر الذي أجبرهم على توقيع معاهدة بخارست في ١٨١١/٦/٢٧ وكان لإبرام هذه المعاهدة التأثير السلبي في العلاقات العثمانية الإيرانية حيث سارت هذه العلاقات نحو الفتور التدريجي وقد ازداد النفور بين الطرفين يوما بعد يوم انظر د. علي بينا: تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران ج٢ ص١٤٦ وكذلك دكتر محمد رضا نصيري، إسناد ومكاتبات قاجارية ج٢ تهران ١٣٦٨ هجري.

(١٣٨) محمد أمين زكي تاريخ السليمانية، ص١٤٢.

(١٣٩) المصدر نفسه ص١٤٠.

(١٤٠) عثمان بن سند الوائلي مطالع السعود، ص٣٣٦-٣٣٧.

(١٤١) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١ ص٢٦٢ وكذلك لو نكريك أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث، ص٢٩٤ وكذلك حسين ناظم بيك، تاريخ الإمارة البابانية ص٣١٦-٣١٧.

(١٤٢) محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية ص١٤٤ وكذلك جمال بابان، السليمانية من نواحيها المختلفة، ص٣٨٥.

(١٤٣) حسين ناظم بيك، تاريخ الإمارة البابانية ترجمة شكور مصطفى ومحمد ملا عبد الكريم ص٣١٧.

(١٤٤) جاء في مقدمة كتاب كلوديوس جيمس ريج ان دلود باشا هو الذي أرسل الشيخ موسى بن جعفر كاشف الغطاء كوسيط ليحقق الصلح بين الفريقين المتخاصمين انظر سفر نامه ريج ١٨٢٠، مصدر سابق ص٥.

(١٤٥) ذكر سعيد نفيسي بان محمد علي ميرزا توفي في مقر قيادة جيشه قرب طاق كسرى أثناء محاصرته بغداد ولم يعرف سبب موته المفاجئ والأرجح صحة هذه المعلومة التي أوردها المرحوم سعيد نفيسي، انظر تاريخ اجتماعي وسياسي إيران در دوره معاصر، ج١ ص٢٠٣.

(١٤٦) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ج١ ص٢٢٠.

(١٤٧) ميرزا محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ، ج١ ص٣٤٧.
(١٤٨) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق ص٧٩٧.
(١٤٩) محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ، ج١ ص٣٣٤.
(١٥٠) شاهين مكاريوس، المصدر السابق ص٢٩٣.
(١٥١) فريدون ادميت امير كبير وإيران ص٦٧ وكذلك عبد الله رازي، المصدر السابق ص٩٩.
(١٥٢) عبد الرزاق نجف قلي، المآثر السلطانية تهران ١٨٢٨ م ص٣٨٠.
(١٥٣) محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ ج١ ص٣٣٤.
(١٥٤) المصدر نفسه ج١ ص٣٤١.
(١٥٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١ ص٢٤٨.
(١٥٦) ميرزا محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ ج١ ص٣٤٣-٣٤٤.
(١٥٧) عبد الله رازي، المصدر السابق ص٥٠١.
(١٥٨) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق ص٨٠٠.
(١٥٩) دخل البلاط الإيراني في صراع عنيف بين منتسبيه حول انتخاب ولي عهد إيران فقد كان اصف الدولة وقائمقام الفراهاني وأمير نظام يسعون إلى انتخاب محمد ميرزا ولي عهدا لإيران أما ميرزا ابو الحسن خان أمين الدولة فقد كانوا مع انتخاب علي ميرزا ظل السلطان بن فتح علي شاه ولي عهد لإيران انظر البحث المنشور في مجلة برر سيهاي تاريخي شماره ٢ سال ٩ خرداد- تير ١٣٥٣هـ/١٩٧٠م ص٢١٥.
(١٦٠) يذكر محمود محمود: كانت إيران في ذلك العصر يشبه مزرعة يانعة تعرضت لها أو هاجمتها أسراب الجراد التي لم تبق شيئا فيها ولم تذر وكان هؤلاء العملاء يشبهون أسراب الجراد بذروا بذور الفساد والتبعية بين الإيرانيين وعلى الرغم من ظهور رجال وطنيين مخلصين في إيران في تلك المرحلة الزمنية لكن محاولاتهم الإصلاحية ذهبت أدراج الرياح لأنها باءت بالفشل الذريع في قطع جذور الفساد والعمالة في إيران انظر تاريخ روابط سياسي إيران وانكليس در فرن نوزدهم جاب دوم جلد دوم تهران ١٣٣٥ ص٨٨٨.
(١٦١) هو ميرزا أبو الحسن خان بن ميرزا محمد علي كان أبوه كاتبا في بلاط نادر شاه وقد غضب عليه نادر شاه وأودعه السجن وفي ليلة مقتل نادر شاه كان محمد علي ينتظر عقوبة الموت حرقا في صباح اليوم التالي وبعد مقتل نادر

شاه تخلص من سجنه والتحق بخدمة الحكومة الزندية وتقرب من الحاج إبراهيم الكلانتري ومن كريم خان الزندي وتزوج من أخت إبراهيم الكلانتري وكان ثمرة هذا الزواج ميرزا حسن خان وبعد نكسة عائلة الحاج إبراهيم الكلانتري في عهد فتح علي شاه القاجاري سافر ميرزا أبو الحسن خان إلى بريطانيا واصبح عضوا في المنظمات السرية الماسونية التي أسسها سركور اوزلي في إيران واصبح في ١٥ حزيران ١٨١٠ عضوا في "لثريون" الإنجليز الكبير واصبح بعد ذلك سفيرا لإيران في البلاط البريطاني انظر إسماعيل رائين حقوق بكيران انكليس در إيران "تهران" ١٣٤٧ ص٣١.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص١٧-٤٣.

(١٦٣) ميرزا محمد علي خان الشيرازاي هو ابن أخت أبو الحسن خان ايليجي عين عام ١٢٦٣هـ من قبل محمد شاه سفيرا لإيران في باريس وبقي هناك مدة ثمانية أشهر واقترن رجوعه إلى إيران مع وفاة محمد شاه وتبوء ناصر الدين شاه عرش إيران. وصادف رجوعه أيضا وفاة ميرزا مسعود كرمرودي وزير خارجية إيران وعينه أمير كبير رئيس وزراء إيران الذي تصدى لشؤون وزارة الخارجية وكيلا للوزارة المذكورة ولم يلبث طويلا في هذا المنصب حتى عين في رمضان سنة ١٢٦٧هـ وزير لخارجية إيران وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في عام ١٢٦٨، وبحسب الوثائق المنشورة للوزارة الخارجية البريطانية بان السفير البريطاني جورج م. مكدونالد في البلاط القاجاري كان يدفع لميرزا محمد علي خان خمسين تومانا راتبا سنويا وفضلا عن هذا الراتب الذي كان يتقاضاه من السفارة يدفع له مبالغ إضافية إزاء تقديمه معلومات مهمة إلى السفارة البريطانية في طهران من رصيد قسم المهمات السرية في السفارة المذكورة انظر إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس در إيران، ص٦٩-٧٠.

(١٦٤) عضد الدولة سلطان أحمد ميرزا، تاريخ عضدي، ص٢٥١-٢٥٣.

(١٦٥) فريدون ادميت، امير كبير وإيران، ص٢٤٣.

(١٦٦) مجلة بررسيهاي تاريخي شماره ٥ سال بنجم تهران ١٣٧١هـ.

(١٦٧) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس در إيران، ص١٣٤.

(١٦٨) حسن بيرنيا وعباس اقبال، مصدر سابق، ص٨٠١.

(١٦٩) أبو الفضل القاسمي، البيكارشي ياخاندانهاي حكومتكر إيران جاب دوم تهران ب. ت.، ص٢-٣ وجهانكير ميرزا، تاريخ نو، ص٢٣٢.

(١٧٠) محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ، ص٣٦.

(١٧١) حسن بيرنيا، وعباس اقبال، المصدر السابق، ص٨٠٩.

(١٧٢) تشبه علي شاه ظل السلطان بـ"علي قلي ميرزا المعروف بـ عادل شاه" ابن أخ نادر شاه في تصرفه السيئ بخزائن والده فتح علي شاه ببذخه وإسرافه وتبذيره كما فعل عادل شاه مع خزائن وأموال عمه نادر شاه.

(١٧٣) أراد محمد شاه قتل أو سمل عيون عمه ظل السلطان لكن شفاعة عمات محمد شاه وبنات فتح علي شاه وعباس ميرزا حال دون تنفيذ محمد شاه لقراره وعفا عنه وقيل بان القائمقام الفراهاني وافق على العفو عنه وقال لمحمد شاه ارحم ذليلا لم يبق له إلا شفاعة النساء ووساطتهن انظر مقال سروان محمود احمدي بعنوان يك طغري "هبة نامه" از علي شاه ظل السلطان المنشور في مجلة بررسيها ي تاريخي زماره ١ سال (١٣)، ١٩٧٨، ص١٨٠-١٨١.

(١٧٤) علي نقي ميرزا "ركن الدولة" الابن الثاني لفتح علي شاه الذي تولى في عهد والده حكم ولاية قزوين شارك في الحرب الروسية الإيرانية ودافع عن قلعة عباس اباد بمعية أخيه عباس ميرزا ولي العهد أمام قوات القائد الروسي باسكو فيج في الحرب الروسية الإيرانية وبعد وفاة عباس ميرزا ولي العهد حرض أخاه ظل السلطان علي شاه بالتمرد على محمد شاه وأعلن علي شاه نفسه شاها على إيران واستولى على مدينة طهران العاصمة وساند ركن الدولة أخاه إذ ذهب على رأس جيش إلى طهران لمساعدة أخيه وكتب الرسائل إلى جميع أمراء الأسرة القاجارية يطلب منهم تأييد ظل السلطان وعندما وصل محمد شاه وصدر أعظمه قائمقام الفراهاني قرب قزوين في طريقهما إلى فتح طهران أرسل ظل السلطان ركن الدولة علي نقي ميرزا للتفاوض مع ابن أخيه حول إقرار الصلح وتقسيم البلاد بينهما ولكن قائمقام أشار على محمد شاه بتوقيفه وتم توقيفه واخذ أسيرا إلى طهران وبعد ان استتب الأمر لمحمد شاه حثه قائمقام على إيداع الثائرين من أعمامه وإخوانه السجن فأودع علي نقي ميرزا وظل السلطان وبعض من الأسرة القاجارية الأمراء في سجن ادربيل وبقوا مسجونين هناك حتى عام ١٢٥٣هـ انظر محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ، مصدر سابق ص١٣٧.

(١٧٥) جهانكير ميرزا، تاريخ نو، مصدر سابق ص٢٦٠، وتذكر بعض المصادر بأنه حكم أربعين يوما انظر محمود رضا نصيري اسناد ومكاتبات تاريخي إيران قاجارية جلد دوم تهران ١٣٦٨ ص١٧٥.

(١٧٦) عباس اقبال، ميرزا تقي خان أمير كبير بكوشش ايرج افشار. تهران ١٣٤٠هـ، ص١٧٨-١٧٩.

(١٧٧) جهانكير ميرزا، تاريخ نو، ص٢٦ وقد ساءت أحوال علي شاه "ظل السلطان" المالية في غربته حتى اضطر تحت تأثير الضائقة المالية إلى طلب العون من أولياء أمور الدولة العثمانية والفرنسية فقد كتب رسائل إلى الصدر الأعظم العثماني رؤوف باشا ونجيب باشا والي بغداد ونابليون الثالث إمبراطور فرنسا يحثهم في رسائله مساعدته ماديا أو معنويا لكي يتمكن من انتزاع عرش إيران من غاصبي عرشه انظر دكتور محمد رضا نصيري، إسناد ومكاتبات تاريخي قاجارية جلد دوم ص١٧٠، ص١٧٤، ص٢٠٩ وكذلك انظر مقال علاء الدين آذري بعنوان علي شاه ظل السلطان ونابليون سوم المنشور في مجلة بررسهاي تاريخي العدد ٤ سال ١٢ سنة ١٩٧٧ ص١٥٣.

(١٧٨) أحمد ميرزا، تاريخ عضدي، مصدر سابق ص٢٦٤.

(١٧٩) يعتقد جهانكير ميرزا بان جميع الكوارث والبلايا التي أحاقت بأمراء الأسرة القاجارية المالكة كانت من دسائس قائمقام الفراهاني وهو الذي ألب محمد شاه عليهم وأقنعه بان جهانكير ميرزا كان ينوي قتل القائمقام بمسدس يخفيه وإذ لم يتمكن من قتل القائمقام يبادر إلى قتل الشاه. انظر تاريخ نو. مصدر سابق ص٢١٦.

(١٨٠) كان أبو القاسم قائمقام الفراهاني بعلمه وكماله وإحاطته بالعلوم المختلفة فريد زمانه ولأجل ذلك لم يكن على وفاق مع رجال الدين الكبار في عهده أمثال أمام جمعة طهران وكذلك مع اكثر الكتاب والمثقفين في عصره.

(١٨١) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس در إيران، مصدر سابق ص٥٨-٥٩.

(١٨٢) حسن بيرنيا، وعباس اقبال، المصدر السابق ص٨١٠ وكذلك مجلة بررسيهاي، تاريخي شماره ٤ سال ١٢ نوفمبر ١٩٧٧ ص١٤٧.

(١٨٣) أحمد ميرزا، عضد الدولة، تاريخ عضدي، ص٢٦٤ وكذلك حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق ص٨٠٤.

(١٨٤) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس درإيران، ص٦٧.

(١٨٥) انظر مقال د. محمد إسماعيل رضواني: نامه هاني از قائممقام المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شماره ٤ سال جهارم ١٩٦٩.

(١٨٦) محمد جعفر خورموجي، المصدر السابق ص٢٦.

(١٨٧) عبد الله رازي، المصدر السابق ص٥٠٥.

(١٨٨) توفي عباس ميرزا بمرض الكلية المزمن في مدينة مشهد ولم يتجاوز عمره عند وفاته ٤٧ عاما. انظر: عبد العظيم رضاني جلد جهارم مصدر سابق ص٩٨ وكذلك مجلة بررسيهاي تاريخي شماره ٢ سال ٩ خرداد تير ١٣٥٣ تموز ١٩٧٤ ص٢١٤.

(١٨٩) مرتضى راوندي، تاريخ اجتماعي إيران، ص٥٠١.

(١٩٠) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٨٠٦.

(١٩١) كان إعلان الحرب من قبل الإنجليز مخالفة صريحة للمعاهدة المعقودة بين إيران والإنجليز في عهد فتح علي شاه التي تنص على تعهد الإنجليز بعدم التدخل في القضايا والاختلافات الأفغانية الإيرانية انظر حبيب الله شاملوئي، مصدر سابق ص٨٠٧.

(١٩٢) محمد جعفر خورموجي، المصدر السابق ص٢٧.

(١٩٣) حبيب الله شاملوئي، المصدر السابق ص٨٠٧.

(١٩٤) مرتضى راوندي جـ٢ مصدر سابق ص٥٠١-٥٠٢.

الفصل الخامس

الحركات السياسية والدينية في عهد محمد شاه

ظهرت حركات سياسية ومذهبية كثيرة في عهد محمد شاه. نذكر منها حركة حسن علي شاه المعروف[١] بـ(اغا خان محلاتي). رئيس الطائفة الإسماعيلية المعروفة بخدماته الكثيرة للأسرة القاجارية. فقد زوجه فتح علي شاه ابنته سروجهان خانم[٢] وفوضه حكومة قم ومحلات وفي عهد محمد شاه أصبح حاكما على محلات وكرمان سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، وتمكن في هذه المنطقة من ان يجمع حوله اتباعا ومريدين كثيرين. وقد استغل فرصة حملة محمد شاه على افغانستان فثار على السلطة المركزية بتحريض من البريطانيين، وكان مستاء كذلك من سوء إدارة (حاجي ميرزا اقاسي) الصدر الأعظم لمحمد شاه[٣] وعلى الرغم من المساعدات المادية والعسكرية للبريطانيين له اندحر "اغا خان" أمام القوات القاجارية بقيادة حاكم كرمان فضل علي خان القراباغي مرتين[٤] واضطر إلى الهرب عن طريق صحراء لوط إلى قندهار سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م بغية الاحتماء بالإدارة الإنجليزية في افغانستان وبعد ترك قندهار متجها إلى الهند استقر هناك تحت حماية الحكومة البريطانية وقد طالبت الحكومة الإيرانية بموجب معاهدة (١٢٢٩- ١٨١٤) استرداده إلى إيران ولكن الحكومة البريطانية امتنعت عن تسليمه بحجة خدماته الكثيرة لها[٥] وبهذه الصورة قمعت حركة اغا خان محلاتي في ايران التي استمرت أربعة عشر شهرا. خلف اغا خان محلاتي في رئاسة الطائفة الإسماعيلية ابنه علي شاه الذي اشتهر بلقب اغا خان الثاني. وقد كان يدعى علي خان أو سلطان علي شاه. توفي علي شاد عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، وخلفه ابنه محمد شاد الذي عرف باغا خان الثالث. وقد اشتهر بثروته الطائلة، وقد منحه البريطانيون لقب (سر). توفي اغا خان الثالث عام (١٣٧٦هـ/١٩٧٥م). وبعد مماته آلت رئاسة الطائفة الإسماعيلية إلى حفيده الأمير صدر الدين[٦] الذي ما زال حيا يرزق إلى يومنا هذا.

الحركات البابية والبهائية

في عهد محمد شاه حدثت آخر الحركات الدينية المثيرة التي ظهرت في إيران وقد بدأ الدعوة إليها ميرزا علي محمد بن سيد رضا الشيرازي المولود في شيراز عام ١٢٢٥هـ‍م١٨١٩م[٧] ولأجل الوقوف على العقائد البابية لابد من الإشارة إلى الطائفة الشيخية نسبة إلى الشيخ أحمد الاحسائي[٨] فقد كان من أهل الاحساء، ولد في رجب ١١٦٦هـ/١٧٥٣م في قرية المطيرف في الاحساء وتوفي سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م في منطقة هدية قرب المدينة المنورة أثناء ذهابه إلى الحج وبعد بلوغه سن الرشد هاجر إلى كربلاء لطلب العلم ولاستكمال معلوماته تجول في أنحاء إيران ثم استقر أخيرا في كربلاء وقد تميز الشيخ أحمد الاحسائي ببعض الآراء الغريبة والعقائد الخاصة به ففي مسألة المعراج اعتقد بان معراج الرسول كان روحانيا لا جسمانيا[٩] وقد غالى في الرسول (ص) والأئمة الاثني عشر غلوا كبيرا وكان من القائلين بالحقيقة المحمدية بأنها مخلوقة من نور الله وهذا النور عقل واحد يظهر في محمد ثم يظهر في علي ثم في الحسن والحسين ويذكر ان محمدا علم عليا علمه وبدوره علم علي النبي علمه وكان يدعي بأنه يرى في منامه الأئمة ومنهم الحسن بن علي بن أبي طالب (رض) وانهم أرشدوه على طريقة تمكنه بواسطتها الاتصال بهم روحياً وانه رأى النبي في منامه وطلب منه أن يسقيه من ريقه فوضع فمه على فمه ومج عليه من ريقه، ومن آرائه الأخرى انه قبل من أصول الدين الخمسة ثلاثة منها هي التوحيد والنبوة والإمامة وأنكر العدل والمعاد[١٠] نتيجة لإظهاره هذه الآراء الغريبة دب الانقسام بين الشيعة فخاصمه فريق وأيده فريق وظهر الصراع بين أتباعه وخصومه في بعض المدن الإيرانية إلى حد الاقتتال وسفك الدماء[١١].

كان الشيخ أحمد الاحسائي يؤكد دائما في دروسه وكتاباته على ظهور الإمام المهدي الغائب وانه هو صاحب الزمان الذي ان لم يعرفه أحد مات كافراً وكان في أثناء رحلته في إيران يبشر بظهور الإمام الغائب بمناسبة انقضاء ألف سنة على غيبته ويطلب من الناس أن يكونوا على أهبة الاستعداد لنصرته أن آراء الشيخية ومعتقداتهم أثارت ردود أفعال قوية ضدها وكانت بيئة النجف وكربلاء أولى البيئات التي تحسست غرابة أفكار هذه المجموعة لاسيما حينما أخذت تلمح إلى وجود المهدي وأنه حي يرزق وكان الاحسائي يقول فلينظر الناس حولهم إذ أن المهدي

حولهم[١٢] وكان يؤكد لهم أن الإمام الغائب حين يظهر سوف يبدل الكثير من العقائد والتعاليم الموجودة وأن ذلك سيرتعب منه نقباء الأرض لعدم قدرتهم على تحمله[١٣].

لقد بذر الاحساني بذرة دعوته في البصرة أولا ثم في كربلاء وكان السيد كاظم الرشتي مقربا له فأوصى أن يكون الرشتي خليفة من بعده[١٤] ثم أوصى الاحساني خليفته بأن يكون يقضا يترقب ظهور الإمام الغائب ويمهد أذهان الناس وقال له: "فالحق أقول لك أن الساعة قريبة تلك التي طلبت من الله أن ينجني من مشاهدتها لأن زلزلة الساعة شيء عظيم"[١٥] كان السيد كاظم الرشتي قد أتخذ كربلاء مقرا له وقد أنقسم أهل كربلاء في عهده إلى فريقين فريق تابعوه وكانوا يسمون بـ (يشت سري) وهي تركيب لغوي فارسي يعني خلف الرأس لأنهم يصلون خلف رأس الحسين أما خصومهم فكانوا يسمون بـ (بالأسرى) أي فوق الرأس الحسين لقد قام السيد كاظم الرشتي بتنفيذ ما أوصاه به أستاذه وأخذ بالتبشير بقرب ظهور الإمام الغائب وقد مات الرشتي عام ١٨٤٣م ويروى عنه أنه لم يوص بالخلافة إلى أحد من بعده وطلب من أتباعه أن يتفرقوا في البلاد للبحث عن الموعود الذي حان ظهوره لقد أنقسم الشيخيون بعد وفاة الرشتي على خمس فرق فرقة تبعت (ميرزا حسن كوهر) وعرفوا بالكوهرية وهم يدعون بأنهم أتباع الشيخ أحمد الاحسائي والفرقة الثانية هم أتباع الحاج محمد كريم بن إبراهيم خان الكرماني وسموا بالركنية والشفيعية وهم أتباع طاهر الشفيع الحكاك الأصفهاني الذي قتل باستانبول والقرتية وهم أتباع زرين تاج التي لقبها كاظم الرشتي بقرة العين والبابية وهم أتباع علي محمد رضا الشيرازي الملقب بالباب. وكان على رأس الفرقة الأخيرة رجل من الملازمين لكاظم الرشتي والمتعلقين به، وهو الملا حسين البشروئي. استطاع الملا حسين البشروئي بعد جهد جهيد أن يعثر على الموعود في شاب من أهل شيراز هو السيد علي محمد[١٦] الذي لقب بـ (الباب)، ومنه انبثقت الدعوة البابية، ثم البهائية.

وأمضى هذا الرجل شبابه في الدراسات الدينية. فقد سافر سنة ١٨٤٠م إلى كربلاء، فحضر بعض دروس السيد كاظم الرشتي، وقيل ان الرشتي اهتم به كثيرا وعطف عليه[١٧]. يكاد المؤرخون يجمعون على ان السيد محمد كان ذا شخصية غير عادية إذ كان يميل إلى العزلة والخشوع والرياضة الذهنية الشاقة، وهي رياضة تقود المرء إلى مجال الاستغراق الفسيح. وفي كربلاء استمع إلى حديث كاظم الرشتي عن قرب ظهور المهدي كما استمع إلى اوصافه، واعتقد علي محمد انه هو صاحب

الزمان الذي طال انتظاره من قبل منتظريه. وعندما التقى الملا حسين البشروني بعلي محمد في شيراز[١٨] عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤ أعلن الباب دعوته. وادعى بأنه الباب للإمام الغائب ونائب عنه، وكما لا يجوز دخول البيوت إلا من أبوابها فهو ذلك الباب إلى الإمام الغائب. فترك اسمه الأصلي وسمى نفسه بالباب، وهذا هو سبب تسميته بالباب وتسمية اتباعه بالبابية[١٩]. وقال: ان الباب ليس إلا الواسطة بين حجة الله الموعود وبين الناس وانه المخبر بظهور المهدي، وليس المهدي نفسه. وانه هو الموصل إلى جنة الإيمان وانه هادي العباد إلى العقيدة الحقة وهو الباب بين دنيا المادة ودنيا الروح وزعم في بداية حركته بأنه استهدف إصلاح الدين الإسلامي عن طريق تصحيح العقائد النظرية والتطورات الروحانية المتعلقة بوجود الله[٢٠] وكانت عقائد الشيخية- والكشفية أساسا للحركة البابية ولا سيما فكرة ظهور المهدي المنتظر.

بعد موت الرشتي. بدأ الباب دعوته سرا وقد ادعى انه يوحي بكلمات ومعجزات، وخرج على الناس بكتاب اسمه البيان، وكان أسلوبه ركيك العبارات ومعانيه ضحلة. وحين احتج عليه الفقهاء بان صحيفة البيان كثيرة الأخطاء كان جوابه انه لم يتعلم في المدارس وان الذي يكتبه إنما هو الهام غيبي فلينظروا إلى المعاني ويتركوا المباني وليأخذوا اللب ويرموا بالقشور[٢١] والسؤال الذي قد تبادر إلى الذهن هو كيف حظيت دعوة كهذه بالقبول لدى عدد ليس بالقليل من الإيرانيين ومن شيعة العراق؟؟ الواقع ان الجو كان مشحوناً بالأوساط الشيعية بان المهدي على وشك الظهور، وكان الرأي العام مستعدا لقبول الفكرة بسبب الدعايات التي بثها الشيخية والكشفية[٢٢] وكانت الظروف العامة للمسلمين تدعو الناس إلى نقد أوضاعهم المتخلفة لاسيما في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) نتيجة للاحتكاك بالدول الأوربية وإدراكهم للفوارق بين مسلمي الشرق ومسيحي الغرب، وان الوصول بالركب يتطلب إعادة النظر في أساليب الحياة وإدارة أمور الدولة وحتى أساليب العبادة. وهذه الأوضاع تضع إمكانات هائلة تحت تصرف أي داعية للإصلاح، وهذا هو السر في إقبال عدد ليس بالقليل من الإيرانيين ومن شيعة العراق على الباب.

اشتهر من أعوان ميرزا علي الشيرازي ثمانية عشر شخصا المعروفين بحروف الحي[٢٣] أرسلهم ميرزا علي محمد الشيرازي يبرون بدعوته في أنحاء

إيران والعراق. ونذكر منهم ملا علي البسطامي، وملا حسين البشروني المعروف بباب الباب، والسيدة زرين تاج الملقبة بقرة العين التي اشتهرت بعلمها ونشاطها وجمالها الفتان[٢٤] ودعوتها الجدية إلى تحديث الشريعة الإسلامية والى تبديل بعض تعاليمها وشعائرها ومحمد علي البار فروشي الملقب بالقدوس. ملا حسين البجستاني. ملا خدا بخش القوجاني المعروف بملا علي الرازي. حسين اليزدي. محمد باقر الصغير. محمد روضخان اليزدي. سعيد الهندي. ملا محمد الخوئي. ملا خليل الرومي، ملا باقر التبريزي، ملا يوسف الاردبيلي، هادي القزويني، محمد علي القزويني، ملا أحمد ابدال ومحمد حسن. وأوعز الباب لحروفه المذكورين من أجل نشر دعوته بالتوجه إلى أنحاء إيران والعراق فتوجه البشروي إلى اصفهان وكاشان فخراسان للقيام بواجب الدعوة[٢٥] وتوجه ملا علي البسطامي إلى العراق ويعد أول ناشر للحركة البابية فيه فبعد عودته من شيراز اتجه نحو كربلاء والنجف وكان لما أبداه البسطامي من النشاط العجيب في نشر الأمر وإذاعة النداء ان احدث الاختلاف والانقسام بين علماء العراق فمنهم من صدق الخبر ومنهم من أنكر وأدبر[٢٦].

ومهما يكن من أمر فان اكثر علماء الشيعة والسنة قاموا بتكفير تلك الفرقة فكتبوا بذلك محضرا إلى الدولة العثمانية وبأمر من الباب العالي نفى البسطامي إلى الاناضول ومات هناك، أما الدعوة في إيران فكانت أوسع منها في العراق بحكم ان الباب كان يعيش هناك وان دعاته كثيرون وانتشرت الدعوة البابية في عهد محمد شاه وخلفه ناصر الدين شاه انتشاراً واسعاً الأمر الذي أرعب الحكومة الإيرانية بعد ان استفحلت أمر دعوتهم وقررت الدولة إنهاءها بأسرع وقت ممكن وقد ألقى والي شيراز حسين خان المعروف بصاحب الاختيار القبض على علي محمد الباب وأمر بضربه ضرباً مبرحاً بعد فشله في جلسة مناظرة علمية مع الفقهاء ورجال الدين المعروفين في زمانه وقد انقسم هؤلاء إلى فريقين حول تحديد مصيره فمنهم من أفتى بقتله لكفره وزندقته ومنهم من قال باختلال عقله وضحالة أفكاره[٢٧] ولكن حاكم اصفهان منوجهر خان الكرجي القوقاسي الملقب بمعتمد الدولة انحاز إلى علي محمد الباب وتمكن من إنقاذه من السجن وحظي لديه على مركز مرموق ومنزلة رفيعة[٢٨] مما زاد عدد اتباعه وأنصاره واصبح لهم تأثيرٌ بالغٌ على الأحداث في إيران واخذوا يشكلون خطرا على المؤسسة الدينية في إيران ولما تفاقم الأمر وأوجس حدوث ثورات بعد ان قام العلماء بتكفيره لجأ "معتمد الدولة" إلى وسيلة

ليسكن بها الهياج العام وهي انه أذاع خبرا بان أمرا شاهانيا ورد عليه من طـــهران يتضمن استدعاء حضرة الباب إلى العاصمة[٢٩] وقد تحرج موقف علي محمد البـــاب بعد وفاة منوجهر خان عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م وأمر محمد شاد بسجنه فـــي قلعـــة "جهريق" باذربيجان[٣٠] ولكن اتباعه وأنصاره بدأوا يثيرون القلاقل والاضطرابات فـــي جميع أنحاء إيران وهو ما حدا بناصر الدين شاه في عهد رئيس وزرانه (أمير كبـــير) الأمر بإعدامه [٣١] في تبريز عام ١٢٦٦ هـ/ ١٨٥٠م.

أثار مقتله حنق بعض اتباعه[٣٢] فصمموا على اغتيال ناصر الدين شـــاد أخـــذا بثأره وفي ٥ آب سنة ١٨٥٢ بينما كان الشاه يتنزد خارج قصره عند ســـفح جبـــل شمران تقدم نحوه رجلان وبيد أحدهما عريضة وهما يصرخان الظليمة الغوث الغـــوث فلما مد الشاه يده لتسلم العريضة عاجله الثاني بطلق ناري أصاب فخذه إصابة خفيفة وسرعان ما تداركه الحرس فقتلوا أحد الرجلين وامسكوا بالثـــاني جريحـــا وكـــانت محاولة الاغتيال[٣٣] هذه إيذاناً ببدء حملة واسعة النطاق في أنحاء إيران للبحث عـــن البابيين وقتلهم وقد قتل نحو ٤٠٠٠٠ من اتباع البابيين ومن قيادتهم الكثير الكثـــير نذكر من أشهرهم السيدة قرة العين زرين تاج[٣٤] إحدى أقطاب الفرقة البابيـــة التـــي قتلت خنقاً[٣٥] وقد ذهب الكثيرون من الأبرياء ضحايا من جراء اتهام الخصـــوم لـــهم بأنهم من اتباع البابية وأصبحت هذه التهمة وسيلة غير شريفة بيـــد الحكـــام لقمـــع جميع الحركات الفكرية التحررية في عهدهم[٣٦] ومن أهم تمرداتهم هـــي محاولتـــهم سنة ١٨٥٠ للاستيلاء علي مدينة يزد ولكنهم فشلوا في محاولاتهم هـــذه ورجعـــوا مدحورين إلى مدينة كرمان ومن أعمالهم انهم دبروا مؤامرة لقتل أمير نظـــام ولكـــن مؤامرتهم انكشفت للسلطات الحكومية وقتل جميع مدبري تلك المؤامرة ومـــن أهـــم الحركات والتمردات التي قاموا بها هي فتنة زنجان بقيادة ملا محمـــد علـــي الـــذي اعتنق "مذهب البابية" وتمكن بمساعدة أنصاره ومؤيديه من الاستيلاء علـــى مدينـــة زنجان المعروفة وأرسلت الحكومة المركزية جيشاً لمقاتلتهم فحاصروا المدينة مـــدة شهور الصيف بكاملها وأسفر الهجوم عن جرح قائد الحركة ملا محمد علي وسيطرة الجيش على المدينة وقتل جميع البابيين نســـاء وأطفـــالاً ورجـــالاً بـــأيدي القـــوات الحكومية[٣٧].

ومن حركاتهم الأخرى تمردهم في مازندران وتحصنهم في قلعة طبرس بقيـــادة الملا حسين البشروني الملقب بـ (باب الباب) الـــذي قتـــل أمـــام هجمـــات القـــوات

الحكومية في التاسع من ربيع الأول ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م[٣٨] وأسفر الحصار عن استسلام المحاصرين الذين كانوا بقيادة الحاج محمد علي القدوس بعد مقتل الملا حسين البشروئي وأسفر الحصار عن استسلام المحاصرين لنفاذ ذخيرتهم وأبيدوا جميعا فضربت أعناق بعضهم وقتل البعض الآخر بالرصاص أما القدوس فقد قتل ابشع قتل وتقدر الحكومة قتلى البابيين في هذه الحوادث بألفين وخمسمئة وقتلى الاهلين والعسكريين بخمسمئة[٣٩].

وبعد اعدام الباب تفرق البابيون إلى أربع فرق رئيسة وهذه الفرق الأربع هي:

١. الفرقة الأولى اتبعت يحيى النوري الملقب (صبح ازل) واعترفوا بزعامته حيث قالوا انه الوصي الحقيقي والخليفة الأصلي للشيرازي حيث نصبه على ذلك المنصب في حياته وكتب بذلك ورقة الوصية بخطه وختمها بختمه ووقع عليها بتوقيعه[٤٠].
٢. الفرقة الثانية اتبعت أناسا مختلفين من البابيين الذين ادعوا النبوة والرسالة وكان من هؤلاء المرزا أسد الله التبريزي والمرزا حسين جان والمرزا عبد الله الفوغاء والسيد حسين الهندباني والذبيح والبعيد.
٣. الفرقة الثالثة: هم اتباع مستقلون وعرفوا بالبابيين الخلص وفرقة كل شيء[٤١] الذين لم يعترفوا بأحد وإنما بقوا منعزلين عن كل هذه الاختلافات.
٤. الفرقة الرابعة اتبعت حسين علي النوري المازندراني[٤٢] الملقب (بهاء الله) الأخ الأكبر ليحيى "صبح ازل" ويذكر البهائيون ان الباب أوصى إلى ميرزا حسين علي النوري في الباطن وعهد إلى أخيه غير الشقيق في الظاهر حتى لا يلحق مرزا حسين اذى تفرق البابيون بعد مقتل الباب ولجأ حسين علي النوري إلى العراق بعد اتهامه بمؤامرة اغتيال الشاه[٤٣] وكان وصوله الى بغداد في سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م أخذ يعد إذعان البابيين في العراق لفكرة إعلان نفسه المهدي الجديد. فخلال السنوات التي قضاها حسين علي النوري واتباعه من البابيين في العراق كانوا يقومون بدعايات نشطة لمذهبهم سواء في العراق أم في إيران واشتدت مخاوف حكومة ناصر الدين شاه من هذا النشاط المريب الذي اتخذ في العراق قاعدة له وزاد هلع الشاه من هذا النشاط عندما وثق البابيون صلاتهم بعدد من أفراد الأسرة المالكة القاجارية المعارضة للسلطة الحاكمة في إيران فخلال القرن التاسع عشر الميلادي كان الصراع على العرش الإيراني على

اشدد بين أفراد الأسرة المالكة القاجارية وكان العراق ملاذا آمنا لكل من يفشل في محاولته لارتقاء عرش إيران ومن العراق كان هؤلاء الأمراء الفارين يدبرون المؤامرات ضد ناصر الدين شاد الأمر الذي كان يثير أزمات حادة سياسية بين الدولتين الإيرانية والعثمانية(٤٤).

وبعد ان استقر حسين علي النوري ومن تبعه من البابيين في العراق دخل يحيى النوري الملقب بـ "صبح ازل" إلى العراق وكان أكثرية البابيين يعتقدون بان يحيى النوري خليفة علي محمد الشيرازي الملقب بالباب وبدأت الخلافات تظهر بين اتباع حسين النوري ويحيى النوري وضغط اتباع يحيى النوري على حسين علي النوري واضطروه إلى ان يخرج من بغداد فغادر بغداد خفية وسافر إلى كردستان بمفرده في زي الدراويش متخذا له اسما مستعارا هو "محمد"(٤٥) واعتكف في مغارة جبل "سركلو" الواقعة قرب قرية "شدد له" في محافظة السليمانية(٤٦) وكانت حياته في ملجئه الجديد غاية في المشقة والجوع واخذ يتردد في بعض الأحيان إلى مدينة السليمانية ونزل اخيرا في التكية الخالدية المسماة نسبة إلى خالد النقشبندي وفي هذه المدة كتب كتابه (الايقان) وضمنه تعابيره الفلسفية والصوفية إلا ان فكرة سيادته على البابيين ظلت عالقة في ذهنه حيث كان راسلهم وهو في جبل سوكلو(٤٧) وبقي على هذه الحال مدة سنتين من ١٠/٤/١٨٥٤ لغاية ١٩/٣/١٨٥٦ إلى ان اهتدى أفراد أسرته إلى مكانه فأرسلَ الشيخ سلطان الكربلاني صهر أخيه حاملا رسالة من يحيى النوري "صبح ازل" يدعود للعودة إلى بغداد فامتثل لأمر أخيه كونه زعيم البابية وكان حسين علي النوري معترفا بهذه الزعامة كما اثبت ذلك في كتابه "الايقان" الذي ذكر فيه وأخيراً صبرنا إلى ان صدر حكم الرجوع من مصدر الأمر ولابد من التسليم له(٤٨).

عند رجوعه إلى بغداد وجد الأمور فيها لا تسره وان البابيين منشقون على أنفسهم وقد لعبت يد التفريق والتشتيت بجموعهم وتبدلت أخلاقهم وتغيرت أطوارهم واصبحوا غاية في الذلة والانحطاط(٤٩) أدرك حسين علي النوري ان بقاء البابية على حالها سيعرضها إلى الفناء فأدار دفتها نحو وجهة جديدة فخلط الفلسفات الباطنية القديمة مع النظرية الصوفية في الحلول والاتحاد والفناء وأفكار رائجة في ذلك الوقت في أوربا ولاسيما الأفكار الماسونية وصاغ منها دينا عاما دوليا لا يعترف بطقوس خاصة ولا بنظام للكهنوت وعلى الرغم من معارضة أخيه "صبح ازل"

لحركته إلا ان كفة حسين علي النوري المعروف ببهاء الله أصبحت هي الراجحة وقد احتدم الخلاف بين الأخوين مما حدا بالحكومة العثمانية إلى ان تبعدهما إلى استانبول ووصلا إليها في تاريخ ١٨٦٣/٩/١٦ واستمر الخلاف بين الأخوين فأبعدتها الحكومة العثمانية إلى ادرنة واخذ كل واحد منهم يدس السم لأخيه(٥٠).

قال البهاء عن أخيه انه نقطة الكفر وحرض على قطع الرواتب عن أخيه واتباعه التي كانت مقررة لهم من الحكومة العثمانية(٥١) واستمر الخلاف بينهما ونتيجة لذلك قررت الحكومة العثمانية نفي كل واحد منهما إلى جهة بعد ان جرى الاتفاق مع السفارة الإيرانية وبهذا انقسمت البابية إلى فرقتين متخاصمتين هما البهائية والازلية(٥٢) وتوجه "صبح الازل" مع عائلته إلى افاماكوستا ما أو كما تسمى فما غوستا في جزيرة قبرص وأرسل معه أربعة من اتباع أخيه حسين علي النوري وثلاثين من اتباعه وقد وصلوا إليها في ٢٦/تموز/١٨٦٨(٥٣) وكان من بين اتباع يحيى النوري كبار البابيين وبقية حروف الحي مثل الملا محمد التراخي والملا رجب علي القاهر ومحمد الاصفهاني وجواد الكربلائي واحمد الكاتب ومتولي باشي القمي وغيرهم(٥٤) وفي قبرص خصصت الحكومة البريطانية ليحيى "صبح الازل" راتبا مكفيا ولعل الإنجليز كانوا يتابعون الحركة البابية لغرض الإفادة منها لأغراضهم السياسية.
أما حسين علي النوري الملقب ببهاء الله فنفي إلى عكا ومعه ٦٨ شخصا من اتباعه وأربعة أشخاص من اتباع أخيه يحيى وصل البهاء واتباعه إلى عكا في ٣٠ آب ١٨٦٨ وعندما شعر البهاء بان بعض من اتباع أخيه الموجودين معه في المنفى يحولون دون ترويج طريقته أمر اتباعه بقتلهم وعلى اثر ذلك قبض على حسن علي النوري واتباعه وكبلوا بالأغلال ومكث بهاء الله في السجن ٣٨ ساعة على حد قولهم أو أربعة اشهر على قول غيرهم(٥٥) وبعد ان قضى البهاء مدة ٢٤ سنة في منفاه عكا توفي ودفن هناك في ٢٨ ايار(٥٦) أو في ٢٧ ايسار ١٨٩٢ على رواية أخرى(٥٧) وترسخت الدعوة البهائية في عهد ابنه عباس أفندي المعروف بـ (عبد البهاء) وظهر خلاف حاد بينه وبين أخيه محمد علي، على زعامة الفرقة البهائية وانقسمت الفرقة البهائية على أثرها إلى فريقين:

١. فرقة تبعت عباس أفندي وسميت العباسية.
٢. فرقة تبعت محمد علي وسميت "الموحدون".

ولكن على الرغم من هذا الخلاف فقد كان لعباس أفندي دور كبير في انتشار البهائية لا سيما في أمريكا بعد ان أعلن عبد البهاء بان الجميع يمكنهم ان يكونوا بهائيين فانك يمكنك ان تكون بهائيا مسلماً وبهائياً ماسونياً وبهائيا مسيحيا وبهائيا يهودياً[٥٨] وأنشئ محفل كبير للبهائية في ولمت Wilmette في ولاية اللينوي الأمريكية[٥٩] لقد كانت علاقة عبد البهاء قوية مع البريطانيين ولاسيما بعد دخولهم حيفا في ١٩١٨/٩/٢٣ وتضامن معهم مما جعل الإنجليز يقلدونه ارفع وسام إنجليزي ويعطونه لقب سير "فارس الإمبراطورية البريطانية" ومن طروحاته دعوته بعدم جواز القتال ضد اليهود. لأن فلسطين جميعها ستصبح وطنهم لا محالة[٦٠] توفى عبد البهاء في ٢٨/ تشرين الثاني/ ١٩٢١ وأوصى حفيده شوقي أفندي (١٨٩٧-١٩٥٧) بأمر الحركة وبعد وفاة جده عبد البهاء اصبح يلقب بولي أمر الله[٦١] وأخذ شوقي أفندي يتابع شؤون الحركة البهائية في العالم ومنها الدار البهائية في العراق التي كان يسكنها حسين علي النوري وبعد وفاة شوقي أفندي لم يخلف ولدا ولا بنتا وآل أمر البهائية إلى مجلس من تسعة أعضاء انتخبوا لتولي إدارة شؤونهم مع زوجته الأمريكية "روحية ماكسويل" وقد انتشرت الحركة البهائية بشكل محدد في الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وإيران والعراق وفلسطين.

تمرد حسن خان (سالار) بن اللهيار خان اصف الدولة في خراسان:

كان اللهيار خان (اصف الدولة)[٦٢] بن محمد خان قاجار دولو الذي تولى مدة الصدارة العظمى لإيران في عهد فتح علي شاه والياً على خراسان في عهد محمد شاه فتنازل عن حكم الولاية لابنه حسن خان الملقب "سالار" عام ١٢٦٢هـ/ ١٨٥٤م بحجة المرض والشيخوخة وتزامن مع ولاية سالار لخراسان هجوم القبائل التركمانية على الحدود الشمالية لخراسان وعهد محمد شاه مسؤولية التصدي لهذه القبائل المغيرة إلى أحد الحكام المحليين المدعو محمد حسين خان نرديني وتمكن المومى إليه من الغلبة على التركمان وقهرهم وعلى اثر هذا الانتصار الباهر حظ محمد حسين خان برعاية خاصة من لدن محمد شاه والصدر الأعظم حاجي ميرزا اغاسي[٦٣] وقد ثارت هذه الحظوة والاهتمام الذي ناله محمد حسين خان حفيظة اللهيار خان اصف الدولة وابنه حسن خان (سالار) وقررا التخلص من محمد حسين خان ومنافسته إلى الأبد فدبرا أمر اغتياله وقد اغتيل فعلا[٦٤] الأمر الذي أغضب

محمد شاه غضبا شديداً فأمر اللهيار خان اصف الدولة بتسليم قتلته إلى الحكومة ولكنه امتنع عن تسليمهم فأرسل محمد شاد بطلبه وأرغمه عنوة على الحضور إلى طهران ونفاه مخفوراً إلى العتبات المقدسة في العراق سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م.

أعلن سالار العصيان عن الدولة المركزية منذ العام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م وجمع حوله جيشاً من القبائل التركمانية والكردية ولاسيما عشائر القوجان الكردية[٦٥] وكان عصياناً مدعوما من قبل ممثل الحكومة البريطانية (شيل) الذي أراد إضعاف الدولة القاجارية بوسيلة عصيان سالار[٦٦] ولمعالجة الموقف عين الصدر الأعظم "حاجي ميرزا اغاسي" ميرزا محمد خان المعروف بـ(بيكلر بيكي) الأخ الأكبر لسالار حاكماً على خراسان وعندما وصل ميرزا محمد خان إلى مشهد أعلن هو بدوره تمرده على السلطة المركزية وانضمامه إلى اخيه سالار[٦٧] وقد أدت هذه الحادثة إلى علو شأن سالار وتعزيز مركزه فانضم إليه الحكام المحليون في خراسان وبعض القبائل الافغانية وهاجم سالار بقواته على نواحي بسطام وشلهرود وعندما علم محمد شاه انضمام صهره محمد خان إلى تمرد أخيه سالار قرر قمع الحركة والقضاء عليها مهما بلغت التضحيات. ولأجل ذلك عين أخاه حمزة ميرزا المعروف بـ "حشمت الدولة"[٦٨] المعروف بشجاعته حاكماً على خراسان وجهزه بجيش كبير أناطه مسؤولية إلقاء على حركة سالار وأخيه والتقى الجيشان في منطقة تقع بين سبزوار وبسطام وبعد قتال بين الفريقين اندحرت قوات سالار أمام قوات حشمت الدولة[٦٩] ولكن هذا الانتصار لم يكن حاسماً فلملم سالار قواته مجددا وسيطر بها على قلعة كلات المنيعة وتمكن من المقاومة والصمود أمام القوات الحكومية التي حاصرت القلعة مدة ثمانية أشهر بكاملها دون ان ينال الحصار من صمود المحاصرين وفي أوائل عام ١٨٤٧ شعر سالار بإمكانية الهجوم بدلاً من البقاء في حال الدفاع وشرع بالهجوم على مدينة مشهد بعد انسحاب قوات حشمت الدولة[٧٠] عن القلعة المذكورة وأطبق سالار بقواته على مدينة مشهد وحاصر حشمت الدولة فيها من كل جانب حصارا محكماً أذهل هذا الهجوم حشمت الدولة وليفك حصاره على المدينة ويمنع تعزيز قواته بقوات جديدة رأى حمزة ميرزا حشمت الدولة من الحكمة الخروج لمقابلته في ساحة القتال بدل بقائه محاصرا في مدينة مشهد ولأجل تحقيق ذلك شرع بهجوم على قبائل كوكلان ويموت التركمانية الناصرين لسالار في عقر دارهم وانتصر عليهما وابعد ثلاثمئة أسرة من هاتين القبيلتين القويتين إلى اطراف

طهران ورأى من المصلحة بعد ذلك مصالحة القبيلتين وكسب ودهما وارتأى ضم قسم من رجال القبيلتين كجنود نظاميين إلى جيشه وبذلك نجحت محاولته في منع إسناد هاتين القبيلتين لسالار وعلى الرغم من هذا النجاح الذي كسبه في إضعاف قوات سالار بقيت مدينة مشهد محاصرة فجهز حشمت الدولة جيشا قويا لمقابلته والتقى الفريقان مرة أخرى في منطقة تقع على بعد فرسخين من مشهد وبعد قتال بين الجيشين انتصر حشمة الدولة على سالار في هذه المعركة أيضا، واجبره على الانسحاب والتقهقر إلى منطقة (سرخس) إلا ان مرض حشمة الدولة المفاجئ حال دون حسم الموقف، فتوقفت العمليات العسكرية ضد سالار.

ولم يلبث ان انتشر خبر وفاة محمد شاه أيضاً في خراسان ٦/ شوال/ ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م فرجع حشمة الدولة إلى طهران[٧١] وعظم شأن حسن خان سالار واشتد ساعده وزاد أنصاره وسيطر على جميع أجزاء خراسان، واستمر في عصيانه مدة خمس سنوات، حتى عهد ناصر الدين شاه، حيث استطاع ان يدبر من خلال رئيس وزرائه (الصدر الأعظم) أمير كبير إلقاء القبض عليه، إذ جهز عليه حملة قوية بقيادة سلطان ميرزا (حسام السلطنة)[٧٢]. وتمكن المومى إليه من القضاء على تمرده وانتهت حركته بإعدامه وابنيه، أمير اصلان خان ويزدان بخش خان وأخيه محمد علي خان[٧٣]. وكان لقمع هذا التمرد اثر كبير من الناحيتين السياسية والمعنوية مما مهد إلى هيمنة الدولة المركزية على جميع أنحاء إيران[٧٤].

ناصر الدين قاجار والتطورات السياسية في عهده
(١٢٦٤ـ ١٣١٣هـ/ ١٨٤٨ـ ١٨٩٥م)

توفي محمد شاه عن عمر ناهز الاثنين والأربعين عاماً، في اثر مرض عضال ألم به[٧٥] وقد خلف خمسة أولاد وهم ناصر الدين، ولي العهد، وعباس مرزا ملك ارا، وعبد الصمد ميرزا عز الدولة، ومحمد تقي ميرزا ركن الدولة وأبو القاسم ميرزا وثلاث بنات[٧٦].

اعتلى ناصر الدين شاه العرش في تشرين الأول من العام ١٨٤٨[٧٧] في السادسة أو السابعة عشرة من عمره وقد دام حكمه مدة تسع وأربعين سنة وشهر واحد وثلاثة أيام[٧٨]. وكان قبل تسلمه عرش إيران حاكما على الولايات الشمالية من إيران المعروفة باذربيجان وعاصمتها تبريز وبحسب ما يذكره ادوارد براون ان

تنصيب ولي العهد لحكم ولاية اذربيجان كان من المسائل المهمة والخطرة التي تتعلق بالمصالح العليا للدولة القاجارية لأن سكان اذربيجان هم من الأتراك ويتكلون اللغة التركية من جهة ويجاورون من جهة أتراك الاناضول وشعوب القفقاس، وان هذين البلدين قطنهما الأتراك (وشعوب أخرى) وهم يتأهبون مع سكان الأناضول الأتراك وأتراك القفقاس من حيث اللغة والعادات وتقاليد الحياة الاجتماعية الأخرى وان الدولة الإيرانية تتخوف دوما من ان ينظم سكان اذربيجان إلى هؤلاء الأتراك المجاورين لهم، ولهذه الأسباب مجتمعة كان شاهات إيران يعينون أولياء عهودهم حكاما على أذربيجان للسيطرة على مقاليد الأمور في هذه المنطقة الحساسة، لكي يشعروا أهالي أذربيجان بمدى أهمية هذه الولايات بالنسبة إلى إيران وقد عين ناصر الدين شاه في هذا المنصب الخطير ليتدرب ويتمرس بشؤون إدارة الولايات المهمة ولكي يصبح بالتالي مؤهلا لتسلم عرش إيران(٧٨).

تسلم ناصر الدين شاه(٧٩) الحكم في جو تسوده الاضطرابات والفتن الداخلية، والمعارك تدور رحاها داخل المدن والقرى لاشتداد الحركة البابية وإعلانهم العصيان على الدولة المركزية لإيران. فكان الشعب يومئذ منقسما على نفسه والدسانس الأجنبية تكيد لإيران لإضعاف مركزها الدولي فعمت الاضطرابات ضد رئيس الوزراء (الصدر الأعظم) حاجي ميرزا اغاسي الذي كان مكروها من جميع طبقات الشعب الإيراني، فقد كان من المولعين بالموهومات والسحر والطلسم، مشتهرا بجهله بأمر الحكم والسياسة، ولم يكن همه غير صنع المدافع وفتح القنوات(٨٠) لتطوير الزراعة التي لم تفد منها الزراعة ولا الزراع بحسب قول عبيد الزاكاني القائل:

(لم يبق الحاج درهما لملك الشاه فقد صرف كل ذلك لفتح القنوات وصنع المدافع قليلا أو كثيرا ولم ينمو من تلك القنوات مزرعة لأحد ولم ترهب مدافعه الأعداء بشيء).

لقد كان تنازله عن الملاحة في بحر قزوين للروس دليلا قاطعا على جهله بالسياسة ومصالح بلاده وعندما احتج بعضهم عليه على هذه الخطيئة الكبرى التي ارتكبها ضد بلده أجابهم بمقولته الشهيرة التي تنم عن جهله المطبق بأنهم ليسوا بطا حتى يحتاجون إلى بحيرة مالحة، وليس من المعقول ان نجعل مذاق جيراننا وأصدقائنا مرا من أجل مقدار من الماء الأجاج(٨١) عمت الاضطرابات حكم رئيس

الوزراء حاجي ميرزا اغاسي واستفحل أمر التمرد والاضطراب في المدن مثل بروجرد وكردستان وكرمنشاد وشيراز وكرمان وخراسان(٨٢).

كانت وفاة محمد شاد مناسبة متاحة تبارى فيها الممثلون الروس والبريطانيون لإيصال خبر وفاته إلى الشاد الجديد أملا في التقرب إليه ومن اجل الحفاظ على الأمن والقضاء على الاضطرابات التي عمت بلاد إيران وهو ما يعني تعرض المصالح الروسية والبريطانية إلى الخطر، إلا ان البريطانيين كانوا الأسرع في الوصول إلى تبريز مقر ولي العهد وإعلامه بنبأ وفاة والدد وتشجيعه للذهاب إلى طهران بغية تولي مقاليد الأمور وقطع دابر الفوضى المرتقبة(٨٣).

ومما هو جدير بالإشارة ان رئيس الوزراء اغاسي عقب وفاة محمد شاد غدا موقفه في غاية الحراجة على الرغم من حشده جمعا كبيرا من الماكوئيين الأكراد للقضاء على خصومه الذين كانوا يتربصون به ولاسيما بعد ان نزلت والدة ولي العهد مهد العليا إلى معترك السياسة وطفقت تثير أعيان البلد وقادة الجيش وبالطبع لم يكن البريطانيون والروس غائبين عن مسرح الأحداث. وقد اتصل رئيس الوزراء ميرزا اغاسي بالسفير البريطاني فرانت Farrant والسفير الروسي دالكوروكي Dolgoruky طالبا حمياتهما له، وفي الوقت ذاته اتصلت بهما مهد العليا لتخبرهما بقرار عزل ميرزا اغاسي. وتسألهما التدخل في منعه عن احتلال مقر الحكومة بقوة الحرس الذي أحاط به نفسه(٨٤). وقد نجح السفيران في مسعاهما للتدخل في الأمر وأقنعاه بمغادرته طهران. وبهذا اضطر حاجي ميرزا اغاسي إلى ترك طهران متوجها نحو منطقة كرج، إلا ان خصومه تعقبود بتحريض من مهد العليا يقودهم نور الله شاد سون وهو ما اضطر اغاسي مغادرة كرج والاعتصام بمرقد الشاد عبد العظيم في مدينة الري. فنهب خصومه جميع لوازمه ومقتنياته الشخصية ودوابه(٨٥)، وبهذا استطاع أنصار مهد العليا السيطرة على طهران العاصمة بمساندة السفير البريطاني الذي سبق ان اخبر ولي عهد إيران ناصر الدين بوفاة والدد. وتهيأ ناصر الدين للسفر إلى العاصمة طهران ولكن إفلاس الخزينة كان من العوائق التي تقف ضدد للتحرك إلى طهران فأوكل مهمة تهيئة المبالغ اللازمة لأمير نظام ميرزا تقي خان الفراهاني(٨٦) الذي تمكن من جمع المبلغ المطلوب بأخذ تخويل خطي من ولي العهد يقر فيه بان أي سند أو وثيقة يحررهما ميرزا نقي ان يعدان وثيقة أو سندا صادرا من قبله، وتمكن بهذه الوسيلة من جمع ثلاثة آلاف تومان ودفع القنصل الانجليزي

المقيم في تبريز أيضا بضعة آلاف من التومانات[٨٧] وبذلك اصبح سفر ولي العهد وتجهيز القوات اللازمة له أمرا ممكنا، تحرك ناصر الدين مع حاشيته صوب طهران ودخلها وأعلن نفسه شاها في اليوم الثامن من شوال سنة ١٢٦٤هـ/٢٠ تشرين الأول ١٨٤٨م [٨٨].

ومن سوء حظ الإيرانيين ان مدة حكم ناصر الدين شاه لم تسفر عن أي عمل إيجابي على الرغم من محاولة أمير كبير[٨٩] طيلة تصدره منصب رئاسة الوزراء لتغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بأي شكل من الأشكال لتصادمه مع الحاشية الفاسدة لناصر الدين شاه وبهذا الصدد وصف إبراهيم تيموري مدة حكم ناصر الدين شاه كما يأتي:

سارت إيران في عهده نحو الهاوية ودرك الفساد وتعد مدة نحو نصف قرن من حكمه الطول عصر التنافس الشديد بين الدولتين البريطانية والروسية من أجل الاستحواذ على ثروات إيران وبسط نفوذهما عليهما. ان جهل رجال البلاط الناصري وارتشاءهم وفسادهم وسوء الإدارة قد أوصلت إيران إلى شفا هاوية السقوط حتى لقد بات الأمر بحيث لو لم تقع أحداث مهمة في العالم لصالح إيران لم تقم لإيران قائمة[٩٠]. ولكن عندما نتفحص الرسائل التي خلفها ناصر الدين شاه نستنبط منها أفكاره وخصوصياته الأخلاقية والسلوكية ونصل عبر دراسة هذه الرسائل إلى ان تفاصيل حياة هذا الرجل عبارة عن مجموعة من المفارقات في حين كان يدعو هو نفسه إلى تعميم العدل في إيران وبسط جناحه على الإيرانيين غير أننا نرى حقبة حكمه مفعمة بالظلم ومجانبة العدل والإنسانية، كما كان يدعو وزراءه إلى ان يعم العمران والإصلاح في جميع أنحاء إيران ويعد نفسه ملزما بتنفيذ ما يرونه مناسبا لتقدم البلاد وازدهارها ولكن حقيقة الأمر انه لم يخط خطوة باتجاه تقدم البلاد وتطويرها ففي أواخر حكمه بدد الثروات الحيوية لبلاده بأثمان بخسة إلى الأجانب. لقد كان ناصر الدين شاه يتظاهر بأنه يدعو بطانته إلى ان يتشاوروا في ما بينهم وأعربوا عن آرائهم بمنتهى الحرية ودون خوف أو وجل ولكنه في الواقع لم يعد إلا كونه مظهرا للاستبداد وقمع كل من تسول له نفسه إبداء رأي مخالف لآرائه. وبالرغم من سفر ناصر الدين شاه إلى خارج بلاده ولاسيما الدول الأوروبية لكي يتعرف عن كثب جميع الأصول المتبعة في الحياة الحديثة وتقدم الحياة من جميع المجالات للإفادة منها لتقدم بلاده لكنه كان يمنع إرسال البعثات إلى أوربا قائلا بهذا

الصدد: (لو فتحت أبواب أوربا جميعها على شباب بلاده على مصاريعها لكانت نتائجها وخيمة وسلبية على إيران[٩١]. والحق يقال انه على الرغم من هذه الانطباعات لبعض المؤرخين عن ناصر الدين وعلى الرغم من استبداده كأسلافه. لكنه كان أثقف وأدهى في أمور السياسة واكثر اطلاعا على ما يجري في أنحاء المعمورة من أسلافه شاهات القاجار. فقد لعب دورا إيجابيا في كثير من الأخطار الناشئة من تنافس الدولتين الروسية والبريطانية للاستحواذ على موارد إيران وثرواتها الرئيسة. ويقول بهذا الصدد ادوارد براون لو قورن ناصر الدين شاه بسائر شاهات إيران في جميع المجالات للتعرف على ما اقترفت أيديهم من جرائم وآثام لأمكن وصفه شاها رحيما رؤوفا إنسانيا لا تشوب إنسانيته شائبة[٩٢] فلو تسنى لناصر الدين شاه ان يستبقي ميرزا تقي خان الفراهاني (أمير كبير) بوصفه رئيس وزرائه لانقلبت الأمور بعكس ما آل إليه أمر البلد في أواخر حكمه.

ولأجل الوقوف على خدمات أمير كبير لإيران لابد من الإشارة بصورة وجيزة إلى دوره في السياسة الإيرانية.

أمير كبير ميرزا تقي الفراهاني أول رئيس وزراء لناصر الدين شاه قاجار:

اتخذ ناصر الدين شاه ميرزا تقي الفراهاني رئيساً للوزراء للبلاد الإيرانية وفوضه مقاليد السياسة وإدارة البلاد بصورة مطلقة. ولكي نعلم مدى اعتماد ناصر الدين شاه عليه فلا مناص من الإشارة إلى أمر تنصيبه رئيسا لوزراء إيران. فقد جاء فيه ما يأتي:

"نحن شاه إيران فوضناك مقاليد أمور إيران، فمن اليوم فصاعدا إنما أنت الشخص الأول في هذا البلد نعدك مسؤولا عن كل أمر حسن أو سيئ يحدثان في البلاد وانا لواثقون بعدالتك وحسن أخلاقك وصفاتك الحميدة وسلوكك القويم وتصرفك الصحيح في معاملة الرعية، ولن نمنح مثل هذه الثقة لغيرك، ولأجله حررنا هذا الفرمان"[٩٣]. حقاً يعد ميرزا تقي خان الفراهاني المشتهر بلقب "أمير كبير" من أشرف رؤساء الوزارات وأذكاهم وأكثرهم جدارة الذين شهدتهم إيران طوال تاريخها الطويل. فقد عرف بوطنيته الحقة وحنكته وطهره وحزمه في مقارعة الفساد الإداري والاجتماعي الذي استشرى في إيران وضرب بيد من حديد الجواسيس والعملاء المحليين للدول الأجنبية، ونخص بالذكر عملاء الدولتين الروسية والبريطانية. وقد

أثنى على قابلياته الفذة الأعداء قبل الأصدقاء[٩٤]. فقد عده واطسن من أشرف بني الإنسان، اجتمعت في خصاله المثل العليا والأخلاق الفاضلة والوطنية الحقة كلها وحاول جاهدا خلق إيران جديدة وإيصال سفينة بلاده في خضم الأمواج المتلاطمة والصخور الناتئة إلى ساحل النجاة والخلاص[٩٥]. وكتب الدكتور بلاك الإنجليزي بصدده قائلا: كان ميرزا تقي خان (أمير كبير) رمزا للروح الوطنية الوثابة. تلك الروح الوطنية التي تلاشت وضاعت معالمها في عصره. وقد صرف الطامعون المبالغ التي أبى ان يقبلها رشاوى لإفساد ضميره للإيقاع به والقضاء على حياته[٩٦]. ويعدد اللورد روبرت كرزن Robert Gurzon من أبرز الشخصيات التي حضرت مؤتمر الارضروم ولا يمكن مقايسته بالشخصيات التي حضرت المؤتمر نفسه[٩٧].

لقد أسس أمير كبير شبكة قوية من الرجال المخلصين. ينقلون له ما كبر وصغر من أخبار الحكام والولاة في أرجاء إيران كافة، وبث في السفارات الأجنبية جواسيسه يخبرونه عن نشاطات السفارات المعادية، ولاسيما السفارتان الروسية والبريطانية والذي يؤيد هذا الادعاء رسالة السفير الإنجليزي (وستن شيل) إلى وزير خارجية بلاده يقول فيها، ان أمير كبير لديه اكثر من جاسوس في داره[٩٨] وكان أمير كبير على اطلاع على ما يكتبه السفراء عن إيران إلى الوزارات الخارجية لحكوماتهم. حتى أخبره أحد هؤلاء الجواسيس المبثوثين في السفارة الروسية بارتباط أمام جمعة طهران بالسفير الروسي وتلقيه منه دواة مرصعة بالماس منقوشة عليها صورة قيصر روسيا هدية من الحكومة الروسية إليه احتراما لمقامه الديني لدى المسلمين، وقد اضطر إمام الجمعة المذكور بعد انكشاف أمره إلى إرجاع الهدية إلى السفارة الروسية تحت ضغط أمير كبير وإصراره. وما تجدر الإشارة إليه ان أمام الجامع الآنف الذكر كان في الوقت ذاته على اتصال مشبوه بالسفير البريطاني الكولونيل شل، الذي تشفع له وألح على الحكومة الإيرانية على ضرورة صرف النظر عنه وعدم اتخاذ أي إجراء ضده إزاء تقبله الهدية من السفير الروسي[٩٩]. وبهذا تمكن من تحجيم المتنفذين من رجال الدين وسجن بعض منهم أمثال المجتهد حاجي ميرزا باقر وميرزا علي اصغر شيخ الإسلام وولده ميرزا أبي القاسم ليكونوا عبرة لغيرهم. وفعلاً لقد أفلح أمير كبير في تحجيم السفارتين الروسية والبريطانية وقلل من تأثيراتهما في مجريات الأحداث في إيران وأعلن حربا شعواء على عملائهما في

طول البلاد الإيرانية وعرضها. لعلمه وقناعته بان لأكثر الحكام والخواتين ورجالات البلاط علاقات مريبة مع السفارتين الروسية والبريطانية وغالبا ما يصلون إلى مقاماتهم ومناصبهم بمساعدة هاتين السفارتين [١٠٠].

شرع أمير كبير باصلاحات جوهرية لرفع مستوى إيران إلى مستوى النصف الثاني من القرن التاسع عشر من حيث التقدم الاجتماعي والاقتصادي. وقد ساعده في بادئ الأمر ناصر الدين شاه، وبدأت البلاد الإيرانية تفيد من الاختراعات والاكتشافات السائدة في العصر المذكور فلمس الإيرانيون معالم الحضارة الأوروبية وبدأ التحضير على النسق الأوروبي يظهر ملامحه في مجالات الحياة كافة. فلو تمت لأمير كبير الفرصة لأمكن الوصول إلى نتائج باهرة تعود على إيران وشعوبها بالفوائد الجمة والمنافع الكثيرة، ولكن قوى الردة كانت أقوى من أمير كبير وإصلاحاته، فلم يكتب لمساعيه النجاح، فقد عزل من منصبه، ثم دفع حياته ثمنا لمواقفه الوطنية الصلبة ونخوته وتجاربه السياسية البارعة[١٠١]. ومن أعماله الباهرة في توحيد البلاد وتقوية الحكومة المركزية قضاؤه على فتنة سالار التي استفحل أمرها في خراسان بعد وفاة محمد شاه كما نوهنا عنه فيما سبق وتوضحت صلابة موقفه من مسألة التدخل البريطاني في الشؤون الداخلية لإيران ورفضه البلت وساطتهم لتأمين حياة حسن خان سالار وولديه وعدد من اتباعه[١٠٢] وتأمين أموالهم. فقد أمر بإعدامهم جميعاً في ٣٠/ نيسان/ ١٨٥٠[١٠٣]. كما نكل باتباع البابية أيضاً كما مر ذكره سابقاً في العام نفسه[١٠٤]. حاول أمير كبير لأجل تنفيذ برامجه السياسية تقليل نفقات الدولة وتخفيض المرتبات العالية للأعيان ورجالات البلاط وأمراء الأسرة القاجارية المالكة وكرد فعل لهذه الإجراءات الإصلاحية لأمير كبير في الداخل وحزمه أمام التدخلات الأجنبية ألب الأعيان ورجالات البلاط وأمراء الأسرة المذكورة الذين تعرضت مصالحهم للخطر بالتنسيق مع السفارة الروسية والعساكر الأذربيجانية المرابطة في العاصمة طهران وعلى رأسها الأفواج المعروفة بـ(القهرمانية) بغية القيام ضد سلطة أمير كبير، وطلبت هذه الأفواج من ناصر الدين شاه تنحية أمير كبير من منصبه وإعدامه، إلا ان أمير كبير تمكن من قمع حركتهم بموازرة أهالي طهران، غير انه حفظاً لمصلحة البلاد العليا لم يقم باتخاذ أي إجراء صارم بحق القائمين بالحركة جميعا، بل اكتفى بإبعاد عدد معين من قادة الحركة وإعدامهم في العام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م. وبعد القضاء على حركة العصيان هذه

توطدت أمور البلاد وأصبح أمير كبير سيد البلاد المطلق وفرض هيبته على رجالات الدولة بل حتى على ناصر الدين شاه نفسه. فلم يكن الشاه يخرج عن طواعيته قيد شعرة، ويحترمه ويجله كل الإجلال وكان أمير كبر خبر الشاه عن كل شاردة وواردة في تسيير أمور البلاد. ويتبين هذا الأمر بوضوح من المراسلات المتبادلة بين ناصر الدين شاه وأمير كبير.

تحركت الدول الطامعة في ايران وعلى رأسها الحكومة البريطانية التي لم ترقها محاولات أمير كبير الجادة في تأسيس دولة عصرية قائمة على القانون والعدالة الاجتماعية في إيران[١٠٥]. فاجتمعت قوى الردة وعملاء الدولتين البريطانية والروسية وجميع الدول التي تضررت مصالحها اثر إصلاحاته التقدمية، واجتمع خصومه من كل حدب وصوب حول الشاه يحرضونه ويؤلبونه عليه. وكانت على رأس المحرضين والدة الشاه مهد العليا وكل من اقا ميرزا خان نوري وشيرخان عين الملك رئيس قبيلة القاجار وحاجي علي خان فراشباشي والسردار محمد حسن خان ايرواني[١٠٦] صهر محمد شاه. ونجح أعداؤه في إيغار صدر الشاه ضده وتخويفه من ان يحاول اغتصاب عرشه وقد أتت هذه المحاولات الخبيثة أكلها، إذ اصدر الشاه فرمانا بعزل أمير كبير في بادئ الأمر وأبعده تحت حراسة شديدة مع أسرته المتكونة من ابنيه وأمه وزوجته عزت الدولة أخت ناصر الدين شاه إلى كاشان. وكان المتآمرون ونخص بالذكر مهد العليا واقا خان نوري يخافون كل الخوف من إعادة الشاه لأمير كبير إلى الخدمة مرة أخرى، لأن عزله أحدث فجوة كبيرة في تسيير أمور الدولة التي لم يتمكن رئيس الوزراء الجديد اقا خان نوري من ملئها[١٠٧] وكان نوري قد وافق على قبول رئاسة الوزراء مشترطا على الشاه قتل أمير كبير بعد عزله[١٠٨]. لقد ضغط المتآمرون على الشاه وأوغروا صدره على أمير كبير فأقنعوه بان الحكومة الروسية سوف تدخل لصالح أمير كبير وتطالبه بإنقاذ رقبته وفرضه مرة أخرى على الشاه وأعطاه منصب رئاسة الوزراء ثانية في الحكومة الإيرانية، وأكدوا له انه إذا كان راغباً في الحفاظ على عرشه فما عليه إلا ان يتخلص منه. فعملت وشايات وخصومات أمير كبير بدورها فعلتها في الشاه، وفي ساعة ضعف وفتور أصدر ناصر الدين شاه أمرا إلى علي خان المراغي (فراشباشي) للتوجه إلى كاشان لإعدام أمير كبير في حمام قصر (فين) بقطع شرايين كلتا يديه في ١٧ ربيع

الأول من العام ١٢٦٨هـ/ ٩ كانون الثاني من العام ١٨٥٢ وبعد هذه الحادثة المروعة بقي ناصر الدين شاه نادما على فعلته هذه طوال حياته[١٠٩].

وبهذه الجريمة المروعة خسرت إيران شخصية كبيرة ظهر اثر بصماتها في مدة ثلاث سنوات من تقلده رئاسة الوزارة بشكل واضح في تاريخ إيران الحدث[١١٠]. ولا يزال الإيرانيون يذكرونه بكل تبجيل ويحترمون ذكراه إلى يومنا هذا. وبعد مقتله بدا عصر التدخل الأجنبي في مقدرات إيران الاقتصادية والسياسية يتصاعد يوما بعد آخر وبات ناصر الدين شاه ألعوبة بأيدي عملاء الدولتين المذكورتين ولاسيما في حقبة رئاسة وزارة اقا خان نوري[١١١] الذي خلف مرزا تقي خان رئاسة الوزارة الإيرانية.

ميرزا اقا خان نوري وسياسته الموالية لبريطانيا

احتل ميرزا اقا خان نوري مناصب مهمة وحساسة في عهود ثلاثة من شاهات إيران منذ العام ١٢٤٢- ١٢٧٥هـ/١٨٢٦- ١٨٥٨م. كمنصب وزير الداخلية ورئيس الوزراء في عهد ناصر الدين شاه. وقد كانت مدة سبع سنين من وزارته ١٢٦٨- ١٢٧٥هـ/ ١٨٥١- ١٨٥٨م عهد شؤم ووبال على إيران[١١٢]. فقد بدأ عهد الانتداب للدولتين البريطانية والروسية على إيران وأطلقت أيديهما في خيراتها. لقد كان بريطاني المشرب، عميلا للسفارة البريطانية منذ ان كان مترجما فيها[١١٣]. ان حادثة إلقاء الشرطة السرية القبض عليه في عهد رئيس الوزراء حاجي ميرزا اقاسي عندما كان يهم بالخروج من السفارة البريطانية في طهران متنكرا يؤيد سلوكه السياسي المشبوه وعمالته لبريطانيا وقد أمر رئيس الوزراء بسجنه في اصطبل قصره. وأمر جميع المسؤولين والأعيان والأشراف بالتفرج عليه وهو في هذه الحال تشهيرا به لما اقترفه من خيانة بحق وطنه وليكون عبرة لكل من تسول له نفسه بيع أسرار بلاده للأجانب[١١٤].

وبعد هذه الحادثة أمر بنفيه إلى كاشان فبقي هناك حتى آل الأمر إلى ناصر الدين شاه وحاول بوساطة مهد العليا والدة الشاه التي كانت بدورها هي الأخرى متهمة باتصالاتها بالسفارة البريطانية في طهران وعلى الرغم من كسب عفو الشاه والسماح له بالرجوع إلى طهران، لكن أمير كبير عارض رجوعه من منفاد كاشان إلى طهران معارضة شديدة وأمرد بالرجوع ثانية بأسرع وقت ممكن إلى منفاد. حتى

يأذن له الشاه بالرجوع إلى طهران والإقامة فيها إلا ان ميرزا اقا خان نوري لم يعر أذنا صاغية لأوامره، وبدلا من العودة إلى منفاد لجأ إلى السفارة البريطانية طالبا من السفير البريطاني حمايته والتوسط لدى ناصر الدين شاه ليأذن له بالإقامة في طهران إلا ان السفير البريطاني الذي أدرك معارضة أمير كبير لرجوعه توجه إلى مهد العليا ملتمساً منها إقناع الشاه بضرورة العفو عن اقا خان نوري. وفعلاً قد تم العفو عنه وسمح له بالإقامة في طهران.

ولم يلبث طويلا حتى دخل في سلك موظفي البلاط. وكان هذا الحدث الشرارة الأولى لتفاقم الخلاف بين أمير كبير وميرزا اقا خان نوري واستمر الصراع بينهما حتى افلح الأخير وسائر أعداء أمير كبير بالتنسيق مع السفارة البريطانية في الإيقاع بين أمير كبير وناصر الدين شاه الأمر الذي أسفر عن تصفيته كما أسلفنا سابقاً. ولكي نعطي صورة واضحة عن البون الشاسع بين شخصية أمير كبير القوية ومدى حرصه على سمعة بلاده وملكه وبين ميرزا اقا خان نوري المهزوز الشخصية نذكر خلاصة فحوى رسالتين من كليهما إلى ناصر الدين شاه للتعرف على جوهر الرجلين ونظرة كل منهما المختلفة عن نظرة الآخر إلى مصالح البلاد: يوبخ أمير كبير ناصر الدين شاه بكل أدب وإخلاص في رسالته الموجهة إليه لتأجيله أعماله ولعدم مبالاته بتمشية أمور البلاد وتهربه من مسؤولية الحكم فيخاطبه بضرورة تشميره عن ساعد الجد لخدمة بلاده وان لا يضع ثقل الإدارة لبلاده على عاتقه وحده، فيقول له انه كأي إنسان معرض للعوارض والأمراض فعليه ان يحتاط للأمور بحكمة بوصفه شاها للبلاد وان يحافظ على عرشه من الضياع ويتعرف على أحوال الناس المعاشية والأمور العسكرية والإدارية ويعتذر له بكل أدب عن تجاوزه الحدود المرسومة له في رسالته. معللاً ذلك بالحرص على مصلحته ومصلحة البلاد الأمر الذي أملى عليه الخروج عن حدود الأدب المرسومة له(١١٥). وعلى النقيض من هذه الرسالة التي توحي بإخلاص كاتبها ووفائه، نرى ميرزا اقا خان نوري ينصح الشاه في رسالته بان يترك استعراض الجيش لأصحابه ويصطحب معه فتاتين جميلتين إلى قصر الارغونية للاستمتاع بوقته معهما لأن المناخ بارد وقد يؤثر في صحة جلالة الشاد. حقا ثمة بون شاسع بين الرسالتين: رسالة جوهرها الوفاء والإخلاص على مصلحة البلاد وقائدها، ورسالة فحواها العبث والاستهانة بمصلحة البلاد وقائدها.

بدا الضعف والفساد يدبان في أوصال الدولة الايرانية، وشرع الأعيان وأمراء الأسرة المالكة يتبارون فيما بينهم للاستحواذ على رضا السفير البريطاني أو غيره من السفراء وإقامة علاقات مشبوهة معهم لقاء مبالغ زهيدة تصرف لهم من السفارات الأجنبية، حتى لقد وصل الفساد السياسي والاجتماعي في البلاد حدا ان أقام السفير البريطاني هاي نورابل جارلز اومسنتوس موراي علاقات غرامية مع الأميرة (بروين خانم) ابنة أحمد ميرزا بن فتح علي شاه، وأخت زوجة ناصر الدين شاه المعروفة بـ (كلين خانم) وقد خلقت هذه العلاقة المريبة أزمة دبلوماسية وسياسية حادة بين الدولتين البريطانية والإيرانية استفحل أمرها في المحافل الدولية في عهد رئاسة ميرزا اقا خان نوري للوزارة الإيرانية. ومما يروى ان السفير العاشق قد أصر على تعيين زوج خليلته بروين خانم المدعو هاشم خان مراسلاً إخبارياً في السفارة البريطانية بشيراز، وامتنعت الحكومة الإيرانية الإذعان للطلب على لسان رئيس وزرائه مبيناً عدم شرعية التعيين لكون هاشم خان أحد رعايا الدولة الإيرانية ولا يمكنه قبول مناصب الدول الأجنبية في داخل بلاده[116] وطلب من موراي تعيين شخص آخر محله، وان الحكومة البريطانية بموجب معاهذة ١٨٤١ لا يحق لها تعيين مراسلين في شيراز[117]. وبحسب كتاب حقوقيكيران انكليس درايران لمؤلفه إسماعيل رائين ان هاشم خان عين قنصلاً للسفارة البريطانية في شيراز على الرغم من عدم موافقة الحكومة الايرانية، وتحرك ناصر الدين شاه للضغط على السفير البريطاني طالباً منه مراعاة حرمة الأسرة المالكة الإيرانية. والكف عن التدخل في شؤون إيران الداخلية وحرض الشاه سلطان حسين ميرزا على إلقاء القبض على شقيقته بروين خانم التي لجأت إلى السفارة البريطانية في طهران وفعلاً تمكن سلطان حسين ميرزا من إلقاء القبض على أخته وحبسها في داره، وبهذا تعاظمت الأزمة بمرور الأيام مع السفارة البريطانية وأمر السفير البريطاني بإطلاق سراح بروين خانم خلال أربعين يوماً والاعتراف بوظيفة هاشم خان، وفي حال رفض طلبه من لدن الحكومة الإيرانية سوف تلجأ حكومته إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران.

وعلى الرغم من محاولات السفيرين الروسي والفرنسي التدخل إلا ان تقدماً لم يحرز في هذا المجال، فقد اتهم ميرزا اقا خان نوري السفير موراي وتومسون بأنهما على علاقة غير شرعية بزوجة هاشم خان[118]، وهو ما أثار احتجاج المسؤولين البريطانيين بقوة عادّين الإهانة موجهة إلى لندن، ولما أصرت الحكومة الإيرانية

على موقفها وتبعت ذلك مراسلات انسحب السفير البريطاني من طهران منزلا العلم البريطاني من بناية السفارة البريطانية وانسحب من طهران صوب الحدود العثمانية[١١٩]. وبعد احتلال القوات البريطانية الموانئ الإيرانية بحجة احتلال إيران لأفغانستان تراجعت الحكومة الإيرانية خانعة عن موقفها الصلب تجاه السفير البريطاني موراي واعتذرت للحكومة البريطانية، وسوت الأمور بالطرق الدبلوماسية تاركة أمر بروين خانم إلى من يهمه أمرها[١٢٠]، ووافق الشاه رسميا على استدعاء موراي إلى طهران واستقباله بما يليق ومنزلة بلادد وعلى سحب الشكوى التي عممت على البعثات الأوروبية في طهران وإطلاق سراح زوجة هاشم خان وتعيين هاشم خان مراسلاً أو قنصلاً في البعثة البريطانية في شيراز.

وخسرت إيران أفغانستان في عهد ناصر الدين شاه، فقد هددت القوات الإيرانية مدينة هرات بقيادة الأمير حسام السلطنة بالرغم من تعارض ذلك مع اتفاقية العام ١٨٥٣ بين الحكومتين القاجارية والبريطانية، ولتبرير هذه العملية العسكرية أصدر الشاه في الجريدة الرسمية Tehran Guzette[١٢١] في العشرين من كانون الأول سنة ١٨٥٥ بياناً أكد فيه ان تحركه جاء لمواجهة الخطر الذي يمثله دوست محمد الافغاني لبلاده ولا مطامع له في هرات. لم تنطل خدعة البيان الإيراني على الإنجليز بمن فيهم حاكم هرات الذي أدرك جدية الخطر الإيراني وتعمق هذا الشعور أكثر في آذار سنة ١٨٥٦ عندما أمر حسام السلطنة حكومة هرات بإعلان خضوعها للشاه وضرب العملة باسمه والأمر بالدعاء له في خطبة الجمعة إلا ان طلبه رفض من قبل حكومة هرات وتمكن حسام السلطنة من دخول هرات ١٨٥٦ منتصراً[١٢٢]. واتخذت الحكومة البريطانية قرارها هذا لاعتقادها بان روسيا القيصرية كانت وراء الغزو الإيراني[١٢٣]. وقد احتلت القوات البحرية البريطانية الموانئ المهمة من ضمنها جزيرة خارك المعروفة وبوشهر.

ارتأت الحكومة القاجارية خوفاً من احتلال جنوبي إيران سحب قواتها من أفغانستان والدخول في معاهدة رسمية تنعقد في باريس العام ١٢٧٤ هجري ١٨٥٧م بين ممثل الحكومة الإيرانية فرخ خان وبين ممثل الحكومة البريطانية اللورد كاولي. وقد منحت بموجب هذه المعاهدة امتيازات واسعة إلى البريطانيين وحقوق تجارية اقا خان نوري رئيس الوزراء إلى السفير الإيراني فرخ خان حال اليأس التي اعترته في اثر احتلال خارك وبوشهر من قبل البحرية البريطانية، يقول في رسالته الموجهة إلى

السفير: لا استطيع ان أتمالك احساساتي، فإني في عداد الأموات، ليتني مت قبل ان أرى هذا اليوم، فافعل ما تشاء، وصفوة القول: تسامح معهم تسامح، فان أصوات المدافع تصاعدت والله الحافظ(١٢٥).

مصير اقا خان نوري

في اثر استئثار اقا خان نوري وحصره الوظائف الحساسة والمهمة في أقربائه وأنصاره وطرد الشخصيات الكفوءة من ناصبهم ووظائفهم وتنكر مهد العليا عن تأييده وحمايته وعداوة جيران خانم الزوجة المفضلة لدى ناصر الدين شاه(١٢٦) لاقا خان نوري بسبب اعتقادها بان عدم ترشيح ابنها الأمير محمد قاسم ميرزا وليا للعهد إلى تحريكاته، وكذلك معاداة وتحركات شخصيات قوية ومتنفذة أخرى من أعدائه، نخص بالذكر منهم عزيز خان قائد القوات المسلحة الإيرانية ومستوفي الممالك ودبير الملك وحاجي علي خان حاجب الدولة وميرزا صادق خان القائمقام. ومن أهم ما تسبب في خلخلة أوضاعه السياسية تخلي السفارة البريطانية عنه بعد احتلال إيران لأفغانستان، كل هذه العوامل مجتمعة آلت إلى عزله من قبل ناصر الدين شاه في ٢٠ محرم الحرام سنة ١٢٧٥، ومصادرة أمواله وإبعاده إلى يزد واصفهان وقم. وقد وافته المنية في ١٢ شوال سنة ١٢٨١هـ- ١٨٦٤م في مدينة كربلاء المقدسة ودفن فيها(١٢٧).

دور بعض المثقفين في إيجاد الوعي السياسي في عهد ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه:

شهدت إيران في مستهل القرن التاسع عشر تحولات عميقة في شتى المجالات، تركت آثارها العميقة في البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الإيراني وهددت بتقويض الأساس الهش للنظام القاجاري الإقطاعي. في خلال ذلك القرن واجهت إيران تحديا متزايدا من الغرب، ومع نمو الرأسمالية في أوربا(١٢٨) دخلت إيران عصر الامتيازات الأجنبية والنفوذ الأجنبي(١٢٩) لقد استهدف المصلحون القاجار من محاولات التحديث التي بدأها القائمقام الفراهاني رئيس الوزراء لمحمد شاه وأمير كبير رئيس الوزراء لناصر الدين شاه اللذان لقيا حتفهما لمحاولتهما تغيير الأوضاع الفاسدة والمتخلفة في إيران وإلحاقها بركب الدول المتحضرة، ولكن ثمرة

هذه المحاولات التي حصل عليها الإيرانيون كانت قليلة جداً، وذلك لجملة أسباب: أولها أنها جاءت أصلاً مبتسرة ولم تبدأ من العمق، لأن شاهات إيران القاجاريين ونخص بالذكر ناصر الدين شاه الذي ظهرت بوادر التغيير في عهده استهدفوا منها تعزيز مواقعهم من حيث الأساس بدلاً من تغيير الأوضاع السياسية و الاقتصادية والاجتماعية المنحلة والمتردية في إيران. وثانيها انها جوبهت بصعوبات عدة من قبل قوى مختلفة داخل المجتمع الإيراني نفسه وخارجه لم يكن من مصلحتها إحداث مثل هذه التغييرات، وأخيراً فان هذه التغييرات الإصلاحية تطلبت نفقات باهظة لم تكن الميزانية العاجزة والمفلسة للحكومة القاجارية قادرة على تنفيذها وتحويلها إلى مرحلة التطبيق الفعلي، لذا كان من الطبيعي ان تأتي نتائج هذا التحديث على العكس مما كان يأمله القاجار منها[١٣٠].

وإذا ما أضيفت إلى ذلك المصروفات الباهظة التي تطلبتها مظاهر الرفاهية الزائفة التي أحاطت ببلاط الشاهات القاجار وسفراتهم المتكررة إلى أوروبا ولاسيما في عهد ناصر الدين شاه وابنه مظفر الدين شاه لتوضحت صورة البلاد الاقتصادية والمشكلات التي ترتبت عليها الأمر الذي اضطر الشاهات إلى الاستدانة وطلب القروض من الدول الطامعة في ثروات إيران وقد تكفلت تلك القروض بتغطية بعض المصاريف الزائدة لكنها فاقمت من عجز الميزانية الإيرانية إلى حد كبير. وكانت ديون البلاد تزداد يومياً[١٣١].

ومع ازدياد القروض ازدادت الامتيازات الممنوحة إلى الدول الأجنبية وعلى رأسها بريطانيا وروسيا. وصاحب سلسلة الامتيازات وتدفق سيل البضائع الأجنبية المتفوقة النوعية والمتخصصة التي هددت معيشة آلاف من الحرفيين وتوقف العديد من الصناعات الحرفية الإيرانية بطبيعة الحال ارتفاع كبير في الأسعار وتضاعف التضخم عدة مرات وانخفاض قيمة العملة الإيرانية (القران) في الأسواق العالمية[١٣٢]. وتزامنت هذه الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتردية مع السياسة الهوجاء للشاهات القاجار وطغمتهم الفاسدة، ولاسيما السياسة الرجعية والقمعية التي اتبعها ناصر الدين شاه قاجار وهو ما أدى إلى ظهور الفتور والضعف والفساد في جميع مفاصل الدولة القاجارية مضافة إلى هذه الحال وطأة الدول الاستعمارية الطامعة في ثروات إيران. وبرز بعض الواعين في إيران إلى ميادين الإصلاح ورأوا ضرورة اقتلاع جذور أسباب الفساد والتفكك الإداري والاجتماعي في

إيران تلك الأسباب التي تعد من العوامل الأساسية والفعالة لتعاظم التحكم الاستعماري في بلادهم. وكان من ابرز هؤلاء المصلحين جمال الدين الافغاني الذي دعا مع سائر المصلحين أمثال ملكم خان وميرزا حسين خان سبهسالار، على الرغم من اختلاف توجهاتهم السياسية والدينية لإنقاذ الشعوب الإسلامية من براثن المستعمرين والجهل والتخلف والفقر والمرض واستبداد الملوك والحكام الظالمين وإلى إيجاد حال تسودها العدالة الاجتماعية التي يدعو إليها الدين الإسلامي الحنيف. وهنا لابد من التعريف ببعض هذه الشخصيات التي مر ذكرها ممن كان لهم الدور المشهود في إنهاض الشعوب الإيرانية من سباتها العميق.

ملكم خان ١٨٣٣ـ١٩٠٨م

تميزت السنوات الأخيرة من حكم ناصر الدين شاد بالاتجاه المتزايد نحو اتباع سياسة قمعية لكبت أية معارضة تجاه نظام حكمه لاسيما وان التأثيرات الفكرية المتمثلة بجمال الدين الافغاني (١٨٣٥- ١٨٩٧) الذي نفي من إيران وملكم الذي نفاه إلى أوروبا قد بدأت تؤتي أكلها في إيران، وكان لميرزا ملكم خان (ناظم الدولة)[١٣٣] وهو شخصية علمانية ذات تأثير كبير في إنهاض الكثير من شرائح المجتمع الإيراني من سباتهم العميق وإشعارهم بالحياة الحرة الكريمة، يرجع نسب ملكم خان إلى أرمن (جلفا) القريبة من اصفهان وقد تدرج في الوظائف الدبلوماسية والإدارية المختلفة ووصل المدارج العالية فيها واحتك من خلال ثقافته العالية وسفراته المتعددة بحكم وظيفته بحضارة أوروبا ولعب دورا بارزا في الدعاية المضادة لحكم ناصر الدين والدعوة إلى استتباب النظام الدستوري في إيران عوضا عن النظام الاستبدادي المبني على نظرية التفويض الالهي القاضية بعد الشاهات والسلاطين ظلال الله على الأرض، وهذه النظرية في التطبيق خلقت أزمة ثقة حادة بين الشعوب الإيرانية وحكامها المستبدين[١٣٤]. أصدر ملكم خان بعد إبعاده إلى بريطانيا جريدة القانون في لندن تدعو إلى الثورة على النظام الاستبدادي المخيم على صدور الشعوب الإيرانية[١٣٥] في عهد ناصر الدين قاجار، وبقي ملكم خان على قيد الحياة حتى بعد قيام الثورة الدستورية بعامين أي سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م حيث وافته المنية في هذا العام بروما ودفن هناك[١٣٦].

ميرزا حسين خان مر الدولة سبهسالار

ميرزا حسين خان من بني خان من أهالي مازندران[١٣٧]. يعد من الشخصيات البارزة السياسية ممن تقلدوا مناصب حساسة في عهد ناصر الدين شاه قاجار. واليه يرجع الفضل، عندما قام رئيس وزراء الشاه المذكور بإجراء إصلاحات بناءة في إيران، فقد أهلته ثقافته العالية واحتكاكه بالحضارة الغربية لان يحث ناصر الدين شاه على إجراء الإصلاحات في البنى الاقتصادية والسياسية المتردية في إيران. ولأجل إقناع الشاه بضرورة إجراء الإصلاحات زين له الرحيل إلى أوروبا لكي يقف بنفسه عن كثب على مدى التقدم الذي وصلته الدول الأوروبية. ويتبين تأثير ميرزا حسين خان سبهسالار في ناصر الدين شاه الذي أخذ يتأثر بالحضارة الأوروبية والوقوف على أسباب تقدمها ذلك التأثير الذي انعكس في رسالة وجهها إلى ابنه ظل السلطان[١٣٨] سنة ١٢٨٩- ١٨٧٢ يذكر فيها ان هدفه الأصلي من السفر إلى الدول الأوروبية كان الاطلاع على الأسس التي بنيت على إصلاحات تلك البلدان والوقوف على سر تقدمها والاقتباس مما يفيد إيران من تلك الإصلاحات التي أمنت عوامل السعادة لشعوبها[١٣٩].

برز دور ميرزا حسين خان سبهسالار منذ دخوله في سلك وزارة الخارجية الإيرانية في العام ١٢٦٧هـ- ١٨٥٠م عندما عينه أمير كبير قائماً بالأعمال للحكومة الإيرانية في الهند وقد وطد علاقة صداقة حميمة مع اقا خان محلاتي وكسب من بقائه في الهند تجارب مفيدة واتصل بالممثلين البريطانيين هناك، ويقال بان نجم صعوده في مدارج الرقي سطع في الهند[١٤٠]. لقد بات سبهسالار العام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م قنصلاً لإيران في تفليس، وفي العام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م صار سفيراً لبلاده في استانبول وكان معجباً كل الإعجاب بالحياة البرلمانية، وأيد بحرارة الاصطلاحات القانونية في بلاده وكذا الدستورية. وكانت له علاقات صداقة مع المصلحين العثمانيين من أمثال علي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا. وقد واجه ميرزا حسين خان سبهسالار مقاومة عنيفة من الرجعيين بعد ان صار رئيساً للوزراء في إيران جراء الإصلاحات التي بدأها، وكانت انيس الدولة الزوجة الأثيرة لناصر الدين شاه على رأس مخالفيه وأعدائه متعاونة مع فرهاد ميرزا (معتمد الدولة) عم ناصر الدين شاه ومستوفي الممالك وحاجي الملا علي الكني وميرزا صالح عرب من رجال الدين المشاهير لإزاحته من الوزارة والمسؤولية، وطلب خصومه من ناصر الدين

شاه عزله مثيرين مخاوفه من بقائه في دست الحكم الأمر الذي يمكن ان يؤدي إلى ظهور حركة عصيان في البلاد. وقد اضطر الشاه إلى إقالته من المسؤولية في رجب من سنة ١٨٧٣ وأبعده إلى رشت، لكن ناصر الدين شاه لاعتماده عليه ما لبث ان أعاده وفوضه مقاليد وزارة الخارجية. ومما تجدر الإشارة إليه ان ناصر الدين شاه أقال سبهسالار مرات عدة من السلطة إرضاء لخصومه، ولكنه كان يستميله ثانية ويفوضه مقاليد وظائف خطيرة، منها رئاسة الوزارة الإيرانية لعلمه بكفاءته وثقافته الواسعة. وقد بقي محتفظاً بنفوذه حتى سنة ١٨٦٢. ومن مآثره تنظيم الجيش الإيراني إذ كان وزيراً للحربية. وعلى الرغم من خدماته الكبيرة فقد اتهمه بعض المؤرخين الإيرانيين بارتباطه المشبوه مع البريطانيين[١٤١] وذكر إبراهيم تيموري نقلاً عن اللورد كرزن ان ميله وولاءه للبريطانيين كانا مضرب المثل. ولم يصل نفوذ البريطانيين في إيران بجميع مراحلها التاريخية إلى ما وصله في عهد ميرزا حسين خان سبهسالار[١٤٢] توفي سبهسالار سنة ١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م. وقد أشيع انه مات مسموماً. ويذكر اعتماد السلطنة ان ناصر الدين شاه أراد مصادرة أملاكه بعد وفاته، لكنه صرف النظر عن قراره هذا، بعد شكاية اخوة سبهسالار إلى السفارة الروسية[١٤٣].

جمال الدين الافغاني

كان جمال الدين الافغاني قد ولد في العام ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م في قرية اسداباد الإيرانية[١٤٤]. فقد كان له حصة الأسد في نهضة البلدان الإسلامية. ولابد من الإشارة بصورة مختصرة إلى آرائه ونبذة عن دوره في تأليب الشعوب الإسلامية ضد حكامها الفاسدين. لقد كان الافغاني يعتقد ان الحكم المطلق الاستبدادي هو المسؤول عن تدهور بلدان الشرق قاطبة ووقوعها في براثن الدول الاستعمارية وكان حيثما حل يدعو إلى النهوض ضد تسلط الدول الأوربية، ولاسيما البريطانيون وضد استبداد الملوك وجميع الأنظمة[١٤٥] المستبدة في الشرق الإسلامي وتشير القرائن ان جمال الدين الافغاني مكث في النجف الأشرف بضع سنين عدة وباستثناء مدة أمدها سنة وبضعة اشهر سافر فيها إلى الهند، ثم رحل إلى أفغانستان عن طريق طهران سنة ١٨٦٥ واشترك في الصراعات السياسية الدائرة بين أفراد العائلة المالكة في أفغانستان. وقد أيد محمد اعظم خان الموالي لإيران وروسيا ضد شير علي شير خان

الموالي لبريطانيا. وبعد انتصار شير علي خان على أخيه ترك أفغانستان متوجها إلى الهند[١٤٦]. وشرع بالتردد بين الهند واستانبول والقاهرة حتى لمع اسمه في مصر. ويروى انه انخرط في أواخر أيار من العام ١٨٧٥م في سلك الماسونية، لكنه ترك صفوفها بعد مدة قصيرة. لقد بدأ نشاط جمال الدين الافغاني السياسي قلق الخديوي توفيق باشا، وكان الافغاني يطالب بالحاح بإصلاح الجهاز الحكومي وإقامة نظام نيابي في مصر. ونتيجة لنشاطه السياسي الحاد أمر الخديوي بنفيه من مصر في ٢٦ آب سنة ١٨٧٩م ونفي مخفورا إلى الهند. ترك الافغاني الهند عام ١٨٨٢م وقيل انه ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم إلى بريطانيا في ربيع العام ١٨٨٣م، واستقر بصورة مؤقتة في باريس، وبدأ عن طريق الصحافة يهاجم الاستعمار البريطاني وسياسته الاستعمارية في الشرق مهاجمة عنيفة وكانت مجلته (العروة الوثقى) سيفاً مسلطاً على رقاب الإنجليز وأعوانهم، فكانت كتاباته تثير روح الثورة والتمرد في الشعوب الإسلامية ضد الاستعمار والاستثمار الأجنبي. وفيما كان الافغاني في لندن وردت إليه دعوة من ناصر الدين شاه القاجاري يدعوه لزيارة طهران، فلبى طلبه، فوصل جمال الدين إيران عام ١٨٨٦م، وبدأ يدعو إلى الإصلاح الإداري والاقتصادي في البلاد الايرانية، ولكن الفساد الإداري والاجتماعي الذي كان قد استشرى في إيران وتشبث ناصر الدين شاه بالحكم الاستبدادي الفردي المطلق وفساد أعوانه المناوئين لكل إصلاح[١٤٧] كل ذلك أدى إلى نشوب الخلاف بين جمال الدين وناصر الدين شاه، ولم يفلح جمال الدين في إقناع الشاه بضرورة ترك السلطة المطلقة التي اعتاد عليها الملوك الإيرانيون وتعميم العدالة وحكم القانون في أرجاء البلاد الإيرانية. وعندما يئس من إقناع الشاه ترك إيران حانقاً. ثم التقى الشاه به مرة أخرى في ميونخ وطلب إليه العودة إلى إيران، ولا نعلم أية وعود قطعها له الشاه حتى اقتنع بالعودة إلى إيران مرة أخرى. ويقول تلامذته وأنصاره ان الشاه قد وعده بان يجعله رئيس وزرائه، ولكن يبدو ان هذا الادعاء عار عن الصحة، لأن منصب رئاسة الوزارة (الصدر الأعظم) في ايران لم يكن يمنح بسهولة ويسر لأشخاص أمثال الافغاني علماً بان رئيس الوزراء الإيراني في حينه كان موافقا على عودته. فلا يعقل ان يوافق رئيس الوزراء على عزل نفسه وتنصيب الافغاني في محله[١٤٨]. وبمرور الأيام تأكد الشاه ان استمرار وجود الافغاني في إيران يؤدي إلى تكوين حزب قوي يدعو إلى الإصلاح ويهز عرشه وسلطته المطلقة، ولهذا خشي

الشاه ورجالاته على مصالحهم وعلى مستقبل وجودهم كحكام مطلقين وكذلك خشيت الدول الاستعمارية الطامعة في إيران على احتكاراتها ومصالحها ان تتهاوى تحت وطأة الدعايات الإصلاحية لجمال الدين، ولهذا تطابقت مصالح الشاه مع مصالح الدول الاستعمارية الطامعة في إيران على احتكاراتها ومصالحها ان تتهاوى تحت وطأة الدعايات الإصلاحية لجمال الدين، ولهذا تطابقت مصالح الشاه مع مصالح الدول الاستعمارية الطامعة في إيران وطولب بضرورة طرده من البلاد الإيرانية. وإذ ذاك شعر جمال الدين الافغاني بأنه تدبر له في الخفاء مكائد ودسائس وأخذ يبحث عن كل وسيلة يستطيع بها الاستمرار في دعوته لأنها حق الشعوب الإسلامية، وكشف استهتار الحكام بمقدرات الشعوب الإسلامية ووجد انه لو اتخذ مقرا لنفسه في أحد الأضرحة المقدسة في ايران لما استطاع الشاه القبض عليه، فاعتصم بمقبرة الشاه عبد العظيم في ري وتابع هناك دعوته فأمر الشاه بإلقاء القبض عليه في ضريح شاه عبد العظيم ونفاه في شتاء قارس البرودة في العام ١٨٩١ بعد ان أذاقوه المهانة والذلة عن طريق قصر شيرين إلى العراق(١٤٩).

وبوصوله إلى بغداد استدعاه السلطان عبد الحميد الثاني للحضور إلى استانبول ليعاونه في الدعاية لأجل الجامعة الإسلامية(١٥٠) وقد تعاون الافغاني في بادئ الأمر لتحقيق الاتحاد الإسلامي الذي كان السلطان عبد الحميد يدعو إليه ويقول في تقويم لسياسة عبد الحميد عندما كان التعاون قائماً بينهما (ولا عجب إذا رأيناه بذلك ما يقام لملكه من الصعاب من دول الغرب ويخرج المناوئ له من حضرته راضياً عنه وعن سيرته وسيره مقتنعاً بحجته سواء في ذلك الملك والأمير والوزير والسفير، ولكن يا للأسف ان عيب الكبير كبير والجبن من اكبر عيوب الملك(١٥١).

لم يدم الوئام بين السلطان عبد الحميد وبين جمال الدين الافغاني طويلا إذ دب الخلاف بينهما وأخذت علاقتهما تسوء بمرور الأيام. وهكذا بقي جمال الدين الافغاني ثائرا في كل ارض وطأها، داعياً بقوة إلى تحرير الشعوب الإسلامية محرضا أبناءه على كسر طوق العبودية والثورة على حكامهم الفاسدين المستبدين. ويعتقد أحمد كسروي في تحليله لدوره في إثارة الشعوب الإسلامية ان جمال الدين نهض بعمل كبير وجبار في إيقاظ الشعوب الإسلامية ولكنه لم يعرف كيف السبيل إلى الوصول إلى هدفه المنشود(١٥٢) فلو بذل جمال الدين جهده وهمه بدلا من التشبث ببلاطات الملوك والسلاطين والأمراء في إثارة عامة الناس من الشعوب المقهورة لكانت نتائج

جهوده اكثر تأثيراً واختصر الزمن للوصول إلى هدفه المرسوم[١٥٣]. ومهما يكن من أمر فقد بقي الافغاني ثائرا حتى آخر يوم من حياته، وقد مات من جراء مرض في فكه قيل انه السرطان في ٩ آذار سنة ١٨٩٧، ودفن في مقبرة المشايخ في استانبول[١٥٤].

وفضلاً عن هذه الشخصيات الفذة الذين مر ذكرهم وكان لهم دور في إيقاظ الوعي عند الشعوب الإسلامية ظهر رجال آخرون من أمثال ميرزا جعفر خان مشير الدولة التبريزي الذي تبوأ وظائف مختلفة في شتى المراحل في إيران وهو أول مسؤول حكومي نظم مجلس وزراء حكومة ايران المؤلفة من ست وزارات في العام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م وعلى غرار ما هو متبع في الأنظمة الدستورية في الدول الغربية. وقد تعاون مع جعفر خان في المطالبة بحكومة القانون وتفكيك الهيئات الحكومية الواحدة تلو الأخرى نذكر من الشخصيات الإيرانية التي طالبت بإجراء الإصلاحات الجذرية كل من اخوندزاده ميرزا ١٢٩٥- ١٢٢٧هـ/ ١٨٧٨- ١٨١٢م. واقا خان الكرماني ومستشار الدولة التبريزي ومجد الملك وزين العابدين مراغة وميرزا حسن خان خبير الملك[١٥٥] وحاج سياح محلاتي وميرزا عبد الله حكيم قاآني وشيخ أحمد روحي كرماني وميرزا يدر علي زردوز وميرزا نصر الله خان. وطالب اوف وظهير الدولة صفا ولابد من الإشارة هنا إلى الدور البارز لكل من ميرزا فتح علي اخوندزاده ١٨١٢- ١٨٧٨ الذي ألف أول مسرحية باللغة التركية في العالم الإسلامي عام ١٨٢٩، أي قبل إبراهيم شناسي كاتب المسرحية العثماني المعروف بعدة سنين وكان يشجع الإيرانيين للانخراط في المؤسسات الماسونية لاعتقاده بان هذه المؤسسات تدعو إلى تعميم الحرية والمساواة في أرجاء العالم وكان متأثرا بالنظام الديمقراطي الغربي داعيا إلى نظام ملكي برلماني مقيد بدستور وناشد الشعوب بعدم الرزوح تحت وطأة الظلم وجور الحكام المستبدين وكذلك إلى دور محمد خان سينكي المعروف بمجد الملك ١٨٠٩- ١٨٨٠م مؤلف كتاب "الرسالة المجدية" الذي تقلد مناصب مهمة في العهد القاجاري لشاهات القاجار وتوقع مصيرا اسود للعائلة الحاكمة القاجارية وطالب بالإصلاحات الحقيقية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وشخص أسباب تخلف ايران إلى غياب سلطة القانون في البلاد الإيرانية وحمل العلماء والمثقفين وزر التخلف لأنهم لم يهدوا الجماهير إلى الطريق الصحيح ولم يثوروا ضد الحكام الجائرين.

نذكر كذلك مستشار الدولة التبريزي الذي تقلد مناصب عالية ومهمة في الوزارة الخارجية الإيرانية في عهد ناصر الدين شاه وقد زار معظم العواصم الأوربية وعد سر تقدم تلك الدول شيوع سلطة القانون وعد إعطاء الحرية في الانتخابات حقاً مشروعاً لكافة طبقات الشعب وطالب بتأسيس برلمان يأتي أعضاؤه عن طريق الانتخاب الحر المباشر وحاول في كتاباته التوفيق بين الشورى الإسلامية والنظام البرلماني الغربي.(١٥٦)

حركات التنباك في عهد ناصر الدين شاه وبداية الحركة الدستورية في ايران:

سارت البلاد الإيرانية نحو التدهور بسبب سياسة ناصر الدين شاه المالية، وكان بتبذيره وعمالة رئيس وزرائه اقا خان نوري من العوامل الرئيسة لعا وقع في البلاد من اضطرابات استغلتها المؤسسات الأجنبية لمصلحتها لتحقيق مآربها بالتقارب مع القوى المخالفة للشاه وكانت هناك معارك بين الناس على الخبز في طهران وشيراز بسبب المجاعة المروعة في العامين ١٢٨٧-١٢٨٨هـ/ ١٨٧٠-١٨٧٢م(١٥٧) وكان إعطاء الأجانب الامتيازات الكبيرة أحد العوامل المهمة لتدهور الأوضاع والتذمر والنقمة على الحكم القائم آنذاك. ولا ننسى بأن سفرات ناصر الدين شاه المتعددة إلى الدول الأوربية التي أرهقت ميزانية خزينة حكومته الخاوية جعله مبهوراً أمام التقدم الحضاري لتلك الدول، شاعراً بنقصه أمامهم ومستعداً لتنفيذ كل طلب غير مشروع لأدنى دولة من الدول الأوربية(١٥٨) ومن الامتيازات التي أثرت في هياج الايرانيين نذكر هنا منح امتياز إحتكار التنباك وبيعه في ايران إلى شركة الدخان البريطانية في ٢٨ رجب سنة ١٣٠٨/ ١٨٩٠م وعلى أثرها تأسست شركة الدخان الشاهنشاهية بأسم "رزي"(١٥٩). وكان التنباك كانور نوعاً من التبوغ شاع استعماله في القرن التاسع عشر حيث يوضع في النارجيلة لتدخينه ولم يكن الايرانيون يعرفون استعمال السجائر في تلك المرحلة الزمنية.

تكتلت المؤسسة الدينية ضد مصالح الدول الأجنبية الطامعة في ايران وثرواتها ووقفت بوجه السلطة المركزية التي تهاونت في إعطاء الامتيازات السخية غير المدروسة إلى الأجانب. ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤسسة الدينية قد تنامت بسرعة مذهلة لمساندة شاهات ايران القاجاريين غير المحدودة لها لأنهم كانوا

بحاجة لهذه المساندة لإضفاء الشرعية على حكمهم لأن الايرانيين يعدونهم غاصبين للعرش الايراني[١٦٠] وأصبحت حكومة داخل حكومة وقد تعاونت هذه المؤسسة مع فئة المثقفين والانتليجنسيا في الوقوف أما الاستبداد الشاهي وحكومته المطلقة، وانعكس هذا التعاون في تحريك الجماهير ضد اتفاقية "التنباك" وقد ظهرت أولى بوادر الوعي الشعبي ضد اتفاقية التنباك في ٢١ شباط ١٨٩١ وذلك حين ذهب عدد من التجار لمقابلة ناصر الدين شاه راجين منه إلغاء الاتفاقية لما فيها من ضرر عليهم وعلى اقتصاد البلاد المتدني الذي يسير من سيئ إلى أسوأ، إلا أن الشاه لم يستجب لرجائهم[١٦١]. وقد تتابعت الأحداث بعدئذ بصورة سريعة وعجلت المؤسسة الدينية من تصعيدها واتخذ رجال الدين دور الزعامة والقيادة لحركة تحريم التنباك في الكثير من المدن الايرانية، وعلى رأسهم الشيخ محمد الاشتياني في طهران وحاج ميرزا آدمي بتبريز والسيد النجفي في اصفهان[١٦٢].

زاد التوتر والاضطراب في أرجاء البلاد الإيرانية ووقعت المعارك بين الاهلين والقوات الحكومية، وبدأ الشاه يترصد الشعب والشعب أيضاً يترصده[١٦٣]. وأنتهز رجال الدين فرصة الاستياء العام من اتفاقية التنباك فأرادوا بذلك اقتلاع جميع النظم الحديثة التي دخلت إلى ايران في عهد الشاه ناصر الدين شاه[١٦٤]. ولا ننسى بعض القرائن التي تشير إلى أن الروس بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل اثارة الناس ضد اتفاقية التنباك. وفي العراق قيل أن القنصل الروسي سافر من بغداد إلى سامراء ليقابل آية الله حسن الشيرازي[١٦٥] المجتهد الكبير للشيعة آنذاك وعرض عليه جميع الوسائل الممكنة للقضاء على الاتفاقية المذكورة، ولو أدى ذلك إلى خلع الشاه[١٦٦]. كانت الرسائل والبرقيات تتوالى إلى الشيرازي من ايران طلب فيها أصحابها أن ينقذهم من اتفاقية التنباك، وكان لاجتماع جمال الدين الافغاني بالشيرازي وأثارته ضد ناصر الدين شاه مبيناً له ما أصاب إيران من مآس بسبب سياسته المستبدة وتبديد ثروات البلاد ومنحه الامتيازات إلى الدول الأجنبية[١٦٧] وهو ما كان له تأثير كبير في إصداره فتوى بتحريم التنباك. وفي أواخر تموز سنة ١٨٩١ أبرق الشيرازي إلى الشاه يطلب منه الاستجابة لرغبة الرعية في إلغاء الاتفاقية فأرسل إليه الشاه جواباً مفصلاً يذكر فيه الأسباب المشروعة التي دفعته إلى عقد الاتفاقية وأبرق الشيرازي ثانية إلى الشاه يطلب منه إلغاء الاتفاقية[١٦٨]. وبعد أن يئس الشيرازي من إقناع الشاه أصدر فتواه المشهورة بتحريم تدخين التنباك. وهذا هو

نص الفتوى " بسم الله الرحمن الرحيم اليوم استعمال التتن والتنباك حرام بأي نحو كان ومن أستعمله كمن حارب الإمام الغائب عجل الله فرجه".

كانت أول مدينة استجابت لنداء التحريم هي مدينة شيراز فظهر فيها رجل دين معروف بجرأته يدعى "سيد علي أكبر فال أسيري" وقد تطورت الأحداث في تبريز أيضا حيث أعلن أهالي تبريز بقيادة رجل الدين ميرزا جواد اقا مجتهد تبريزي بأنهم سوف يقتلون في يوم عاشوراء جميع الأجانب والمسيحيين في المدينة إذا لم يتم إلغاء امتياز احتكار التنباك وتصدى في أصفهان للشركة الاحتكارية من رجال الدين، اقا نجفي وشيخ محمد علي وملا باقر فشاركي(١٦٩). وعلى أثر انتشار فتوى الشيرازي لتحريم تدخين التنباك استجابت الجماهير إلى تنفيذ حكم التحريم وأخذ الناس يجمعون الغلايين والنرجيلات وقاموا بإحراقها في الساحات العامة وأغلقت دكاكين بيع التنباك أبوابها وصار الناس يراقب بعضهم بعضاً لكيلا يعمد أحدهم إلى تدخين التنباك سراً خلافاً للفتوى. وشاع في حينه أن تأثير الفتوى قد أمتد إلى قصر الشاه نفسه وأن زوجاته قد أمتنعن عن تدخين التنباك على الرغم من طلب الشاه منهن تدخينهن إياه، حتى قيل أن الشاه قد أمر خادمه أن يحضر له الغليون (النارجيلة) إلا أن الخادم أمتنع عن تنفيذ أمره محتجاً بوجوب إطاعة الشيرازي الذي هو نائب الإمام(١٧٠). ويحدثنا اعتماد السلطنة عن مدى تأثر هذه الفتوى في الناس قائلاً: "كنت خارجاً من دار الطبيب (فورين) وبقايا سيجارة كنت أدخنها في داره على شفتي، فعندما شاهدني رجل وقور وأنا في حال التدخين طفق يشتمني وينهرني على فعلتي هذه"(١٧١).

حاول أولياء الأمور بإيعاز من ناصر الدين شاه إرضاء المجتهدين الكبار بالتملق لهم وكتابة رسائل التضرع إليهم. ويستدل من كتابات ورسائل نائب السلطنة كامران ميرزا إلى المجتهد ميرزا حسين اشتياني كبير مجتهدي طهران مدى الخوف والهلع الذي استولى على نفوس الشاه وحاشيته من اشتداد الحركة الشعبية المتمثلة بتحريم التنباك المناهضة للحكم. ولكن محاولات الشاه الذي كان راغباً في إلغاء الامتياز للشركة البريطانية المحتكرة لتجارة التنباك ذهبت أدراج الرياح وذلك لمعارضة الحكومة البريطانية لإلغاء الامتياز من جهة وإصرار رجال الدين على ضرورة إلغاء الامتياز كلياً. ولقد سعت السلطات الحكومية للركون إلى وسائل الحيلة والخديعة عن طريق أغراء المجتهد ميرزا حسن أشتياني بإصدار فتوى تحلل تدخين

التنباك على الرغم من إصدار فتوى التحريم من قبل الشيرازي ولكن المجتهد آية الله حسن اشتياني رفض طلب السلطة هذا بحزم وعزم لا يلينان[١٧٢]. وعندما يئست السلطة من استمالة رجال الدين وأحداث الفرقة بينهم ركنوا إلى حيلة أخرى، مفادها أن الشيرازي لم يصدر عنه فتوى بتحريم التنباك، وحين لم تجد هذه الوسائل المزيفة نفعا لتهدئة الجماهير حاولت السلطة عقد اجتماع لرجال الدين للتداول معهم لإيجاد مخرج للخروج من هذه الأزمة[١٧٣] ولكن آية الله ميرزا حسن الاشتياني والشيخ هادي نجم ابادي لم يحضرا ذلك الاجتماع وتحجج الاشتيباني بأن فتوى الشيرازي في تحريم التنباك وإلغاء الامتياز واضح للعيان، وأن الشيرازي لن يقبل بغير إلغاء الامتياز بديلاً وليس هناك وسيلة للخروج من هذه الأزمة إلا بإلغاء الامتياز كليا ففشل الاجتماع المذكور ولم يأت بنتيجة تذكر[١٧٤].

وعلى أثر الضغط الشعبي بقيادة رجال الدين اضطرت السلطة إلى إلغاء دائرة التنباك الداخلية وحصر تجارته الخارجية بيد الشركة البريطانية الاحتكارية للتنباك وطلب أمين السلطان رئيس الوزراء من رجال الدين أن يقوموا بإعلان مشروعية تدخين التنباك بعد إلغاء امتياز التجارة الداخلية للتنباك، ولكن برغم هذه الإجراءات من قبل السلطة وإرسال برقية منها إلى ميرزا الشيرازي المتضمنة إلغاء الامتياز غير أن الشيرازي لم تصدر منه أية فتوى بمشروعية تدخين التنباك بل أصر على إلغاء امتياز احتكار التنباك كلية. وكتب رأيه بهذا الصدد إلى الاشتيباني القائل بضرورة إلغاء الامتياز كلياً كما أسلفنا. وأعقب هذا ضغط السلطة على رجال الدين ولاسيما ميرزا حسن الاشتيباني وطلب منه إما أن يدخن الغليون في الملأ العام أو يخرج من ايران، وهدد الشاه شخصياً وعده رأس النفيضة لهذه الانتفاضة الشعبية ورد الاشتيباني اتهامات الشاه والسلطة بجرأة متناهية وأعلن عن استعداده لمغادرة ايران والتوجه إلى العتبات المقدسة في العراق وعندما علم أهالي طهران بهذا الخبر هاجوا وماجوا رجالاً ونساءً فاضطرب الناس وبدأت معارضتهم تأخذ شكل العصيان العلني وفي خلال ساعات لم يبق متجر ولا دكان إلا وأقفلت أبوابها، بعد ذلك أدرك الشاه خطورة الموقف إذا ما ترك الاشتيباني البلاد مبتدئاً استمالته وكتابة رسائل المديح والإخلاص المفعمة بالملق والمداهنة[١٧٥].

استمرت الاضطرابات على حالها ولاسيما بعد إن ظهر على جدران المساجد إعلان مفاده، انه إذا لم يتم إلغاء الامتياز خلال ٤٨ ساعة فسيعلن الجهاد ضد

السلطة بأمر من آية الله ميرزا حسن الشيرازي في يوم الاثنين القادم فليستعد الجميع للجهاد[١٧٦].

وقد وصلت حال الغليان حدا مروعا وشاع أمر فتوى الجهاد ضد الحكومة وأخذ الناس يشترون الأسلحة استعدادا للجهاد وشرعوا يكتبون وصاياهم وارتفعت أصوات البكاء والنحيب من دورهم وأخذوا يودعون نساءهم وأبناءهم ولم تهدأ الحال نسبيا إلا بعد أن أمر الشيخ محمد حسن الاشتيباني خطباء المنابر بتكذيب إعلان الجهاد ثم عادت الحال إلى التأزم مجددا بعد مدة قصيرة وذلك أن الشاه أمر حاكم طهران بأن يجبر أصحاب المقاهي على فتح أبوابها ويقدموا الغلايين ويبقروا بطن كل من يمتنع عن تدخين التنباك[١٧٧] وخيروا الاشتيباني بين أن يفتي بأباحة تدخين التنباك وتدخين النرجيلة أمام الملأ جهارا وبين أن يغادر طهران، فأختار الاشتيباني مغادرة طهران، ولم يكد الأهالي يسمعون نبأ ذلك حتى هبوا للتظاهر فغصت الشوارع بهم، يقودهم رجال الدين وأغلقت الأبواب وخرجت النساء باكيات وارتفعت الأصوات بالهتاف ضد الاحتكار وسرت عدوى البكاء إلى القصور الملكية أي إلى داخل حرم الشاه وجواريه وأخذ الجنود الذين أرسلوا لمقاومة المتظاهرين يجهشون بالبكاء أيضاً، أحاط المتظاهرون بالقصر الملكي وعندما أرادوا اقتحامه أمر قائد الحرس بالاخان معين نظام الذي حمل لقب سردار أفخم بعد ذلك بفتح النار على المتظاهرين فبلغ عدد القتلى سبعة أشخاص وعدد الجرحى عشرين شخصاً، وأدى ذلك إلى تفريق المتظاهرين[١٧٨].

حاول الشاه التراجع أمام الثوار بشكل يحفظ له ماء وجهه ولكن رجال الدين وعلى رأسهم الشيرازي قد صمدوا في موقفهم الحاسم مصرين على ضرورة إلغاء الاتفاقية كلية مع الشركة الانجليزية، وحاول الشاه التصالح مع الاشتيباني وأرسل له خاتماً من الماس، إلا أن الاشتيباني أشترط لقبول الخاتم إلغاء الاتفاقية، فوافق الشاه على ذلك في سنة ١٣٠٩هـ الموافق ٢٦ من كانون الثاني عام ١٨٩٢م[١٧٩] ودفع الشاه للشركة الإنجليزية صاحبة الامتياز تعويضا قدره نصف مليون ليرة إنجليزية[١٨٠] اقترضه من المصرف الشاهنشاهي الحديث التأسيس وكان هذا القرض بداية الديون الأجنبية على الحكومة الإيرانية التي أصبحت أخطبوطاً للتسلط على الاقتصاد الإيراني.

عصر الامتيازات الأجنبية:

رافقت أطماع الدول الغربية وروسيا في العهد القاجاري سلسلة من الهزائم العسكرية لإيران[١٨١] في عهد فتح علي شاه وإذا استثنينا المحاولات الجادة لرئيس الوزراء القائمقام الفراهاني في عهد محمد شاه وأمير كبير في بداية عهد ناصر الدين شاه للحفاظ على الكرامة الوطنية لإيران وضرب مصالح الدول الطامعة في ثرواتها[١٨٢] فقد كانت العهود الأخيرة للنظام القاجاري عبئاً ثقيلاً على عاتق الجماهير الإيرانية. فقد كانت الحكومات المختلفة التي حكمت في ذلك العهد حكومات استبدادية غير منظمة يسودها نظام موظفي الدولة فاختفى كل شكل من أشكال النظام القضائي والحقوقي ولم يبق الناس في أمان واطمئنان[١٨٣] وأصبحت ثروات إيران ولاسيما في عهد ناصر الدين شاه ومن جاء بعده ن الشاهات غرضة نهب الدول الطامعة في إيران، فمع نمو الرأسمالية في أوربا وروسيا دخلت إيران عصر النفوذ الأجنبي والامتيازات الأجنبية[١٨٤] تلك الامتيازات التي قدمها الشاهات ورؤساء الوزارات والوزراء والسفراء ورجال البلاط المرتشين جميعاً على طبق من فضة بأثمان بخسة إلى الدول الأجنبية وفي مقدمتها بريطانيا وروسيا، وقد أولينا امتياز احتكار التنباك من قبل الشركة الإنجليزية لصاحبها الميجر تالبوت عام ١٨٨٩م اهتماماً كبيراً لأهميتها التاريخية والسياسية، لأن هذا الامتياز أدى إلى نهضة حركة لتحريم التنباك بقيادة رجال الدين. فقد كان لانتصار حركة تحريم التنباك في عهد ناصر الدين شاه الأثر الفعال في ظهور الثورة الدستورية فيما بعد، لذا فأننا لم نراع التسلسل التاريخي في منح الامتيازات للدول الأجنبية وحاولنا بيان نتف منها لما لها من أهمية في مجريات الإحداث في تاريخ إيران الحديث والمعاصر.

حصل البارون رويتر Roiter وهو ثري ومتنفذ بريطاني على امتياز تقع تفصيلاته في أربع وعشرين مادة عام ١٨٧٢م وقد وصفه اللورد كرزن G.Curson بالامتياز القنبلة[١٨٥]. أعطى بريطانيا الحق في إنشاء السكك الحديد، نذكر منها السكة الحديد بين طهران ورشت وبين طهران والموانى الإيرانية في الجنوب وتبليط طرق المواصلات البرية وإنشاء مصرف في إيران بأسم المصرف الشاهنشاهي Imperial Bank مع امتياز ضرب العملة الإيرانية، وقد منح كذلك امتياز استخراج الثروة المعدنية باستثناء الذهب والفضة والمعادن الثمينة الأخرى وكذلك الإفادة من الغابات وفتح قنوات الري والإشراف على الصادرات الخارجية والأعمال الجمركية

لمدة أربعة وعشرين عاماً وإنشاء خطوط البرق في جميع الأجزاء الغربية والجنوبية في إيران[١٨٦].

لم تقف روسيا أمام هذه الامتيازات الممنوحة إلى منافسيها البريطانيين مكتوفة الأيدي، فطفقت تضغط على الحكومة الإيرانية لمنحها امتيازات تفوق تلك التي منحتها إلى الإنجليز فأضطر ناصر شاه إلى الرضوخ إلى مطالبهم، فكان أن وافقت إيران منذ عام ١٢٧٩هـ/١٨٧٩م على تشكيل لواء من القوزاق (الشرطة السيارة) على النمط الروسي على أن يدربه ويشرف عليه ضابط من الروس [١٨٧] وأعدت هذه القوات في طهران وبعض المدن الشمالية في إيران.

في عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م حصل أحد رعايا الروس الأرمن أسمه ليانازوف على امتياز يمنحه حق الصيد في بحر قزوين[١٨٨] كما منح الروس فتح مصرف روسي وهو مصرف الخصم **Discount Bank** في طهران عام ١٣٠٩/١٨٩١م، كما نشطت روسيا في عهد ناصر الدين شاه للاستيلاء على الأراضي الإيرانية والتي كانت ضمن ممتلكات الدولة الإيرانية، فاستولت جيوشها عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م على طشقند وسمرقند وبخارى وخيوة.

سارت البلاد في أواخر حكم ناصر الدين شاه من سيء إلى أسوأ حيث أصبح الفساد الإداري والاجتماعي والاقتصادي سمة نظامه الاستبدادي[١٨٩]، وقد استفحلت وزادت الامتيازات الممنوحة إلى الشركات من تخريب وتدهور الاقتصاد الإيراني ووصل الاقتصاد الوطني إلى هاوية الإفلاس، ولما تبوأ أبنه مظفر الدين شاه بعد مقتله وجد خزائن والده خاوية[١٩٠] ومنع ناصر الدين شاه فتح مدارس جديدة ولم يكترث عندما حرق حشد متدين إحدى المؤسسات التعليمية الحديثة وحرم استيراد الصحف الليبرالية وحاول إشعال النزاعات القبلية والصراعات الطائفية وأنهى إعطاء منح الدولة للدراسة في الخارج ومنع حتى أقاربه من زيارة أوربا، وقيل أن الشاه بات يفضل رجال البلاط الفاسدين الذين لا يعرفون ما إذا كانت (بروكسل) مكاناً أو خضاراً[١٩١].

تألفت الجمعيات السرية لمقاومة الحكم وتركت شخصيات بارزة إيران متوجهين إلى أوربا والدولة العثمانية، وبدأت صحفهم مثل (أختر) و (قانون) و(ثريا) و(بدروش) تهرب خلسة إلى داخل البلاد، والتي كانت مقالاتهم تهاجم الاستبداد الشاهنشاهي والسيطرة الأجنبية والفساد المستشري في كل مرافق البلاد[١٩٢].

وكان بديهياً ان تظهر في هذا المناخ السياسي الحركات الثورية في البلاد الإيرانية، وكان جهل الحكام الرجعيين الملتفين حول ناصر الدين شاه الذين مارسوا سياسة قمعية تجاه القوميات القاطنة في إيران ولاسيما المعاملة القاسية مع الشعب الكردي في كردستان إيران التي أدت إلى ظهور حركات وانتفاضات كردية عارمة ضد الحكم القائم ومن أهم تلك الحركات وأبرزها ثورة الشيخ عبيد الله النهري[١٩٣] التي هزت كيان الحكم في عهد ناصر الدين شاه.

ثورة الشيخ عبيد الله النهري ١٨٨٠ـ ١٨٨٣م

كان الشيخ عبيد الله النهري سليل أسرة معروفة في كردستان أذعن الناس لها بالطاعة واعتقدوا بالولاية فيهم وهم أهل التقوى، وكان جل أنصارهم في منطقة شمدينان من ولاية حكاري في كردستان (تركية) الحالية، فتوسع نفوذهم الديني حتى شمل أرجاء اذربيجان الغربية ولما نشبت الحرب بين الروس والدولة العثمانية عام ١٨٧٧- ١٨٧٨م[١٩٤] ساند الشيخ العثمانيين ضد أعدائهم لاعتقاده بضرورة مساندة المسلمين ورأى في هذه المساندة مصلحة الكرد[١٩٥] ولكن الخلاف ذر قرنه بين الشيخ والحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بسبب سياسة التنكيل التي مارسها العثمانيون ضد الشعب الكردي وسائر الشعوب الإسلامية المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية.

بدأ الشيخ عبيد يطالب السلطات العثمانية بمنح الشعب الكردي الاستقلال الداخلي في وطنه تحت الإدارة العثمانية[١٩٦] وكان الشيخ واضحاً في مطالبه وأهدافه إلا وهي إعلان استقلال كردستان الداخلي[١٩٧] وكان يؤمن إيماناً عميقاً بضرورة التعاون والتكاتف بين الكرد والأرمن[١٩٨] وسائر الشعوب المجاورة للكرد من العرب والآثوريين في نضالهم وكفاحهم من اجل الاستقلال من الدول التي تحكم أوطانهم، وبدو ذلك جلياً في موقفه الرافض للغدر بجيرانهم الأرمن وسوف يبقى موقفه هذا صفحة ناصعة في التاريخ[١٩٩].

ولذلك يمكن الجزم بان ثورة الشيخ عبيد الله النهري عام ١٨٧٨- ١٨٨١م ثورة قومية بالمفهوم الحديث وهو أول من دعا إلى الوحدة الكردية والاستقلال الذاتي للكرد[٢٠٠].

بدأ الشيخ باتصالات من اجل تعزيز مكانته وضمان تأييد خديوي مصر[٢٠١] وشريف مكة، وأرسل مبعوثاً إلى القنصلية الروسية في ارضروم لتأمين تأييده لحركته المرتقبة[٢٠٢] ولكن الدولة القيصرية التي خرجت لتوها من حرب مدمرة مع الدولة العثمانية آثرت إهمال مطاليب الشيخ عبيد الله النهري ورجحت عدم التدخل في الشؤون الداخلية لإيران وتركيا.

في عام ١٨٧٨م كتب الشيخ عبيد الله النهري إلى القنصل البريطاني ان الدول الأوربية ينبغي ان تفعل شيئاً للكرد وظلت رسائله تصل إلى حكومات الدول الأوربية بهذا الشأن[٢٠٣] ولكن لم تثمر محاولات الشيخ عن نتيجة تذكر.

شرع الشيخ عبيد الله بحملة على السلطة الإيرانية في المناطق الكردية في إيران منذ عام ١٨٨٠ وقسم قوات القتال على جبهتين: كانت القوات في الجبهة الشمالية يقودها ابنه الأكبر الشيخ صديق وكان يهدف بذلك الاستيلاء على المدن اورمة وسلماس وخوي وماكو، أما الجبهة الجنوبية فكان يقودها نجله عبد القادر، يسانده كل من حمزة اغا رئيس عشائر منكور وفيض الله بك، وكان يهدف إلى الاستيلاء على مهاباد ومياندوآب ومراغة وتبريز وتمكنت قوات الشيخ عبيد الله من إحراز انتصارات حاسمة على القوات الحكومية[٢٠٤] في مياندوآب ومراغة وجميع بلاد مكريان التي كان سكانها من الكرد من أهل السنة والجماعة المتعاونين مع الشيخ عبيد الله لهذا بذل السكان في سبيل نصرة الشيخ النفس واشتركوا في إعلان الجهاد المذهبي ضد مذهب الشيعة الأمر الذي أفضى إلى انتشار روح الثأر والانتقام بين السنة والشيعة في مقاطعة مراغة وسائر المناطق الاخرى، فحدثت مذابح مروعة بينهم وقتل خلق كثير من الطرفين ولحقتهما أضرار بالغة في الأنفس والأموال ولا سيما الشيعة ولقد بلغ الأمر حداً أصبحت عاصمة إقليم اذربيجان، تبريز معه مهددة من قبل قوات الشيخ عبيد الله التي وصلت إلى مشارف المدينة[٢٠٥] ولكن لقلة تنظيم حركة الشيخ ولاسيما من الناحية السوقية لم يستغل مقاتلوه انتصاراتهم السريعة لاحتلال مدينة تبريز الاستراتيجية لان احتلالها كان يؤثر على مجرى سير القتال بين الطرفين المتنازعين، وقد أثبتت الأحداث ان بعض رؤساء القبائل الذين اشتركوا في القتال في صفوف قوات الشيخ عبيد الله لم تكن أهدافهم نظيفة[٢٠٦] بل اشتركوا في الثورة بهدف السلب والنهب مستغلين الظروف غير الطبيعية التي فرضها القتال ضد الحكومة المركزية وعندما شعروا بقوة الحكومة وانتصار قواتها

في بعض الميادين انحازوا إلى القوات الحكومية مغيرين ولاءهم بسرعة مذهلة[٢٠٧]. وأصيبت قوات الشيخ عبيد الله بنكبات قوية بسبب المقاومة الشديدة التي أبداها حاكم مدينة "اورمية" اقبال الدولة وساندوا العشائر الجلالية الكردية بقيادة تيمور خان الجلالي للقوات الحكومية.

وبعد قتال عنيف بين العشائر المساندة للدولة الإيرانية وقوات الشيخ عبيد الله تمكنت القوات الحكومية من إجبار الشيخ عبيد الله والعشائر المساندة له على الانسحاب من منطقة اورمية[٢٠٨] نظراً لعدم توافر القوات الحكومية الإيرانية الكافية للصراع ضد الثوار الكرد، فقد التجأ ناصر الدين شاه إلى طلب المساعدة من روسيا القيصرية العدوة التقليدية للدولة العثمانية وبعد ان اقترحت الحكومة القيصرية لسفيرها في استانبول ان يحمل الإدارة العثمانية على اتخاذ إجراءات بهذا الصدد ولكن السلطات العثمانية لم تبد أية رغبة حقيقية لاتخاذ إجراءات ضد الشيخ عبيد الله[٢٠٩]، وعليه يعتقد أهالي إيران ان العثمانيين هم الذين يحرضون على مثل هذه الانتفاضة، لأن هناك مجاميع كبيرة من كرد تركيا بين ثوار الشيخ عبيد الله[٢١٠].

مهما كانت الأحوال فان الدولة العثمانية قامت ارضاءً للروس بتعبئة المزيد من قواتها في كردستان منذ تشرين الثاني من عام ١٨٨٠م، وتمركزت تلك القوات عند مؤخرة الثوار الكرد في ولاية وان[٢١١] وكانت تقدر بـ(١٢) فرقة من المشاة والمدفعية ولأجل التأثير في الشيخ عبيد الله مباشرة زاره في وان بإشارة من استانبول الموظفان التركيان حسن اغا ودولار اغا وقائمقام شتاخ ليقنعوه بسحب محاربيه من إيران والعودة معهم إلى الأراضي العثمانية، هذا وقد حشدت الحكومة الروسية قوة من جندها على حدودها لمنع قوات الشيخ من تخطيها، كما ان الحكومة الإيرانية كانت قد حشدت قوة كبيرة من الفرسان من تركمان ماكو ضد الشيخ فضلاً عن قواتها النظامية، وطلبت من الحكومة العثمانية إرسال قوة من قبلها إلى الحدود للتعاون مع الحكومة الإيرانية لكبح جماح قوات الشيخ والتعجيل في قمع حركته[٢١٢] ومما هو جدير بالإشارة ان نتيجة للاندحارات والإنكسارات التي واجهتها قوات الشيخ عبيد الله في الولايات التي احتلتها في إيران وترك الكثير من أنصاره صفوف قواته وحصاره من قبل القوات الإيرانية والعثمانية والروسية[٢١٣] وحرمانه من المساندة الدولية ان ضعفت قوة الشيخ وهزم اتباعه فضلاً عن الموقف السلبي للأمريكان تجاه حركته حيث ان بعثة التبشير الأمريكية لعبت دوراً مهماً في هزيمته،

فكان للدكتور كوثران رئيس البعثة نفوذ كبير عند الشيخ ويصغ إلى نصائحه، وعلمت البعثة ان القوات الإيرانية تتحشد لضرب حركة الشيخ اقترح رئس البعثة الدكتور كوثران على الشيخ ان يؤخر زحفه عدة أيام ضد القوات الحكومة الإيرانية مما فوت فرصة المباغتة على قوات الشيخ وحتى وصلت القوات الحكومة مجتمعة وهو ما أدى إلى اندحار قوات الشيخ عبيد الله النهري[٢١٤] واضطر الشيخ إلى ترك المناطق التي احتلتها قواته في إيران وبعد معارك دامية أر ابن عبد القادر وحمزة اغا ان رفعا الحصار عن صاو وجبلاغ دون قتال، فانسحبت قوات الشيخ إلى منطقة مركه وه ر ثم إلى داخل الدولة العثمانية واستقرت في منطقة مدينان وسلم نفسه إلى الحكومة العثمانية التي نقلته إلى استانبول حيث بقي مدة من الزمن لا تفارقه الفكرة التي ثار من أجلها.

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة العثمانية برغم تأييدها الضمني لحركة الشيخ عبيد الله النهري في بداية أمرها فإنها رجعت أخيراً للضغط عليه متعاونة مع الحكومة الإيرانية، فقرر السلطان عبد الحميد الثاني دعوته إلى استانبول وعلى الرغم من الحفاوة البالغة التي اسبغها السلطان على الشيخ ومعاملته كزعيم كبير[٢١٥] تراجعت الحكومة العثمانية عن موقفها المساند للضغط عليه بالتعاون مع الحكومة الإيرانية، ولم يمض وقت طويل على هذا الموقف حتى فر الشيخ من الاستانة بطريق القوقاز ووصل إلى موطنه شمدينان، غير ان الحكومة العثمانية بادرت بتجريد حملة عسكرية كبيرة على الشيخ وأجبرته على الاستسلام ونقلته مخفوراً في نهاية عام ١٨٨٢م إلى الموصل ومن هناك بصحبة وحدات عسكرية إلى الاسكندرونة ثم إلى بيروت على ظهر باخرة إنجليزية فوصل مكة المكرمة مع عائلته فتوفي في مدينة الطائف[٢١٦] بعد مدة من الزمن[٢١٧] على الرغم من إخفاق الانتفاضات المسلحة الأولية للثورة الوطنية الكردية التي اندلعت خلال القرن التاسع عشر في تحقيق الأهداف الوطنية الكبرى إلا أنها حققت مهام خطيرة منها بلورة القومية الكردية وحركتها التحررية ونشرت الوعي القومي في كردستان وأثرت على الأوضاع العامة في إيران.

اغتيال ناصر الدين شاه

جرى اغتيال ناصر الدين شاه في الوقت الذي كان يتأهب فيه للاحتفال بالعيد الخمسين لحكمه بحسب التقويم القمري، ففي يوم الجمعة ١٧ من ذي القعدة عام ١٣١٣هـ الموافق الأول من شهر أيار من عام ١٨٩٦م، وبينما كان الشاه يزور مرقد الشاه عبد العظيم في مدينة الري أطلق عليه الرصاص الميرزا محمد رضا الكرماني وهو يصرخ قائلاً: خذها من يد جمال الدين، فأرداه قتيلاً، وقد أفاد القاتل في التحقيق مبيناً سبب إقدامه على قتل ناصر الدين شاه بأنه إنما قام بقتله لتسببه في تردي أوضاع البلاد وتدهورها وشيوع الفساد وظلم الحكام والولاة والعملاء للدول الأجنبية الذين قدموا ثروات البلاد مجاناً امتيازات للأجانب وقناعته بان ملكاً سيئاً حكم نحو خمسين عاماً(٢١٨) وتكون نتيجة حكمه خراب البلاد وفساد العباد يجب قطع شجرته الخبيثة من جذورها حتى لا تثمر لمن زرعها(٢١٩).

وقد دلت التحقيقات التي أجريت مع القاتل انه كان من أنصار جمال الدين الافغاني واعترف في التحقيق بان السلطان عبد الحميد الثاني هو الذي حرض الافغاني على قتل ناصر الدين شاه(٢٢٠).

ولأجل تقويم حكمه اكتفي بذكر رأي أحد رجال بطانته المقربين وهو ميرزا علي خان أمين الدولة الذي اصبح مدة صدراً أعظم لحكومته إذ قال، كان بإمكان ناصر الدين شاه ان يخلف أثراً محموداً في زمن حكمه الطويل ولكن للأسف الشديد لم يخلف وراءه ذكرى محمودة حسنة بل كان عصره عصر انحطاط وخسارة وحرمان للإيرانيين(٢٢١).

هوامش الفصل الخامس

(١) قتل والد اقا خان المدعو شيخ خليل الله من قبل مجموعة من المغامرين قرب مدينة يزد الإيرانية.

(٢) سلطان أحمدميرزا، تاريخ عضدي ص٣١٩.

(٣) حسن بيرنيا وعباس اقبال الصدر السابق ص٨١٣.

(٤) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس در إيران، ص٣٥٤.

(٥) فريدون ادميت، أمير كبير وإيران، مصدر سابق ص٣٤٠ وكذلك إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس در إيران، مصدر سابق ص٣٥٤.

(٦) عباس برويز، انظر تاريخ دو هزار يانصد ساله إيران از تشكيل دولة صفوية تا عصر حاضر جاب علي اكبر علمي تهران ١٣٤٣ ص٢٣٨- ٢٣٩. واحمد ميرزا، تاريخ عضدي، مصدر سابق ص١٩٦- ١٩٧.

(٧) دونالد وكبر: إيران ماضيها وحاضرها، مصدر سابق ص٩٨.

(٨) هو أحمد بن ولبر زين الدين بن إبراهيم بن ظاهر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ بن صولح.

(٩) يعتقد الاحسائي ان للانسان جسدين أحدهما "هور قلياني" والثاني "صورتي" فالأول منهما هو الجسد اللطيف الذي يمثل مادة الإنسان الثابتة أي جوهره الأصيل كما يمثل المعدن مادة الشيء المعمول منهن أما الجسد "الصوري" فهو الذي تكون من الأجزاء الفضلية والكثافات العرضية الموجودة في بدن الإنسان وتمنع من صفانه ولطافته ويعتقد الاحسائي ان الإنسان إذا مات اندثر جسده الصوري فلا يعود إليه إلا في يوم القيامة أما الذي يعود إليه فهو جسده "الهور قلياني" فقط وكذلك يعتقد الشيخ أحمد ان النبي حين عرج إلى السماء في ليلة الإسراء لم يصعد في جسده الصوري الكثيف بل صعد بجسده الهورقلياني وكذلك يعتقد ان الإمام محمد المهدي عندما غاب غيبته الكبرى إنما هو نزع عنه جسده الصوري وبقي محتفظاً بجسده الهورقلياني وهذا هو سر بقائه مئات السنين على قيد الحياة دون ان يتطرق إليه الفناء انظر عبد الحسين آوارد: الكواكب الدرية، ترجمة أحمد فائق القاهرة ١٩٢٤ ص٤٣ وكذلك موسى الاسكوني: إحقاق الحق. النجف ١٩٦٥م بالاستفادة من الفصلين الرابع والخامس

وكذلك علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٢، المصدر السابق ص١٣١- ١٣٢.

(١٠) أحمد كسروي: التشييع والشيعة تهران ١٣٦٤ هجري ص٥٥ وكذلك حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٨١٦.

(١١) عبد الحسن آواره، الكواكب الدرية، مصدر سابق، ص٤٣ القاهرة ١٩٢٤م ص٤٣ وكذلك د. حسين محفوظ، سيرة الشيخ أحمد الاحسائي مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٧ ص١٣- ٤٢ وكذلك محسن عبد الحميد حقيقة البابية والبهائية بغداد ١٩٨٠ ص٣٤.

(١٢) محمد زرندي، مطالع الانوار، ترجمة عبد الجليل سفر القاهرة ١٩٤٠ ص٢٨.

(١٣) المصدر نفسه ص١٤.

(١٤) علي الوردي، لمحات، ج٢، مصدر سابق ص١٣٢.

(١٥) محمد زرندي، المصدر السابق ص١٤.

(١٦) ولد البات في اليوم الأول من محرم سنة ١٢٣٥هـ/ ١٧١٩م في شيراز من أبوين هما غاسيد محمد رضا التاجر والسيدة فاطمة بيكم توفي والده وهو في سن الفطام فكفله خاله علي اليرازي، أنظر عبد الحسين آواره، الكواكب الدرية في تاريخ البابية والبهائية، مصدر سابق ص٥٩.

(١٧) آل طعمة محمد حسين كلدار، مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء، مطبعة تموز كربلاء ١٩٧١- ١٩٧٢ ص٥٥ وكذلك انظر Edward BROWN Year among the Persians- London ١٩٢٧ P٦٥.

(١٨) د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، الجزء الأول، مصدر سابق ص١٥٩.

(١٩) دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها ص٩٨.

(٢٠) عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، بيروت ١٩٨٣ ص٣.

(٢١) محمد مهدي خان "مفتاح باب الأبواب" القاهرة ١٣٢١ هجري ص١٣٣- ١٤١.

(٢٢) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٢، ص١٤٢.

(٢٣) استطاع علي محمد الشيرازي ان يستقطب حوله ثمانية عشر شخصا أطلق عليهم تسمية "حروف حي" وكأن يعني بها ان حرف الحاء يعادل الرقم ثمانية ضمن حروف الهجاء والياء يساوي الرقم عشرة منها وبذلك يصبح العدد ثمانية عشر.

(٢٤) جاء في وصف قرة العين على لسان علي محمد الباب ما يأتي: "أيتها الفتاة القزوينية لا تمشطي شعرك ان الملائكة يفتنون بك"، انظر جهانكير ميرزا، تاريخ نو، مصدر سابق ص٢٩٨.

(٢٥) عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم، ص١٩.

(٢٦) عبد الحسين اوارة: الكواكب الدرية ص٩١.

(٢٧) عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهايون في ماضيهم وحاضرهم، ص٢٩.

(٢٨) مرتضى راوندي ج٢، المصدر السابق ص٥٠٣.

(٢٩) عبد الحسين اوارة، الكواكب الدرية، ص١٣٣.

(٣٠) جهانكير ميرزا، تاريخ نو، مصدر سابق ص٢٩٩ وكذلك عباس برويز تاريخ دوهزاريانصد ساله إيران از تشكيل دولت صفوية تا عصر حاضر، ص٢٤٠.

(٣١) أمر ناصر الدين شاه بمحاكمة علي محمد الباب وقد أفتى رئيس العلماء الأصوليين الحاج باقر المجتهد ورئيس الشيخية الملا محمد السقاني بإعدامه.

(٣٢) غلام حسين مصاحب دائرة المعارف فارسي ج١، ص٨٦٦.

(٣٣) وقعت محاولة اغتيال ناصر الدين شاه في عهد رئيس وزرائه ميرزا اقا خان نوري اعتماد الدولة، ففي زمن صدارته تمرد البابيون بقيادة ملا شيخ علي وحاولوا اغتيال ناصر الدين شاه انظر عبد الله رازي، المصدر السابق ص٥١٩.

(٣٤) قرة العين وأصل اسمها زرين تاج أي التاج الذهبي بنت الحاج ملا صالح البرقاني من أسرة معروفة في قزوين ومشهورة بالعلم والمعرفة وكانت تحضر دروس والدها وعمها في البهو نفسه الذي يجتمع فيه الطلاب وكانت تميل إلى تعاليم السيد كاظم الرشتي وتظهر إخلاصها له وتعلقها به ولأجل ان تبرهن له على ذلك كتبت إليه رسالة في الدفاع عن تعاليم أستاذه الشيخ أحمد الاحسائي فأجابها السيد برسالة رقيقة افتتحها بهذه الديباجة "ياقرة عيني وفرح فؤادي" ومنذ ذلك الحين لقبت زرين تاج بقرة العين وكانت قرة العين قد تزوجت بابن عمها محمد بن الملا تقي القزويني الذي كان أمام الجمعة في مدينته ورزقت منه ثلاثة أبناء ذكور وإناث ثم هجرت زوجها وسافرت إلى كربلاء لملاقاة السيد كاظم الرشتي فوجدته قد توفي

قبل وصولها فآثرت البقاء في هذه المدينة وبث الدعوة لمبادئ المتوفى على الأسس الشيخية وما لبثت ان انقطعت إلى الرياضة والتبتل فأمرتها الحكومة بمغادرة كربلاء فورا فتوجهت إلى بغداد ونزلت في دار المفتي الالوسي زهاء الشهرين حتى إذ عقد مؤتمر رشت عادت إلى إيران فطلقت زوجها واتهمت بقتل عمها وسبي أهلها وكانت ولادتها في قزوين سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م أو سنة ١٢٣١هـ ومقتلها في سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٧٤م وكانت عالمة متبحرة في الفقه وعلوم الدين شاعرة وخطيبة وجريئة في عقائدها انظر تفاصيل حياتها ودورها في بث العقائد البابية في كتاب علي الوردي، لمحات اجتماعية ج٢ ص١٥٢- ١٩٠ وكذلك محمد زرندي، المصدر السابق ص٤٩٧- ٤٩٨.

(٣٥) أرسل الصدر الأعظم إلى قرة العين عالمين هما الملا محمد اندرماني والملا علي كني من اجل امتحانها وكتابة تقرير عن عقيدتها الدينية لكي يتخذ الإجراء المناسب بحقها وبعد المداولة والمناقشات الحادة بينهما وإذعان الرجلين بأنها متمسكة بعقائدها لا تحيد عنها قيد شعرة خرجا وكتبا تقريرا ذكرا فيه ان قرة العين قد ارتدت وكفرت ورفضت التوبة وانها تستحق القتل عملا بحكم القرآن الكريم وهناك آراء مختلفة على كيفية قتلها والأرجح أنها قتلت خنقاً انظر Brown E. A Year Among The Persians Cambridge ١٩٢٧ p٥٧١- ٥٧٢.

(٣٦) دونالد ولبر، إيران في ماضيها وحاضرها، ص٩٩ وكذلك علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٢ ص٢٨٦.

(٣٧) سايكس، المصدر السابق ص٥٣٦.

(٣٨) عبد الرزاق الحسني: البابيون والبهائيون، ص٤١.

(٣٩) المصدر نفسه ص٤٢- ٤٣.

(٤٠) ظهير إحسان الهي، البابية عرض ونقد، طبع كردستان ١٩٨٤ ص٢٦٦.

(٤١) المصدر نفسه ص٢٦٧.

(٤٢) ولد حسين علي المازندراني في قرية نور إحدى قرى مازندران في إيران في ٢ محرم سنة ١٢٣٣- ٢ تشرين الثاني ١٨١٧.

(٤٣) قضى حسين علي النوري مدة أربعة اشهر في سجن سياه جال في طهران وأنقذ رقبته من الموت المحقق مساعي رئيس الوزراء اغا خان نوري والقنصل الروسي دالكوركي الذي أمن الحماية له ولعالته.

(٤٤) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث ص٢٨٦- ٢٨٧ وكذلك جـــهانكير ميرزا تاريخ نو، المصدر السابق، ص٢٦٠.

(٤٥) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، ص٢٠٤.

(٤٦) عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهايون في حاضرهم وماضيهم، ص٥٩.

(٤٧) ظهير إحسان الهي: البهائية عرض وتحليل ص٣١.

(٤٨) بهاء الله حسين علي النوري "الإيقان" عرب وطبـــع بإجـــازة: المحفـــل الروحـــاني المركزي بالقطر المصري، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣٤ ص١٧٤.

(٤٩) عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهانيون ص٧١.

(٥٠) المصدر نفسه ص٦٠- ٦١.

(٥١) عائشة عبد الرحمن، قراءة في وثائق البهائية، مركز الأهـــرام للترجمـــة والنشـــر الطبعة الأولى القاهرة، ١٩٨٦ ص٦٦.

(٥٢) أحمد الغالي، البهائية حزب لا مبدأ سلسلة منابع الثقافة الإسلامية رقم ٥١ كربـــلاء ١٣٨٥هـــ ص٤٥.

(٥٣) عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ص٦١.

(٥٤) سراج الدين أحمد وليد، البهائية والنظام العالمي الجديد وحدة الأديـــان والحكومـــة العالمية ج١ مطبعة الداودي دمشق ١٩٩٤ ص٥٣٨.

(٥٥) ظهير إحسان الهي، البهائية عرض وتحليل، ص٤٠.

(٥٦) عبد الرزق الحسني، البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص٦٣.

(٥٧) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق ص٦٦٨.

(٥٨) عائشة عبد الرحمن، قراءة في وثائق البهائية ص١١٥.

(٥٩) دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، ص٩٩.

(٦٠) محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، ص١٧٣.

(٦١) عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهائيون حاضرهم وماضيهم، ص٧١.

(٦٢) اللهيار خان اصف الدولة بن حمد خان قاجار دولوي صهر فتح علي شاه تزوج من ابنته الأميرة مريم خان كانت ثمرة هذا الزواج حسن خان الملقب بسالار ومحمود خان الملقب بـــ(بيكلربيكي) ومحمد علي خان وحسين خان، انظر ســـلطان أحمـــد مـــيرزا: تاريخ عضدي، ص٢٥١.

(٦٣) كان اللهيار خان اصف الدولة في سعي متواصل ليصل إلى منصب الصدارة أي رئاسة الوزراء ونظرا لتعلق محمد شاه ميرزا اقاسي برئيس وزرانه كان تعلقه شديدا ومورد احترامه وتبجيله ولما كان ميرزا اقاسي يمقت اصف الدولة عليه كانت العلاقات بينهما متوترة ومشحونة بالبغضاء والكراهية وأسفر هذا النزاع إلى نفي اصف الدولة إلى العتبات المقدسة بأمر من محمد شاه واجبر على الإقامة هناك، انظر حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٨١٦.

(٦٤) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٨٦٠.

(٦٥) حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص٨١٦.

(٦٦) فريدون ادميت، أمير كبير وإيران، ص٢٣٠.

(٦٧) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٨١٦.

(٦٨) حمزة ميرزا "حشمت الدولة" أحد أبناء عباس ميرزا وأخ محمد شاه ويعد أحد الحكام والأمراء المعروفين في الأسرة القاجارية اشتهر بمعاركه الشديدة عند محاولته القضاء على تمرد سالار كما اتهم بمحاربته للبابيين وقد اعدم علي محمد الشيرازي "الباب" أثناء ولايته لتبريز وعندما كان في طريقه لقمع ثورة شيخ عبيد الله النهري الكردي توفي في السنة ١٢٩٧هـ بمنطقة صاين قلعة بافشار انظر سلطان أحمد ميرزا تاريخ عضدي، ص٢٩١ وكذلك محمود محمود، تاريخ روابط سياسي إيران وانكليس، مصدر سابق، ج٤ ص٤ ص٩٠٣.

(٦٩) حسن بيرنيا وعباس اقبال، مصدر سابق ص٨١٦.

(٧٠) انظر غلام خسين مصاحب، دايرة المعارف فارسي ج١، ص٨٦٦ وفريدون ادميت، امير كبير وإيران ، المصدر السابق ص٢٣٠.

(٧١) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٨١١.

(٧٢) هو سلطان ميرزا ابن عباس ميرزا القاجاري الملقب بحسام السلطنة، ولد في ربيع الثاني من العام ١٢٣٣ للهجرة. وقد اشتهر بقساوته وشجاعته البالغتين. ومن ابرز أعماله قضاؤه على تمرد سالار وفتحه لمدينة هرات في افغانستان، تقلد عدة مناصب منها ولاية خراسان وفارس وكرمنشاه. توفي العام ١٣٠٠ للهجرة في مدينة مشهد.

(٧٣) عضد الدولة سلطان أحمد ميرزا، تاريخ عضدي، ص٢٥٤- ٢٦١.

(٧٤) فريدون ادميت، امير كبير وإيران، ص٢٤٣.

(٧٥) وصف مارك ها الأيام الأخيرة لمحمد شاه بأنه كان يمضي وقته بالجلوس قرب نافذته والتصويب بمسدسه على العصافير تاركا أمور البلاد لرئيس وزرانه (الصدر الأعظم) ميرزا اقاسي انظر Markham C. R. A General Sketch of the History of Persia. Netherlands ١٩٧٧. P٤٨٦.

(٧٦) جهانكير ميرزا، تاريخ نو، ص٣١٥.

(٧٧) اختلف المؤرخون في تاريخ تتويج ناصر الدين شاه ففريق جعله يوم الثالث عشر من أيلول وفريق جعله يوم ٢٠ من تشرين الأول في العام ذاته، وكلا الرأيين صحيحان. ففي أيلول أعلن ناصر الدين نفسه شاها بناء على قراءة المنجمين، بعد ان اطلع السفير البريطاني على وفاة والده محمد شاه. انظر: علي خضير عباس المشايخي، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨- ١٨٩٦ رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٨٧.

(٧٨) ادوارد بروان، يك سال ارميان ايرانيان، ترجمة ذبيح الله منصوري، جاب كانون معرفت لا ص١٠٦ وكذلك عبد العظيم رضائي، تاريخ ده هزا رساله إيران ج٤ انتشارات وجاب اقبال تهران ١٣٧٧ ص١٥٦.

(٧٩) وللمزيد عن سيرة ناصر الدين انظر: اعتماد السلطنة روزنامة خاطرت (١٢٩٢- ١٣١٣هـ) بمقدمة وفهارس ايرج افشار وتهران ١٣٤٥ وكتاب إبراهيم تيموري: عصر بي خبري باتاريخ امتيازات درايران تهران ١٣٣٢ هجري وشميم علي اصغر، ايران دردورة سلطنة قاجارية وصنيع الدولة، منتظم ناصري.

(٨٠) ميرزا علي خان، امين الدولة خاطرت سياسي أمين الدولة بكوشش حافظ فرمانفرمائيان انتشارات امير كبير تهران ١٣٧٠ ص٨.

(٨١) ادوارد براون، يك سال درميان ايرانيان، مصدر سابق ص١٢٣.

(٨٢) لسان الملك ميرزا محمد تقي ناسخ التواريخ ج٣، ص٤٣١ وكذا ادوارد براون، تاريخ ادبيات ايران ازجامي تادوران قاجارية، ترجمة رشيد ياسمي، تهران ١٣١٦ ص٣٤٦.

(٨٣) A. Amanat Cedited. Cities and Trade Consul About on the Economy and Society of Iran ١٨٤٧- ١٨٦٦ England ١٩٨٣ p٧.

(٨٤) لسان الملك ميرزا محمد تقي سبهر، ناسخ التواريخ مصدر سابق ج٣ ص٤٢٧.

(٨٥) وجهانكير ميرزا، تاريخ نو، ص٣١٦- ٣١٧.

(٨٦) ولد ميرزا تقي (محمد تقي) بن محمد قربان في قرية هزاوة من محال فراهان العام ١٢٢٢هـ من أسرة ضعيفة الحال فأبوه كان يعمل طباخاً لدى القائمقام مرزا بزرك وقد تدرج بفضل ذكائه وقابلياته وعصاميته سلم الوظائف الحكومية في اذربيجان ولا سيما في مجال إدارة الجيش وسافر خلال ذلك إلى روسيا مرتين سنة ١٨٢٩ و١٨٣٧ وبعدها بثلاث سنوات ترأس وفد بلاده إلى اجتماعات معاهدة ارضروم التي تمخضت عنها اتفاقية ارضروم الثانية ١٨٤٧ وقد اطلع أمير كبير خلال رحلتيه إلى بطرسبرغ على محاولات الإصلاح والتحديث الروسي لاسيما في رحلته الأولى التي استغرقت زهاء السنة وفي ارضروم اطلع وان لم يكن بشكل واف على النتائج الأولى للتنظيمات العثمانية فكان لتلك المشاهدات أثرها في سياسته المستقبلية عند توليه الصدارة العظمى إذ سيطر على البلاد والشاه ومسرح الأحداث في إيران طوال مدة صدارته التي دامت ثلاث سنوات وثلاثة اشهر، انظر عن أسرته وشخصيته، فريدون ادميت، امير كبير وإيران، ص١٧-٥٠.

(٨٧) كان السفير الإنجليزي في طهران يتأمل ان يتصدر منصب الصدارة (رئاسة الوزراء) لناصر الدين شاه ميرزا اقا خان نوري أحد عملائهم المعروفين وقد تفاهم على ذلك مع مهد عليا والدة ناصر الدين شاه ولكن الشاه الجديد أصر على تعيين ميرزا تقي خان الفراهاني "أمير كبير" صدراً أعظم لحكومته انظر حبيب الله شملوني، مصدر سابق ص٨١٤-٨١٥.

(٨٨) دونالد ولبر، ايران ماضيها وحاضرها ص٩٩، فريدون ادميت، أمير كبيز وإيران تهران ١٣٤٨ ص١٩٢-١٩٣.

(٨٩) من المصادر المفيدة عن أمير كبير علاوة على المصدر المذكور، كتاب (ميرزا تقي خان) أمير كبير لمؤلفه عباس اقبال المطبوع في تهران العام ١٣٤٠ هجري.

(٩٠) عصر بي خبري، ص١-٢.

(٩١) المصدر نفسه ص١٥.

(٩٢) ادوارد براون، يك سال درميان ايرانيان ص١٠٧.

(٩٣) فريدون ادميت، أمير كبير وإيران، ص١٩٦.

(٩٤) تنبأ قائمقام الفراهاني رئيس وزراء محمد شاه بمستقبل باهر وضاء لأمير كبير وقال بصدده ما يأتي "يكاد زيته يضيء وان هذا الرجل سيرتقي سلم التوفيق والتقدم، ويشرع في عهده قوانين مفيدة" انظر: فريدون ادمت ص٢٩- ٣٠ ويصفه ميرزا علي

خان أمين الدولة بأنه نظم أمور الولايات واستأصل الفتن ونظم مراتب الجيش وأوقف هدر الأموال وامتلأت خزينة الدولة في زمانه وأرسل البعثات إلى الدول الأجنبية واتجهت البلاد نحو التقدم والسعادة انظر ميرزا علي خان أمين الدولة، الصدر السابق ص٩ وكذلك انظر حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٨١٥.

(٩٥) **Watson R. G. History of Persia from Beginning of Nineteenth Century to Year ١٨٥٠ London ١٨٦٦ p٣٧١.**

(٩٦) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليز درإيران، مصدر سابق ص٢٢٨.

(٩٧) ادوارد براون، تاريخ ادبيات إيران ازجامي تادوره قاجار، ترجمة رشيد ياسمي ص١٤٦.

(٩٨) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس درايران ص٢٩٣.

(٩٩) المصدر نفسه ص٢٣٧.

(١٠٠) إبراهيم تيموري، عصر بي خبري ص١٨، وكذا **Algar. H. Religion and State in Iran ١٧٨٥- ١٩٠٦. U.S.A. p١٢٢.٣٦.**

(١٠١) المصدر نفسه ص١٨.

(١٠٢) علق أمير كبير على الوساطة البريطانية لإنقاذ سالار واتباعه بأنهم لا يسمحون ان تكون خراسان مصرً ثانية ولا يسمحون لبريطانيا بالتدخل في الشؤون الداخلية لإيران. وكان يقصد من تشبيهه خراسان بمصر محاولات بريطانيا الرامية إلى فرض سياستها على المنطقة المذكورة، كما فرضتها على محمد علي باشا الكبير بمساعدة روسيا والنمسا. انظر باسم الحطاب، العلاقات البريطانية الإيرانية ١٧٩٨ - ١٨٥٧. رسالة دكتوراه، كلية الآداب، بغداد ١٩٩٢ ص٢٣٠.

(١٠٣) عضد الدولة سلطان أحمد ميرزا، تاريخ عضدي ص٢٥٤ وكذا الدكتور نور البخيت السامرائي، محاولات التوسع البريطاني في منتصف القرن التاسع عشر. مجلة الخليج العربي المجلد ٢٢/ العدد١، البصرة ١٩٠ ص٩٦.

(١٠٤) ادوارد براون، يك سال درميان ايرانيان ص٧٦- ٧٩.

(١٠٥) فريدون ادميت، امير كبير.وإيران ص٢١٨.

(١٠٦) المصدر نفسه ص٧١١.

(١٠٧) انظر مقال الدكتور جهانكير قائمقامي، بعنوان ميرزا اقا خان نوري المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي، سال سوم عدد٣ ص١٤٤.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(١٠٩) محمود محمود، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم، ج٢، تهران ١٣٢٥ ص٦٢٤ وكذلك ميرزا علي خان أمين الدولة خاطرات سياسي أمين الدولة. ص١٠. على عكس إجمال المؤرخين يذكر محمد تقي سبهر أنه مـات فـي ليلـة الاثنين ١٨ ربيع الأول على اثر مرض عضال بظهور أورام على جسمه من أخمص قدميه إلى اسفل بطنه وشهد على وفاته أعيان كاشان انظر ناسـخ التواريـخ ج٤ ص٣٨٩.

(١١٠) حاول لوريمر تبرئة البريطانيين من اشتراكهم في جريمة قتل أمـير كبـير وألقـى بتبعية قتله على الروس بتدخلهم غير المدروس لإنقاذ حياته وهو ما استفز الشـاه وأثار مخاوفه من احتمال التدخل الأجنبي فعجل في إنهاء حياته انظر: علي خضـير المشايخي، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨- ١٨٩٦، ص١٣٧.

(١١١) اسمه الأصلي ميرزا نصر الله خان بن أسد الله خان نوري ومن سلالة خواجة نـور الهروي ولد عام ١٢٢٢ للهجرة.

(١١٢) انظر مقال: دكتر جهانكير القائمقامي تحت عنوان بايان كار ميرزا اقا خان نـوري (اعتماد الدولة) مجلة بررسيهاي تاريخي سال سوم، نه مارد٣.

(١١٣) علي خضير المشايخي، إيران في عهد ناصر الدين شاه، ص١٣٨.

(١١٤) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس در إيران، ص٢٥٢.

(١١٥) فريدون ادميت، امير كبير وإيران، ص٦٥٣.

(١١٦) إسماعيل رائين، حقوق بكيران انكليس درإيران ص٢٨٢.

(١١٧) Kelly John. B. Britain and the Gulf ١٧٩٥- ١٨٨٠ Oxford ١٩٦٦. P٤٥٩.

(١١٨) ذكر مؤلف سيرة حياة موراي السير هربرت ماكسويل، انه عند كتابتـه مذكـرات موراي سال أحد المقربين إليه عن أساس خصومته مع الحكومة الإيرانية فهل كان على علاقة مع بعض النسوة هناك؟ فأجاب قائلاً: إني متأكد ان ثمة امـرأة وسـط المشكلة. انظر: Merzieh Gail, Persia and the Victorians. London ١٩٥١. P٤٩.

(١١٩) Watson. R., G. a History of Persia from beginning of Nineteenth Century to the Year ١٨٥٨. London ١٨٦٠. P٤٤٩.

(١٢٠) سلطان أحمد ميرزا. تاريخ عضدي ص٢٠٢ وكذلك إسماعيل رانين حقوق بكيران انكليس درايران ص٢٩٠-٢٩١.

(١٢١) Watson opcit. P٤٢٧.

(١٢٢) حبيب الله شاملوني. المصدر السابق ص٨٢١ وكذلك عبد الرفيع حقيقت رفيع. ص٤٨٧.

(١٢٣) يعترف اقا خان نوري رئيس الوزراء بأنه كان وراء هذه الحرب ليحتفظ بمركزه كرئيس وزراء للحكومة القاجارية غير مكترث بالخسائر الفادحة التي نجمت من جراء الاستيلاء على افغانستان في الأرواح والممتلكات في حملة فاشلة كانت نكبة على ايران. انظر: إسماعيل رانين حقوق بكبران انكليس در ايران ص٢٦.

(١٢٤) ادوارد براون، تاريخ أدبيات إيران ازجامي تادوران قاجار ص٤٨، كذا دونالد ولبر إيران ماضيها وحاضرها ص١٠٠.

(١٢٥) أبو القاسم الطاهري: تاريخ روابط بازركاني سياسي إيران وانكليس ج٢ تهران ١٣٥٤ ص٣١٩.

(١٢٦) كانت جيران خانم التجريشي من أحب زوجات ناصر الدين إلى قلبه وكانت تتدخل في الأمور السياسية وتجد أذنا صاغية من لدن الشاه الإيراني لطلبياتها وقد منحها الشاه لقب فروغ الدولة وعلى الرغم من ان الدستور الإيراني ينص على حتمية ان يكون المرشح لولاية العهد من أم قاجارية إلا ان الشاه قرر ان يكون الأمير محمد قاسم ميرزا وليا للعهد انظر ميرزا علي خان أمين الدولة: خاطرت سياسي أمين الدولة، ص١٨.

(١٢٧) انظر مقال د. جهانكير قائمقامي بعنوان "بايان كارميزا اقا خان نوري" المنشور في مجلة بررسيهاي شماره ٣، سال سوم.

(١٢٨) B. Jazani: Capitalism and Revolution in Iran. London ١٩٨٠- p٢.

(١٢٩) سمى إبراهيم تيمور هذه الحقبة الزمنية من تاريخ إيران "عصر بي خبري يا تاريخ امتيازات در إيران" أي عصر الركود والجهل بمجريات الأحداث وتاريخ الامتيازات الأجنبية في إيران.

(١٣٠) يرفند ابراهيميان: خلفيات وعوامل الثورة الدستورية ١٩٠٦/ إيران ١٩٠٠-١٩٨٠. ترجمة مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٠ ص٣٣، وكذا في بحث

الدكتورة فوزية صابر بعنوان دور المثقفين الإيرانيين في الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٥-١٩١١. مجلة كلية المعلمين العدد ٦ تشرين الثاني ١٩٩٦.

(١٣١) Persy Sykes: a History of Persia third edition. London p٤٠٠.

(١٣٢) Erc Bagley. New light on Iranian constitution. Movement in Edmand Boswoth. And Carol Hille Brand, Qajar Iran political and cultural change, ١٨٠٠- ١٩٣٥. Edinburgh University Press, ١٩٨٣ ٤٨ - p

(١٣٣) للاطلاع على عقائد وأفكار ملكم خان انظر: فرشته نوراني، تحقيق در أفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة تهران ١٣٥٢. وكذلك مقال سرهنكك جهانكير قائم مقامي تحت عنوان روابط ظل السلطان وميرزا ملكم خان المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شماره ٦ سال سوم ص٨٤- ١٠٢ وخان ملك ساساني: سياستكران دوره قاجار ج١.

(١٣٤) Ebrahamian: the crowd in Iranian politics ١٩٠٥- ١٩٥٣ past and present no. ٤١. December ١٩٦٨ p.١٨٤..

(١٣٥) يعتقد بعض المؤرخين الإيرانيين ان ملكهم كان خائناً ومشعوذاً متنكراً لإيران. انظر: إبراهيم تيموري عصر بي خبري ص٦٣.

(١٣٦) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران تهران ١٣٤٦هـ، ص١٠-١١ وابراهيم تيموري وعصر بيخبري ص٧٠.

(١٣٧) إبراهيم تيموري، عصر بي خبري ص٣١. وغلام حسين مصاحب دائرة المعارف فارسي تهران ١٣٤٥ ص٨٥٣.

(١٣٨) هو ظل السلطان مسعود ميرزا بن ناصر الدين شاه.

(١٣٩) كرامت رعنا جسين، كتاب درفن ترسل، مجلة يغما، شماره ٢١ سال ١٣٤٧. ص٢١١- ٢١٢ وكذلك مجلة بررسيهاي تاريخي سال يازدهم شماره ٣، آب وأيلول ١٩٧٦.

(١٤٠) إبراهيم تيموري، غصر بي خبري، مصدر سابق، ص٣٢.

(١٤١) انظر ميرزا علي خان أمين الدولة، خاطرات سياسي أمين الدولة ص٦٣.

(١٤٢) إبراهيم تيموري، عصر بيخبري ص٥٢.

(١٤٣) اعتماد السلطنة، روزنامة خاطرات اعتماد السلطنه مربوط بسالهاي ١٢٩٢-١٣١٣هـ بامقدمة ايرج افشار تهران ١٣٤٥ ص١٤٤.

(١٤٤) انظر: لطف الله خان، جمال الدين أسد ابادي، ترجمة صادق نشأت وعبد النعيم حسنين ص١-٢٦.

(١٤٥) عبد الهادي حائري: تشيع ومشروطيت درايران ص٥٧.

(١٤٦) محمد المخزومي، خاطرات جمال الدين الافغاني بيروت ١٩٦٥ ص٨-٩.

(١٤٧) جنايات دوهزار يانصد ساله شاهان ايران، انتشارات روزنامه راد اتحاد ١٣٥٠ هجري ص٧٢.

(١٤٨) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران ص٧١.

(١٤٩) غلام حسين مصاحب دائرة المعارف فارسي ج١، ص٧٤٦.

(١٥٠) كان الافغاني معجبا بالسلطان عبد الحميد ومن جملة أقواله ان السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال عصره لرجح عليهم ذكاء ودهاء وسياسة، وان الممالك الإسلامية لا تسلم إلا بالانضواء تحت راية الخليفة الأعظم. انظر: محمد المخزومي خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني، ص٣٤-٣٦ وكذلك اورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، الطبعة الأولى، الرمادي ١٩٨٧ ص٢٣٠.

(١٥١) اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده ص٢٣٠.

(١٥٢) يعتقد كثير من المؤرخين بان جمال الدين الافغاني لم يدع إلى تعميم الأنظمة الدستورية في الدول الإسلامية ويعتقد بركس التركي المتقاعد الساكن في انكلترا والملم بتاريخ تركيا بان جمال الدين الافغاني كان ضد النظام الدستوري وكان يعد بعض الشخصيات والرموز الداعية إلى تطبيق الأنظمة الدستورية في الدولة العثمانية أمثال مدحت باشا وسليمان باشا خونة يستحقون ذلك العقاب الذي أنزله بهم السلطان عبد الحميد الثاني وكان يدعو إلى يقظة العالم الإسلامي ضد الاستعمار والتخلف ويؤمن بان الاتحاد بين المثقفين والمتنورين ورجال الدين الذين يمكنهم التأثير مباشرة على العامة هو السند الحقيقي لوقوف الشعوب المقهورة المبتلاة بالاستعماريين والأنظمة المستبدة بوجه الاستعمار والملوك المستبدين وقد خدم أفكاره هذه كثيرا في التمهيد للثورة الدستورية في ايران. انظر: Niyazi Berkes: the Development of Secularism in Turkey (Montreal) ١٩٦٤

p۲٦۷ Nikkir. Keddie: the Origind of the Religion. Radical.
.Alliance in Iran, past and present ۳٤ July ۱۹٦٦ pp۷۰-۸۰

(۱٥۳) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران، مصدر سابق ص۷۱.

(۱٥٤) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج۳ ص۳۰۸-۳۰۹.

(۱٥٥) سلمت السلطات العثمانية المعارضين الثلاثة كلا من ميرزا اقا خان كرماني وشيخ أحمد الروحي الكرماني وميرزا حسن خان خبير الملك الذين كانوا من فضلاء القوم ودعاة الحرية إلى الحكومة الإيرانية بناء على طلبها وقد اعدموا في السادس من شهر صفر عام ۱۳۱٤هجري بقطع رؤوسهم في تبريز بأمر محمد علي ميرزا ولي عهد ايران بتهمة البابية وقتل ناصر الدين شاه وقد واجهوا الموت بشجاعة فائقة وإباء وشمم انظر محمد ميرزا محمد خان بهادر هفتادو دوملت نكارش ميرزا عبد الحسين (اقا خان كرماني- برلين ۱۳٤۳ ص٦۳-٦٤ وكذلك عبد الرفيع حقيقت رفيع: تقويم تاريخ سياسي ايران ازغـار تابايان دوره بهلوي تهران ۱۳۷۹ ص٤۸۹.

(۱٥٦) للتعرف على دور هذه الشخصيات في التطورات السياسية والثقافية التي ظهرت في ايران في عهد ناصر الدين شاه قاجار انظر فريدون ادميت: انديشه هاي ميرزا فتح علي اخواندزاده تهران ۱۳٤۹ هجري ص۱٤۸-۱٤۹ وكذلك مجد الملك: رسالة مجدية، بتصحيح ومقدمة سعيد نفيسي تهران ۱۳۲۱ ص٦۹ وكذلك حبيب الله مختاري: تارخ بيداري ايران تهران ۱۹٤۷ ص۳۱ وكذلك فريدون ادميت: فكر ازادي ومقدمة نهضت مشروطيت تهران ۱۳٤۰ ص٥٦ ومقال عباس اقبال ميرزا جعفر خان (مشير الدولة) المنشور في مجلة يادكار جلد ۲ شماره ٦ سال ۱۳۲٤ ص٤۳-٥۰ وميرزا اقا خان كرماني: هفتادو دوملت برلين ۱۳٤۳ ص٥۰-٦۸ وكذلك Hmid algar Mi. Ramalkum Khan: a Biographical study.
.In Iranian modernism barkeley ۱۹۷۳ pp۷۸-۱۰۰

(۱٥۷) للاطلاع على تفاصيل هذه المجاعة انظر مقال دكتر محمد إسماعيل رضواني المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي ش۳و٤ سال شوم وكذلك شيخ محمد مردوخ كردستاني: تاريخ كرد وكردستان وتوابع ج۲ تهران ۱۳٥۱ ص۱۹۷-۱۹۸.

(۱٥۸) إبراهيم تيموري: عصر بي خبري، ص۸.

(١٥٩) انظر مقال مجيد يكتائي تحت عنوان مالية كشور در زمان قاجار المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي زماره ٦ سال هفتم ١٩٧٤ ص١٧٠.
(١٦٠) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر ج٢ ص٣٥.
(١٦١) Edward Brown: the Persian Revolution Cambridge ١٩١٠ p٤٩.
(١٦٢) أحمد كسروي: تاريخ مشروطة، ص١٦.
(١٦٣) إبراهيم الدسوقي شتا: الثورة الايرانية، الجذور الايديولوجية، بيروت ١٩٧٥، ص٤٧.
(١٦٤) د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٣، ص٩٣.
(١٦٥) ولد المرزا محمد حسن الشيرازي في شيراز في ٢٥ نيسان ١٨١٥ وأصبحت المرجعية له بعد وفاة المرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري في أواخر العام ١٨٦٤ وتوفي في ٢٤ شعبان ١٣١٤ الموافق شباط ١٨٩٥ في النجف الأشرف.
(١٦٦) ن. و. فرنو: يقظة العالم الإسلامي ترجمة بهيج شعبان ج٢ بيروت، ب. ت. ص٢٠٥.
(١٦٧) إبراهيم تيموري: عصر بي خبري، ص١٢.
(١٦٨) للاطلاع على سير حوادث حركة التنباك راجع محمد نهاونديان في كتابه بيكار بيروز تنباكو جلب برتو تهران ١٣٥٧.
(١٦٩) المصدر نفسه، ص٤٢.
(١٧٠) عبد الحسين نوائي، شرح حال عباس ميرزا ملك ارا، تهران سال ٣٢٥ ص١١٦ وكذلك موركان شوستر اختناق ايران، جاب تهران ١٣١٥ ص١٨-١٩ وكذلك د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٣، بغداد ١٩٧٢ ص٩٥ وكذلك محمد نهاونديان بيكاربيروز تنباكو، مصدر سابق ص٦٤ وابراهيم تيموري، اولين مقاومت منفي در ايران جاب اول، تهران ١٣٢٥ ص١٢١.
(١٧١) اعتماد السلطنة روزنامه خاطرات وزير انطباعات در اواخر دوره ناصري به اهتمام ايرج افشار جمادى الأولى سنة ١٣٠٩ ص٨٩.
(١٧٢) انظر اعتماد السلطنة، روزنامه خاطرات اعتماد السلطنة. وزيز انطباعات اواخر دورة ناصري، باهتمام ايرج افشار تهران ١٣٤٩، يادداشتهاي روزهاي يك شنبه ٤ جمادى الأول سال ١٣٠٩ ص٨٩٢.

(١٧٣) إبراهيم تيموري: اولين مقاومت منفي درايران، جاب اول، تهران سال ١٣٢٨ ص١٢١.

(١٧٤) روزنامة خاطرات اعتماد السلطنة، وزير انطباعات در اواخر دورة ناصري ص٨٩٣ وكذلك محمد نهاونديان، بيكار بيروز تنباكو. مصدر سابق. ص٦٧.

(١٧٥) انظر رسالة الشاه إلى ميرزا الاشتيباني منقولة من مقدمة كتاب تاريخ بيداري ايرانيان لناظم الإسلام كرماني. ص٢٢-٢٤، ٢٨ وكذلك انظر محمود محمود: تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس ج٤ ص١١٧٩.

(١٧٦) انظر روزنامة خاطرات اعتماد السلطنة يادداشتهاي شنبه ٤، مصدر سابق، ص٢٩٦ وكذلك الشيخ حسن الكربلاني، تاريخ دخانية. قراردادرزي.١٨٩٠ ص٨٧.

(١٧٧) محمد نهاونديان بيكاربيروز تنباك ص٧٥.

(١٧٨) أحمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران ص١٧ وكذلك محمود محمود تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس ج٤ ص١١٧٩.

(١٧٩) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. ج٣ ص٩١ ومجلة بررسيهاي تاريخي شماره ٦، سال هشتم، مارس ١٩٧٤ ص٥٧٠. وكذلك عباس برويز، تاريخ دوهزار بانصد ساله ايران از تشكيل سلسلة صفوية تا عصر حاضر ص٢٥٥- ٢٥٩ ومحمود محمود. ج٤، المصدر السابق، ص١١٩١.

(١٨٠) طلبت الشركة الإنجليزية صاحبة الامتياز ستمئة ألف ليرة استرلينية لتعويض الأضرار التي لحقت بها وعدّت الدول الأجنبية وحتى البرلمان الإنجليزي ان هذا المبلغ مبالغ فيه، ولكن الشركة أصرت على موقفها بذريعة دفعها مبالغ رشاوى للشاه وأمين السلطان ومن بأيديهم الحل والربط في إبرام هذه الاتفاقية، وأخيرا وافقت الحكومة الإيرانية على الطلب المذكور بتخفيض المبلغ إلى خمسمئة ألف ليرة على ان يكون ضمان دفع هذه الغرامة بمعدل أربعين قسطا وبفائدة ٦% لمدة أربعين سنة وعلى ان تكون ضمان هذه الغرامة عوائد موانئ بوشهر وبندر عباس ولنكة ومدينة شيراز انظر محمد نهاونديان بيكاربيروز تنباكو، مصدر سابق ص٨٧- ٩٠.

(١٨١) استمرت الحروب بين القوات الروسية والقوات الإيرانية في عهد فتح علي شاه القاجاري منذ عام ١٨٠٤- ١٨١٣م وانتهت بهزيمة ايران وانعقاد معاهدة كلستان

وتجددت الحرب بين الدولتين المذكورتين التي دامت من ١٨٢٦ إلى ١٨٢٨ انتهت كذلك بهزيمة القوات الإيرانية وانعقاد معاهدة تركمان جاي في الثاني والعشرين من شهر شباط لعام ١٨٢٨م للتفاصيل راجع د. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص٣٢-٧٣.

(١٨٢) سياوش بشيري، سانبه أي از سردار، ص٥٣.

(١٨٣) حبيب الله مختاري (مختار السلطنة) تاريخ بيداري ايران. طهران ١٣٢٦-١٩٤٧، ص٣٥.

(١٨٤) يقول فوريه الطبيب الفرنسي في بلاط ناصر الدين شاد: في هذا التاريخ ويقصد عهد ناصر الدين شاه يمنح الامتياز بعد الامتياز إلى الأجانب ولم تنقض مدة طويلة حتى أصبحت ايران نهبا للدول الاجنبية، انظر بك سال در دربار ايران، ياد داشت روزجهارده اوريل بالنقل از تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس. محمود محمود ج٤، المصدر السابق ص١٥٩٤، وكذلك انظر B. Jazani: Kapitalism and revolution in Iran, London ١٩٨٠, p٢.

(١٨٥) Gorge N. Curzon: Persia and Persian question Vol. ١١ second edition London ١٩٦٦- p٤٨١ وكذلك انظر التفاصيل في كتاب ميرزا علي خان أمين الدولة خاطرات سياسي، مصدر سابق ص٣٠-٣٤.

(١٨٦) دونالدولبر: ايران ماضيها وحاضرها ص١٠٠.

(١٨٧) تشكلت وحدات القوزاق بأمر من ناصر الدين شاد بالتعاون مع روسيا القيصرية عام ١٨٧٩م وكان جميع قوادها وضباطها من الروس في بداية تأسيسها. وكان الضباط الذين كلفتهم الحكومة الروسية لتأسيس قوة القوزاق هم كل من العقيد الركن ادمونتوفتج Adomontovith والرائد براتكوف A. Bratkoff والملازم سلافروبول Slavrpol وكورجاكو Korchareuko وقد حل العقيد اركوفسكي محل دومنتوفيتج الذي خدم في ايران ثلاث سنوات وكانت لوحدات القوزاق دور بارز في الأحداث السياسية التي وقعت في ايران في عهد محمد علي شاه ومن بعده انظر مقال يحيى شهيدي تحت عنوان بريكارد قوزاق المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي سال هفت شماره (٦) سال ١٩٧٣ ص٢٧١-٢٩٠.

(١٨٨) حبيب الله شاملوني، المصدر السابق ص٨٢١.

(١٨٩) للاطلاع على الأوضاع السياسية والاجتماعية السيئة في عهد ناصر الدين شاه انظر مذكرات حاج سياح المعروف بـ(دوران خوف ووحشت) المنشور في كتاب محمود طلوعي: خواندنيهاي تاريخي جاب سوم تهران ١٣٧٨ ص٣٣٨-٣٥١.

(١٩٠) انظر مقال عبد الحسين بهرامي بعنوان بيلان نوز المنشور في مجلة بررسيهاي تارخي شماره ٤ سال ٨- ١٩٧٣ ص٢٢٣.

(١٩١) يرفند ابراهيميان: ايران، ١٩٠٠- ١٩٨٠ ج١ مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٠ ص٤٤.

(١٩٢) Asghar Fahi: Prechers s Substitutes for Masmeia studies in the ought politics nd society. Eited by Syliva G. Huim London. ١٩٨٠ p.٧١.

(١٩٣) الشيخ عبيد الله النهري هو ابن الشيخ طه بن الشيخ عبد الله النهري الشمزيني خليفة مولانا خالد النقشبندي ولد عام ١٨٣٠م وتوفي عام ١٨٨٣م بمكة المكرمة.

(١٩٤) هي الحرب التي أسفرت عن اندحار الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أمام القوات الروسية وقد واصلت الجيوش الروسية زحفها في الأراضي العثمانية حتى وصلت (اياستافانوس) وهو الاسم القديم لإحدى ضواحي استانبول وتدعى الآن (يشيل كوي) للتفاصيل انظر أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق ص١٢٤-١٣٤.

(١٩٥) انظر كريس كوجيرا: كورد له سه ده ي ٢٠-١٩ وه ركيراني محمد رياني تهران ١٣٦٩ ص٥٠.

(١٩٦) مينورسكي. كورد: ترجمة حه مه سه عيد حه مه كريم، بغداد ١٩٨٤. ص٥٤-٥٩.

(١٩٧) تبلور الشعور القومي الكردي في مطلع القرن التاسع عشر بوضوح وتجسد هذا الشعور في ثورة البدرخانيين والشيخ عبيد الله النهري الذي آمن بان الأكراد أمة كسائر الأمم الأخرى على هذا الكوكب وانها أمة متميزة من حيث تحدرها التاريخي ووضعها الاجتماعي في لغتها وثقافتها وصفاتها وخصائصها العامة وللتفاصيل بهذا الصدد راجع Adamsn A. David: The Kurdish War, Allem and Anwin, ١٩٦٤- London p١٨ انظر: كريس كوجيرا: كورد له سه ده ي ٢٠-١٩. ص٥٠-٥١.

(١٩٨) د. جه ليلي جه ليل، رابة ريني كورده كان، سال ١٨٨٠، وه كير: د. كاوس قه فتان، بغداد ١٩٨٧ ص١٤٦.

(١٩٩) مينورسكي: الاكراد، ملاحظات وانطباعات ترجمة معروف خزندار بغداد ١٩٦٩ ص٢٨-٢٩.

(٢٠٠) Lavrrim M. C.: The Plitical Role of Minority Groups in the Middle East U.S.A. ١٩٧٩ p٥٦ وكذلك انظر: محمد جميل الروزبياني: السلطة الإيرانية ومعاداتها للشعب الكردي منذ القديم ثورة شيخ عبيد الله النهري والمنشور في المجلد الثالث عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة الكردية المجلد ١٣ و١٤ بغدا ١٩٨٦ وكذا سعيد بدل: تاريخجه جنبشهاني ملي كرد ابانماه ١٣٦٣ ص٢٣-٢٨.

(٢٠١) كان الزحف الناجح الذي قام به إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير عبر آسيا الصغرى حتى أبواب القسطنطينية ضد العثمانيين على رأس الجيش المصري قد أضرم النار في نفوس الزعماء الكرد الرغبة في الاستقلال التام. فاذا كان اليونانيون والمصريون الذين كانوا سابقاً من رعية الباب العالي قد استطاعوا دحر الجيش العثماني وإلحاق الهزيمة به وحققوا استقلالهم فلماذا لا يحق للكرد إدارة أنفسهم بأنفسهم بطريقتهم الخاصة؟ وقد أظهرت الحركات التي شهدتها كردستان في بداية القرن التاسع عشر كحركة محمد باشا الراوندوزي انعكاسا لهذه الأفكار فقد أقام الصلات مع إبراهيم باشا بن خديوي مصر ووالي الشام بغية القيام بعمليات مشتركة ضد الإمبراطورية العثمانية. انظر د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث القاهرة ١٩٦٨ ص١٩٦ وكذلك د. جه ليلي جه ليل كورده كان نيمبراتوري يه تي عو سماني وه ركيراني د. كاوس قه فتان، بغدا ١٩٨٧ ص١٥٩-١٦٠.

(٢٠٢) سعيد بدل، تاريخجه جنبشهاي ملي كرد، انتشارات حزب دمكرات كردستان ايران سال ١٣٦٣، ص٢٥.

(٢٠٣) انظر: د. حامد محمود عيسى، المشكلة الكردية في الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٩٢ ص١٦.

(٢٠٤) كانت القوات الحكومية يقودها حمزة ميرزا حشمة الدولة الذي مات بأجله الموعود قبل الدخول في مواجهات قتالية مع شيخ عبيد الله وأنيطت قيادة القوات الحكومية بعده إلى ميرزا حسين خان سيسهالار انظر محمود محمود تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس ج٤ ص٩٠٣.

(٢٠٥) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٢٥٨ وجليلي جه ليل، رابه ريني كورده كان سال ١٨٨٠ ص١٢-١٢٧.

(٢٠٦) شيخ محمد مردوخ كردستاني: كردوكردستان وتوابع آن، ج١-٢ جاب دوم ب. ت. ص٢٠٧-٢٠٩.

(٢٠٧) جليلي جه ليل، رابه ريني كورده كان سال ١٨٨٠، ود ركير، د. كاوس قه فتان به غدا ١٩٨٧ ص١٣٨.

(٢٠٨) خالفين: الصراع على كردستان، ترجمة د. أحمد عثمان أبو بكر ص١٣٠.

(٢٠٩) جاءت في الوثائق الرسمية من مجموعة وثائق وأسانيد ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ان الحكومة الإيرانية عاتبت الحكومة العثمانية عن طريق سفيرها الحاج محسن خان في استانبول بسبب تأييد العثمانيين للشيخ عبيد الله النهري وحركته في ايران ومحمد بك الجاف رئيس عشائر الجاف انظر مجلة بررسيهاي تاريخي، شمارة (١) سال بينجم ١٩٧٠.

(٢١٠) انظر: مقال انريكو اندره ئين تحت عنوان يك مأخذ تاريخي درباره تاريخ قاجار، ترجمة خسرو فانيان المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارد ١ سال نهم. ١٩٧٤ ص٢٠.

(٢١١) يتحدث محمود محمود بان الدولة العثمانية اضطرت تحت ضغط الدول الأوربية إلقاء القبض على شيخ عبيد الله وأخذه أسيرا إلى استانبول في سنة ١٨٨١م وتمكن الشيخ من الفرار سنة ١٨٨٢م من سجنه والوصول إلى منطقة ثمرينان ولكن الحكومة العثمانية تمكنت من قمع حركته الجديدة وإلقاء القبض عليه ونفيه مخفورا إلى مكة المكرمة وبقي فيها حتى مماته سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٣م انظر تاريخ روابط سياسى ايران وانكليس ج٤ ص٩٠٣.

(٢١٢) يذكر ديريك كينين: كانت الانتفاضة العامة والأخيرة في القرن التاسع عشر هي التي حدثت من ١٨٧٨- ١٨٨١م بقيادة شيخ عبيد الله النهري الذي هاجم ايران محرزا بعض الانتصارات وتحت الضغط البريطاني- الروسي والتعاون التركي الايراني المشترك انتهت محاولات الشيخ لتأسيس دولة كردية انظر Derkkinnane: The Kurds and Kuristan London ١٩٦٤ p٢٤.

(٢١٣) م. س. لازاريف: كيشه ي كورد ١٨٩٦- ١٩١٧م ترجمة كاوس قه فتان، به غداد ١٩٨٩ ص٥٦، ص٥٦ وأمين زكي: خلاصة الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني. ج١ ص٢٥٨.

(٢١٤) O. Ballnce. Edcar: Kurds. Revolt. ١٩٦١- London p١٦.

(٢١٥) جه ليلي جه ليل: راية ريني كورده كان. سال ١٨٨٠، مصدر سابق ص١٥٠.

(٢١٦) انظر مقال للأستاذ محمد جميل روزبياني المنشور تحت عنوان السلطة الإيرانية ومعاداتها للشعب الكردي منذ القديم وثورة الشيخ عبيد الله بن الشيخ طه النهري ضد الحكومة الإيرانية المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة الكردية، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٢٤ وأمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٢٥٥.

(٢١٧) يقول الدكتور بله ج شيركوان الشيخ توفي في مدينة الطائف، انظر القضية الكردية الطبعة العربية الثانية بغداد ١٩٦١ ص٦١.

(٢١٨) يذكر أمين الدولة انه حكم أربعين عاماً فقط، انظر خاطرات سياسي أمين الدولة ص٢٠٥.

(٢١٩) إبراهيم تيموري: عصربي خبري ص٢٨ وحبيب الله مختاري: تاريخ بيداري ايرانيان ص٣٨.

(٢٢٠) د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٣٠، ص٣٠٧ وعباس برويز تاريخ دوهزار بانصد ساله ايران ص٢٥٦، ودونالدولبر، ايران ماضيها وحاضرها، مصدر سابق ص١٠١ وكذلك ميرزا اقا خان كرماني، هفتادودولت، ترجمة ميرزا محمد خان بهادر استانبول ١٣٤٣ ص٥٩.

(٢٢١) انظر خاطرات سياسي أمين الدولة، مصدر سابق ص٢٠٦.

الفصل السادس
مظفر الدين شاه والحركة الدستورية

شخصيته :-

تبوأ مظفر الدين شاه عرش ايران بعد مقتل والده. وكان عمره اربعين عاما عندما صار شاها على ايران واستمرت ولاية عهده اربعين عاما منذ ان كان عمره خمس سنوات من عام ١٨٥٧ ولغاية اغتيال والده ناصر الدين شاه سنة ١٨٩٥هـ[1] وكان هذا الشاه عليلا متهافت الشخصية لا يخلو من غباء[2]. وكان الانحطاط والتردي سمة عهده وحكمه. قضى شبابه في الكسل والبحث عن الملذات وحتى تولى الملك لم يظهر أي مجهود أو أي اهتمام بمهام الدولة. وكان طابع التربية الخاطئة واضحا في سلوكه وشخصيته.

وقبل الخوض في تفاصيل الحركة الدستورية في عهده فمن الضروري الإشارة باختصار إلى جوانب من شخصيته الهزيلة. يقول خليل خان ثقفي: "اعلم الدولة طبيب مظفر الدين شاه الخاص كان الشاه يخاف من كل شيء ولاسيما الظواهر الطبيعية كالاعاصير الشديدة والرعد والبرق والصواعق والاصوات المدوية الفجائية، ويخشى الاشخاص الذين لا يعرفهم ويراهم لأول مرة. كما يخاف بشدة من عذاب الآخرة ووزر المسؤوليات الوجدانية وكان مصير والده المقتول ماثلا أمامه خاطرة لا تفارقه ولو أحيانا، كان يخاف من كل إنسان يتقرب منه فجأة ويخاف من احداث لم تحدث بعد مجهولة النتائج والمسببات. وعندما تجتمع لديه عوامل الخوف تنهار اعصابه إلى حد الهلع، وكان يتعرض في هذه الحالات إلى نوبات هستيرية وتشنجات في الاعصاب ونضطر إلى معالجته باعطائه العقاقير المهدئة.

كان يخاف من السكتة القلبية. ولما كان يعتقد بأن (الفصد) ينجي المصابين بالسكتة القلبية من الموت المحقق ولم يكن يسمح لطبيبه الخاص ان يفترق عنه إلا في اوقات نومه وراحته، وكان ذعره يصل ذروته عندما تحدث التقلبات والتغيرات الجوية كالعواصف الشديدة المصحوبة بالرعد والبرق، ولأعتقاده بأن السادة الصحيحي النسب لن تصعقهم الصواعق حالما تظهر بوادر هذه التقلبات الجوية[3] يأمر باحضار السيد علي أكبر البحريني وكانت سلطته لا تماري في بلاطه. فينضوي

تحت عباءته ويلوذ بحمايته، وبعد قراءة بعض الاحاديث النبوية الشريفة وتناول العقاقير المهدئة يخرج من تحت عباءة السيد المذكور، ولكثرة تسلط الخرافات على افكاره لم يكن يخرج إلى عمله اليومي المعتاد أو الشروع بعمل جديد مهما كان تافها كالصيد مثلاً إلا بعد استخارة السيد البحريني له في القرآن الكريم، وكان الصدر الاعظم عين الدولة يحضر مراسيم هذه الاستخارات ولعلمه بمدى تأثير السيد البحريني واستخاراته في قرارات الشاه المتعلقة بادارة البلاد وحكمه في عزل وزير أو تنصيب حاكم أو زواج امير أو اميرة من البيت المالك القاجاري عليه ان يتفق الصدر الاعظم سراً مع السيد البحريني ليفسر للشاه الاستخارات بحسب ما يريده ويهواه عين الدولة(٤) وتتجلى من هذه الروايات التي نقلها لنا اعلم الدولة عن شخصية مظفر الدين شاه انه كان انسانا مذعورا خائفاً متوجساً، مؤمنا بالخرافات متوكلا على الاطباء ورجال الدين في دنياه، معتقدا بانهم يحفظونه في هذه الدنيا ويشفعون له في الآخرة.

جاءت في كتاب صاحب الجلالة Lerres Majestes لمؤلفه كزاديه با أولي Xavier Paoli نتف عن سلوكيات مظفر الدين شاه عند زيارته لباريس بوصفه كبير مرافقيه، وقد كانت الحركات التي اظهرت ضعف شخصيته في باريس وغيرها من المدن الاوربية موضع تندر الاوربيين وسخريتهم وحديث مجالسهم.

يقول باولي: كان مظفر الدين شاه يخاف من كل شيء وعندما ينتابه الخوف يظهر خوفه بشكل ذعر ورعب غريبين، كان يحمل مسدسا في جيبه، ذلك المسدس الذي لم يستعمله ابدا في حياته وقد تصادف في أحد الايام عندما كان يخرج من أحد المسارح ان أمر أحد مرافقيه ان يمشي شاهرا مسدسه بوجه المحتشدين أمام مبنى المسرح وكان يعتقد بأن المجتمعين حوله يريدون قتله الأمر الذي اضطرني إلى ان انهر مرافقه على عمله هذا فذكرته بأن هذه الأعمال الوحشية غير مسموح بها في البلدان المتمدنة، وعندما لم تفد نصيحتي معه نفعا اخذت المسدس من يده قسرا، ويضيف با اولي ان الشاه في برنامج زيارته (لبرج ايفل) امتنع عن الصعود إلى الطبقات العليا من البرج، ومهما حاولنا معه ان يصعد إلى الطبقات العليا ليتفرج على مناظر مدينة باريس لم نصل إلى نتيجة تذكر وذهبت محاولاتنا ادراج الرياح.

لقد وصلت حال البلاد الايرانية في عهد مظفر الدين شاه إلى الدرك الاسفل من التدهور والانحلال بحيث فاقت عهود الملوك الاخرين في تاريخ ايران(٥) في فسادها

وتدهورها حتى إذا قارنا حكمه بحكم الشاه حسين الضعيف الذي انهارت في عهده الدولة الصفوية القوية على يد الافغان فعلينا ان نعد حكم الشاه سلطان حسين حكما قويا منظما ومتقدما في جميع مجالات الحياة.

ويمكن تلخيص حكمه في العبارات الآتية: الخنوع والضعف والتدهور في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية واطلاق ايذي الاجانب في الاستثمار بالامتيازات الاقتصادية والسياسية لصالح الدول الأجنبية وطالح ايران[٦] وعلى الرغم من محاولة بعض رؤساء الوزارات وعلى رأسهم ميرزا علي خان امين الدولة[٧] اصلاح الوضع الاقتصادي السائر نحو التدهور التام وسن القوانين المختلفة للضرب على ايدي المرتشين ورفع ظلم الولاة والحكام[٨] وامراء البيت المالك القاجاري وقواد الجيش الذين يكلفون بجباية الضرائب[٩] بالقوة من الرعية ولكن محاولاتهم لم تكلل بالنجاح لتخلي الشاه عن مناصرته أمام اعدائه الكثيرين من رجال البلاط الفاسدين ورجال الدين المسيسين المسيرين من قبل السفارة الروسية[١٠].

ومن ابرز محاولاته في تنظيم اقتصاد ايران تعيينه عددا من المستشارين البلجيكيين وعلى رأسهم المسيو نوز[١١] لتنظيم الجمارك في ايران على شاكلة تنظيمات الدائرة في اوربا وصار لنوز وسائر المستشارين البلجيكيين دور بارز في سياسة ايران المالية والسياسية منذ عام ١٣١٦هـ- ١٨٩٨م إلى عام ١٣٢٤هـ- ١٩٠٦، وتولى نوز منصب وزارة الجمارك الايرانية على الرغم من تقاطع قرار تعيينه مع المادة الثامنة والخمسين المتممة لدستور ايران وقد استبد نوز وحاشيته بالأمور المالية والتجارية في ايران وخلقوا تذمرا كبيرا بين طبقة التجار وطبقة رجال الدين الذين كانوا ضد قرار توصية اناطة المسؤوليات المالية والادارية والسياسية إلى غير المسلمين[١٢] وأصبح هؤلاء المستشارين آلة طيعة بايدي الدول الطامعة في ايران وعلى رأسها روسيا القيصرية وأصبح نوز وزيرا للكمارك الايرانية بإشارة منهم[١٣] تنحى امين الدولة عن السلطة في ١٥ محرم سنة ١٣١٦هـ- ١٨٩٨[١٤] فاناط الشاه الصدارة إلى امين السلطان مرة أخرى وأصبح العوبة بيد السياسة الروسية فابدى عدم الكفائة واللياقة التامة في تسيير أمور البلاد وبدلا من تحسين الاوضاع الاقتصادية بالضرب على ايدي المفسدين والمرتشين اتجه نحو الاقتراض من الدول الأجنبية ولاسيما روسيا القيصرية[١٥] وصلت اضطرابات الاوضاع الاقتصادية حداً شعر الشاه فيه بأن الوضع يسير من سيء إلى اسوء

ويشير نحو بروز القلاقل والاضطرابات في ارجاء ايران كافة على أثر تردي الاوضاع اناطة الصدارة (رئاسة الوزراء) بصهره (عين الدولة)[16] وكان هذا الرجل جاهلاً خشناً مكروها من الشعب فقد كانت اعماله التعسفية من عوامل ازدياد التذمر بين الفئات المختلفة من المجتمع الايراني وعلى رأسهم طبقة التجار من أهل البازار وهم ما زالوا يؤلفون طبقة ذات أهمية غير قليلة في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكانوا إذا ما قرروا اغلاق دكاكينهم احتجاجا على أمر من الأمور عد ذلك نوعا من الاضراب[17] واصابوا الحياة الاقتصادية بالشلل التام، فضلاً عن ذلك ما كان لأهل البازار هؤلاء من تأثير في رجال الدين الذين لهم صلة معاشية بهم فإذا اشتكى أهل البازار من شيء سرعان ما سرت شكواهم إلى رجال الدين[18] ويصدر هؤلاء الفتاوى ارضاء لهم وكان عين الدولة شديد الوطأة والبأس على كل من يتحرك ناقدا تصرفات الشاه أو الحكومة، وأدت سياسته المالية الفاشلة واساليب العنف والقسوة المستعملة مع التجار والمناضلين المنادين بالحرية إلى ان يعلن هؤلاء نوعا من العصيان المدني.

تنامي الحركة الدستورية

ازدادت هذه الحركة شدة لاسيما بين الطبقة العامة من الناس لتزعم رجال الدين لتلك الحركة الثورية[19] وكان في مقدمتهم المجتهدان المعروفان عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي[20] فاخذت الثورة الدستورية على الرغم من عدم وضوح جميع مفاهيمها لدى الثوار تظهر قوية ومفاجئة، وكانت جذورها قد تأصلت في نفوس بعض المتعلمين الشباب الذين اتصلت ثقافتهم بالافكار التحررية التي سادت بلاد الغرب منذ اواخر القرن الثامن عشر، وهكذا ظهرت طبقة من المصلحين المتمدنين الذين حاولوا ادخال القيم الحضارية والدستورية المتأصلة جذورها في اوربا إلى ايران، ويعد كتاب سياحة طالبي أول كتاب حاول فيه مؤلفه ابو طالب خان الاصفهاني[21] اعطاء وصف جامع للحياة الاجتماعية والمدنية في اوربا المتحضرة محاولا جلب انتباه الايرانيين إلى اسباب تقدم المدنية وازدهارها في اوربا وكذلك كان لميرزا صالح دور لا يستهان به في تعريف الايرانيين بمفاهيم المدنية والنظام الدستوري منذ عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م على صفحات جريدته الفارسية، فقد كتب عن المكتبات العامة والجامعات ودور الايتام والنظام المالي والسياسي في بريطانيا

وعرف الايرانيين بحروب الاستقلال في امريكا والثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وقانون ماكناكرتا الذي سنه البرلمان الانجليزي لصالح الطبقة العامة. ووصف بريطانيا بموطن الحرية ومجلس عوامها (عمومها) بـ(مشورتخانه) أي مجلس الشورى ويعد نوابها وكلاء للرعايا. مبينا ان هؤلاء الوكلاء يبنون اراءهم في مجلس العموم بحرية تامة[٢٢].

وكان للثورة في روسيا القيصرية سنة ١٩٠٥ التي اسفرت عن ظهور مجلس البرلمان (الدوما) واشاعت الحرية الفردية وفكرة الانتخابات على رأس الديمقراطية تأثير غير قليل على ظهور الحركة الدستورية في ايران والاستفادة من مفاهيمها من قبل المثقفين الثوريين الايرانيين في المراحل المختلفة للثورة الدستورية[٢٣] وكذلك كان للايرانيين الساكنين في القفقاس أيضا والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية تأثير في الثورة الدستورية الايرانية ويجب إلا تقلل من أهمية هذا التأثير.

ويذكر سبكتور Spector في هذا الصدد في سنة ١٩٠٥م شكل الايرانيون المقيمون في تفليس تنظيمات ثورية وعندما رجع العمال الايرانيون إلى وطنهم حملوا معهم افكارهم الثورية مع الاسلحة والمنشورات والبيانات المطبوعة التي تدعو إلى الاعتصامات والمظاهرات والاضطرابات ضد النظام الاستبدادي الشاهي في ايران وعليه إذ عددنا ان ثورة عام ١٩٠٥م في ايران قد خطت خطوات الثورة الروسية نفسها لا نجافي الحقيقة والواقع[٢٤]، ولا يفوتنا ما كان للحركات الدستورية التي حصلت في مصر والهند تأثير في الشخصيات المطالبة بالدستور في ايران فقد تطرقنا إلى موضوع دور بعض المثقفين في ايجاد الوعي السياسي والدستوري في عهد ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه إلى هؤلاء الشخصيات الواعية امثال نصر الله ملك المتكلمين الذي عاش في الهند وعاصر التطورات الدستورية فيحيا منذ عام ١٨٨١م وسيد جلال الدين مؤيد الإسلام صاحب جريدة الحبل المتين في كلكتا ومستشار الدولة التبريزي الذي حاول في كتاباته التوفيق بين الشورى في الإسلام والنظام البرلماني الغربي، وكان لفتح المدارس الجديدة وارسال البعثات إلى الخارج وانتشار الصحف باللغة الفارسية خارج البلاد وداخلها كجريدة اختر الصادرة في استنبول وقانون في لندن وحكمت وبدروش في مصر والحبل المتين في كلكتا وتربية وعدالت في ايران وظهور شعراء[٢٥] وكتاب[٢٦] في هذه المدة الزمنية تأثير مبالغ فيه لإثارة الرأي العام الايراني بطلب حقوقه الانسانية مثل سائر شعوب العالم وقد

بلغ تأثير هذه في الصحف والجرائد حدا ان اضطر الشاه وحكومته منع دخولها وتداولها في ايران[٢٧] لأن مقالاتها تهاجم الاستبداد الشهنشاهي والسيطرة الأجنبية والفساد المستشري في كل مرافق البلاد.

تعاظم الحركة الدستورية في عهد مظفر الدين شاه

منذ نهاية عام ١٣٢٢هـ- ١٩٠٤م بدأت الاصوات تتعالى في ايران باقالة نوز[٢٨] والمستشارين البلجيكيين من رهطه المهيمنين على مقاليد الجمارك الايرانية وكان رجال الدين يديرون الحملة على نوز وحكومة عين الدولة الاستبدادية وقد تذرع رجال الدين في معارضتهم بحجة حصولهم على صورة لنوز وهو في زي رجال الدين الشيعة لابسا العمامة والعباءة فى احتفال الجالية الارمنية فى طهران[٢٩] وروجوا بين الناس ان هذه الصورة اهانة متعمدة للإسلام والمسلمين وقد طبعت من هذه الصورة بأمر منهم الاف النسخ لتوزيعها في انحاء ايران كافة بهدف تأليب الجماهير على عين الدولة وحكومته.ولكن على الرغم من شدة الدعايات وتأثيرها لم يعبأ عين الدولة باعتراضاتهم وبدلا من اقالة نوز اناط إليه تحديا لآراء رجال الدين وزارة الجمارك والبريد والبرق[٣٠].

بدأت الحملة على حكومة عين الدولة تشتد يوما بعد الآخر، وكان فارسا الميدان في هذه الحملة المجتهدين آية الله سيد عبد الله البهبهاني[٣١] وسيد محمد الطباطبائي[٣٢] وقد التف حولهما معظم رجال الدين في طهران باستثناء الشيخ فضل الله نوري وأمام الجمعة ميرزا ابي القاسم المعروف بعدائه للدستوريين وبقيا على علاقة وطيدة مع حكومة عين الدولة على الرغم من مسايرتهما في بادئ الأمر زمرة المطالبين بالاصلاحات[٣٣].

اخذ التذمر يزداد بين عامة الناس وسائر الطبقات ولاسيما طبقة التجار الذين فرض عليهم نوز رسوما جمركية عالية مطالبا اياهم بدفع ديون مضاعفة عن بضائعهم الموجودة في الجمارك، وقد كتب التجار عريضة إلى عين الدولة باثين فيها شكواهم من نوز وتصرفاته الجائرة بحقهم، وقد انعكست شكواهم على صفحات جريدة الحبل المتين المعروفة عادين التعرفة الجمركية الجديدة ضررا على تجارة البلاد وشل نشاطها واظهروا استياءهم الشديد من اصحاب رجال الجمارك والرشاوى الطائلة التي يتعاطونها من التجار الايرانيين مطالبين باقالة نوز الذي يكن عداء

سافرا لايران والايرانيين ويرى نوز ان سعد الدولة وزير التجارة كان وراء حركة التجار ضده ولا يفوتنا ان سعد الدولة وزير التجارة كان يفشي مظالم نوز ورهطه ضد التجار الايرانيين ويثيرهم للمطالبة باقالته(٣٤)، وقد تزامنت مع هذه الاوضاع المضطربة وقوع حادثة بين الشيخين والمتشرعين في كرمان أدت إلى اضطراب الاوضاع في المدينة المذكورة وقتل عدد من الابرياء فيها وكان وراء هذه الاضطرابات والفتن الحاج ميرزا محمد رضا الذي نال درجة الاجتهاد في النجف الاشرف وبدأت الاضطرابات تزداد شدة يوما بعد يوم اضطر ظفر السلطنة الذي حل محل ركن الدولة في ولاية خراسان إلى ارسال قوة كبيرة من العساكر لتأديب المشاغبين ومثيري الفتن في مدينة كرمان فالقى القبض على الحاج محمد رضا وأمر ظفر السلطنة بشدد من رجليه بالفلقة تحقيرا له متجاهلا مركزه الديني. وهاج رجال الدين في انحاء ايران كافة عدوا ذلك اهانة بالغة للإسلام ورجاله، وهاجم البهبهاني والطباطباني الحكومة وادانوا بشدة افعال الولاة وتصرفاتهم وطالبوا باقالة ظفر السلطة وحكومة عين الدولة واضطرت الحكومة إلى استدعاء ظفر الدولة لأسكات رجال الدين وهياجهم(٣٥).

بدأت الحوادث المثيرة للاضطرابات تتوالى يوما بعد آخر. ومن الحوادث البارزة التي اثارت الرأي العام في تلك المرحلة الزمنية شراء المصرف الروسي في طهران اراضي مدرسة ومقبرة قديمة ومعروفة بمدرسة (جال) من شيخ فضل الله نوري لقاء مبلغ قدره ٧٥٠ تومانا وشرع اصحاب المصرف ببناء أسس المصرف، اعترض قادة رجال الدين وعلى رأسهم البهبهاني والطباطباني على هذا البذخ غير المألوف شرعا وبأمر من البهبهاني توالت الاعتراضات والخطب والمواعظ في المساجد على تأسيس المصرف المذكور اثارها خطباء معروفين امثال الحاج مرتضى الاشتياني والشيخ محمد الواعظ، وبامر من المجتهدين المذكورين قاد الميرزا مصطفى الاشتياني النجل الاصغر لميرزا حسن الاشتياني تظاهرة صاخبة هدم المتظاهرون أسس المصرف الجديد التأسيس وبنيانه، وعلى الرغم من شكوى اصحاب المصرف الروسي المقدمة إلى الحكومة الايرانية لأيقاف المتجاسرين عند حدهم لم تتمكن الحكومة من ابداء، رد فعل ضد المتظاهرين وقادتهم من رجال الدين، لقد أمر مظفر الدين شاد بدفع مبلغ ٢٠ الف تومان لأصحاب المصرف الروسي(٣٦)

وهو ما أدى إلى ازدياد هيبة رجال الدين وهيمنتهم على زمام الاحداث الجارية في البلاد.

وتزامنت مع هذه الحادثة حادثة أخرى هزت المجتمع الايراني وخلاصة الأمر ان سعر السكر زاد في سوق طهران لانقطاع تجارة الشمال مع روسيا بسبب دخولها الحرب مع اليابان وانخفاض العائدات الجمركية الايرانية الأمر الذي أدى إلى عجز الحكومة عن تسديد القروض الداخلية وقد تسبب ذلك في حدوث أزمة اجتماعية تمخض عنها بسرعة أزمة سياسية وولدت ردود افعال متباينة في الأقل لتحديد حجمها وقوتها لدى اوساط النظام الحاكم. أمر عين الدولة الحاكم العسكرية بطهران علاء الدولة المعروف بقساوته وتهورد بالتحقيق مع التجار لمعرفة سبب ارتفاع أسعار السكر. فارسل علاء الدولة في طلب تجار السكر فاحضر سبعة تجار معروفين إلى مقر حاكمية طهران وقد رد عليه التجار على لسان حاجي سيد هاشم الذي كان تاجرا للسكر معروفا في ايران بأن سبب ارتفاع أسعار السكر يرجع إلى نشوب الحرب بين روسيا واليابان[٣٧] وعدم وصول السكر إلى الاسواق الايرانية بسبب هذه الحرب[٣٨] ولكن علاء الدولة لم يقتنع بحجته وطلب منه توقيع تعهد خطي يقضي بتقليل أسعار السكر[٣٩] فرفض حاجي سيد هاشم توقيع مثل هذا التعهد مبينا ان سعر السكر خاضع لقانون العرض والطلب ولا يمكنه التحكم فيه. ولكنه على استعداد لاهداء منة صندوق من السكر المتوافر لديه إلى الحكومة كهدية منه. وانه سوف يترك التجارة من بعد هذا الاستجواب إلى الابد. فانتاب علاء الدولة الغضب من ردد. وأمر بشدد من رجليه وارجل سائر التجار الحاضرين بالفلقة وكان لحاجي سيد هاشم وحاجي سيد اسماعيل اللذين تعرضا للاهانة حرمة ومكانة كبيرتان لدى رجال الدين وسائر طبقات المجتمع الايراني وقد هاج الرأي العام بتحريض من رجال الدين في طهران أثر هذا الحادث[٤٠] وتجمع عدد كبير من الاهالي من بينهم السيدان البهبهانى والطباطباني في مسجد الشاد القريب من البازار الكبير بغية اللجوء إليه[٤١] وبدأ عدد الملتجئين إلى المسجد يزداد يوما بعد آخر. وأثار الوعاظ بخطبهم الدينية حماسة الملتجئين وتعطلت الأسواق ومحلات التجارة. وطالب الملتجنون باقالة علاء الدولة حاكم طهران وتطبيق الشريعة وتأسيس مجلس عدلي وعزل نوز البلجيكي مدير الجمارك[٤٢]، ولكن محاولاتهم لم تثمر ولم تكلل بالنجاح لتواطؤ أمام جمعة طهران. الحاج ميرزا أبي القاسم الذي كان يكن العداء والكراهية للبهبهاني مع حكومة عين

الدولة، واستطاع انصار أمام مسجد طهران بالتعاون مع رجال الحكومة بقيادة السيهدار خلعتبري تفريق شمل المعتصمين واخراجهم بالقوة من المسجد[٤٣] فخرج الملتجئون من المسجد وهم أكثر حماسة عما كانوا عليه من قبل مصرين على تلبية مطالبهم فتجمعوا في مدرسة خان مردي. وكان لأنصار امين السلطان الصدر الاعظم المخلوع محمد علي ميرزا ولي العهد الذي يضمر العداء لعين الدولة لأعتقاده بأنه سعى لأبعاده من ولاية العهد وتعيين شعاع الدولة محله دور في اثارة الملتجئين ضد حكومة عين الدولة[٤٤] وبدأت بوادر الاضطرابات الحادة تتهدد العاصمة وسارت التظاهرات في الشوارع وقررت حكومة عين الدولة استخدام القوة مع المتظاهرين ورجال الدين[٤٥]، فقرر البهبهاني الايعاز إلى المتجمهرين للتوجه إلى بلدة شاد عبد العظيم الواقعة على بعد خمسة اميال من طهران بتاريخ ١٣ كانون الأول عام ١٩٠٥م فالتجأ الطلبة والوعاظ المعروفون امثال الحاج شيخ محمد سلطان والشيخ الحاج شيخ مهدي سلطان وحسام الواعظ وانصارهم إلى المرقد المقدس[٤٦]. وهناك اعلن الملتجئون انهم لن يبرحوا اماكنهم إلا بعد الاستجابة لمطالبهم الأساسية والرامية إلى عزل عين الدولة وعلاء الدولة حاكم طهران من منصبيهما وتأسيس مجلس العدالة الذي اطلقوا عليه اسم عدالة خانة[٤٧] وفسح المجال للشعب للاتصال بالشاه بحرية وعزل نوز وبطانته من الجمارك الايرانية وتشكيل نوع جديد للحكومة يكون للجماهير دور فيها والغاء أبعاد الحاج ميرزا محمد رضا وارجاعه إلى موطنه كرمان وتعميم الشريعة الإسلامية في جميع انحاء ايران.

اخذ عدد الملتجنين في شاد عبد العظيم يزداد يوميا ووجد الناس في ذلك فرصة لشفاء غليلهم من الحكومة وصار الوعاظ وقراء التعازي يصعدون المنابر ليندوا بالحكومة ويشجبوا اعمالها التعسفية، وقد برز بينهم الواعظ المشهور جمال الواعظ والشيخ مهدي الواعظ والشيخ محمد الواعظ وأكبر شاد، وتضامن عدد من افراد الاسرة المالكة امثال سالار الدولة ابن مظفر الدين شاه وبعض الشخصيات المعروفة من رجالات البلاط الايراني مثل الحاج ميرزا نصر الله ملك المتكلمين مع المعتصمين ورجال الدين وساعدوهم ماديا مما أدى إلى تفاقم الأزمة وازدياد حدتها وعلى الرغم من محاولة عين الدولة فتل عزيمة رجال الدين وقادة الحركة وارادتهم بالوعيد تارة والاطماع تارة أخرى لأقناعهم بالرجوع عن تحركاتهم وأمر انصارهم بالتفرق إلا ان محاولاته باءت بالفشل الذريع إذ صمد البهبهاني والطباطبائي أمام

المغريات المادية[٤٨] وازداد تعاونهما في دفع حركة الجماهير الغاضبة وطلب الطباطبائي من الشاه ورئيس وزرائه تأسيس مجلس يخدم الجماهير الايرانية[٤٩] واضطر مظفر الدين شاه تحت ضغط رجال الدين وسائر المطالبين بالدستور إلى الموافقة على اصدار وثيقة خطية ارسلها إلى المعتصمين في شاه عبد العظيم واعدا بتأسيس مجلس العدالة وسائر مطاليبهم الأخرى دون التطرق إلى مطلبهم الأساس إلا وهو عزل عين الدولة رئيس الوزراء من منصبه.

رجع رجال الدين مستبشرين بوعود الشاه إلى طهران وظلوا ينتظرون تنفيذ مطاليبهم، ولما شعر رجال الدين وسائر المطالبين بالدستور بتواطئ الدولة وتلكؤها في تنفيذ مطاليبهم تجددت المصادمات والاضطرابات الحادة في طهران وضواحيها. وقابلهم عين الدولة رئيس الوزراء بمنتهى الخشونة والعنف[٥٠] وقرر انهاءهم وأمر بأبعاد جمال الدين الواعظ إلى قم وبتوقيف محمد الواعظ أحد الوعاظ المشهورين المؤيدين للثورة، وقتل أحد الطلاب المدعو سيد عبد الحميد من قبل الشرطة في التظاهرات المحتدمة في طهران وتواصلت المصادمات بين القوات الحكومية وبين المتظاهرين اسفرت عن قتل عدد من المتظاهرين وجرحهم من بينهم السيد حسين من طلبة المدارس الدينية.

وفي آب من عام ١٩٠٦ عقد المحتجون من المطالبين اعتصاما آخر في باحة المفوضية البريطانية في طهران واعلنوا انهم لن يغادروها ما لم تتحقق مطاليبهم التي هي امتداد لمطاليب المعتصمين في شاه عبد العظيم نفسها. وفي الوقت نفسه هددت الجمعيات السرية في برقيات شديدة اللهجة بعثت إلى طهران وهي تعلن انها ستركن إلى السلاح بوجه الشاه وحكومته ما لم تحقق مطاليبها[٥١] وفي هذا المناخ السياسي المفعم بالاضطرابات الدامية إعلن علماء الدين بانهم سوف يقومون بترك البلاد[٥٢] والهجرة الجماعية إلى العتبات المقدسة في العراق[٥٣] ولما جوبه عين الدولة بهذا التحدي والاصرار من القادة المعتصمين على تنفيذ مطاليبهم اضطر إلى ان يطلب منهم ارسال من ينوب عنهم لمقابلة مظفر الدين شاه وايصال مطاليبهم إليه مباشرة فانتخب المعتصمون احمد الطباطبائي اخا اية الله محمد الطباطبائي لينوب عنهم للمفاوضة مع الشاه وفعلا قابل احمد الطباطبائي عين الدولة ثم مظفر الدين شاه[٥٤] ولكن محاولاته لم تكلل بالنجاح لأثارة شائعة حول ارتباط الطباطبائي المشبوه بعين الدولة سرا فقرر المعتصمون ارسال طلبهم عن طريق سفير الدولة

العثمانية في طهران إلى مظفر الدين شاه فجددوا مطاليبهم في عريضتهم هذه، وقد اوصل السفير العثماني طلب المعتصمين إلى مشير الدولة وزير الخارجية الايرانية الذي سلمه بدوره إلى مظفر الدين شاه مباشرة بخصوص عين الدولة، إلا ان الشاه ابدى جهله بمطاليب المعتصمين وطلب من وزير خارجيته الكتابة إلى السفير العثماني ان مطاليب المعتصمين ستلبى بأسرع وقت ممكن وسيرجع قادة المعتصمين معززين مكرمين إلى طهران.

وعلى الرغم من هذا التأكيد من قبل مظفر الدين شاه على تنفيذ مطاليب المعتصمين اصر عين الدولة على عدم الرضوخ لمطاليبهم والقى القبض على ممثلي رجال الدين في طهران وهم كل من ميرزا أبي القاسم بن آية الله الطباطبائي وميرزا مصطفى الاشتبياني اخي حاج شيخ مرتضى الاشتيباني وميرزا محسن اخي صدر العلماء وسيد علاء الدين صهر البهبهاني الذين حضروا إلى طهران للتداول معه وايصال مطاليب قادة رجال الدين والمعتصمين إلى مظفر الدين شاه(٥٥) ولما علم اهالي طهران بالأمر هاجت المدينة عن بكرة ابيها وبدأت المظاهرات تسير في الشوارع متسمة بنوع من الخشونة واغلق الكسبة والتجار محلاتهم ودكاكينهم وشلت الحركة في طهران ولم تجد نفعا محاولات الدولة بالسيطرة على الموقف وتهدئة الحال إلى سابقها فطلب الشاه من عين الدولة تنفيذ مطاليب المعتصمين وارجاع رجال الدين معززين إلى المدينة وفعلا رجع رجال الدين إلى طهران بابهة كاملة جالسين في العربات الفخمة التي ارسلها اعيان المدينة لتنقلهم من شاه عبد العظيم إلى طهران وكان ذلك اليوم يوما مشهودا حافلا بالاهتمام البالغ(٥٦)، استقبلت المحطتين حشودا ضخمة تهتف لتحيا الأمة الايرانية وهذه كانت المرة الأولى التي يسمع فيها تعبير الأمة الايرانية في شوارع طهران(٥٧).

على الرغم من الانتصارات التي احرزها الدستوريون بقيادة رجال الدين إلا ان عين الدولة وسائر رجالات الدولة لم يرضخوا للأمر الواقع وبدأت سلسلة من الاضطرابات والمظاهرات بعد ان تبين لرجال الدين والمطالبين بالدستور ان حكومة عين الدولة تتلكأ في تنفيذ الوعود التي قطعها الشاه لهم وانهم لن يصلوا إلى اهدافهم إذا بقوا صامتين، بدأت سلسلة من الاضطرابات ووصلت اوجها بعد مقتل أحد طلبة المدارس الدينية المدعو سيد عبد الحميد وجرح طالب آخر(٥٨) وعندما حاول المتظاهرون انقاذ حاجي شيخ محمد الواعظ من ايدي جلاوزة عين الدولة

وهجموا على مركز الشرطة الذي كان الشيخ محمد موقوفا فيه واخرجوه عنوة من المركز وجرح في محاولة الاقتحام شخصية معروفة وهو المدعو اديب الذاكرين وقتل وجرح الكثيرون على ايدي رجالات عين الدولة(٥٩).

وفي هذا الجو المشحون بالتوتر*واراقة الدماء التجأ قادة رجال الدين إلى ضريح السيدة معصومة في قم واجتمع حولهم الآف من المطالبين بالدستور ولاح في الأفق شبح حرب اهلية وهدد رجال الدين الكبار بترك ايران في هجرة جماعية هربا من الحكم الاستبدادي وقد كان لتهديدهم أثر كبير في سائر الولايات الايرانية(٦٠) وهنا وجدت الحكومة البريطانية انه لابد من الوقوف إلى جانب الحركة الوطنية ضد حكومة الشاه وأصبحت ساحة المفوضية البريطانية في طهران وكانها أصبحت معقلا للثوار ضد الحكومة المركزية(٦١) وقد بلغ عدد الملتجئين إليها في شهر أب من عام ١٩٠٦ اثني عشر الف نسمة(٦٢) جاء معظم هؤلاء من البازار وكانوا بقيادة لجنة من زعماء النقابات وعينت هذه اللجنة الاماكن للنقابات المختلفة واشار أحد الزائرين بأنه رأى أكثر من ٥٠٠ خيمة لكل النقابات حتى الاسكافيين وبائعة الجوز والسمكريين وكان لكل نقابة خيمة واحدة في الأقل وفرضت اللجنة القانون لحماية ممتلكات المضيف واشارت البعثة فيما بعد بأنه لم يتضرر أي شيء تقريبا ونظمت هذه اللجنة المظاهرات النسائية خارج القصر الملكي وخارج مقر البعثة البريطانية(٦٣) علما بأن السفارتين الروسية والعثمانية ابت قبول الملتجئين(٦٤).

أدى تعاطف محمد علي ميرزا ولي عهد ايران على الرغم من افكاره الاستبدادية مع الثوار المطالبين بالدستور إلى اشتداد شوكة الدستوريين يوما بعد يوم(٦٥) وأصبحت مكانة الشاه وحكومته تتدهور على الصعيد الخارجي والداخلي وأثر ذلك أثر الشاه ان يوافق على طلبات الثوار فأبعد عين الدولة من رئاسة الوزراء وعين مكانه رجلا له سمعة طيبة لدى الدستوريين وهو نصر الله خان المعروف بـ(مشير الدولة) النائيني الذي هيأ الاجواء لأجراء انتخابات المجلس النيابي ووقع الشاه على فرمان(٦٦) ينص على قيام جمعية تأسيسية تمهيدا لوضع الدستور(٦٧).

افتتح مجلس الشورى في طهران في ١٤ جمادى الثانية عام ١٣٢٤هـ الموافق الشهر الخامس من عام ١٩٠٦م الذي يوافق عيد ميلاد مظفر الدين شاه في قصر كلستان(٦٨) وقد حضر الشاه حفلة الافتتاح على الرغم من مرضه الشديد(٦٩) وكان أول عمل اهتم به المجلس هو تاليف لجنة صياغة الدستور وتمت صياغة

الدستور وصادق عليه الشاه في ١٤ جمادى الثانية من عام ١٣٢٤هـ/ كانون الثاني من عام ١٩٠٧م وتوفي الشاه بعد خمسة ايام من اقرار الدستور من قبل المجلس النيابي برئاسة صنيع الدولة[٧٠].

كان الدستور الايراني في كثير من نصوصه ترجمة للدستور البلجيكي الصادر عام ١٨٣٠م فهو يقوم على أساس المبادئ الديمقراطية الشائعة في اوربا ولكن لجنة صياغة الدستور حرصت على ان يكون الدستور موافقا للشريعة الإسلامية ولا يخالفها في شيء ونجد هذا واضحا في المادتين الأولى والثانية منه والتي نصت على ان تكون في كل دورة من دورات المجلس لجنة مؤلفة من خمسة اشخاص من المجتهدين يدرسون جميع اللوائح التشريعية فإذا وجدوا فيما يخالف الشريعة الإسلامية رفضوه وان قراراتهم في هذا الصدد واجبة التنفيذ وان هذا الشرط في الدستور لا يمكن تغييره إلى حين ظهور أمام العصر عجل الله فرجه[٧١] ولا نغالي إذا قلنا ان هذا الدستور كان بمثابة قفزة في تاريخ تطور النظم السياسية في ايران. إلا انه على الرغم من ذلك فإن النقائص والعيوب التي اعترت هذا الدستور كانت سببا لتردي الاوضاع السياسية من جديد في ايران لتحكم فئة قليلة بمصير وحقوق الشعب الايراني فقد الدستور عام ١٩٠٦ على ان النظام السياسي في ايران يقوم على أساس توارث سلطة رئيس الدولة دون ان تكون للشعب يد في اختيار هذا الرئيس مما اقام حاجزا سميكا وفجوة كبيرة بين الحكام والمحكومين وفيما يتعلق بالحقوق والحريات فقد جاءت تعليمات الدستور اكثرها اخلاقية وسياسية أو اجتماعية مفتقرة إلى ما يحددها ويوضح ابعادها ومقاصدها ومفاهيمها وطرق ممارستها وكل الذي حدده الدستور هو ترك هذه الأمور إلى القوانين العادية كافة وهو ما افقدها قيمتها الدستورية. وقد اغفل كذلك الكثير من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية للشعب كما انه لم ينظم الحياة الاقتصادية بشكل يمنع من الاستغلال ويحد من الصراع الطبقي لاسيما في بلد كايران تتفاوت فيه الطبقات الاجتماعية وتعيش أغلبيته في فقر مدقع فضلا عن ذلك فقد ذهب الدستور إلى اسناد السلطة التشريعية إلى كل من الملك والبرلمان ومنح الملك حق اقتراح القوانين وحق التصويت عليها مما جعله عضوا مساويا للبرلمان في التشريع[٧٢] واستنتاجا من كل ذلك فان البرلمان الايرانى لا يملك بمفرده سلطة التشريع.

وقد حدد الشاه من له حق الانتخاب لهذا المجلس وهم امراء الاسرة القاجارية والمجتهدون من رجال الدين والاعيان والمتنفذون والملاكون والتجار واصحاب الحرف وقد خصص لمدينة طهران ستون مقعدا[٧٣] فمن مجموع مقاعد العاصمة حدد منها للاصناف اثنان وثلاثون مقعدا وللتجار عشرة مقاعد واربعة مقاعد لرجال الدين مع عدد مشابه لأفراد الاسرة القاجارية[٧٤] وبعبارة أخرى فان الثورة عبرت عن افكارها واتجاهاتها من خلال الثقل المؤثر الذي احتلته العناصر البرجوازية في المجلس الأول فان اثنين وعشرين في المئة يمثلون البرجوازية الصغيرة وخمسة عشر في المئة يمثلون البرجوازية التجارية في حين لم يشكل ملاكو الاراضي سوى ثمانية بالمئة من مجموع النواب ويتضح من هذا ان المجلس الأول لم يحتل فيه أحد من ملاكي الاراضي الكبار أي مقعد وينطبق الشيء نفسه على رؤساء العشائر والقبائل وكذا الفلاحين على الرغم من ان افراد المجاميع الأخرى يؤلفون ثمان في المئة من مجموع السكان[٧٥] لذلك لم يكن غريبا ان يشترط على الناخب في الريف ان يمتلك من الاطيان ما يعادل الف تومان أما ناخب المدينة فقد اشترط عليه ان يكون مالكا لمحل تجاري أو حرفي لا تقل اجرته عن اجرة بقية المحلات في منطقته وبذلك حرم قطاع واسع من المواطنين من المشاركة في الانتخابات[٧٦].

حدد الشاه كذلك اختصاصات المجلس النيابي بأن له الحق في الاستفسار والبحث الدقيق في كل أمر يتعلق بمصالح البلاد والشعب ورفاهيته وحدد الشاه كذلك اسلوب تقديم التوصيات وقرارات المجلس التمثيلي إذ اصر الشاه على ان تقدم إليه مثل هذه التوصيات عن طريق رئيس الوزراء ليوثقها الشاه لتصبح سارية المفعول. ان تأسيس المجلس النيابي الأول في الواقع يعد بداية هزيلة للحكم الدستوري في ايران فالمجلس المنتخب سيكون آلة طيعة في يد الشاه. حيث ان من له حق الانتخاب معظمهم من انصار الشاه ومن المحافظين. وأما المثقفون من الطبقات الواعية والليبرالية لم يكن عددهم كبيرا قياسا إلى الفئات الأخرى في المجلس فلم يكن عددهم يتجاوز عشرين نائبا. ومن ناحية أخرى كان الشاه يضع في يدد حق اصدار التشريعات وبذلك يستطيع ان يشل عمل المجلس في اصدار التشريعات التي تخدم الجماهير الكادحة ولكن يجب التنويه إلى هذه الحقيقة بأن هذا المجلس فتح بابا للعمل الايجابي في اتجاه الحكم الدستوري[٧٧].

وبعد ان كانت سلطة الشاد مستمدة من السماء غدت الآن تستند إلى ثقة الشعب الذي اودعها كهبة الهية إلى شخص الشاد[٧٨] وبوصف المجلس ممثلا لكل الشعب فإن جميع القوانين والمشاريع التي تخص تنظيم شؤون المملكة وادارتها تصبح من اختصاصه ولا يحق للوزراء عقد الاتفاقيات الخارجية أو القروض والعقود أو منح الامتيازات واقرار الميزانيات إلا بعد موافقة المجلس وقد ضمن هذا منع السلطة التنفيذية من التعسف في استعمال صلاحياتها غير المحدودة. كذلك وفر المجلس لأعضائه الحصانة الكاملة عندما اوصى بعدم جواز اعتقال أو القاء القبض على أي من اعضاء المجلس إلا بعد موافقة المجلس نفسه[٧٩].

وخلال الخمسة ايام القلائل التي وقعت بين مصادقة الشاد العليل على الدستور وموته بلغت حماسة وتفاؤل الدستوريين الذروة بيد انه لم يكتب لهذه المشاعر ان تستمر طويلا بعد تولي الشاد الجديد محمد علي العرش خلفا لوالده فقد كانت هناك احداث عصيبة بانتظارهم فقد كان الشاد الجديد يحمل حقدا دفينا ضد الثورة الدستورية منذ ان كان وليا للعهد في تبريز في عهد والده ولطالما شكا التبريزيون من اوتوقراطيته وقسوته اللامتناهية. ومنذ توليه العرش نذر الشاد نفسه لمواجهة حاسمة مع الدستوريين وما انفك الشاد يردد على مسامع مستشاريه وزرائه انه غير مسؤول عن متابعة خطأ ارتكبه والده بالموافقة على اصدار الدستور والمجلس النيابي[٨٠].

ومن الحوادث الأخرى المهمة في عهد مظفر الدين شاد هي مؤامرة اغتيال جوهر (جعفر) أغا شكاك رئيس عشيرة شكاك الكردية وهي من الحوادث المهمة التي وقعت في عهد مظفر الدين شاد. المؤامرة التي دبرها والي اذربيجان نظام السلطنة بأمر من محمد عليشاد ولي عهد ايران لأغتيال جوهر اغا بن محمد اغا[٨١] رئيس عشائر الشكاك الكردية البالغة نفوسها ستمنة اسرة وعدد مقاتليها ثلاثة الاف مقاتل معروفين ببسالتهم وشجاعتهم النادرة[٨٢] وقد أدت هذه المؤامرة إلى استشهاد جوهر أغا غيلة عام ١٢٨٤هـ/ ١٩٠٥م بتهمة اتصاله بالثوريين الايرانيين[٨٣] وكان جوهر هذا ابرز عنصر في النضال التحرري الكردي الايراني برغم اخطائه الكثيرة في مسيرته النضالية وقد تعمق مضمون حركته وتحددت اهدافه حتى تحولت إلى ظاهرة بارزة في تاريخ ايران السياسي لاسيما بعد ظهور رضا شاد فوق خشبة المسرح السياسي في ايران.

كان جوهر اغا ذا سلطة وبأس في منطقة اذربيجان ولاسيما في منطقة اورمية ومياندواب وقد افزع نفوذه ولي عهد ايران محمد علي فأمر والي اذربيجان بالتخلص منه وتصفيته جسديا فعمد (نظام السلطنة) الى الحيلة والمكر لأستدراجه فارسل اليه صفحة من القرآن الكريم وعليه ختمه وتوقيعه محلفا فيها بأنه لن يبخل في مساعدته لجعله رئيسا لعشيرته بصورة رسمية[٨٤] إذا حضر تبريز لأداء فروض الطاعة للدولة المركزية. وحضر جوهر أغا مع سبعة فرسان من خواصه[٨٥] إلى تبريز فرحب نظام السلطنة به في بادئ الأمر واسكنه في احد القصور الفخمة لجلب ثقته واوعز من جهة أخرى إلى محمد حسين خان ضرغام رئيس فرسان القرد باغية باغتيال جوهر وتم اغتياله عندما كان جوهر أغا ينتظر في غرفة صغيرة للالتقاء بنظام السلطنة بحسب خطة مرسومة من قبلهم[٨٦] هب اتباع جعفر اغا للدفاع عن سيدهم وعندما ايقنوا من اغتياله حاولوا النجاة بانفسهم وقتلوا عددا كثيرا من الجنود الذين حاولوا القاء القبض عليهم أثناء محاولتهم الهرب[٨٧]. وبأمر من نظام السلطنة علق جثة جعفر اغا بصورة مقلوبة مع اثنين من اتباعه أمام البوابة الرئيسة لمدينة تبريز (عالي قابو) وقد أدى هذا الحادث إلى تدني سمعة الدولة للجونها إلى الوسائل الرخيمة والدنيئة لتصفية خصومها[٨٨] وكذلك إلى قيام عشيرة شكاك بقيادة محمد أغا والد جوهر أغا الذي التجأ إلى الدولة العثمانية التي اكرمت وفادته وخلع السلطان عليه لقب الباشا وعلى الرغم من هذا التكريم فإن هذا التأييد والمساندة لم تستمر طويلا وحصلت القطيعة بين حكام الدولة العثمانية ومحمد اغا شكاك وعلى الرغم من هذه القطيعة إلا ان نضال هذه العشيرة لم ينقطع واستمر على اشد بظهور اسماعيل اغا (سمكو) الذي سوف نتحدث عنه بالتفصيل عند بحثنا عن عهد رضا شاه بهلوي.

محمد علي شاه ١٣٢٤ - ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٧ - ١٩٠٩ م[٨٩]

صفاته الاخلاقية :-

يعد محمد علي شاه سادس ملوك السلالة القاجارية، تولى الحكم بعد وفاة والده مباشرة. يصفه المؤرخون بأنه كان طاغية جاهلا مستبدا. طماعا متجاوزا على اموال الناس[٩٠] كما كان طموحا قاسيا ارتكب جرائم بحق الابرياء ولاسيما عندما كان حاكما في تبريز وكان لسوء تربيته واسرافه في شهواته واحاطة نفسه بحاشية فاسدة أثر في سلوكه هذا. كان متظاهرا بالتدين[٩١]. معتقدا بالخرافات والفال والسحر

والشعوذة. يستخير بالقرآن الكريم في كل ما يقدم عليه من أعمال ويفسر له استخاراته المجتهد الحاج سيد محمد ابو طالب الزنجاني الذي كان رجعي التفكير مخالفا للدستوريين وذا حظوة كبيرة لديه. لا يرد له طلب ومشينة. ولعل من ابرز صفات محمد علي شاه الجبن على الرغم من التظاهر بالشجاعة وقوة الارادة. فلو خير شخصيا لترك العرش ومتاعبه لابنه ولكن حاشيته واولياء أمور الدولة الروسية كانوا يحولون دون تنفيذ رغبته هذه مهما كان منقادا لمشينة زوجته الجاهلة ملكة جهان ابنة عمه كامران ميرزا والتي كانت تتدخل في الأمور السياسية كافة إلى حد ابطالها بعض فرامين زوجها محمد علي شاه. وبعد خلع محمد علي شاه عن العرش وهروبه من روسيا بسبب اندلاع الثورة البلشفية فيها إلى استانبول واستقراره فيها وعندما لامه أحد اعضاء السفارة الايرانية لسماحه بشراء سيارات للاجرة لزوجته، للاشتغال في شوارع استانبول بهدف الكسب المادي واستنكافه عن دفع الضرائب المقررة على سيارة الاجرة إلى بلدية استانبول اجابه بغضب ان زوجته هي وراء جميع نكباته في الحياة[٩٢] وسقوطه ونكبته الحالية.

محمد علي شاه والثورة الدستورية

اظهر محمد علي شاه عندما كان وليا للعهد تعاطفا مع الدستوريين لاحبابهم بل جلبا لمساندتهم وابطالا لمشاريع خصومه من امثال عين الدولة وشعاع السلطنة اللذين كانا يسعيان لتنحيته من ولاية العهد[٩٣]، أما حقيقة منحاه السياسي هي حقدد على الدستوريين ويرى ان الحكم المطلق خير لبلادد وبالتالي فعليه ان يركز السلطات في يدد. فقد كان مستشارود من الروس وفي مقدمتهم شابشال[٩٤] يشجعونه في مسعاه هذا ويساندود في هذا الاتجاه ولهذا سعى منذ توليه العرش إلى تعطيل الحياة النيابية والغاء الدستور[٩٥] ومن هنا تميز عهد حكمه القصير الذي لم يدم إلا ثلاثين شهرا وبضعة ايام[٩٦] بالصراع العنيف بين انصار الاستبداد وانصار المشروطية ومما زاد في شدة الصراع عقد المعاهدة الروسية البريطانية في ٣١ من شهر آب لعام ١٩٠٧[٩٧] ففي هذه المعاهدة اقتسمت الدولتان الروسية والبريطانية النفوذ في ايران، حيث حصلت روسيا على القسم الشمالي منها بينما حصلت بريطانيا على القسم الجنوبي من ايران[٩٨] وكانت هذه المعاهدة بمثابة ضربة قاسية على انصار المشروطية إذ أصبحت طهران ومناطق ايران الشمالية تحت النفوذ الروسي الأمر

الذي شجع محمد علي شاه على التمادي فى نزعته الاستبدادية وصار حرا يعمل ما يشاء دون ان يخشى من تدخل بريطانيا فى دعم انصار المشروطية(٩٩) وكانت بريطانيا تساعد الدستوريين فى المطالبة بوضع حد للنفوذ الروسي في البلاط الايراني. وعندما وصلت إلى اتفاق مع الدولة الروسية كما نوهنا عنها سابقا شعرت بأن تفاقم الحركة الدستورية مضرة لمصالحها في ايران ويتبين هذا من اراء أحد المراقبين الاوربيين حين استنتج في تحليله للدوافع التي حدت بالانكليز إلى الاتفاق مع الروس بهدف الحيلولة دون انتشار الافكار الدستورية في آسيا خشية تأثيراتها السلبية في الهند ومصر ومن أجل الابقاء على ايران ضعيفة ومضطربة(١٠٠) وهكذا فقد اتفقت بريطانيا مع روسيا لضرب الحكومة الدستورية(١٠١) وكان تأثير المستشارين الروس في محمد علي شاه كبيرا ولاسيما ان الروس عملوا منذ تثبيت اقدامهم في ايران لتخصيص معلمين ومستشارين روس لولي عهد ايران لينشأ بحسب تربيتهم السياسية وزرعوا روح الاستبداد والمكابرة ليبتعد عن شعبه ولينفرط عقد الاتحاد والمودة بين الشاه وشعبه ولا يبقى له سند إلا الاتكاء على الروس وبهذا يتسنى لهم تنفيذ مآربهم وتحقيق مصالحهم بوساطته وكما يشاؤون(١٠٢).

هنا لابد من ذكر الدور المشبوه لشابشال الذي مر ذكره المنتسب إلى فرقة يهودية كان لها نفوذها وانصارها في جنوب روسيا ومنطقة القرم وبولندا فقد بات مربيا ومعلما لمحمد علي شاه لأتقانه اللغات العربية والفارسية والتركية. وأصبح نفوذه في بلاط محمد علي شاه كبيرا ولا يضاهي. حتى انه منحه لقب خان واديب السلطنة وقلده وظيفة مير تومان وكان هدف شابشال ينحصر في تنفيذ مخططات الحكومية الروسية في ايران واستعمال نفوذه الواسع على محمد علي شاه لطرد جميع المستشارين الاجانب في البلاط الايراني واستبدالهم بموظفين من الروس(١٠٣) وجعل من محمد علي شاه آلة طيعة بيد السياسة الروسية لا يرد لهم طلب.

وللوقوف على مدى النفوذ الروسي على محمد علي شاه. يذكر تقي زاده انه بعد ان خلع محمد علي شاه عن العرش وتحصنه في السفارة الروسية ذهبت لمقابلته فقال لي باللغة التركية: "كنت متأكدا من مساندة الروس لي بدرجة اني كنت اتوقع منها لو طلبت منهم ان يجعلوا الصين تحت امرتي وطوع بناني لفعلوا ذلك"(١٠٤) وبصدد تأثير الروس فى أعمال وافكار محمد علي شاه يقول الدكتور مهدي ملك زاده: "ان محمد علي شاه عندما شعر انه بات غير محبوب من شعبه اظهر رغبته

في التنازل عن عرشه لصالح ابنه احمد والاعتصام في السفارة الروسية إلى ان تهدأ الحال ولكن عمال الحكومة الروسية وعلى رأسهم شابشال حالوا دون تنفيذ رغبته هذه وافهموه انه إذا تنازل عن العرش فسيصبح عمه ظل السلطان شاها على ايران بمساندة الانكليز وعليه مقارعة الدستوريين للحفاظ على عرشه معتمدا على مساندة الحكومة الروسية ومساعدتها عسكريا ومعنويا(١٠٥).

صار الشاه محمد علي يبذل الاموال ويحشد الانصار في سبيل القضاء على الحركة المشروطية في بلاده، وكان الشعار الذي رفعه بها الصدد هو ان الدستور بدعة مخالفة للشريعة الإسلامية وقد ايد الشاه في موقفه هذا لفيف من رجال الدين الكبار وعلى رأسهم الشيخ فضل الله نوري والشيخ محمد اليزدي وأكبر شاه الواعظ وميرزا حسن المجتهد في تبريز والمجتهد المعروف كاظم اليزدي في النجف الاشرف(١٠٦) أما انصار المشروطية فكان يتزعمهم السيدان محمد الطباطبائي وعبد الله البهبهاني ولفيف من الخطباء والوعاظ المعروفون في طهران وسائر المدن الايرانية الأخرى ولفيف من المثقفين الايرانيين الذين يلقون الحماية والتأييد التام من علماء النجف المعروفين وعلى رأسهم الملا كاظم الخراساني والحاج الشيخ عبد الله المازندراني ومحمد حسين ميرزا خليل محلاتي(١٠٧)، وبهذا انقسمت الشعوب الايرانية إلى فريقين متطاحنين فصار كل حزب منهم يكفر الحزب الآخر ويدعو إلى محاربته فقد أفتى علماء النجف من انصار المشروطية من خلال برقية رفعوها إلى البهبهاني والطباطبائي بأن الشيخ فضل الله نوري إنما هو مفسد في الأرض وان تدخله في شؤون المسلمين حرام(١٠٨) كما اصدروا فتوى بأن القوانين التي سنها البرلمان الايراني فرض عين على جميع المسلمين وان مقاومة المجلس النيابي بمثابة مقاومة احكام الدين الإسلامي الحنيف(١٠٩).

وكما أسلفنا فإن جمعيات قد ظهرت في مستهل الثورة الدستورية كان اعضاؤها ينتخبون للاشراف على عملية انتخاب اعضاء المجلس النيابي، وقد تحولت هذه الجمعيات التي تألفت في طهران(١١٠) وأكثر المدن الإيرانية والتي كانت مثل تلك التي ظهرت أبان الثورة الفرنسية إلى مؤسسات سياسية ثابتة لها وزنها الجماهيري الكبير، فقد ظهرت أول جمعية من هذا القبيل باسم (انجمن ملي) الجمعية الشعبية في تبريز التي اشترك اهلها على نطاق واسع في اختيار اعضائها وبعثت هذه الجمعية عنها مندوبين إلى المدن والقرى الاذربيجانية بهدف توعية السكان ونشر الفكر

الثوري الدستوري وكان للانجمن صحيفة ناطقة باسمها والتي كانت تسمى أيضا بجريدة انجمن وتطبع في كل مرة خمسة الاف نسخة. وهذا رقم له مغزاد بحسب مقاييس زمانه[١١١].

بدأ انصار المشروطية بالتزايد واعتمدت في دعاياتها على أكثرية فتاوى رجال الدين المتضمنة ان المجالس المنتخبة من قبل الشعب شرعية وقوانينها مقدسة ومحترمة، وبدأت هذه الجمعيات تجمع التبرعات وتحشد الانصار وتدربهم على السلاح بغية الدفاع عن المشروطية[١١٢] وقد تفجر الصراع بين ممثلي هذه الجمعيات في المجلس النيابي وانصار محمد علي شاه من المستبدين الداعين إلى الحكومة (المشروعة) أي الشرعية غير المغتصبة لا المشروطة التي تنافي الشرع الإسلامي الحنيف بحسب مزاعمهم فقد تركز الصراع حول صلاحيات الشاه، ففي نظر الشاه المتشبث بصلاحيته المطلقة كان القبول بمطالب الدستوريين غير قابل للتحمل. ومن ابرز هذه الجمعيات التي تشكلت في طهران نذكر منها جمعية (بيت الطلوعيين وجمعية حاجي سيد محمد علي همت ابادي وجمعية عبد الرحيم الهي والجمعية الشيرازية والقاجارية وجمعية عراق العجم والجمعية الفاطمية وسعادت والمهدية وغيرت والجمعية الاذربيجانية وجمعية (مركزي برادران) وجمعية اتحاد طلاب واتفاق وجمعية اتحادية اصناف وجمعية اتحادية الرزادشتيين واتحادية الارامنة وجمعية صرافان وجمعية لشكرنويسان وجمعية المستوفيان والمودت وجمعية خراسان وجمعية سعادت شهرنو وجمعية كوجة غريبان وجمعية خياطان وجمعية كوجة قجرها وجمعية سعادت دروازة قزوين وجمعية برادران دروازة قزوين[١١٣] وفي تبريز كانت جمعية (ملي) وجمعية (غيبي) من أبرز الجمعيات المطالبة بالدستور.

لقد لعبت هذه الجمعيات دورا كبيرا في ترجمة أفكار المثقفين وتقريبها إلى أذهان المواطنين وقربت الشرائح الاجتماعية للجماهير الايرانية من بعضهم وجددتها من أجل القضايا العامة ونظمت قوتهم وذلك للاستعداد لليوم الذي ستفاجئ به حكم الطغيان لتباغته باتحادها ضده[١١٤] وقد تركز صراع هذه الجمعيات مع الشاه وبطانته حول صلاحيات الشاه ففي نظر الشاه المتشبث بصلاحياته المطلقة كان القبول بمطالب الدستوريين غير قابل للتنفيذ.

فقد طالب الليبراليون والعناصر الراديكالية من المثقفين الذين اوكلت اليهم مهمة التهيئة للوثيقة المكملة للدستور التي عرفت فيما بعد بذيل الدستور (ذيل القانون الأساسي) باجراءات ذات طابع ثوري واضح وهو ما أثار حفيظة الشاه وسخطه ومعه العناصر الارستقراطية الحاكمة. وكان من جملة اقتراحاتهم الثورية تعديل النظام الانتخابي والسماح للاقليات القومية بانتخاب ممثليها للمجلس وتنظيم ميزانية صارمة للبلاد وتقليل نفقات البلاد إلى أقصى حد ممكن[١١٥]. فقد أثارت هذه الإجراءات حفيظة رجال الدين ولاسيما دعوتهم الواضحة إلى العلمانية وفصل قوانين الدولة عن الشريعة وتعميم المساواة بين الرعية. أدان الشيخ فضل الله نوري على رأس المخالفين الدستوريين مفهوم المساواة وعده مفهوما دخيلا وغريبا عن روح الشريعة والقوانين المرعية في البلاد وعزا المشاكل التي تعصف بالبلاد كعدم الاستقرار السياسي إلى التأثيرات المنحرفة التي جاء بها الارمني ملكم خان.

حاول الشاه بعد تفاقم الأزمة كسر الطوق المفروض حول البلاد، فبتحريض منه اقدم موظفو البلاط والحرس وخدم القصر على تنظيم تظاهرات كبيرة ضد المجلس النيابي بعدما روج البلاط الشاهي اخبارا مفادها ان إجراءات المجلس بتقليص النفقات سوف تسهم في إفلاس الخزينة وبالتالي التوقف عن دفع أجورهم ورواتبهم[١١٦]، ان لم يكن هناك مجال للشك ان الشاه وانصاره كانوا يحاولون بشتى السبل والوسائل استثمار هذه الاوضاع لصالحهم وضرب الدستوريين ضربة ماحقة تخرجهم من الساحة والى الأبد، ويبدو ان الشاه كان يعلق آمالا كبيرة على رئيس وزرائه علي اصغر خان اتابك الذي كان رئيسا للوزراء في عهدي ناصر الدين شاه قاجار ومظفر الدين قاجار. لقد تفاقم الصراع بين الشاه والمجلس والجمعيات الوطنية وبدأت الجمعيات تطالب بعزل رئيس الوزراء وفي خضم هذا الصراع ألقيت قنبلة على دار محافظ طهران علاء السلطنة واعلن إقبال السلطنة عن تمرده والصقت تهمة هذا العصيان برئيس الوزراء وعدّ عصيانه نتيجة تحريضه وتحريكه[١١٧] في عام ١٩٠٧ اخذ الصراع طابع العنف الشديد. فقد سقط رئيس الوزراء اتابك اعظم قتيل على يد فدائي اذربيجاني يدعى عباس أغا[١١٨] بن محمد أغا أمام بناية البرلمان عندما كان يهم بالخروج من باب المجلس مع المجتهد المعروف عبد الله البهبهاني ومستوفي الممالك[١١٩] وقد وجد في جيب القاتل قصاصة ورق أو هوية مكتوب عليها (عباس أغا) الصيرفي الاذربيجاني عضو الجمعية الفدائية ذو الرقم (٤١)[١٢٠] وفي

اليوم الثاني شيع الآلاف من سكان طهران القاتل بوصفه بطلا قوميا دون ان يجرو الشاه على التدخل، وفي اربعينيته اجتمع انصار الدستوريين في حشود كبيرة تقدر مئة ألف على قبره. وأغلقت الدكاكين والمحلات التجارية أبوابها لمشاركة أصحابها في تلك الأربعينية وألقيت الخطب والأشعار الحماسية في وصف بطولة عباس اغا اعدود شهيد الوطن ومنقذه من جور المستبدين[١٢١].

لقد هزت عملية الاغتيال والتظاهرات الجماهيرية محمد على شاه من الاعماق. لأن في ذلك دلالة واضحة على عمق الرفض الشعبي لنظامه. وقد ازداد نشاط الدستوريين ازديادا عظيما بسبب مساندة الملا كاظم الخراساني لهم وبذل جهودا كبيرة لتدعيم موقفهم ضد الشاه. تراجع الشاه عن موقفه بعد اغتيال رئيس وزرائه وبديلا لرئيس الوزراء المقتول عين الشاه ابو القاسم خان قراكوزلو الملقب بناصر الملك وهو رجل مثقف، وخريج جامعة اوكسفورد وذو ميول ليبرالية واعدا بالتعاون مع مجلس النواب وتنفيذ مطاليب الدستوريين وبعد أيام قليلة زار الشاه نفسه البرلمان ورحب به ناصر الملك رئيس الوزراء وجميع أعضاء مجلس النواب واقسم على احترام الدستور ووضع الختم الملكي علنا على القوانين الأساسية المتكاملة ووعد بقبول النظام الحديث للدستورية البرلمانية وان يصرف همه للحفاظ على الحياة الدستورية وفي حفظ استقلال إيران[١٢٢] الذي بات يهدده الاتفاقية الانكلو-روسية عام ١٩٠٧. ففي مساء اليوم نفسه الذي اغتيل فيه (اتابك) أعلن الاتفاقية السيئة الصيت التي بموجبها تقرر تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ للدولتين فالشمال يكون تحت السيطرة الروسية والجنوب تحت السيطرة البريطانية في حين تبقى مناطق الوسط فقط خاضعة للسلطة المركزية[١٢٣] وعلى الرغم من السياسة الملائمة التي اتخذها محمد علي شاه في تلك المرحلة بالذات ورغم إجراءاته المعتدلة استمر النشاط الثوري للجمعيات السرية والعلنية لاسيما الجمعية الثورية التي كان يديرها حيدر خان عمو اوغلي فقد حدثت محاولة اغتيال محمد علي شاه في الثامن والعشرين من شباط من عام ١٩٠٨ الموافق للخامس والعشرين من محرم عام ١٣٢٦هـ عندما ألقيت عليه قنبلتان في شارع ظل السلطان من عمارة مشرفة على الشارع المذكور فقد جرح عدد من حاشيته ولم يصب الشاه نفسه بسوء فاقتفى محمد علي شاه أثر هذا الحادث وقرر حسم الاوضاع وقد شجعه أولياء الأمور الروس وعلى رأسهم هارتويك H. Hartwige ومعلمه شابشال[١٢٤] وكذلك بعض

خواصه أمثال رئيس حرسه الخاص امير بهادر جنك وكامران ميرزا ومفاخر الملك[١٢٥] لوضع حد للأوضاع المضطربة والفوضى السائدة في سائر أنحاء البلاد.

ازدادت حال البلاد سوءا عندما طلب المجلس من الشاه طرد ستة أشخاص من أعوانه وعلى رأسهم شابشال وأمير بهادر جنك. فقبل الشاه مطاليب المجلس مكرها ووعد رئيس الوزراء الجديد مشير السلطنة بابعادهم من وظائفهم وفرح الدستوريون بهذا الانتصار[١٢٦] ولكن فرحتهم هذه لم تدم طويلا إذ أبدى الشاه استعداده للضرب على أيدي الدستوريين[١٢٧] بمشورة شابشال والكولونيل لياخوف آمر فرقة القوزاق المعروفة[١٢٨] وتحرك الشاه على رأس قوة من القوزاق إلى منطقة باغ شاه خارج منطقة طهران وتحرك أنصاره ومجموعة من المرتزقة وفقراء المدينة يسندهم فوج من المقاتلين بقيادة سردار ارشد للالتحاق بقوات الحرس الخاص.بقيادة أمير بهادر جنك وقوات القوزاق بقيادة الكولونيل لياخوف الروسي[١٢٩] أعلن الشاه الحكومة العسكرية في البلاد وأسندها إلى لياخوف[١٣٠] وأعلن قائد قوات القوزاق إنها سترد بقوة وعنف على أي اعتداء على منتسبيها. حاصرت قوات القوزاق المجلس النيابى بهدف التصدي لقوات الدستوريين المعتصمين في مبنى المجلس ومسجد سبهسالار والمباني القريبة منه في تظاهرة مسلحة. ركزت قوات القوزاق مدفعها نحو المجلس ويتبين من الوثائق والبرقيات المرسلة من لياخوف إلى مركز قيادة القوات الروسية في القفقاس ان خطة الهجوم على المجلس والقضاء على الدستوريين ومحق مقاومتهم كانت مرسومة منذ مدة من قبل لياخوف. فقد تضمنت خطته السرية هذه القرارات المهمة الآتية:

أولا – شراء ذمم أعضاء البرلمان والوزراء المعروفين حتى ينفذوا ما يوكل اليهم من أوامر لصالح الشاه وبطانته المستبدة.

ثانيا – إرشاد الجمعيات الوطنية ليسهموا في إبعاد مقاتليهم من المجاهدين عن المجلس.

ثالثا – ضرب مبنى البرلمان بالمدافع.

رابعا – بعد ضرب مبنى البرلمان وهدمه يسمح لجنود القوزاق بنهب دور زعماء الدستوريين.

خامسا – قتل أكثرية معارضي الشاه وابعاد بعضهم خارج إيران[١٣١] وقد أسفرت المصادمات بين قوات القوزاق والدستوريين عن قتل ٥٠٠ شخص من

الأهالي والمقاتلين[١٣٢] و١٤٣ مقاتلا من جنود القوزاق وسائر القوات الحكومية الأخرى[١٣٣] واندحار قوات الدستوريين وتفرقهم وبدأت قوات القوزاق بحملة قمع رهيبة بدأت مباشرة بعد هدم المجلس وضربه بالمدافع[١٣٤] ونهب محتوياته وحتى الاشجار الباسقة لحديقة المجلس قطعها بعض المقاتلين في القوات الحكومية[١٣٥] وألقى جنود القوزاق القبض على الشخصيات البارزة من الدستوريين بعد مداهمتهم للمجلس وكان من بين الذين قتلوا أو أعدموا شخصيات مرموقة تنتمي إلى النخبة المثقفة والوعاظ المعروفين كملك المتكلمين وجمال الدين الواعظ الاصفهاني وميرزا جهانكير خان مدير صحيفة صور اسرافيل ومحمد رضا الشيرازي مدير صحيفة المساواة وبهاء الواعظين وميرزا داود خان وسلطان العلماء مدير صحيفة روح القدس وقاضي ارداقي وأودع السجن الكثيرون أمثال ميرزا يحيى وسليمان ميرزا وايرج ميرزا وافلح بقية منهم في النجاة بصعوبة بالغة كالمجتهد البهبهاني وتقي زاده[١٣٦] الذي اعتصم بالسفارة البريطانية وفر الكثيرون إلى خارج إيران[١٣٧].

اعتقد الشاه بعد إعلانه عن حله للمجلس وفرضه سيطرته على طهران بعد مجزرة بشرية بأنه بذلك قد ضمن السيطرة على البلاد كلها، ولكن الأحداث اللاحقة أثبتت انه كان مخطئا فإذا كانت طهران سابقا هي التي فجرت الثورة فان رشت واصفهان ولاسيما تبريز كل هذه المدن غدت حامية للثورة الدستورية والمدافعة عنها ولاسيما في السنوات ١٩٠٦- ١٩٠٩[١٣٨] وما ان لاحت بوادر الأزمة مع الشاه في الأفق حتى نشطت الجمعيات من جديد وبدأ العنف يسود البلاد[١٣٩] وعاودت الجمعيات السرية نشاطها ولاسيما في اذربيجان التي انتقل إليها ثقل النظام الثوري. ففي تبريز اعلنت "انجمن ملي" رفضها للإجراءات التي اتخذها الشاه ضد الدستور وحل البرلمان وأقالت حاكم المدينة وعينت محله نائبه وارسل نسخا من قراره إلى القنصليات الأجنبية المتواجدة في تبريز وأعرب الانجمن في بيان بعثت به إلى عين الدولة عن استعداده للعودة إلى طاعة الشاه واعلان الولاء له إذا ما قام بإدامة العمل بالدستور وعاقب الذين تسببوا في المذابح باذربيجان وسمح للمتهمين بالعودة إلى مناطقهم واعدت الانجمن هذه المطاليب شروطا لإعادة الأمن والاستقرار إلى اذربيجان[١٤٠].

قطع محمد علي شاه الطريق على أية محاولة للتوفيق بينه وبين الدستوريين حينما أصدر في التاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٨ مرسوما ملكيا يعلن فيه ان الحكومة الدستورية مخالفة للشريعة الإسلامية[١٤١] كان رد الفعل لاذربيجان على أحداث العاصمة سريعا وقويا للغاية، فقد ظهر في صفوف الجماهير الاذربيجانية قائدان ثوريان ذاع صيتهما في طول البلاد وعرضها. هما ستار خان وباقر خان[١٤٢] اللذان بعثا في اليوم الأول للانقلاب للشاه برقية إلى المجلس يؤكدان فيها باسم (أنجمن تبريز) جمعية تبريز ان أكثرية المدن الإيرانية تعد محمد علي شاه خائنا للوطن وعميلاً للدول الأجنبية[١٤٣].

كان ستار خان تاجرا للدواب[١٤٤] قوي التأثير في أقرانه، شجاعا مقداما ثابت العزم والإرادة يتمتع بقوة بدنية كبيرة[١٤٥] وكان من الطبيعي ان يشترك بحماسة في أحداث الثورة الدستورية منذ لحظة انفجارها في تبريز وأعلن للمجاهدين الذين التفوا حوله بأنه سيضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه الاعتداء على الاهالي ونهب أموالهم وانه لا يحتاج إلا إلى مقاتلين يؤمنون بحرية بلادهم ويستعدون للتضحية من أجلها[١٤٦].

جمع ستار خان عددا كبيرا من أصلب الفدائيين حوله، حتى ان الشاه خصص مبلغا ضخما مكافأة لمن يأتي برأسه، ومن الجدير بالذكر ان اسم ستار خان قد برز حتى في الصحف الأوربية التي كانت تسميه غاريبالدي إيران، أما الجماهير فقد منحته لقب "سردار ملي" الرفيع أي القائد الوطني أما رفيقه في الفكر والسلاح باقر خان فقد كان عاملا بسيطا يعمل في قلع الحجارة وتميز باقر أيضا بالشجاعة والاخلاص فمنحه ثوار اذربيجان لقب سالارملي. أي الزعيم الوطني.

التف حول هذين الزعيمين الوطنيون الاذربيجانيون لتتبلور بذلك أبعاد انتفاضة رائعة في تبريز [١٤٧] لتعد ذروة العمل الثوري في خضم أحداث الثورة الدستورية التي عبرت شعاراتها بصدق عن عمق محتواها وتقدير قادتها لمهمات مرحلتهم التاريخية، فقد تركزت مطاليب الثوار على إعادة الدستور بانعقاد مجلس جديد وطرد كل الأجانب الذين وقفوا إلى جانب محمد علي شاه وبطانته الرجعية ايام انقلاب حزيران من عام ١٩٠٨[١٤٨] وبفضل اتفاق الجماهير حول هذه الشعارات تمكن قادة الانتفاضة من ضرب أعداء الثورة وتطهير تبريز منهم في تشرين الأول لعام ١٩٠٨ وتمكن ثوار تبريز في غضون مدة وجيزة من تأليف هيئات خاصة للاشراف على

البلدية ودوائر البرق والبريد والمالية والمعارف والعدل ووضعوا حدا للمضاربين والمتلاعبين بقوت الشعب وصادروا ممتلكات الشاه وممتلكات أقربانه في المنطقة واتخذوا إجراءات ضد المصالح الأجنبية فقد استولوا على أراضي عدد من الملاكين الذين كانوا من تبعية روسية واجبروا الشركة البريطانية للتلغراف على دفع مبالغ محددة لصالح خزينة الثوار كما أولوا مسألة الدفاع عن تبريز جانبا كبيرا من اهتمامهم فقد ألفوا لجنة خاصة للإشراف على شؤونها باسم (كمسيون جنك) أي (الهيئة الحربية) التي أخذت على عاتقها أمور تنظيم كتائب المتطوعين وتدريب افرادها على استخدام الاسلحة بما فيها المدافع والقنابل لغاية أيلول عام ١٩٠٨ ارتفع عدد المتطوعين في المنطقة إلى نحو عشرة آلاف رجل[١٤٩].

انتقلت أحداث اذربيجان الثورية إلى المناطق الإيرانية الأخرى ليتحول الجزر الذي سببه انقلاب محمد علي شاه الرجعية في حزيران ١٩٠٨ إلى مد ثوري جديد[١٥٠] وهكذا بدأ الخطر يهدد مرة أخرى ومن كل جانب عرش محمد علي شاد الذي فقد سيطرته على معظم المناطق الإيرانية وفي محاولة منه أودع الثوار لجأ الشاه إلى استخدام القوة وحاول توجيه ضربته الأولى إلى مركز الثورة في اذربيجان فارسل قوة كبيرة بقيادة عين الدولة لقمع ثوار تبريز فتمكن عين الدولة من حصار المدينة بمساعدة صمد خان شجاع الدولة[١٥١] ورحيم ُخان جليبانلو وعلى أثر ذلك انتشرت المجاعة والقحط في مدينة تبريز ومات الكثيرون من جراء الحصار الطويل. وعلى الرغم من معاناة الحصار وقساوة الحياة اليومية استمر المجاهدون التبريزيون في مقاومتهم الباسلة بشجاعة فائقة وانتصر الثوار بقيادة ستار خان وباقر خان في أغلب المعارك التي قام الثوار بقيادتها ضد قوات الحكومة واضطر عين الدولة من الانسحاب وفر مساعدوه أمثال رحيم خان وشجاع نظام[١٥٢] وأمام تلك الظروف كان الشاه المفتقر إلى الدعم الشعبي من مواطنيه يدرك ان الاحتفاظ بعرشه سيغدو أمرا بالغ الصعوبة دون دعم قوى خارجية وأجنبية ومساندتها وكانت هذه القوى تتمثل بطبيعة الحال ببريطانيا وروسيا اللتين لم تتوانيا عن التدخل في الشؤون الداخلية الإيرانية لإنهاء الانتفاضة لاسيما بعد ان احستا بأن أصداء الثورة تهدد بالانتشار في المناطق المجاورة لإيران مما يلحق ضررا بليغا بمصالحها الاستعمارية وعليه تحركت القوات الروسية مستهدفة مدينة تبريز وأعلنت ان مداخلتها تهدف إلى فك الحصار عن المدينة والمحافظة على حياة الأجانب المقيمين في تبريز وانها سوف

تترك المدينة فوراً دون قيد أو شرط بعد رجوع الحياة الطبيعية إلى المدينة وإيصالها المواد الغذائية إلى أهالي المدينة الجائعين وأعلنت السفارتان البريطانية والروسية ان حكومتيهما ستحترمان استقلال إيران وسيادتها، استقرت القوات الروسية بقيادة "اسنارسكي" قرب مدينة تبريز ولم تدخلها مباشرة، شعر ستار خان وباقر خان والجمعية المحلية لتبريز حراجة الموقف وأصدرت اوامرها للمقاتلين بعدم التعرض للقوات الروسية، والمحافظة على الهدوء والسكينة لكن القوات الروسية كانت تبيت أمراً آخر واستباحت المدينة بعد دخولها عام ١٩٠٩ وبدؤا سلسلة من الاستفزازات لأهالي المدينة وأصدروا أمرا بنزع سلاح جميع المجاهدين التبريزيين وبدأت القوات الروسية تفتش البيوت للحصول على السلاح والعتاد وأصدروا أمراً بحل الجمعيات المحلية في تبريز(١٥٣) ودخلت قوات أخرى روسية مدينة اردبيل واحتلتها(١٥٤) وعلى الرغم من احتلال الروس لتبريز(١٥٥) إلا انهم لم يلقوا القبض على قادة الانتفاضة ستار خان وباقر خان اللذين التجأ إلى القنصلية العثمانية في تبريز التي أكرمت وفادتهما لاهتمام الاتحاديين الترك وتأييدهم للدستوريين الإيرانيين(١٥٦).

أثار احتلال تبريز من جانب القوات الروسية موجة عارمة من السخط والاستياء في جميع انحاء إيران وانهالت برقيات احتجاج الدستوريين على رئيس الوزراء يطالب مرسلوها منه بأن تتخذ حكومته إجراءات حاسمة لغرض انسحاب عاجل للقطعات الروسية المحتلة من منطقة اذربيجان الإيرانية(١٥٧). وقد ارسل ثوار تبريز برقيات إلى محمد علي شاه يظهرون فيها استعدادهم لقبول شروط الحكومة والوقوف صفا واحدا أمام الغزو الاجنبي(١٥٨) ولجأ التبريزيون إلى السلاح مرة أخرى في محاولة منهم لإجبار المحتلين على الانسحاب ففي الخامس والعشرين من كانون الأول عام ١٩٠٩ هاجم الفدائيون القوات الروسية وردت القوات الروسية على هجومهم وضربت الثوار بشدة ونفذت حكم الاعدام بحق عدد من المجاهدين التبريزيين(١٥٩).

ومما هو جدير بالإشارة هنا أن الاضطرابات والفوضى السائدة في أرجاء البلاد والحرب الأهلية الضاربة الإطناب في إيران وعلى رأسها انتفاضة أهالي اذربيجان المطالبين بإقرار النظام الدستوري كل هذه العوامل مجتمعة جعلت الشاه مضطرا إلى إعلان الدستور في الثامن عشر من ربيع الثاني عام ١٩٠٩(١٦٠) واصدر عفواً عن الثوار والمتهمين السياسيين في خارج إيران وداخلها وكان المنفذ الرئيس لهذه

القرارات هو سعد الدولة رئيس الوزراء الذي رشحته السفارتان الروسية والانكليزية لتبؤ هذا المنصب لما كان له من تاريخ وطني طويل قبل تأييده لمحمد علي شاه في الآونة الأخيرة من عمره السياسي ودخوله في صف زمرة المستبدين[١٦١].

وعلى الرغم من فرامين الشاه واعلاناته بفتح المجلس وتنفيذ مطاليب الدستوريين القاضي بإقرار الدستور المتكون من ١٥٨ مادة[١٦٢] إلا ان الدستوريين لم يثقوا بوعود الشاه فانتفضت أهالي كيلان بعد تبريز وكان أهال مدينة رشت من المؤيدين المتحمسين للدستوريين في مرحلة الصراع الدموي بين انصار الدستور ومحمد علي شاه وابدوا شجاعة فائقة في القتال ضد القوات القوزاق وسائر القوات الحكومية في هجومهم على مجلس النواب قتل ثلاثة وجرح أربعة عشر من مقاتليهم[١٦٣] وانتفضت بعدهم العشائر البختيارية بقيادة نجف قلي خان "صمصام السلطنة رئيس العشائر البختيارية واخيه علي قلي خان سردار اسعد الذي هاجر من إيران خوفا من انتقام محمد علي شاه وتمكنت القوات البختيارية بقيادة ضرغام السلطنة بمساندة من أهالي اصفهان من احتلال اصفهان واضطر حاكمها من قبل محمد علي شاه المدعو إقبال الدولة من الالتجاء إلى القنصلية الانكليزية في اصفهان ودخلت القوات البختيارية مدينة اصفهان[١٦٤] وأعلنتها مدينة محررة لا تدين بالطاعة لحكومة طهران وأصبح صمصام السلطنة حاكما للمدينة ومسؤولا عن تمشية امورها، وفي مدينة تنكابن تمكن ولي خان المعروف بـ"سيهجار تنكابني" من احتلالها واعلانها مدينة محررة مؤيدة للدستوريين وبعد تحرير تنكابن تحرك انصار الدستوريين من منطقة كيلان ولاسيما في مدينة رشت الذي حاول معز السلطان الذي هرب من بطش محمد علي شاه إلى قفقاس من تأليب أهالي المدينة للثورة ضد الحكومة المركزية واجروا اتصالات مع حزب الاشتراكيين الديمقراطيين وحزب الداشناق الأرمني في القفقاس[١٦٥] وشكلوا في رشت لجنة ثورية تدعى (لجنة ستار) الذي اشتهر من اعضائها كل من معز السلطان وحاج حسين اغا اسكندراني.

واغا كل اسكندراني ووليكوف الكرجي ويفرم خان الارمني وميرزا محمد علي خان مغازة وميرزا حسين كسمائي وميرزا علي محمد خان تربيت ومن المحتمل كلن ميرزا كوجاك خان الكسيلاني المعروف الذي أصبح قائدا للحركة الجنكيلية فيما بعد وواحدا من كوادره[١٦٦] وارداش ونرسس الارمني[١٦٧] واشخاص آخرين من الإيرانيين والكرج والأرمن أمدت الحزب الاشتراكي الديمقراطي القفقاسي وسائر

المنظمات المؤيدة للثورة الدستورية للجنة الثورية في رشت بخبراء في صنع القنابل وكذلك زودها بالمعدات الطبية بحيث غدت قوات الثوار في رشت مجهزة باسلحة ومعدات كانت تفتقر إليها قوات الثوار في الأماكن الأخرى(١٦٨) نظمت اللجنة الثورية في رشت الثوار أنصار الدستور بصورة سرية وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لإعلان الثورة ضد محمد علي شاه وفعلا اغتنموا فرصة اعلان سبهدار تنكابني عن تحرير مدينة تنكابني لصالح الدستوريين ليطالبود بالتوجه إلى رشت واحتلالها وعلى الرغم من تردد سبهدار في بداية الأمر لكنه تحت الحاح الدستوريين في كيلان ورشت اقتنع بالتعاون معهم في احتلال المدينة وانتفض انصار الدستور في مدينة رشت وتمكنوا من اغتيال حاكمها المستبد اغا بالا خان المعروف بـ سردار افخم وقتل معه من انصارد ستة وثلاثون مقاتلا وسقط من الثوار قتيلين(١٦٩) واعلنوا ان مدينة رشت مدينة محررة مؤيدة للدستوريين ودخل سبهدار بعد تحرير مدينة رشت من قبل الثوار إليها وعينود حاكما على المدينة وفوضود مقاليدهم واشتهر من الثوار (يفرم خان الارمني) ببراعته العسكرية وشجاعته وتهورد في القتال الذي أصبح له دور فعال ومؤثر في أحداث الثورة الدستورية فيما بعد توجه الثوار بعد تحرير رشت نحو قزوين بقيادة سبهدار ويفرم خان الذي كانت قواته مدعومة بمتطوعين من القفقاس وجورجيا وباكو وتمكنت قواته من الاستيلاء على مدينة قزوين بعد قتال شديد بتاريخ الرابع عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٢٧(١٧٠) واتخذ الثوار من مدينة قزوين قاعدة لها للتهديد بفتح العاصمة طهران بدأت الاتصالات والمراسلات بين القوتين المهاجمتين البختيارية والكيلانية للالتقاء قرب طهران لدخولها عنوة تحركت القوتان ولم تتمكن القوات الحكومية المرسلة من طهران وبعض العشائر البختيارية المساندة لها بقيادة سردار ظفر البختياري من الصمود أمام القوات البخيتارية الزاحفة بقيادة صمصام السلطنة البختياري واخيه سردار اسعد وتمكن البختياريون من دحر القوات الحكومية ودخول مدينة قم والتوجه إلى العاصمة طهران وعلى الرغم من اعلان محمد علي شاه عن موافقته على افتتاح المجلس النيابي وإقرار الدستور وتهديد الحكومتين الانكليزية والروسية للثوار بالتدخل العسكري(١٧١) ضدهم إذا استمرا في تقدمهم نحو العاصمة(١٧٢) لكن الثوار عقدوا العزم على مواصلة السير على الرغم من ظهور الاختلاف بين سبهدار تنكابني وثوار رشت حيث كان (سبهدار) راغبا بإيقاف الزحف والدخول في مفاوضات مع محمد علي شاه بايعاز من الدولتين

الروسية والانكليزية وعندما فشل شبهدار في إقناع يفرم خان وجماعته على اتخاذ هذا السبيل اراد العودة إلى رشت لكن الثوار الكيلانيين حاصروه ومنعوه من العودة إلى رشت[١٧٣].

وصلت القوات الزاحفة إلى طهران ودخلتها بمساعدة أهالي طهران في الرابع والعشرين من جمادى الثانية لعام ١٣٢٧ - ١٩١٩ وحاصرت القوات مركز قيادة قوة القوزاق بقيادة لياخوف في وسط المدينة وبعد قتال عنيف انتصرت قوات الثوار على قوات القوزاق، واعلن خاب لياخوف في رسالة إلى سبهدار عن استعداده للتسليم وقبوله في الخدمة تحت أمرة الثوار، تمكنت الثوار من الاستيلاء على العاصمة طهران كليا في السادس والعشرين من جمادى الثاني لعام ١٣٢٧هـ الموافق للسادس عشر من حزيران لعام ١٩٠٩م وبعد تسليم قوات القوزاق شعر محمد على شاد بخطورة الموقف واضطر إلى اللجوء إلى دار السفير الروسي[١٧٤] في زركندة الواقعة شمال طهران بموافقة السفارتين الروسية والبريطانية ورفع علم الدولتين على الدار المذكورة وعين حراسا من الجنود الروس والبريطانيين على باب دار السفير الروسي ليكون دليلا على حماية الدولتين لمحمد علي شاد[١٧٥] وشكل الثوار مجلسا أعلى **Directonate** كحكومة موقتة[١٧٦] في بناية البرلمان الإيراني في بهارستان للبت في أمور الاوضاع المستجدة في البلاد وقد اصدرت قرارا بالموافقة على قبول اقتراح لياخوف على ان يكون تحت إمرة وزير الدفاع بصورة موقتة[١٧٧] واصدر المجلس الأعلى القرارات الآتية:

١ - خلع محمد علي شاد عن عرش إيران وعليه ترك البلاد بأسرع وقت ممكن.
٢ - إرجاع المجوهرات الملكية التي أخذها من خزائن الدولة.
٣ - تأدية جميع ديونه وفك رهن جميع أملاكه المرهونة.
٤ - تخصيص مبلغ ١٠٠ ألف تومان راتبا له بعد تركه البلاد[١٧٨].

عينت الحكومة الموقتة احمد شاد ولي عهد إيران شاها على إيران ولصغر سنه الذي لم يتجاوز الأربعة عشر عاما عين عضد الدولة أحد شيوخ أسرة القاجار الحاكمة وصيا على الشاد ونائبا للسلطنة[١٧٩] وعينوا كلك محمد حسن ميرزا الأبن الأصغر لمحمد علي شاد وليا للعهد لأحمد شاد وترك ابناد دار السفير الروسي ليستقرا في القصر الملكي[١٨٠] ووافق محمد علي شاد على ارجاع ما بحوزته من المجوهرات الملكية وتعهدت الدولتان البريطانية والروسية بارجاع أية جوهرة ثمينة

قد تظهر لديه في المستقبل إلى الحكومة الإيرانية وسلمتا وثائق المجوهرات المرهونة من قبل محمد علي شاه إلى الحكومة الجديدة ووافقت حكومة إيران ان تأخذ على عاتقها مسؤولية دفع ديون محمد علي شاه في الداخل والخارج واستملكت الحكومة الجديدة جميع الاملاك والقرى العائدة له لصالح الخزينة على ان يدفع إليه شهرياً راتباً قدره مئة ألف تومان إذا لم يظهر منه عملاً مناوئاً للسلطة الجديدة وتعهدت الحكومة الروسية بقبول لجوء محمد علي شاه ومنعه من القيام بعمل مخل يأمن إيران وسيادته وأكدت الحكومة الجديدة بأنها ستبادر بقطع راتبه في حال تصرفه ضد مصالح الحكومة الجديدة(١٨١) وفي التاسع من ايلول عام ١٩٠٩ ترك محمد علي شاه دار السفير الروسي في طهران بحراسة جنود الروس والانكليز متوجهاً إلى مدينة اودسا الروسية بمعية عائلته وبعض من خواصه المقربين(١٨٢) وبتركه إيران انتهى عهد الاستبداد الصغير كما هو معروف في تاريخ إيران الحديث والمعاصر والذي دام ثلاثة وثلاثين شهراً والتي تخللها حوادث خطيرة وجسيمة لم تكن تتناسب مع المدة القصيرة التي حكم فيها محمد علي شاه(١٨٣)، شرعت الحكومة الجديدة بالانتخابات التشريعية لانتخاب مجلس النواب وفي الخامس عشر من تشرين الأول عام ١٩٠٩ الموافق لشهر ذي القعدة عام ١٣٢٧ للهجرة افتتح المجلس التشريعي الدورة الثانية وعين المجلس سبهدار تنكابني رئيساً للوزراء(١٨٤) ووزيراً للحربية وقرأ خطاب العرش بدلاً من أحمد شاه في مجلس النواب(١٨٥) واعترفت الدولتان البريطانية والروسية بصورة رسمية بالشاه الجديد(١٨٦).

أحمد شاه (١٣٢٧-١٣٤٣هـ/ ١٩٠٩ - ١٩٢٤م) (١٨٧)

يعد عهد احمد شاه قاجار عهد الأزمات السياسية الحادة التي مرت بتاريخ إيران وفي الحقيقة يعد عهده من اخطر العهود السياسية التي مرت بها إيران خلال تاريخها الطويل وأصبحت إيران في عهده العوبة سهلة بأيدي الدول الأجنبية الطامعة في خيرات البلاد ولاسيما الدولتان البريطانية والروسية(١٨٨)، وشهد حكمه نشوب الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤- ١٩١٨) وتعرضت إيران لمآسيها وويلاتها.

بعد أربعة اشهر من تولي احمد شاه عرش إيران(١٨٩) تشكل المجلس التشريعي الثاني في الثاني من ذي القعدة سنة ١٣٢٧- ١٩٠٩ وقد واجه المجلس العديد خلال عمره القصير ازمات مختلفة خلقتها التدخلات السافرة للدولتين

البريطانية والروسية في شؤون إيران الداخلية وكانت هاتان الدولتان تعاديان الحكومة الدستورية ومجلسها التشريعي المنتخب من قبل الجماهير الإيرانية التي وضعت ثقتها في الحكومة الدستورية التي كانت ترجو منها الكثير الكثير.

الأزمات التي واجهت الحكومة الدستورية

واجهت الحكومة الدستورية مشكلات خطيرة منها إفلاس الخزينة والفوضى الدائرة في البلاد واحتلال روسيا القيصرية لمنطقة اذربيجان وامتداد احتلالهم حتى مدينة قزوين القريبة من العاصمة طهران واحتلال الانكليز لبعض المناطق الجنوبية من إيران وظهور الاختلافات بين اقطاب الحكومة الدستورية والبرلمان المنتخب من قبل الشعب الايراني، ولكن على الرغم من هذه الاوضاع الوخيمة فقد حاولت الحكومة الجديدة جاهدة السيطرة على مقاليد الأمور وإرجاع هيبة الحكومة المركزية والضرب على أيدي العابثين بمقدرات وامن البلاد وقطع دابر النهب والسلب في المناطق التي كانت تحت نفوذها(١٩٠) ولكي تتمكن الحكومة الجديدة من جمع ايرادات الخزينة الخاوية فقد شرعوا قانونا ألزم الاثرياء والمتمولين واصحاب النفوذ من انصار الحكومة السابقة على تقديم اعانات طائلة إلى الحكومة الجديدة وقد أصبحت هذه الاعانات موردا ماليا لا يستهان بها للخزينة الخالية للحكومة الدستورية(١٩١) ومن الاجراءات الأخرى التي اتخذتها الحكومة الجديدة محاكمة انصار محمد علي شاه والشخصيات المناوئة للنظام الدستوري في البلاد.

ومن هؤلاء الذين شملتهم يد المحاكم الثورية مفاخر الملك وصنيع حضرت من اعوان محمد علي شاه المقربين الذين كان لهما دور كبير في قتل واعدام عدد من انصار الدستور قبيل وأثناء انقلاب محمد علي شاه ضد البرلمان(١٩٢) المنتخب من قبل الدستوريين وكذلك المجتهد المعروف شيخ فضل الله نوري والذي كان في البداية مؤيداً للحركة الدستورية ولكنه أصبح من الد اعدائها حتى يوم اعدامه من قبل المحاكم الثورية واجو دان باشي وامير هاشم الدوجي الذين اعدما بنفس التهم الموجهة إلى سائر المتهمين من قبل المحاكم الثورية واودعت الحكومة الجديدة السجن عدد من الشخصيات المخالفة للحكومة الدستورية نذكر منهم ميرزا عبد الرحيم مدير جريدة اقيانوس وسيد محمد بردي واخوند املي وابن نقيب السادات وميرزا علي أكبر كاتب فضل الله نوري وأمرت بأبعاد كل من سعد الدولة رئيس

وزراء محمد علي شاد وأمام مسجد طهران خارج إيران[١٩٣]. ولكن هذه الاجـراءات لم تكن كفيلة بالسيطرة على مقاليد الأمور في جميع انحاء البلاد الايرانية فقد ظـهرت حركات مناوئة للحكومة الدستورية في اذربيجان ونخص بـالذكر عصيـان عشـائر شاهسون الموالين لمحمد علي شاد وتمرد رحيم خان في منطقة اردبيـل وقـرد داغ وسيطرته على جميع المقاطعات الواقعة بين اردبيل وتبريز[١٩٤] وكذلك تمـرد مـلا قربان علي[١٩٥] في منطقة زنجان بتحريضه اهالي المدينة المذكورة ضـد الحكومـة الدستورية واخراجه واليها عنوة[١٩٦].

بدأت الفوضى تدب في أنحاء إيران وبدأ ظهور شبح حرب أهلية يـهدد كيـان الدولة الجديدة وأمام حرارة التناقضات الداخلية والضغوطات الخارجية ذابت الآمـال الكبيرة التي كان الوطنيون الدستوريون يعلقونها على انتصاراتهم الكبيرة بخلع محمد علي شاد من عرش إيران وإجباره على ترك إيران.

انقسام مجلس البرلمان

لم تمض سوى مدة وجيزة حتى انقسم المجلس الثاني على نفسه وبـرز مـن داخله أربعة احزاب سياسية ذات اتجاهات متباينة وهي حزب الديمقراطيـين وحـزب الاعتداليين وحزب الاتحاد والترقي وحـزب الداشـناق (Dashnaktyoon) واشـتد الصراع على السلطة بين كتلتين متنافستين، كتلة الديمقراطيين وكذلك الاعتداليـين، وكانت الكتلة الأولى امتدادا طبيعيا للجمعيات السرية المتطرفة السياسـية والثقافيـة التي نظمت نفسها من قبل سنوات الثورة واثنائـها والتـي تـألفت منـها عشـرات التنظيمات السياسية الجديدة. تزعم كتلة الديمقراطيين سيد حسن تقي زاده وحسـين قلي خان نواب وسليمان ميرزا اسكندري ووحيد الملك اشتيباني وسيد محمـد رضـا مساوات، وتزعم كتلة الاعتداليين سردار اسعد البختياري وسبهدار تنكـابني وسـيد محمد صادق الطباطباني وميرزا محمد علي دولت ابادي والحاج اغا شيرازي وشـكر الله خان، وقوام الدولة وميرزا علي أكبر خان دهخدا[١٩٧] وانقسم الثوار بدورهم إلـى ثلاثة كتل متنافرة فقد أصبح حيدر عمو اوغلي وعلي محمد خان تربيت آلة طيعة بيد الديمقراطيين وأصبحت القوات البختيارية المتواجـدة فـي العاصمـة تحـت انقيـاد المعتدلين وأصبح يفرم خان الارمني يقود مجموعة من انصـاره ويـأتمرون بـأمره

شخصيا وأصبحت قوات الثوار التبريزيين بقيادة ستار خان وباقر خان لا يميلون إلى أي طرف من الاطراف المتصارعة[١٩٨].

بدأ الصراع يتصاعد بين الكتلتين وكان كل من الفريقين يكيل الاتهامات للطرف الآخر وينعته باسوأ النعوت وقد اتهم المعتدلون كتلة الديمقراطيين بالهرطقة والفوضوية الداعين إلى الأفكار المادية الملحدة[١٩٩]، وأصدرت كتلة المعتدلين في المجلس بيانا اعلنوا فيه ان اهدافهم تنطلق من روح الإسلام ويتخذون من المساواة والحرية والأخوة والإنسانية هدفا والاعتدال طريقا[٢٠٠]. والواقع ان الأشهر الأولى من عمر المجلس كشفت عن أمور مهمة فلئن لم يكن أحد الطرفين في البداية أقوى من الآخر لإخضاعه، بيد انه تبين فيما بعد ان الكفة اخذت تميل إلى صالح المعتدلين بحكم جملة عوامل[٢٠١]، أسهم الديمقراطيين في خلقها، على أية حال عرف المعتدلون كيف يستغلون حال التخبط والبلبلة بين صفوف الديمقراطيين واستثمروا بذكاء بالغ نقاط ضعفهم، وفي محاولة لسحب البساط من تحت اقدام الديمقراطيين وعمدوا إلى إثارة مشاعر العامة واوهموا الجمهور ولاسيما الحرفيون والتجار ورجال الدين وجعلوهم يعتقدون بأن الديمقراطيين كانوا الد اعداء الإسلام[٢٠٢]، تمكن الديمقراطيون من كسب الجولة الأولى في اناطة منصب رئاسة الوزراء إلى مرشحهم ميرزا حسن خان (مستوفي الممالك) الذي اشتهر بوطنيته الصادقة وترفعه عن المسائل المادية، لذلك كان مقبولا من الجميع[٢٠٣] ولكن الديمقراطيين استغلوا سيطرتهم المؤقتة على مقاليد الأمور في اتباع سياسة التنكيل وارعاب خصومهم السياسيين واغتيالهم واخذ الصراع يأخذ طابع العنف الشديد بين الكتلتين بعد وفاة عضد الدولة القاجاري حول تعيين (نائب السلطنة) لأحمد شاه الذي لم يبلغ سن الرشد حتى ذلك التاريخ ولكن غرماءهم المعتدلين أصروا على تعيين ناصر الملك بدلا عنه واتفق سردار اسعد البختياري وسبهدار تنكابني على تأييد ناصر الملك للفوز بهذا المنصب وفعلا رجحت كفة انصار ناصر الملك في المجلس وتم ترشيحه وأصبح نائبا للسلطنة ووصيا على احمد شاه[٢٠٤] واضطر مستوفي الممالك على تقديم استقالته وأصبح محمد ولي خان سبيهدار تنكابني[٢٠٥] رئيسا للوزراء أثر الهزيمة التي مني بها الديمقراطيون شرعوا بإعادة ترتيب اوضاعهم من جديد استعدادا لجولة جديدة من الصراع غير ان ضعفهم كان ماثلا للعيان بشكل واضح على الرغم من المحاولات الحثيثة التي بذلها أنصارهم واتباعهم من خارج المجلس لتقديم الدعم

والعون لهم، بيد ان تلك المحاولات لم تسفر عن نتيجة تذكر، فقد انحسرت شعبيتهم إلى حد كبير وفقدوا تأييد أوساط وفئات عديدة كانت محسوبة عليهم حتى عهد قريب ولم يعد لنوابهم وزن كبير في المجلس(٢٠٦).

وفي ظل هذا الوضع المتأزم انفجرت الأوضاع بصورة حادة وارتفعت حرارة المواجهة بين الفريقين في المجلس أثر قيام متطرفين من جماعة حيدر عمو اوغلو باغتيال أحد الساسة المعتدلين هو ميرزا حسن خان امين الملك وعلى الرغم من استنكار الديمقراطيين في المجلس للعملية إلا ان المعتدلين اتهموا تقي زادة بالاشتراك في عملية التخطيط والتمهيد للاغتيال وطلبوا من المجتهد المعروف عبد الله البهبهاني الحصول على فتوى شرعية تجيز عزل وطرد تقي زادة من المجلس بوصفه مفسدا في الأرض وقد اصر رجال الدين يقودهم البهبهاني بأن تقي زادة خارج عن الدين بحسب فتوى المجتهدين في النجف وعليه يجب اخراجه من المجلس بلا قيد أو شرط(٢٠٧).

عندما كان النزاع على أشده بسبب مقتل امين الملك وإصرار رجال الدين على اخراج تقي زادة من المجلس وقعت حادثة مروعة هزت إيران من اقصاها إلى أدناها وذلك بقيام مجموعة فدائية من جماعة حيدر عمو اوغلو يقودهم شخص يدعى رجب سرابي من أهل القفقاس بقتل المجتهد المعروف عبد الله البهبهاني في دارة على مرأى ومسمع من عائلته وتبين بعد ذلك بأن كان لتقي زادة ضلعا في مؤامرة قتله(٢٠٨) وقد هاج الطهرانيون على هذه الحادثة لما كان للبهبهاني من دور كبير ومؤثر في ايجاد الثورة الدستورية. وعقدت الاجتماعات للتنديد بهذه الجريمة واغلق التجار والكسبة محلاتهم وبدأت الأصوات تتعالى بمجازات تقي زادة وقد انظم ستار خان وباقر خان ومعز السلطان وضرغام السلطنة البختياري إلى المجموعات المطالبة بنفي تقي زادة إلى خارج ايران في هذا الجو المتأزم شعر تقي زادة بالخطر على حياته فاضطر إلى الالتجاء إلى دار سردار أسعد البختياري وتخلص من القتل المحتوم. ولم يمض وقت طويل حتى وقع اغتيال سياسي آخر كان له أثر كبير في تصعيد الخلافات بين الجماعات المتصارعة حيث قتل علي محمد خان تربيت ابن اخت تقي زادة وشخص آخر يدعى السيد عبد الرزاق في شارع لاله زار من قبل مجموعة معز السلطان يقودهم شخص يدعى اغا بالاد(٢٠٩).

بدأت الاوضاع تسير من سيئ إلى أسوأ واضطر تقي زادة إلى ترك البلاد والسفر إلى خارج إيران تحت ضغط أعدائه[٢١٠] عندما شعرت الدولتان الروسية والبريطانية بخطر انفلات الوضع الأمني وإمكانية سيطرة المجموعات المتطرفة على مقاليد الحكومة تدخلتا لوضع حد لهذه الأوضاع.

وبتأثير من الدولتين المذكورتين قرر المجلس الثاني تشريع قانون ينص على تجريد الثوار من أسلحتهم وابقاء السلاح بيد القوات النظامية من الشرطة والدرك فقط، وقد وافقت حكومة مستوفي الممالك على هذا القرار ولكنها كانت مترددة في تنفيذها خوفا من رد الفعل السلبي للثوار ولاسيما من ستار خان وباقر خان[٢١١] ومعز السلطان علما بأن ستار خان وباقر خان تركا تبريز بناء على طلب هدايت خان حاكم تبريز ولم يكونا راغبين في التوجه إلى طهران[٢١٢] وقد وصلا طهران وسط حفاوة بالغة من اهالي المدينة وخصصت الحكومة حديقة أمين السلطان اتابك مقرا لستار خان وجماعته وكان القانون الذي شرعه المجلس ينص على وجوب تسليم الثوار اسلحتهم خلال ثمان وأربعين ساعة. ولابد من الإشارة هنا إلى ان أكثر قادة الثوار لم يكونوا على وفاق مع ستار خان وباقر خان نذكر منهم يفرم خان رئيس الشرطة وسردار اسعد البختياري ويار احمد خان الكرمانشاهي وحيدر عمو اوغلو[٢١٣].

وافق ستار خان وباقر خان على نزع سلاح جماعتهما في بداية الأمر ولكن عندما تبين لهما بأن الحكومة تكيل بمكيالين وإنها وافقت على بقاء الفي مقاتل من العشائر البختيارية من جماعة سردار اسعد وثلاثمئة مقاتل من ثوار القفقاس تحت امرة يفرم خان واحتسابهم ضمن القوات الحكومية المسلحة[٢١٤] بدأوا بالاحتجاج الشديد على هذه المعاملة القاسية ولكن احتجاجاتهما ذهبت ادراج الرياح لأن الحكومة قررت استعمال القوة معهما ونزع اسلحة جماعة ستار خان وباقر خان ومعز السلطان وضرغام السلطنة وغيرهم.

حادثة حديقة اتابك

قبل انتهاء المدة المقررة من قبل الحكومة لنزع سلاح الثوار حاصرت القوات الحكومية حديقة اتابك من كل جانب وهاجمت تلك القوات بقيادة يفرم خان الثوار الذين يقودهم ستار خان وباقر خان ودارت رحى معركة شديدة بين الطرفين اسفرت

عن جرح ستار خان في رجله عندما كان يدافع عن مركز قيادته وبعد جرح ستار خان خارت عزيمة الثوار بعد ان سقط منهم سبعة وعشرون قتيلا واربعون جريحا[٢١٥] واضطر ستار خان إلى التسليم ونقل ستار خان قبل وقوع القتال إلى السفارة العثمانية واعتصم ضرغام السلطنة بمقبرة شاد عبد العظيم المقدسة في مدينة ري. بقي ستار خان مدة طويلة تحت معالجة الاطباء في دار صمصام السلطنة وعلى الرغم من جرحه البليغ تمكن الاطباء من معالجته ولكنه بقي يعرج طوال حياته التي لم تلبث طويلا بعد هذه الحادثة حيث داهمته المنية في عمر لم يناهز الخمسة والأربعين عاما في مدينة طهران[٢١٦].

تدخل الحكومتين الروسية والبريطانية المباشر في الاوضاع الداخلية للحكومة الدستورية

واجهت حكومة الدستوريين وبرلمانها الثاني بعد عامين من إقامة الحكم الدستوري في البلاد اقتصاداً منهارا باعثا على القنوط، فالخزينة على وشك الافلاس والمشاكل الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية بدأت تطل برأسها من جديد وافتقدت البلاد الأمان وأصبح الحديث عن قطاع الطرق وأعمال اللصوصية واغتيالات السياسية[٢١٧] وعصيان العشائر إلى التحكم بمقدرات الاقاليم وتجاوز السلطة المركزية حتى اختفت كل أشكال الضمان القضائي والحقوقي ولم يطمئنوا الناس على حياتهم واموالهم[٢١٨] وتهاوت هيبة الدولة وبلغ التسيب الاقطاعي والحزازات العشائرية أعلى مراحلها، ففي حين كانت طهران تعيش في احضان التأزم السياسي كانت الاقاليم تمزقها النزاعات العشائرية والسياسية حتى بلغ الأمر بها حد إنها فرضت سننها وقوانينها العشائرية على الحكومة وكان مظهرا طبيعيا في الحياة السياسية الايرانية ان تكون للعشائر القوية اليد الطولى في ايصال من تريد إلى مركز القرار في العاصمة[٢١٩] حيث فقدت الجمعيات الاقليمية والمحلية فعاليتها وحتى المجلس فقد حيويته بسبب الاختلافات العميقة بين أعضائها اتجهت انظار حكومة الدستوريين للاستقراض من الحومة الروسية أو البريطانية لسد عجز ميزانيتها وسد متطلباتها المالية عليه طلبت قرضا بمبلغ خمسمئة ألف جنيه أي ما يعادل مليونين ونصف المليون تومان من الحكومتين الروسية والبريطانية، ولكن الحكومتين كانتا لا ترغبان انعاش اقتصاد الحكومة الدستورية ولم يتوانيا عن بذل كل ما في وسعهما

للوقوف ضد أية بادرة تهدد وضعهما المتميز في إيران ودأبتا على توجيه السياسة الايرانية على وفق مشيئتها وقد ظهر هذا التأثير جليا في الضغوطات التي مارستها روسيا وبريطانيا على الحكومة الدستورية من الناحيتين الاقتصادية والسياسية وافتعال الأزمات للحكومة المذكورة بغية ايصالها إلى حافة الافلاس السياسي والاقتصادي. ويبدو هذا التأثير جليا عندما اعلنت الدولتان المذكورتان ان الحكومة الايرانية لا يحق لها عقد اتفاقيات مع دول أخرى إلا بعلم الدولتين المتحالفتين واشترطتا على إيران عدم دخولها في اتفاقيات مع دول أخرى لمد السكك الحديد أو استخدام الخبراء لتنظيم قواتها المسلحة وتفويض الملاحة في بحر قزوين للحكومة الروسية وتم الاتفاق على ان تقدم الدولتان الروسية والبريطانية قرضا بمبلغ ٤٠٠,٠٠٠ اربع مئة ألف ليرة إلى الحكومة الدستورية وتقدم الحكومة الايرانية كشفا للدولتين بخصوص صرف القرض المذكور.

قررت الحكومة الدستورية الاستغناء عن اخذ القروض من الدولتين الروسية والبريطانية وانصب اهتمامها على رهن المجوهرات لدى إحدى شركات الصيرفة البريطانية وعلى الرغم من موافقة الشركة على منحها القرض المطلوب وهذا الأمر حال دون تنفيذ الدولتين لعملية الاقتراض ولم تكتف بذلك فحسب، بل قدمت انذارا إلى الحكومة الايرانية يقضي بعدم موافقتها على رهن ممتلكاتها إلا باذن منهما[٢٢٠] وعليها ان تراعي في تصرفاتها روح اتفاقية ١٩٠٧ المعقودة بين الدولتين الرامية إلى تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ لهما.

وقفت الحكومة الدستورية أمام اطماع وضغوطات الدولتين وقررت الحصول على ايرادات لخزينتها عن طريق فرض ضرائب أخرى كضريبة الملح التي فرضتها الحكومة عام ١٩١٠، فقد بلغ مقدار الضريبة الجديدة المفروضة على الإنتاج المحلي نحو ست مرات أكثر مما كان على الملح المستورد[٢٢١] وفي خضم هذا الصراع توجهت انظار الحكومة الدستورية إلى خارج حدود بلدانهم بالتعاون مع الالمان على مد خط سكك حديد- طهران- خانقين على غرار خط سكك حديد برلين بغداد المتفق عليه بين الالمان والعثمانيين وبدأت الضغوط على الحكومة الدستورية اقتصاديا بشكل خاص والحيلولة دون أي اصلاح مالي واقتصادي.

لقد توصلت الحكومة الدستورية إلى قناعة ان لا سبيل أمامها لمواجهة ضغوط الدولتين إلا عن طريق التعاون مع دولة محايدة[٢٢٢] وانصب اهتمامها على التعاون

مع الامريكان لاصلاح أمورها المالية المتردية. وحتى ذلك الوقت لم تطف على السطح أية طموحات سياسية للامريكان من وجهة النظر الايرانية عموما(٢٢٣).

مورغان شوستر ودوره السياسي والاقتصادي

كانت المشكلة المالية اعقد المشكلات التي واجهت الحكومة الدستورية وكان ثمة اعتقاد عام انه لا يستطيع اخراج البلاد من اوضاعها المالية والاقتصادية إلا اذا اسندت أمور ماليتها إلى خبير اقتصادي ومالي متمرس ذي خبرة طويلة وتجنب الايرانيون ان يسندوا هذه المهمة إلى خبير روسي أو بريطاني فتوجهوا بطلبهم إلى الحكومة الامريكية تزويدهم بخبير مالي يستطيع ان يقوم بتنظيم مالية ايران. فوقع الاختيار على مورغان شوستر M Shuster ١٣ حزيران من العام ١٩١١م(٢٢٤).

وافقت الحكومتان البريطانية والروسية بادئ الأمر على تعيينه خبيرا ماليا للحكومة الايرانية أما قصة الجهود التي بذلها شوستر لاصلاح مالية إيران وموقف الحكومتين الروسية والبريطانية منه يحتاج إلى تفصيل أكثر لاهميتها في فهم أبعاد سياسة هاتين الدوّلتين في اعقاب انعقاد معاهدة ١٩٠٧. إذ كانت الجهود المذكورة جزءا من محاولات المجلس التمثيلي الثاني للحكومة الدستورية لانقاذ اقتصاد إيران من هاوية الافلاس، وكان شوستر يشعر بطبيعة كونه امريكيا أن باستطاعته التصرف بقوة دون ان توجه إليه تهمة العمل لمصلحة القوى الاستعمارية وكان هذا صحيحا في تلك المرحلة إلى حد كبير ولاسيما ان الوزارة والمجلس للحكومة الدستورية بجميع كتلهما الحزبية وافقت على مساندته واعطائه الصلاحيات والسلطات كافة التي تمكنه من القيام بواجبه على خير وجه وكان شوستر قد درس اوضاع إيران المالية والاقتصادية فركز اهتمامه على الاعتبارات الاقتصادية ولو اصطدمت بالاعتبارات السياسية الخاصة التي كانت تفرض نفسها فرضا بواسطة الحكومتين الروسية والبريطانية فكان يؤكد ان الاصلاح الاقتصادي لن يكتب له النجاح إلا عن طريق وضع برنامج لسحب امكانات التحكم في اقتصاد إيران في المناطق التي تحت أيدي الحكومتين الروسية والبريطانية بمقتضى الوفاق الروسي- البريطاني للعام ١٩٠٧(٢٢٥).

كان شوستر يرى انه لابد من ان يزود بقوة صغيرة باسم شرطة الخزينة ترافقه في عملياته التفتيشية واقترح اسناد قيادة هذه القوة إلى الملحق العسكري

السابق في السفارة البريطانية المدعو الجنرال ستوكس إلا ان الروس لم يكونوا ليوافقوا على هذا الاقتراح(٢٢٦) الأمر الذي جعل شوستر يتغاضى عن هذا الاقتراح كانت مهمة شوستر تقتضي منه إجراء عمليات تفتيشية في المناطق الشمالية الواقعة تحت النفوذ الروسي ومن هنا بدأت المشكلات المعقدة تواجه مهمة شوستر ولم يذهب اللورد غراي وزير خارجية بريطانيا آنذاك بعيدا حينما شبه شوستر بثور هائج في محل للخزف الصيني(٢٢٧)ـ كناية عن الصعوبات التي اكتنفت عمله حينذاك وهو وصف دقيق إلى حد بعيد وقد كان مجرد قيام شوستر بمهمته في منطقة النفوذ الروسي في إيران كفيلاً بأن تنتقص من هيبة الوجود الروسي في تلك المنطقة لاسيما وان شوستر يبدي اصراراً على تجاهل هذا الوجود، والواقع ان شوستر على الرغم من المهارة والكفاءة اللتين ابداهما في مجال عمله الاصلاحي كان قليل الحذق في مضمار التعامل مع موازين القوى السياسية في إيران وكانت غلطته القاتلة انه تجاوز كثيراً حدود المصالح الأجنبية والروسية بالذات في إيران مما جعل الكيل يطفح لدى الروس(٢٢٨)- ولابد من الإشارة هنا إلى ان الروس والبريطانيين لم يكونا وحدهما في ميدان مناوءة اصلاحات شوستر إذ تألب عليه لفيف من الوزراء والوجهاء وذوو النفوذ الذين ضربت هذه الاصلاحات العميقة مصالحهم وامتيازاتهم المالية(٢٢٩) بدأت حركة شوستر وكانها في سبيل اصلاح الوضع الاقتصادي والمالي في إيران تسير إلى ان تصبح جزءا من الحركة الوطنية الايرانية. الأمر الذي لا يهدد الوجود الروسي فحسب بل الوجود البريطاني أيضا(٢٣٠).

التدخل الروسي لإعادة محمد علي شاه إلى عرش إيران

بدأت الحكومة الروسية بالضغط على الحكومة الايرانية بالوسائل المتاحة كافة لتنحية الحكومة الدستورية من حكم إيران فبدأت سلسلة من الاجراءات الكفيلة بتقوية محمد علي شاه اللاجئ في مدينة اودسا الروسية وتحريك رؤساء العشائر المؤيدة له وتقويتهم للمطالبة بارجاعه إلى عرش إيران ولاسيما العشائر القاطنة في اذربيجان التي كانت تحت احتلالهم وقد وصل تأييدهم لمحمد علي شاه حدا ان اجبروه على التوجه إلى الحدود الشمالية لإيران بعد ان جهزوه بالمال والسلاح سرا للدخول في الأراضي الايرانية ولأجل ان نسلط الضوء على تدخلهم السافر الرامي إلى ارجاع محمد علي شاه نشير إلى تصريح السفير الروسي في طهران في إحدى

حفلات سفارته قائلا: اننا سوف نلتقي محمد علي شاه قريبا في بلاطه ملكا لإيران واني إذ اعلن عن هذا فانه لا يعني انني افشي سرا لأنه عين الحقيقة[٢٣١].

وصل محمد ميرزا مع اخيه ملك منصور ميرزا شعاع السلطنة ونصيره حسين باشا خان امير بهادر على متن باخرة روسية تدعى (كرستوفورس) إلى الاراضي الايرانية من طريق بحر قزوين ووصلا إلى بلدة كموش تيه ق منطقة استراباد ودخل اخوه الآخر سالار الدولة عن طريق الحدود الغربية إلى الاراضي الايرانية واستقر في منطقة كردستان وكرمنشاه الايرانية. ووصل قائده العسكري أرشد الدولة إلى منطقة عشائر التركمان شمال شرقي إيران[٢٣٢] عندما وصلت الاخبار العاصمة بقرب هجوم محمد علي شاه وانصاره على طهران.

تشكلت وزارة جديدة[٢٣٣]- أيدها مجلس النواب لمواجهة الأحداث الخطيرة التي تواجهها الحكومة الدستورية بسبب عودة محمد علي شاه بمساعدة الروس وفي أولى أعمالها إنها فرضت الاحكام العرفية في جميع انحاء إيران واوكل أمر تنفيذها إلى وزير الحربية صمصام السلطنة البختياري وأبدى الدستوريون حماسة منقطعة النظير للدفاع عن حكومتهم وصمموا على الدفاع مهما كلف الأمر من التضحيات وقد تواترت الاخبار ان عشائر التركمان شمال شرقي إيران انضموا إلى قوات محمد علي ميرزا شاه وتحركت قوات سالار الدولة المؤلفة من مجاميع كبيرة من عشائر اكراد غربي إيران من همدان نحو العاصمة طهران وبأمر من صمصام السلطنة الحاكم العسكري اعتقل يفرم خان جميع العائدين وانصار محمد علي شاه القاطنين في طهران وقد اقترح شوستر على نائب السلطنة ناصر الملك بتهيئة جيش قوي للتصدي إلى قوات محمد علي شاه المتحركة نحو طهران، ووافقت الحكومة على سن قانون يقضي بمنح مكافأة مالية لمن يقتل محمد علي شاه واخوانه أو يأتون بهم احياء[٢٣٤].

ارسل محمد علي شاه برقية إلى سبهدار تنكابني رئيس الوزراء يطالبه فيها بالسيطرة على مقاليد الأمور لصالحه حتى وصوله ظافرا إلى العاصمة[٢٣٥] وبحسب ما اشاعه سبهدار انه رد على محمد علي شاه مؤكدا ان الشعب لن يقبل به شاها على إيران.

بدأت الاوضاع تتردى في العاصمة واخذ انصار محمد علي شاه بالتحرك وبث الدعايات ضد الحكومة الدستورية وتقاعس رئيس الوزراء سبهدار تنكابني عن تنفيذ قرارات الحاكم العسكري بالقاء القبض على انصار الشاه المخلوع وشرعت الاصوات

تتعالى في البرلمان تتهم سبهدار بالتواطؤ مع محمد علي شاه وطفقت الاختلافات تزداد يوماً بعد يوم بين رئيس الوزراء والمجلس فقرر المجلس سحب الثقة عن وزارته وتشكلت وزارة جديدة برئاسة صمصام السلطنة البختياري.

وأمر رئيس الوزراء الجديد بتوقيف جميع اعوان الشاه المخلوع امثال مجد الدولة وامين الدولة وظهير الإسلام وغيرهم، وهيأ جيشا لمقابلة قوات محمد علي شاه وجعل على رأس وحداته القادة المعروفين من ثوار الحركة الدستورية. فارسل وحدة من العشائر البنحتيارية إلى همدان لمقابلة قوات سالار الدولة وقوة من الكيلانيين والبختياريين بقيادة معز السلطان إلى منطقة فيروز كود ومازندران وقوة رئيسة بقيادة يفرم خان الارمني إلى شاهرود للتصدي لقوات محمد علي شاه بقيادة علي خان ارشد الدولة[٢٣٦] ولم يبخل شوستر في تهيئة الاموال اللازمة لتجهيز هذه القوات ضد محمد علي شاه وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي اظهرها انصار الشاه في معاركهم ضد القوات الحكومية ووصول طلائع قواتهم بقيادة ارشد الدولة إلى منطقة أمام زادة جعفر القريبة من طهران إلا ان القوات الحكومية تمكنت من دحر المهاجمين.

فقد استطاعت قوات يفرم خان وسردار اسعد البختياري قهر قوات ارشد الدولة القائد الأعلى لقوات محمد علي شاه الذي وقع اسيرا بأيدي القوات الحكومية بعد اصابته بجرح في معركة سقط فيها سبعون قتيلا واربعمئة بين جريح واسير[٢٣٧] واعدمت القوات الحكومية الدستورية بأمر من يفرم خان بعد محاكمة صورية (ميدانية) ارشد الدولة الذي ابدى شجاعة فائقة في مواجهة عقوبة الاعدام وهتف بحياة محمد علي شاه حتى لفظ انفاسه الأخيرة[٢٣٨]- كانت هذه المعركة معركة فاصلة أدت إلى احباط معنويات انصار محمد علي شاه وتبديد آمالهم بالانتصار وتبديلها إلى اليأس والقنوط والايقان بحتمية الهزيمة والاندحار وبعد هذه المعركة تمكن معين همايون البختياري من دحر رشيد السلطان أحد انصار الأقوياء لمحمد علي شاه في منطقة فيروز كوه وقد اسر رشيد السلطان بعد ان جريح في المعركة ومات متأثراً بجراحه ووقعت معركة حامية بتاريخ (ايلول ١٩١١) الموافق ١٧ رمضان ١٣٢٩هـ بقيادة محمد علي ميرزا واخيه شجاع الدولة مع قوات الدستوريين في منطقة سواد كوه اسفرت عن اندحار محمد علي ميرزا واضطر الاخوان إلى الهروب وترك إيران من الطريق نفسها التي سلكاها عند دخولهما إيران

ولم يبق في الميدان من انصار محمد علي شاه سوى قوات اخيه سالار الدولة التي تمكنت من دحر قوات سردار افخم البختياري قرب بلدة ملاير وقد قتل من البختياريين ما يقارب ٢٠٠ مقاتل وغنمت قوات سالار الدولة كذلك بطريقة مشبوهة عدداً من المدافع الكبيرة من أحد الافواج الحكومية بقيادة امير نظام الذي اوكل إليه الدفاع عن مدينة همدان من قبل الحكومة المركزية[٢٣٩]- استمر سالار الدولة في زحفه نحو طهران وعندما علم بانسحاب اخيه محمد علي شاه مندحراً إلى الاراضي الروسية اعلن نفسه شاهاً على إيران وارسل برقية على هذا الأساس إلى مجلس الوزراء للحكومة الدستورية وردت عليه الحكومة الدستورية بتحدٍ وبعنف طالبة منه تسليم نفسه للقوات الحكومية السائرة لمواجهته.

في ٢٧ ايلول من عام ١٩١١ الثالث من شوال عام ١٣٢٩ التحق يفرم خان بجبهة القوات المعدة لقتال سالار الدولة المتكونة من العشائر البختيارية بقيادة سردار بهادر اخي وسردار محتشم وسردار جتك وسائر المتطوعين الدستوريين.

والتقت القوتان قرب قرية (باغ شاه) الصغيرة الواقعة بين مدينة قم وبلدة نوبران على بعد تسعين ميلاً نحو جنوب شرقي طهران.

وبعد معركة حامية الوطيس اندحرت قوات سالار والدولة اندحارا شائناً وسقط من قواته خمسمئة بين قتيل وجريح ومئتي اسير بينما كانت خسائر القوات الحكومية طفيفة لم تتعد مقتل جنديين وستة جرحى وغنمت القوات الدستورية ستة مدافع وعدداً كثيراً من البنادق والعتاد وهرب سالار من الدولة.

بعد تشتت قواته إلى جنوب غربي إيران[٢٤٠] ارتكبت القوات الحكومية خطأً كبيراً بعدم تعقب قواته المندحرة ما افسح المجال له للهروب والافلات من قبضتها منتظراً فرصة أخرى للتمرد والعصيان على الحكومة المركزية.

رجع يفرم خان إلى العاصمة منتصراً وكرم من قبل البرلمان بمنحه سيفاً مرصعاً وتعينه قائداً للقوات الشمالية وراتباً قدره ثلاثمئة تومان.

انحلال الحكومة الدستورية

في ١٤ تشرين الثاني ١٩١١ العاشر من شوال ١٣٢٩ اصدر مجلس الوزراء قراراً إلى مدير الخزينة شوستر بمصادرة أموال شعاع السلطنة وسالار الدولة لصالح الخزينة بوصفهما خارجين على القانون والحكومة المركزية وبرغم ان السفارتين

الروسية والبريطانية لم تبديا في بادئ الأمر معارضتهما لهذا القرار ولكن عندما ارسل شوستر موظفي الخزينة وعساكره لتنفيذ قرار الحكومة بمصادرة املاك الاميرين المذكورين جابهم جنود القوزاق يقودهم ضابط روسي وامرهم بمغادرة المكان فورا وعندما احتجت الحكومة الايرانية عن طريق وزارة خارجيتها على هذا الاجراء المنافي للاعراف الدولية رد القنصل الروسي على هذه الاحتجاجات بأن هذه الاملاك مرهونة لدى البنك الروسي وتعود عائديتها إلى شخصين يحملان الجنسية الروسية ولا يحق للحكومة الايرانية التصرف بتلك الممتلكات[٢٤١] وعلى الحكومة الايرانية تقديم اعتذار رسمي لانتهاكها حرمة الاملاك الروسية وقدمت انذارا إلى الحكومة الايرانية بمنع شوستر بالقيام بالعمليات التفتيشية وبعكسه سوف يقوم الجيش الروسي باحتلال شمال إيران وعلى الرغم من قيام وثوق الدولة في تشرين الأول سنة ١٩١١ بتقديم اعتذار رسمي إلى السفارة الروسية في طهران ولكن هذه الاجراءات الايرانية لم تجد نفعاً لدى الحكومة الروسية ولم تقتنع باعتذاراتها الرسمية ودخلت القوات الروسية منطقة جيلان واحتلتها[٢٤٢] وتحركت الحكومتان الروسية والبريطانية بسرعة وتفاوضتا بشأن ما سيترتب على أعمال شوستر في إيران واتفقتا على تنفيذ سياسة مشتركة ضده فلم تكتف الحكومتان بمنعه من القيام بالجولات التفتيشية بل قدمتا انذار رسميا ثانيا إلى الحكومة الايرانية ينص على طلب انهاء خدمات شوستر والزام الحكومة الايرانية دفع جميع النفقات التي صرفها الجيش الروسي لاحتلال منطقة جيلان وكذلك منعها من استخدام الخبراء الاجانب إلا بموافقة الدولتين الروسية والبريطانية[٢٤٣] وان الحكومة الروسية تنتظر ردا على انذارها هذه في مدة اقصاها ٤٨ ساعة[٢٤٤].

لقد وجدت الحكومة الدستورية وكبار المسؤولين الايرانيين ان الضغط الروسي شديد ويزداد باطراد يوما بعد يوم وان الحكومة البريطانية تقف باصرار إلى جانب روسيا ووصل الأمر حدا ان هددت روسيا بأنها ستبعث قواتها لاحتلال طهران ان اصرت الحكومة الدستورية التمسك بشوستر وحاول المجلس النيابي ان يصدر قرارا يحفظ لايران كرامتها دون جدوى وفعلا اصدر قرارا برد الانذار الروسي[٢٤٥] وبدأت القوات الروسية بعد انتهاء مدة انذارها وعدم تنفيذ فحواها تزحف نحو العاصمة طهران ووصلت في زحفها إلى مدينة قزوين القريبة من العاصمة الايرانية.

اجتاحت البلاد موجة من السخط العارم نتيجة للاحتلال العسكري الروسي وسارت المظاهرات في شوارع العاصمة طهران منددة بالغزو الروسي ونزلت النساء والتلاميذ إلى الشوارع[٢٤٦] ونهب المتظاهرون والتلاميذ المحلات التي تباع فيها البضائع الروسية ووصل الغليان الشعبي حد ان امتنعوا عن شرب الشاي لأنه يستورد من روسيا وامتنعوا كذلك عن ركوب الترام لاعتقادهم بأن ملكيته تعود إلى مالكي البضائع الروسية والبريطانية واعلن رجال الدين الجهاد ضد الكفرة وكانت حركة الجهاد قد انتشرت في العراق وايران فأوعز المجتهد المعروف ملا كاظم الخراساني بنصب الخيام في ظاهر النجف وتعبئة المجاهدين للزحف على روسيا[٢٤٧]- وقد نصبت الخيام فعلا وتهيأ الناس للسفر وامتلأ الجو باهازيج العشائر والخطب الرنانة وفي ليلة ١٢ كانون الأول من العام ١٩١١ وبينما كان ملا كاظم الخراساني على اهبة السفر إلى إيران شعر بتوعك في صحته وقبل ان تشرق الشمس الصباح الثاني ادركته الوفاة فاستدعي إليه طبيب الحكومة فقرر هذا بعد فحصه انه توفي بالسكتة القلبية. إلا ان الناس لم يصدقوا ذلك فأخذت الاشاعات تروج بينهم على انه مات مسموما بأيدي الجواسيس الروس[٢٤٨].

اتفقت جميع الاحزاب والمنظمات في طهران والثوار الدستوريين على الوقوف صفا واحدا بوجه الغزو الروسي. واجتمع قادة الثوار بشوستر لاستطلاع رأيه في الموضوع. بيد انه اسدى اليهم النصح بالامتناع عن المقاومة مبينا ما تنتظرد إيران من كوارث وويلات إذا هاجم الجيش الروسي العاصمة طهران. ومن المستحسن قبول الأمر الواقع والرضوخ لانذار الحكومة الروسية. وابدى استعداده لترك إيران[٢٤٩].

ولا يفوتنا ان شوستر وصل إلى قناعة كاملة بأن حياته في خطر من قبل اعدائه ولاسيما نائب السلطنة ناصر الملك ومجلس الوزراء الذين انضموا إلى زمرة اعدائه واصروا على اخراجه من إيران[٢٥٠].

كان مجلس النواب يتعاطف مع شوستر واصر على بقائه ولكن المدة القانونية للمجلس قد انتهت، الأمر الذي شكل وضعا جديدا لصالح شوستر. بدأت المجالس المحلية والجمعيات بالمطالبة بتمديد مدة انعقاد المجلس ستة اشهر أخرى لمواجهة الوضع المتأزم في البلاد بسبب الغزو الروسي. وقد هال الحكومة الروسية هذا التحدي وعدت هذه الحركة موجهة ضدها مباشرة إلا ان المجلس كان دائما يمثل

حجر عثرة في طريق مصالحها في إيران في تلك المرحلة ومن الجدير بالإشارة ان ننوه بأن الايرانيين كانوا على مفترق الطريق ولا يعرفون كيف يتصرفون؟ ايدخلون في حرب دفاعية خاسرة ضد الجيش الغازي المجهز باحسن الأسلحة أم يركضون إلى سلام مذل ويستجيبون إلى مطامع الروس في بلادهم والاعتراف بالأمر الواقع؟ وقد كان لعودة علي قلي خان البختياري ومهدي قلي هدايت من اوربا واظهارهما الرغبة في التعايش السلمي والاستجابة لمطاليب الروس وموت الملا كاظم الخراساني، المدافع عن الحقوق الوطنية الايرانية من العوامل المضافة التي أدت بالايرانيين إلى قبول الانذار[٢٥١] لقد افلحت الضغوط الأجنبية عام ١٩١١ إلى جانب المشاكل والصعوبات الداخلية إلى انسحاب المجلس الثاني من الساحة السياسية وتدهور موقفه المدافع عن مكتسبات الثورة الدستورية فقد دخل يفرم خان رئيس الشرطة مبنى البرلمان وفي يده أمر من مجلس الوزراء يقضي بحل المجلس فورا واعطاء المجلس تفويضا للحكومة بشأن التصرف حيال الانذار الروسي ويبدو ان يفرم كان متواطئا مع سردار اسعد البختياري على رأيه بضرورة حل الأزمة المحتدمة مع الروس بصورة سلمية[٢٥٢] وعليه فقد وافق المجلس مكرها على انتخاب خمسة مندوبين من بينهم علي قلي خان سردار اسعد[٢٥٣]- بالتعاون مع أعضاء الوزارة وتمت الموافقة على قبول الانذار الروسي والبريطاني وعطل المجلس وغدت الحكومة في حيرة من أمر تقديم التنازلات التي ترتئيها للحكومتين الروسية والبريطانية ومما تجدر الإشارة إليه ان الوطنيين من اهالي تبريز ورشت في هذه المرحلة التي تصادف اواخر عام ١٩١١ وفي أثناء الأزمة السياسية الحادة التي ظهرت بسبب موقف روسيا المعارض لوجود الخبير الاميركي شوستر في إيران انتفضوا على القوات الروسية وهاجمت القوات الروسية المحتلة مدينتهم[٢٥٤] وفي اواخر كانون الأول من ذلك العام وقع صدام مباشر بين الجنود الروس وبين اهالي تبريز ورشت أدى إلى وقوع خسائر جسيمة بين الطرفين تختلف المصادر في تقدير حجمها[٢٥٥].

وقد دفعت تلك الانتفاضة الروس إلى اتخاذ اجراءات صارمة بحق التبريزيين، فقد القي القبض على أعداد كبيرة منهم. قدموا إلى المحاكم العرفية ونفذ حكم الموت بحق ثمانية من ابرز فدائي اذربيجان[٢٥٦] مما آثار استياءا كبيرا في النفوس على الصعيدين الداخلي والخارجي[٢٥٧] بعد حل المجلس اضطر شوستر على الاستقالة

وفوض زميله الامريكي المستر كرنتر وظيفته، ولكن الحكومة الايرانية اصدرت تحت ضغط السفارة الروسية قراراً بتعيين البلجيكي المستر سوبارد الخصم اللدود لشوستر رئيساً للخزينة الايرانية فترك شوستر وعائلته إيران في ٢٠ المحرم من العام ١٣٣٠هـ الموافق ١٤ كانون الثاني ١٩١٢م متوجهين إلى بلادهم[٢٥٨] وانصاع صمصام السلطنة البختياري رئيس وزراء الحكومة الدستورية بتأييد من نائب السلطنة ناصر الملك إلى ضغط الدولتين الروسية والبريطانية، وجاء اعتراف الحكومة الايرانية في ذلك العام باتفاقية التقسيم الموقعة سنة ١٩٠٧[٢٥٩] ليعمق مظاهر الضعف والتدهور التي انحدرت إليها السلطة القاجارية فقد كانت هذه الاتفاقية تعدياً صارخاً على السيادة الايرانية، بعد هذا التنازل الشائن من قبل الحكومة الايرانية وافقت الدولتان على تقديم قرض بمبلغ ٢٥٠,٠٠٠ ليرة استرلينية إلى إيران على ان ترهن للدولتين ارباح الجمارك الايرانية شريطة ان يصرف قسم من هذه السلفة الممنوحة تحت اشراف مدير الخزينة، برنارد البلجيكي لتقوية افواج الدرك والقوة السيارة واشترطت الدولتان أيضاً ان لا تحيد إيران مطلقاً عن مفاد اتفاقية العام ١٩٠٧ وهكذا أصبحت إيران مقسمة بموافقة حكومتها المركزية إلى منطقتي نفوذ روسي وبريطاني[٢٦٠] وقد تم اعتراف حكومة الشاه باتفاقية عام ١٩٠٧ في عام ١٩١٢ بعد ان تم تحطيم الثورة الدستورية[٢٦١] ولم يجانب الكثير من المراقبين السياسيين الحقيقة حين وصفوا صورة إيران في أواخر عام ١٩١١ على هذا النحو المأساوي: لقد اختفى المجلس واغلب الناشطين فيه من الدستوريين كانوا في المنفى وكانت البلاد خاضعة لحكومة فاسدة وكسولة كانت السيطرة لرؤساء العشائر الذين كانت القوى الاوربية تريد تأمين مصالحها[٢٦٢] عن طريقهم وقد دخلت سطوة الامتيازات الممنوحة للدولتين البريطانية والروسية حدا ان يتولى السفير البريطاني تعيين وعزل المختارين في منطقة قلهك وضواحيها الواقعة في شمالي طهران والتي تتواجد فيها السفارة البريطانية وكان السفير الروسي يمارس نفس الصلاحية في منطقة زركندة وضواحيها التي تقع فيها السفارة الروسية دون تدخل من الحكومة المركزية[٢٦٣].

حدثت هذه التطورات وإيران اضناها الضعف عسكرياً وسياسياً[٢٦٤] فمن الناحية العسكرية كانت لا تمتلك قوات ذات وزن كبير وغايات وطنية ومستوى تدريب جيد كان جيشها عبارة عن حشد من الناس غير المنظمين لا يمتلكون من

مقومات الجيش شيئا أما القوات النظامية التي تأسست برعاية الاجانب وتوجيهاتهم بامرة الضباط الروس وكان قائد ضباطه على اتصال مستمر بقيادة الجيش الروسي في القفقاس يحملون شعور الولاء للقيصر ويدافعون باخلاص عن مصالح بلادهم الواسعة في إيران(٢٦٥).

وكانت الحال السياسية في ايران أكثر تدهورا مما كانت عليه الحال العسكرية إذ كانت الاتفاقية البريطانية الروسية لعام ١٩٠٧ تتحكم بالحكومات الايرانية التي أصبح زمام المبادرة فيها في يد الساسة المتنفذين من سكان المدن(٢٦٦) وكانت الحكومة الروسية تغتنم الفرص وتختلق الذرائع لايجاد الأزمات السياسية للتدخل المباشر في الشؤون الداخلية لايران وكان على رأس الدولة في تلك المرحلة نائب السلطنة (ناصر الملك) الذي يعيش معظم اوقاته خارج إيران ولا يرجع إليها إلا في تموز ١٩١٤ وذلك لتنصيب احمد شاه بصورة رسمية شاها على عرش إيران لبلوغه السن القانونية لتبوأ العرش المذكور وبعد انتهاء هذه المناسبة رجع إلى اوربا مباشرة(٢٦٧) وما كان بقدرة الملك الشاب احمد شاه الذي اعتلى عرش الطاووس ان يواجه الأحداث السياسية في بلاده بفاعلية لضعف ارادته وجشعه وجبنه وقد وصفه اللورد كرزن وزير خارجية بريطانيا في تلك الحقبة الزمنية (بأنه اجبن رجل في إيران كما كانت عبارته الاثيرة أنا غير مسؤول تدل على ضعف ارادته وهروبه من مواجهة الأحداث)(٢٦٨) فقد تحول في السنوات الأخيرة من حكمه إلى بيدق بيد البريطانيين فنادرا ما كان يقدم على تعيين رئيس وزراء جديد أو أبعاد آخر دون استشارة السفارة البريطانية في طهران وكان يستشير البريطانيين حتى في تحركاته الشخصية داخل البلاد وخارجها وكان رأس الدولة هذا يتلقى بكل بساطة الاموال من الحكومة البريطانية ووصولا لعام ١٩١٤ كانت إيران قد استسلمت لمستقبل مجهول تحت سطوة احتلال أجنبي بشكل خطير للغاية لذا لم يكن بوسعها قطعا ان تبقى بعيدة عن الحرب العالمية الأولى التي امتدت اثارها إلى كل بقعة على وجه البسيطة ناهيك عن منطقة الشرق الاوسط الحساسة التي تخولت ومعها المناطق الشمالية الغربية والجنوبية لايران إلى إحدى ساحات الحرب المهمة بين الجيش الروسي والبريطاني من جهة والدولة العثمانية المتحالفة مع المانيا من جهة أخرى(٢٦٩).

حركة سالار الدولة

عندما بحثنا موضوع تعاون سالار الدولة مع إخيه محمد علي شاد الذي عـــاد من روسيا لإسقاط حكومة الدستوريين فى ايران ونظرا لتأثير ســـالار الدولـــة فـــى مجريات الأحداث في تلك المرحلة الزمنية نجد من الضروري إعطاء نبذه عن حياتـــه وأنشطته السياسية التي تواصلت إلى أيام الحرب العالمية الأولى.

هو أبو الفتح ميرزا الملقب بسالار الدولة الابن الثالث لمظفر الدين شاد ومـــن خصوصياته الأخلاقية حبه المطلق للجاد والسلطنة[٢٧٠] ونفسيته المتمردة الأمر الـذي جعله ثائرا طوال حياته اشتهر في شرخ شبابه بأنه كان مؤيدا للدستوريين وقد حاول عين الدولة رئيس وزراء مظفر الدين شاد في أواخر حكمه عزل محمد علي شاد عن ولاية العهد وتعيين سالار الدولة حاكم ولاية كردستان شاها على إيران ليكـــون هـــو رئيس وزرائه بعد تولية عرش إيران[٢٧١] ولكن محاولاته بـــاءت بالفشـــل وأصبـــح محمد علي شاد بعد وفاة ابيه سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م شاها على إيران اســـتمرت محاولات سالار الدولة للفوز بعرش إيران وطفق يتمرد في منطقـــة غربـــي إيـــران الكردية[٢٧٢] مستغلا مصاهرته لوالي يشتكود الذي مكنه من حشد عـــدد كبـــير مـــن القبائل اللرية خارجا بهم على حكم أخيه محمد علـــي شـــاد مظـــهرا تعاونـــه مـــع الدستوريين والمجلس النيابي المنتخب واراد الدستوريون في تلك الحقبـــة الزمنيـــة استغلال نفوذ سالار الدولة في المراحل الأولـــى مـــن الحركـــة الدســـتورية لصـــالح حركتهم[٢٧٣] ولكن بمرور الزمن نبذود ولاجل التقرب من محمد علي شـــاد اصـــدروا بيانا تضمن عدم تأييدهم سالار الدولة بوصفه خارجا على القانون والنظام والحكومـــة الشرعية[٢٧٤].

وعندما اعلن الدستوريون معارضتهم لسالار الدولة. تفرق من حولـــه انصـــار الدستوريين وكثير من العشائر الكردية أيضـــا ولكـــن علـــى الرغـــم مـــن محاولـــة الدستوريين جلب ود محمد علي شاد بالتنكر لسالار الدولة إلا ان محمد علـــي شـــاد أبدى تصلبا مع الدستوريين وارسل في الوقت نفسه قوة من الجيش النظـــامي لقمـــع تمرد اخيه سالار الدولة[٢٧٥] وقد وقعت معركة بيـــن القـــوات الحكوميـــة والعشـــائر المساندة لها بقيادة أبي القاسم خان، حاكم الولايات الثلاث[٢٧٦] وبين ســـالار الدولـــة والعشائر الكردية المساندة له[٢٧٧] في منطقة نهاوند اسفرت عن اندحار سالار الدولة وهروبه إلى كرمنشاه ولجوئه إلى القنصلية البريطانية في المدينة المذكورة طالبا من

الحكومة البريطانية التوسط لدى اخيه محمد علي شاد ليصدر العفو عنه وفعلا تم العفو عنه واوتي به إلى طهران وبعد مكوثه مدة قصيرة في طهران اتجه إلى اوربا[٢٧٨] منتظرا دوره في اثارة الاضطرابات في امراحل المقبلة ضمن أحداث ايران الدموية وقد ذكرنا أعلاه رجوع محمد علي شاه من روسيا إلى ايران واتفاق سالار الدولة مع اخيه الشاه لاسقاط حكومة الدستوريين وفعلا جمع سالار الدولة حشدا كبيرا من العشائر الكردية في منطقة سنندج ولرستان. وكان الكرد يومئذ يعارضون الحركة الدستورية لأنهم محاصرون في تطورهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من قبل مضطهديهم طيلة العصور لفقدانهم الوعي السياسي المتناغم مع المرحلة التاريخية وعليه فانهم ايدوا محمد علي ميرزا وساندوه بالرجوع إلى عرشه وقد استطاع سالار الدولة بمساندة عشائر كلهر الكردية برئاسة داود خان امير اعظم ونظر علي خان رئيس عشائر اللر البشتكوهيه الذي كان سالار الدولة صهرا له وسردار أشرف ابن والي يشتكوه وعلي خان كروسى احتلال كرمنشاه والتوجه بقواته للاستيلاء على طهران بعد احتلال همدان سلميا وانضمام الحامية المقيمة في همدان باسلحتها كافة بقيادة امير نظام[٢٧٩] اليه وبعد فتح همدان دحر سالار الدولة القوات الحكومية بقيادة امير افخم البختياري الذي كان متواطنا معه. واستمر في زحفه حتى بلغ نوبران القريبة من مدينة قم. وهناك تناهى إليه خبر دحر قوات اخيه محمد علي شاه من قبل القوات الدستورية فقرر الاستمرار في الزحف وارسل برقية إلى الحكومة المركزية طالبا منهم الاعتراف بشاهيته على ايران.

وقد ردت عليه الحكومة بارسال قوة كبيرة بقيادة يفرم خان. وسردار بهادر وسردار محتشم البختياري الذين استطاعوا التغلب عليه بعد معركة عنيفة في منطقة باغشاد القريبة من مدينة ساوه واستطاع سالار الدولة مع نفر من انصاره[٢٨٠] الافلات من قبضة القوات الحكومية والوصول إلى تويسركان. وبعد الهزيمة هذه أصبح سالار الدولة يصول ويجول في غربي ايران مستغلا النزعات العشائرية القوية للقبائل الكردية محشدا منهم قوة كبيرة للسيطرة على غربي ايران وفعلا استطاع السيطرة على مدينة كرمنشاه وهو ما اضطر حاكمها اعظم الدولة اللجوء إلى القنصلية البريطانية وعندما وصلت الحكومة المركزية اخبار احتلال سالار الدولة لمدينة كرمنشاه عينت عبد الحسين ميرزا فرما نفرما[٢٨١] حاكماً على كرمنشاه ولعدم وجود قوات نظامية مناسبة لارسالها معه للسيطرة على الموقف اضطرت الحكومة

إلى تكليف قوة من المحاربين القدامى تقدر بثلاثمئة مقاتل بقيادة يار محمد خار الكردي[٢٨٢] لمساندته في مهمته هذه وتحركت قوات يار محمد خان نحو كرمنشاه واصطدمت بطلائع قوات سالار الدولة المتمركزة في بيستون القريبة من مدينة كرمنشاه ودحرتها بسرعة واستمر يار محمد في تقدمه ليلا حتى التقى بقوات سالار الدولة الرئيسة ووقعت بين الطرفين معركة قتل فيها حسين خان الكرمانشا هي اخو يار محمد خان بالتبني وعدد آخر من المحاربين وعلى الرغم من هذه الخسارة استمر يار محمد خان في تقدمه حتى افلح في دخوله مدينة كرمنشاه وهرب على أثرها سالار الدولة مع انصاره المعروفين من امثال داود خان كلهر وسردار مظفر وغيرهم[٢٨٣].

احتل يار محمد خان مدينة كرمنشاه وانقذت قواته اعظم الدولة حاكم كرمنشاه السابق واخرجته من القنصلية البريطانية وفوضه مقاليد المدينة ثم بدأت قواته تطهر المدينة من انصار سالار الدولة المعروفين واعدم شرف الملك الاردلاني المشرف على عشائر الجاف الجوانروديه أحد أنصار سالار الدولة المعروفين ويار محمد خان رئيس عشائر الجاف وابن اخيه الذي كان قد لاذ بدار أحد رجال الدين الكبار في كرمنشاه ومحمد مهدي من أنصار الاستبداد المعروفين[٢٨٤] واودع السجن عدد من رجال الدين الموالين لسالار الدولة وهو ما أثار حفيظة كبار رجال الدين الذين كانوا في زيارة للعتبات المقدسة في العراق وطالبوا ببرقية عاجلة إلى الحكومة المركزية اطلاق سراح رجال الدين المعتقلين وعندما ترك سالار الدولة كرمنشاه تحت ضغط يار محمد خان طالب كعادته مساعدة القبائل الكردية وقد تجمع حوله في مدة قصيرة حشد من رجال تلك القبائل وجمع يار محمد خان بدوره مجموعة من العشائر الكرمنشاهية وعددا من المتطوعة، حتى وصلت حشوده نحو ألف مقاتل ولكن قواته لم تكن تتناسب وحجم الحشود التي حشدها سالار الدولة فاضطر يار محمد خان إلى طلب المساعدة من فرما نفرما حاكم كرمنشاه المعين من قبل الحكومة المركزية، فطالب في برقية عاجلة الحكومة بمساعدته بالعساكر والعدد والتجهيزات العسكرية وقد ابدى اهالي مدينة كرمنشاه تأييدهم ليار محمد خان اعتقادا منهم بأن فرما نفرما في طريقه لنجدتهم، وامتنعت الكثير من العشائر الكردية عن مناصرة سالار الدولة للسبب ذاته لاعتقادهم بارجحية كفة يار محمد خان في القريب العاجل ضد خصمه الثائر على الحكومة سالار الدولة ونظرا لعدم وصول المساعدات الحكومية ليار محمد خان دب اليأس في نفوس الاهالي وباقتراب قوات سالار الدولة من المدينة اندلع

القتال بين الفريقين وعلى الرغم من المقاومة الشديدة لسكان المدينة دخلت قوات سالار الدولة المدينة ظافرة وبدأت قواته تنهب الدور السكنية وأسواق المدينة وباستثناء منطقتين في المدينة تعرضت سائر المناطق فيها إلى السلب والنهب وانسحب مقاتلو المدينة أمام هجوم القوات الكردية وقتل الكرد منهم كثيرا يقدر عددهم ١٤٣ مقاتلاً ولقد لقي حاكم المحمرة ,إعتلاء الدولة واعظم الدولة حاكم مدينة كرمنشاه وابنه حتفهم(٢٨٥) على ايدي قوات سالار الدولة وعندما علم فرما نفرما بهذه الانتصارات وهو في طريقه إلى كرمنشاه فضل الرجوع إلى طهران.

عززت هذه الانتصارات موقف سالار الدولة وبدأ كعادته محاولة التوسع واحتلال مدن أخرى طلبت الحكومة البريطانية من الحكومة الروسية الضغط على سالار الدولة لاخراجه من إيران واتفق البريطانيون مع الحكومة المركزية في طهران على تخصيص مرتب مقداره اثنى عشر ألف تومان إلى سالار الدولة في حال خلوده إلى السكينة وابدائه الاستعداد للخروج من إيران دون اراقة الدماء اتصلت الحكومة البريطانية بواسطة قنصلها في كرمنشاه بسالار الدولة، عارضا عليه الاقتراح المذكور ولكن سالار الدولة رفض ذلك العرض واضاف انه سيعتلي عرش إيران بوصفه حقاً شرعياً له لأن محمد علي شاه قد تخلى عن عرش إيران، ونظراً لرغبته في حقن الدماء فانه يقترح على الحكومة المركزية الحكم مناصفة بينهما واناطة حكم اذربيجان وهمدان وكرمنشاه ولرستان والولايات الخمس به على ان يقدم للدولة ضريبة معينة سنوياً وإذ رفضت الحكومة هذا الاقتراح فانه حينئذ يضطر إلى إعلان ملكيته على عرش إيران(٢٨٦) ويقود قواته لاحتلال العاصمة في اقرب وقت ويبدو ان سالار الدولة كان مؤيداً ومسندا من لدن الحكومة الروسية في هذه المرحلة بالذات ولولا مساندتها لما ابدى هذا التصلب في الموقف والمغالاة في مطالبة السياسة لأن الحكومة الروسية كانت تنوي من هذه المساعدة اثارة الاضطرابات في الولايات الايرانية، حتى تكون وسيلة بيديها للتدخل العسكري في المناطق الشمالية الايرانية وإضعاف سيطرة الحكومة المركزية على الولايات المختلفة(٢٨٧) ولما لم يصل إلى سالار الدولة رد على طلباته وانه علم بأن طلباته مرفوضة جملة وتفصيلاً سافر إلى كردستان الايرانية وسائر مناطق العشائر الكردية الأخرى وقد ابدى معظم رؤساء العشائر الكردية الكبيرة استعدادها للتعاون معه امثال كيخسرو بك من محمود باشا الجاف رئيس عشائر الجاف وداود خان امير اعظم رئيس عشيرة الكلهر وغيرهم

ولم يستثن من العشائر الكردية المساندة لسالار الدولة سوى عشيرة سنجابي أو سنجاوي التي بقيت مساندة للحكومة المركزية.

وفي هذه المرحلة بالذات اجبرت الحكومة الايرانية فرما نفرما على الالتحاق بمقر حكمه في كرمانشاه وامدته بقوة من القوزاق والخيالة الحكومية وجهزته بالمدافع والرشاشات وقد وصلت قواته في اواخر اذار إلى همدان وارسل سالار الدولة مجلل السلطان أحد انصار اخيه محمد علي شاه الذي لحق به في تلك المرحلة إلى همدان أيضاً ليوقف زحف فرما نفرما، معلنا من كردستان انه سيزحف قريبا على همدان وقد التقت قوات مجلل السلطان قوات فرما نفرما بالقرب من همدان وبعد معركة قصيرة اندحرت القوات الحكومية واضطر فرما نفرما إلى الهرب، فتفرق من حوله أكثر اتباعه بهذا ارتفعت معنويات سالار الدولة وانصاره بعد هذا النصر المفاجئ وبدأ يقرع طبول الحرب مهددا بالزحف على طهران مما اضطر الحكومة طلب معونة المحاربين القدامى المتمرسين في ساحات القتال لمقابلة قوات سالار الدولة الزاحفة نحو طهران وقد انيطت مسؤولية مقابلة قوات سالار الدولة بيفرم خان ودخل يفرم خان بقواته على جناح السرعة إلى منطقة بهار فتمركز أمام قوات سالار الدولة التي يقودها مجلل السلطان وبدأ القتال بين الطرفين واستطاعت القوات الحكومية انزال الهزيمة الساحقة بجماعة من قوات سالار الدولة وقد قتل قائد القوات الحكومية يفرم خان وهو يحاول ازاحة جماعة من قوات سالار الدولة من قلعة قديمة وعلى الرغم من مقتل يفرم خان برصاصة المدعو عبد الباقي خان كاردولي فإن هذه الحادثة لم تؤثر في معنويات المحاربين فقد وضع أحد اعوان يفرم خان المدعو كوي خان مسؤولية الهجوم على قوات سالار الدولة على عاتقه وفتح القلعة التي كانوا متحصنين فيها، ووقع عبد الباقي خان قائد المجموعة بيد القوات الحكومية وبامر من كري خان اعدم عبد الباقي خان(٢٨٨) وبعد هذا الانتصار تجمعت القوات الحكومية للهجوم على قوات مجلل السلطان البالغ عددها ثلاثة الاف مقاتل وفي مدة قصيرة لم تتعد نصف ساعة انتصرت القوات الحكومية انتصاراً ساحقاً على انصار سالار الدولة الذي قتل من قواته خمسون مقاتلاً واسر مئة وخمسون آخر وأما خسائر القوات الحكومية فلم تتجاوز ثلاثين مقاتلاً(٢٨٩).

ونظراً للقيادة الشجاعة لكري خان وصمود القوات الحكومية الذين لم يفت في عضدهم مقتل قائدهم يفرم خان لم يتمكن انصار سالار الدولة من الصمود فترك سالار الدولة ومجلل السلطان كرمانشاه فدخلها اتباع يفرم خان منتصرين.

لقد دب اليأس في نفوس انصار سالار الدولة من هذا الانتصار الحاسم فلجأ مجلل السلطان إلى القنصلية الروسية وترك إيران لاجئاً إلى روسيا ولجأ سالار الدولة كعادته إلى القبائل الكردية في لرستان محرضا اياها على التمرد والعصيان وهبت العشائر الكردية ثانية لنجدة سالار الدولة كعادتها في نضالها طوال تاريخها ضد الحكومات المركزية التي اذاقتها عسف الهوان فكانت اسرع ما تكون إلى الاستجابة لنداء كل ثائر ومتمرد وخارج على القانون ضد مضطهديها ولذا فإن تأييد القبائل الكردية لسالار الدولة لم يكن حبا بمناقبة الشخصية أو ايمانه بقضيته للسيطرة على السلطة في إيران(٢٩٠).

وقد ساند في هذه المعارك التي خاضها المقاتلون ضد قوات سالار الدولة يار محمد خان الكردي وضياء السلطان امير جنك بن سردار اسعد البختياري اللذان ظهر اسميهما في البرقيات المرسلة إلى الحكومة المركزية حول الانتصارات على قوات سالار الدولة وبعد دخول قوات الحكومة المركزية كرمانشاه شب قتال عنيد بين هذه القوات وقوات سالار الدولة لقي فيه أحد ابناء داود خان كلهر حتفه وجرح داود خان رئيس عشائر كلهر الكردية نفسه جرحاً بليغاً مات على أثره(٢٩١) وبموته خسر سالار الدولة نصيراً قوياً مخلصاً هز كيانه المعنوي يومئذ بالذات واستتب الأمر ظاهرا للقوات الحكومية في كرمانشاه ولكن الأمور كانت كالنار تحت الرماد، حيث نشب في صفوف مقاتلي الحكومة الشقاق والخلاف فتمرد يار محمد خان الكردي على حاكم كرمانشاه فرما نفرما، وتمكن من السيطرة على مداخل المدينة واستطاع القاء القبض على انصار فرما نفرما نذكر منهم سهام الدولة، نائب حاكم مدينة كرمنشاه وكردستان وعند حدوث الانشقاق كان فرما نفرما خارج المدينة وفي طريقه إلى كردستان لاخماد تمرد العشائر الموالية لسالار الدولة هناك استطاع يار محمد خان السيطرة على مدينة كرمنشاه واطلق سراح جميع السجناء واصدر بيانا سياسيا بين فيه انه في ثورة ضد الحكومة المركزية محتجاً على خيانة نائب السلطنة ناصر الملك واعوانه لايران ولن يلقي السلاح حتى يفتح المجلس النيابي مرة أخرى(٢٩٢) ولكن الأمر لم يسر كما خطط له يار محمد خان لأنه بقي وحيدا مع مجموعة قليلة من المقاتلين من انصارهم فإن جميع الشخصيات السياسية والوطنية وانصارهم تشتتوا في إيران وخارجها فلم يكن حضور الكثير من الرجال الذين قاموا بهذه الانتفاضة ـي لو قدر لها النجاح لغيرت الشيء الكثير في حينها.

في ١١ ايلول لعام ١٩١١ لحق سالار الدولة وانصاره من القبائل الكردية بيار محمد خان واعلن انه يؤيد الدستوريين ويتفق مع يار محمد خان بصدد تأييد للمطالبة بفتح المجلس النيابي وسائر المؤسسات الدستورية وعلى كل حال فإن يار محمد خان وجماعته وان كانوا على علم بنفاق سالار الدولة إلا انهم سايروه لكي يتمكنوا من الصمود أمام القوات الحكومية التي كانت في طريقها لقمع انتفاضتهم وقد تعززت حركة يار محمد خان باعلان المقاتلين البختياريين والارمن الموجودين في صفوف جيش فرما نفرما، بقيادة يانس الارمني تأييدهم للمطاليب المنتفضين اخذت الانتفاضة طابعا خطيرا واستفحل امرها وحاولت الحكومة المركزية من ورانها الدولتان الروسية والبريطانية اللتان ادركتا خطورة هذه الانتفاضة في حال انتشار عدواها إلى المدن الايرانية الأخرى، استمالة المقاتلين من البختياريين والارمن واعدا أياهم بتحقيق مطاليبهم وفتح المجلس النيابي في القريب العاجل نجحت الحكومة في جلب وبعض المقاتلين الذين قبلوا الانضمام إلى فرما نفرما بهدف القضاء على حركة يار محمد خان الكردي وسالار الدولة(٢٩٣) ولما سمع يار محمد خان وسالار الدولة بتحرك فرما نفرما إلى كرمنشاه انسحبوا من المدينة متوجهين إلى سنندج التي فيها قاعدة لقواتهما دخل فرما نفرما كرمشاد دون مقاومة تذكر وبدأ سالار الدولة ويار محمد خان باعداد العدة للهجوم على كرمنشاه وقد شد من عضدهم ظهور الخلاف بين المقاتلين البختيارين والارمن وبين فرما نفرما الذين تركوا صفوف قوات الحكومة المركزية حتى يفتتح المجلس النيابي مرة أخرى.

حقا ان هؤلاء المقاتلين استصعبوا قتال صديقهم في السلاح يار محمد خان الكردي ولكنهم لم ينظموا إلى قواته لعلمهم بضعف اهدافه وتأييد سالار الدولة المعروف بعدائه للدستوريين له وعلى أية حال فلم تستمر القطيعة بين قوات هؤلاء المقاتلين وبين فرما نفرما طويلا فقد اقنعت الحكومة المركزية وعلماء الدين في كرمنشاه قادة المقاتلين بضرورة تعزيز موقف الحكومة المركزية الذي هو ميراث الحكومة الدستورية فاقتنعوا بالانضمام إلى قوات فرما نفرما مرة أخرى هذه من جهة ومن جهة أخرى فقد اتجه سالار الدولة ويار محمد خان على رأس انصارهما من القبائل الكردية إلى كرمنشاه بقصد احتلالها وقد طلب الاهالي من القنصلية البريطانية الاتصال بالطرفين المتنازعين لأبعاد شر القتال إلى خارج المدينة ولكن يار محمد خان دخل بقواته إلى المدينة فجأة مكتسحا انصار فرما نفرما ومراكز مقاومتهم الواحد تلو الآخر فاعتصم فرما نفرما بسراي المدينة واستطاع يار محمد خان احتلال

القسم الأكبر من المدينة ولكن تحولاً مفاجئاً غير مسار القتال هو ان رصاصة اصابت رأس يار محمد خان وفاضت روحه في الحال[٢٩٤] فانفض من حوله انصاره، فتنفس مقاتلو فرما نفرما والمقاتلون الصعداء إذ علموا بمقتل يار محمد خان فتحرك فرما نفرما بقواته فسيطر على المدينة بأسرها وما ان علم سالار الدولة بمقتل يار محمد خان حتى انسحب بسرعة من مداخل المدينة متخفياً بين العشائر الكردية ثانية وأثر هذه الحادثة تفرقت معظم العشائر الكردية* من حول سالار الدولة ولاسيما عشائر الكلهر والجاف وبسفي وكرد مكري[٢٩٥] فقد اوعز محمود باشا الجاف رئيس عشائر الجاف الذي لم يكن على وئام مع سالار الدولة إلى جميع رؤساء افخاد عشيرته بالكف عن مناصرته[٢٩٦] وتركه وشأنه وقد أصبح وضع سالار الدولة بعد هذه الهزيمة اشبه بوضع قاطع طريق وقد حاول علاء السلطنة بعد ان أصبح رئيسا للوزراء التصالح معه بإشارة من الحكومة الروسية المناصرة له وعينه قائمقاما لمدينة جيلان فلم يقبل ناصر الملك نائب السلطنة بهذا التعيين فبدأ بالتضييق عليه وهو ما اضطره أخيراً إلى اللجوء إلى القنصلية الروسية في كرمنشاه معتصماً فيها مما اضطرت الحكومة إلى الموافقة على احضاره إلى طهران فاجرى له مرتباً سنوياً ولم يطل به المقام في طهران حتى غادرها إلى اوربا ولم يكن له خلال الحرب العالمية الأولى دور يذكر في الأحداث التي وقعت خلالها وقد حاول أثناء الحرب الدخول إلى الاراضي الايرانية عن طريق بحر الخزر قاصدا القبائل التركمانية بهدف الدعوة إلى عرش إيران إلا ان القوات الانكليزية القت القبض عليه وابعد ثانية إلى خارج إيران[٢٩٧].

---

* ساندت العشائر السنجابية سالار الدولة في اوائل حركته وارتدت عليه بعد انهزامه امام القوات الحكومية الدستورية بقيادة يفرم خان وكري خان وشاركت العشائر السنجابية في الدفاع عن مدينة كرمنشاه بقيادة واليها فرمانفرما ضد قوات سالار الدولة للتفاصيل انظر كتاب علي أكبر خان سنجابي، ايل سنجابي ومجاهدت ملي ايران، تهران ١٣٨٠ ص١٨٩-٢٢٦.

هوامش الفصل السادس

(١) حبيب الله شاملوئي المصدر السابق ص٨٣٢.

(٢) د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، ص١٠٦، ودونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، ص١٠٢، وحسن معاصر تاريخ استقرار مشروطيت در إيران انتشارات ابن سينا تهران ١٣٤٧، ص٤٩.

(٣) يذكر احتشام السلطنة الذي كان سفيرا لايران في عهد مظفر الدين شاه في المانيا في مذكراته ان الشاه عندما كان في عربة القطار الذي يقله إلى بوتسدام تغير المناخ وتقلب الجو وظهرت الغيوم المصحوبة بالرعد والبرق الشديد في السماء وتغير مزاج مظفر الدين شاه وظهرت عليه علائم الخوف الشديد لأنه كان يخاف من التقلبات الجوية وارسل لي رسالة بخط مهندس الممالك لابرقها إلى السيد البحريني في طهران يطلب فيها منه دفع مبلغ معين من المال إلى سيد لم يذكر اسمه ويستطرد في هذا المجال ويقول: عندما وصلنا إلى بوتسدام خصص الامبراطور قصر سان سوسي لاقامته ولسوء الحظ والنكد تغيرت الأحوال الجوية فجأة أثناء الاستقبال الرسمي وظهرت علائم الذعر والخوف على العاهل الايراني ولم يأبه بمستقبليه الرسميين وانشغل بمسبحته الصفراء من احجار مشهد يسبح بها ويقرأ الاوراد والأدعية والسور القرآنية والانكى من كل ذلك كان الشاه يجفل من مكانه مذعوراً كلما سمع صوتاً مدوياً للرعد والبرق في السماء وكان العرق يتصبب من جبهته من الخوف الشديد انظر محمود طلوعي: خواندنيهاي تاريخي جاب سوم تهران ١٣٧٨ ص٣٩٢- ٣٩٣.

(٤) انظر مجلة راهنماي كتاب، سال ١٣ مرداد- مهر، سال ١٣٤٩، ص ٣٧٤- ٣٧٦.

(٥) يصف ميرزا علي خان امين الدولة عهد مظفر الدين شاه بعهد الانحطاط والانحلال ويقول انه لم يعمل شيئا مفيداً لشعبه وامته ولم يكن حكمه احسن من حكم اسلافه وبرغم فساد حكم اسلافه فقد بات الناس يتحسرون على عهدهم وحكمهم وكان لسان حالهم يردد هذا البيت الشعري المشهور:

رب يوم بكيت منه فلما   صرت في غيره بكيت عليه

- انظر خاطرات سياسي امين الدولة، ص ٢١٢.

(٦) السيد حسن تقي زاده: تاريخ انقلاب مشروطيت إيران مجلة يغما، شماره اورديبهشت ماه ١٣٤٠ ص٤ وكذلك حسن معاصر تاريخ استقرار مشروطيت در إيران ص٤٩.

(٧) للاطلاع على اصلاحات امين الدولة انظر: احمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران، ص٢٢ وحبيب الله مختاري: تاريخ بيداري ايران، ص٣١، وكذلك خاطرات سياسي امين الدولة، ص٢٢٣، ٢٣١- ٢٣٧.

(٨) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٨٥٠.

(٩) يعطينا مجيد يكتائي صورة جلية من الظلم الفاحش الذي كان يرتكبه جامعوا الضرائب بحق المكلفين بادائها، فقد كانوا يستعملون الجيش بمدافعهم واسلحتهم الثقيلة التي تضعها الحكومة تحت ايديهم لجمع الضرائب عنوة ودون شفقة على الرعية في الولايات الايرانية المختلفة انظر: مجلة بررسيهاي تاريخي، شماره ٦، سال هفتم، عام ١٩٧٤ ص١٥٢- ١٥٣.

(١٠) ميرزا علي خان امين الدولة خاطرات سياسي امين الدولة، ص٢٤٣.

(١١) اقيل المسيو نوز البلجيكي ومساعده بريم والمسيو اوروس رئيس جرك تبريز بناء على طلب نواب اذربيجان الدستوريين في مجلس الشورى الايراني في يوم الاحد من ذي الحجة عام ١٣٢٤هـ.

(١٢) يبدو من عريضة التجار الموجهة إلى مظفر الدين شاه في عام ١٩٠٥ انهم ضد توجه الحكومة اناطة مسؤولية الرسوم الجمركية والرسوم الأخرى إلى الاجانب ويطلبون من الشاه رفع ظلم نوز اليهودي البلجيكي عن كاهلهم ذلك الشخص الذي سامهم العذاب والهون حتى نفذ صبرهم لذلك قرروا ان يعتصموا بمقبرة ناصر الدين شاه في مدينة ري حتى نهاية رفع الظلم عنهم من خلال نظر الشاه في طلبهم انظر حسن معاصر: تاريخ استقرار مشروطيت در إيران، ص٢٢.

(١٣) انظر مقال عبد الحسين بهرامي، بيلان نوز في عام ١٣٢٤، مجلة برر سيهاي تاريخي شمارة ٤ سال هشتم ١٩٧٣ ص٢٣١ وكذلك مقال يحيى شهيدي بعنوان كزارش از وضع كمرك إيران درزمان قاجار المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة (٥) سال هفتم ١٩٧٣ ص١٢٣- ١٨٦.

(١٤) حبيب الله شاملوني المصدر السابق ص٨٣٢.

(١٥) حسن بيرنيا وعباس اقبال المصدر السابق ص٨٥٠.

(١٦) هو السلطان عبد المجيد ميرزا ابن احمد ميرزا بن فتح علي شاه الملقب بعين الدولة، ولد في طهران عام ١٢٦١، تعرف على مظفر الدين شاه عندما كان وليا للعهد في اذربيجان وتزوج من إحدى بناته وصار من المقربين اله وتدرج في مناصب عليا مختلفة من والي وزير إلى منصب الصدارة العظمى، دخل في صراع عنيف مع الدستوريين وكان مكروها من لدنهم وتنحى عن الصدارة العظمى عام ١٣٣٦هـ تحت ضغط الدستوريين فقد القي القبض عليه بعد انتصار الثوار المطالبين بالدستور على محمد علي شاه، توفي عين الدولة عام ١٣٤٦هـ في طهران، انظر مقال محمد كشميري تحت عنوان جند تلغراف تاريخي از عين الدولة، المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي، شمارة ٦ سال بينج مارس ١٩٧١م ص ١٢٦- ١٤٩.

(١٧) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، ص١٦.

(١٨) سايروس أ. وكيل الزاد سوسيولوجيا المسجد في ايران، ترجمة العميد عبد الوهاب القصاب، الدكتورة لاهاي عبد الحسين بغداد، منشورات بيت الحكمة ٢٠٠٢، ص٢٣٠- ٣٢٥.

(١٩) استقطب انصار الحركة الدستورية اكثرية رجال الدين المعروفين في إيران وفي العتبات المقدسة في العراق امثال الملا محمد كاظم الخراساني والحاج ميرزا حسين والحاج ميرزا خليل الطهراني والحاج شيخ عبد الله المازندراني، انظر محمد حسن الهروي الخراساني، تاريخ بيداش مشروطيت إيران مشهد، ١٩٥٣ ص٨.

(٢٠) محمد طباطبائي رجل ديني مشهور ومجتهد معروف يعد أحد الاقطاب الأساسية في ظهور الحركة الدستورية في إيران وقد تأثر بأفكار جمال الدين الافغاني ودرس على د ميرزا الشيرازي في العراق وقد شارك منذ وصوله عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م إلى طهران في النضال ضد الحكومة الاستبدادية القاجارية انظر عبد الهادي حائري تشيع ومشروطيت در إيران ونقش ايرانيان مقيم عراق، تهران مؤسسة انتشارات امير كبير ١٣٦٠ ص١٠٢.

(٢١) سافر أبو طالب خان الاصفهاني إلى أوربا بين الأعوام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م - ١٢١٨هـ/ ١٨٣٠م وقد أعيد طبع كتابه مرات عدة وكان آخرها تحت عنوان "مسير طالبي" أو "سياحت ميرزا أبو طالب خان" صححه خديوي جم ونشره عام ١٣٥٢هـ.

(٢٢) انظر فريدون ادميت، فكر آزادي ومقدمة نهضة مشروطيت. تهران ١٣٤٠، ص٢٥ وما بعدها.

(٢٣) Gorge vevenadsky : A History of Russia N . Y . ١٩٦٧ PP. ٢٧٤-٨٩.

(٢٤) Ivanspetcor : The first Russian Revolution its Impact on Asia Englewoodcliff, N . J . ١٩٦٢ PP. ١- ٢٨- ٣٨- ٥٠.

(٢٥) نذكر من هؤلاء الشعراء حاج محمد إسماعيل المازندراني وميرزا حسن خان بديع.

(٢٦) من الكتاب نذكر منهم عبد الرحيم طالبوف وإبراهيم بك من أهالي تبريز.

(٢٧) أحمد كسروي: تاريخ مشروطيت ص ٣٩- ٤٧.

(٢٨) تعين نوز مشرفا على الكمارك الإيرانية من قبل رئيس الوزراء علي اصغر خان أمين السلطانفي عهد مظفر الدين شاه ، مجلة بررسيهاي تاريخي سال ٧ شماره انظر.

(٢٩) محمد حسن أديب هروي خراساني: تاريخ يبدايش مشروطيت إيراني مشهد ١٩٥٣ ص١٩.

(٣٠) أحمد كسروي، تاريخ مشروطيت، ص٤٨، وكذلك عباس برويز، تاريخ دو هزار وبانصد ساله إيران، از تشكيل سلسلة صفوية تاعصر حاضر، ص٣٠٢.

(٣١) كان آية الله سيد عبد الله بهبهاني شجاعا في إبداء راية صلبا اكثر من زميله طباطبائي في تحدي السلطة المركزية ولكن الأمور الدنيوية والمادية كانت تشغله اكثر من أمور تطبيق العدالة والمشروطية انظر عبد الهادي حائري، تشيع ومشروطيت در إيران ونقش إيرانيان مقيم عراق ص١٣٣،أحمد كسروي، تاريخ مشروطه مصدر سابق ص٤٨- ٤٩ وانظر مقال حسن تقي زاده بعنوان اشخاصي كه در مشروطيت سهم داشتند المنشور في مجلة يغما العدد ٢٤ سنة، ١٣٥٠ ش ص٦٥- ٧٠.

(٣٢) حبيب الله مختاري، تاريخ بيداري إيران، ص ٤٠.

(٣٣) أحمد كسروي ، تايخ مشروطه إيران، ص ٤٩.

(٣٤) محمد حسن هروي خراساني: تاريخ مشروطيت، ص ١٨، وحسن معاصر، تاريخ استقرار مشروطيت در إيران ص١٩.

(٣٥) انظر أحمد كسروي، تاريخ مشروطيه إيران ص٥٢- ٥٤ وحسن معاصر، تاريخ استقرار ومشروطيت إيران ص٤٢.

(٣٦) أحمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران، ص ٥٨.

(٣٧) ارتفع سعر السكر من ٦,٥ قران إلى ٨ قرانات للمن الواحد، انظر طلال مجذوب، إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية ١٩٠٦- ١٩٧٩، بيروت ١٩٨٠، ص١٢٢.

(٣٨) بدأت الحرب الروسية الإيرانية في ٢٧ يناير العام ١٩٠٤ واستمرت مدة خمسة آلاف وثماني مائة يوم.

(٣٩) يقول حبيب الله مختاري، أن هؤلاء التجار عمدوا إلى بيع السكر بسعر غير عادل اكثر من المتعارف عليه، انظر تاريخ بيداري إيران ٢٨.

(٤٠) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران ص٥٩، ومحمد حسن أديب هروي، تاريخ بيداش مشروطيت إيران، ص١٢. ويعد سيد محمد علي جمال زاده يوم ١٤ شوال ١٣٢٣ يوم توقيف التجار وشد رجلي هاشم خان وسائر التجار في "الفلقة" من قبل علاء الدولة الحاكم العسكري لطهران أول يوم لقيام الثورة الدستورية انظر مقالة في كتاب مردان خود ساخته: زير نظر خواجه نوري انتشارات أمير كبير تهران ص ١٢٨ - ١٢٩ ١٣٣٥.

(٤١) يعد اللجوء من التقاليد الموروثة التي اعتاد الإيرانيون عليها منذ العهد الصفوي وهم يسمونه (البست) ومعناه أن يذهب الناس إلى أماكن معينة من المساجد او الاضرحة المقدسة أو بيوت المجتهدين والسفارات الأجنبية والاصطبلات الملكية أو ميادين المدفعية أو محطات التلغراف حيث لا يستطيع رجال الحكومة القاء القبض عليهم.

(٤٢) حسن معاصر: تاريخ استقرار مشروطيت ص ٨٢.

(٤٣) عباس برويز، تاريخ دو هزار بانصد ساله إيران ص٣٠٧. سياوش بشيري، سايه أي از سردار مصدر سابق ص٨٢، ومحمد حسن أديب الهروي، تاريخ بيداش مشروطيت إيران ص ١٣. عبد الله رازي همداني، تاريخ إيران ص٦٩٧.

(٤٤) غلام حسين مصاحب، دائرة معارف فارسي ص ٢٧٩.

(٤٥) يقول برقند إبراهيميان إذا كانت الاحتجاجات الشعبية والاستياء العام يعبران عن نفسيهما سابقا بوسائل عديدة منها العرائض والاجتماعات والاضرابات والاعتصام بالأماكن المقدسة أو القصر الملكي فانه الآن هدد بان يتحول إلى مواجهة مسلحة بين الشاه وزمرته الحاكمة والجموع الغاضبة وهو ما حدث أخيرا اثناء أحداث الثورة الدستورية وبعد أن كان القاجار يحكمون بادعائهم انهم ظل الله علىالأرض فان هذه

الشرعية غدت الآن موضع تشكيل واضح وخلقت أزمة ثقة حـادة للغايـة ومـن الآن فصاعدا بدا واضحا أن الشاه بات يترصد الشعب والشعب أيضا يترصده اظر.

E, Abrahamian ; The Crowd in Iranian Polotics ١٩٠٥- ١٩٥٣- Past and present, No. ٤١. December ١٩٦٨ P. ١٨٤.

وكذلك انظر إبراهيم الدسوقي شتا الثورة الإيرانية الجذور الايديولوجيـة، بـيروت ١٩٧٥، ص٤٧.

(٤٦) أديب محمد حسن الهروي، تاريخ استقرار مشروطيت إيران الحكم ص ٢٩.

(٤٧) يذكر سيد محمد طباطبائي بأنه يؤمن بوجوب تسنم حكومة الكم فـي إيـران تجعـل العدالة هدفها وتأتي بمجلس يدافع عن حقوق الفقراء والطبقات المسحوقة من الشـعب الإيراني أمام الهيئات الحاكمة المستبدة في جميع أنحاء إيران يجب على هذا المجلـس أن يطبق القوانين الإسلامية ويتعامل سواسية مع الملك والفقير ويقول بان إيران لـم تصل إلى تلك المرحلة التي يمكنها أن تصبح بلدا دستوريا، وفي بيـان آخـر يدعـو بصراحة تامة إلى تأسيس النظام الدستوري والبرلمان في إيران ويقـول منـذ سـنة ١٣٢٢هـ/ ١٨٩٤م وهي السنة التي اتيت فيها إلى طهران كنت أدعو على المنـابر إلى تأسيس مجلس الشورى الوطني وكان ناصر الدين شاه يشكو من اراني وبيانـاتي هذه، انظر ناظم الإسلام كرماني، تاريخ بيداري، مصدر سابق ص ٣٨١ وكذلك عبـد الهادي حائري، تشيع ومشروطيت در إيران ونقش ايرانيان مقيـم عـراق ص ١٠٥ وكذلك اسلام كاظمية: ياددا اشتهاي سيد محمد طباطبائي تهران ١٣٥٠ ص ٤٧٤.

(٤٨) ارسل عين الدولة إلى طهران لدفع له مبلغ ١٢٠ ألف تومان ولكن الطباطبـائي لـم يقبل رشوته واستمر على تكاتفه مع البهبهاني وسائر الملتجنين انظر أحمد كسـروي تاريخ مشروطه مصدر سابق ص ٦١.

(٤٩) ناظم الاسلام كرماني: تاريخ بيداري ايرانيان بخش يكم ج ١ تهران ١٣٢٤ ص٣٨١.

(٥٠) يروى بان عين الدولة كان يربي مجموعة من الكلاب المفترسة يبقيهم جواعا وعندما يجابه مناضلا جريئا يطلق الكلاب الجائعة عليه لافتراسه وقـد قتـل الكثـيرين مـن الدستوريين بهذه الوسيلة الشنيعة الذين لم تعرف اسماؤهم حتى الآن انظـر حاشـية كتاب حبيب الله شاملوني ص ٨٣٥.

(٥١) نظام الإسلام الكرماني، تاريخ بيداري ايرانيان، ج١٠، تهران، ١٣٢٤ ص ٣٥٩.

(٥٢) حسن معاصر، تاريخ استقرار مشروطيت در إيران، ٨٣، و ٦ غلام حسين مصلحب، دائرة المعارف فارسي، ج (١) ص ٢٧٩- ٢٨٠.

(٥٣) وصل عداء علماء الدين الذين كانوا يعادون مظفر الدين شاه حدا حتى سماه أحد المجتهدين المعروفين وهو فاضل شربياني بالكلب وبين أربعة من رجال الدين الكبار في برقياتهم استياءهم الشديد من النظام الاستبدادي للهيئة الحاكمة القاجارية انظر عبد الهادي حائري تشيع ومشروطيت در إيران ونقش ايرانيان مقيم عراق ص ١٠٣.

(٥٤) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران ص ٦٧.

(٥٥) المصدر نفسه ، ص ٦٨.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٥٧) يرفند ابراهيميان، إيران ١٩٠٠ - ١٩٨٠، ص ٥٠.

(٥٨) محمد حسن أديب هروي خراساني، تاريخ بيداش مشروطيت إيران ص ٥١ وحبيب الله شاملوني المصدر السابق ص ١٠٣.

(٥٩) تصدى رجال القوزاق للمتظاهرين وقتل اثنان وعشرون شخصا واصيب اكثر من مئة بجراح خطيرة انظر، يرفند ابراهيميان: إيران ١٩٠٠- ١٩٨٠ ص ٥١ وكذلك جريدة (حبل المتين) الصادرة في ٢٨ ايلول سنة ١٩٠٦.

(٦٠) انظر عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين، البصرة ١٩٧٣ ص ٢٠ ومحمد وصفي أبو مغلي: الاحزاب والتجمعات السياسية في إيران ١٩٠٥- ١٩٧٩ اصدار مركز دراسات الخليج العربي البصرة ١٩٨٠ ص٣.

(٦١) يعتقد السيد هبة الدين الشهرستاني خطأ في مذكراته التي سجل فيها بعض الأحداث المشروطية بان زوجة المفوض البريطاني هي التي افهمت الملتجئين بالمطالبة بالحرية والمساوات ومجلس الشورى فاستطاعت أن تحدث فيهم الأثر المطلوب ولكن حقيقة الأمر غير ذلك لان قادة الملتجئين من رجال الدين كانوا على علم بنظام الشورى والسلطات الدستورية قبل التجائهم إلى السفارة الانكليزية انظر علي الخاقاني: شعراء العرب النجف ١٩٥٦ ص٨٥. وكذلك مقال سيد محمد علي جمال زاده بعنوان سيد جمال الدين واعظ المنشور في كتاب مردان خودساخته ص١٢٢.

(٦٢) صالح محمد صالح العلي: التاريخ السياسي لعلاقات إيران بشرقي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٥٢- ١٩٤١، جامعة البصرة ١٩٨٤ ص٢٢.

(٦٣) يرفند ابراهيميان إيران ١٩٠٠ - ١٩٨٠ ص ٥٢.

(٦٤) محمد حسن أديب هروي: تاريخ بيداش مشروطيت إيران ص ٥٩ وحسن معاصر تاريخ استقرار مشروطيت إيران ص ٧٧.

(٦٥) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران ص ١١٣ ومحمد حسن أديب هروي تاريخ بيداش مشروطيت إيران ص ٦٠- ٦١.

(٦٦) E . Q . Brown : The Per Revolution, ١٩٠٥- ١٩٠٩- London, ١٩٦٦ PP. ٣٥٣- ٣٥٤.

(٦٧) ميرزا محمد علي خان بن ذكاء الملك: تاريخ مختصر إيران مصور، تهران ١٣٢٦ ص ٢٢٩.

(٦٨) عبد الرفيع حقيقت رفيع: تقويم تاريخ سياسي إيران ص ٤٩٠.

(٦٩) توفي مظفر الدين شاه بمرض السل.

(٧٠) عباس برويز: تاريخ دو هزار بانصد ساله إيران از تشكيل صفوية تا تاريخ عصر حاضر ص ٣٠٨.

(٧١) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ج١ ص ٣٠٦- ٣٠٧ والدكتور علي الوردي لمحات اجتماعية ج٣ ص ١١٢.

(٧٢) د. نعمة السعيد: النظم السياسية في الشرق الاوسط، بغداد ١٩٦٨ ص٤٨٦.

(٧٣) F. R. C. Bagley: New light on the Iranian Constitution Movement in Edmand Bosworth and Carole Hillen Brand, Qajar Iran Political and Cultural change ١٨٠٠- ١٩٢٥, Ediburgh University. Press ١٩٨٣ p٥.

(٧٤) D. N. Wilber: Rezashah Pahlavi: Thressurrection and reconstruction of Iran new york ١٩٦١, P. ٢٨.

(٧٥) Ahmed Ashraf; Historial Obstacless to the Development od bourgeoise in Iran, Iranian studies vol. ١١, No. ٥. ١- ٤ Spring summer ١٩٦٩, p. ٦٩.

(٧٦) طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦- ١٩٧٩ بيروت ١٩٨٠ ص ١٧٣.

(٧٧) الدكتور عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث، ج١ ص ٣٠٥- ٣٠٧.

(٧٨) h. b. Sharrabi: Government and Politicals of the Middle East in the Twentienth century. Princeton, New Jersey ١٩٦٢, P. ٧٦.

(٧٩) Abrahamian: Iran between two revolutions. New Jersy ١٩٨٢, P. ٨٨.

(٨٠) Nikki R. Keddie: Roots of revolution Interpertive History Modern Iran with aspection by vannrichard.

(٨١) يذكر باسيل نيكتين بان القائد العسكري الفارسي أمير نظام المنحدر من عشيرة كروسي قام باستدعاء الزعيم الكردي حمزة أغا لمقابلته في قصره واقسم له بأنه لن يلحق الأذى به طالما هو علىالأرض ولكي يغتال الأمير الكردي استعان بالغدر والخداع، فحفر حفرة وجلس فيها وعندما دخل حمزة أغا إلى القصر اشار على جنوده بقتله فخرق الرصاص جسده من كل جانب وعندما سألوه كيف سولت لك نفسك الحنث بقسمك وقتلت حمزة أغا؟ أجاب أنا لم أحنث بقسمي لأني اقسمت له ما دمت على سطح الأرض لن يلحق به الاذى ولكن لم اكن على سطح الأرض عندما قتل وانما كنت في عمق حفرة ويبدو بان باسيل نيكيتين اخطأ في اسم الأمير الشكاكي فهو جعفر اغا الشكاك والقاتل هو نظام السلطنة والي اذربيجان في عهد مظفر الدين شاه القاجاري انظر الاكراد من انتشارات دار الروائع بيروت بلا ص ١٧٢.

(٨٢) علاء الدين سجادي: شور شه كاني كورد بغداد ١٩٥٩ ص ٢٤٨.

(٨٣) د. كمال مظهر: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص ٢٥٠.

(٨٤) ابراهيم صفائي: بنجاه خاطرة در بنجاه سال تهران ١٣٧١، ص ٥٥.

(٨٥) يذكر علاء الدين سجادي: بان جوهر أغا (جعفر) دخل تبريز على رأس اثني عشر فارسا من اتباعه لم ينجوا منهم بعد مقتل جعفر أغا سوى نفرين كان احدهم محمود أغا الذي اصبح معتمدا لإسماعيل أغا شكاك (سمكو) انظر شورشه كاني كورد، ص ٢٤٩.

(٨٦) أحمد كسروي : تاريخ مشروطه إيران ص ١٤٥.

(٨٧) يعطينا علاء الدين سجادي صورة مفصلة عن كيفية مقتل جوهر اغا ونجاح جماعته من الهروب وتصديهم البطولي لقوات الدرك الحكومية وقتلهم عدد غير قليل من أهالي تبريز ولاسيما على يد اثنين من رجاله الشجعان الذين تمكنا من النجاة هما عبده لو ومحمود اغا، انظر هه ميشه، به هار بغداد ١٩٦٠ ص٦٠- ٧١.

(٨٨) يرى بعض المؤرخين بان سبب عداوة نظام السلطنة لجوهر اغا شكاك يرجع إلى طلبه منه مبلغ ألف اشرفي ذهب كرشوة ازاء منحه (لقب سردار نصرت) وجعله رئيسا لعشيرة شكاك بصورة رسمية إلا أن جوهر اغا رفض الطلب وامتنع عن دفع تلك الرشوة فنقم عليه نظام السلطنة وزين لولي العهد محمد علي شاه قتله واغتيل كما بينا سابقا انظر سالنامه دنيا شمارة ١٦ تهران ١٣٣٩ ص٥٦.

(٨٩) توفي محمد علي شاه في احد مستفيات باريس في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٢٥م.

(٩٠) انظر ترجمة حاله في مجلة يادكار السنة الثالثة، العدد: ٨ وكذلك حسن معاصر، تاريخ استقرار مشروطيت، ص ٦٧. وكذلك

Hugogro : The Wanderungen in Persien Berlin ١٩١٠. P. ٢١١-٢٢٣.

(٩١) يقول أحمد كسروي في معرض تظاهر محمد علي شاه بالتدين، انه كان يجلس في العاشر من محرم الحرام من كل سنة في جلسات العزاء ويمشي حافيا في الازقة والشوارع حاملا اربعين شمعة إلى أربعين مسجدا وكان يحضر مسجد الحاج محمد حسين ويؤدي الصلاة خلفه ويأمر بطبع كتب الأدعية والصلوات، تاريخ مشروطة إيران، ص ١٤٩.

(٩٢) للاطلاع على خصال وصفات محمد علي شاه، انظر البحث الجيد للدكتور جواد الشيخ الاسلامي، بعنوان (روحيات وخصال وبايان كار محمد علي شاه قاجار) المنشور في كتاب مجموعة سخنرانيهاي دومين تحقيقات ايراني، دانشكاه مشهد، دانشكده ادبيات وعلوم انساني، ج٢، بكوشش حميد زرين كوب مشهد، ١٣٥٩، ص ٢٣- ٦٢.

(٩٣) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران ص ٢١٣.

(٩٤) سيزرج ماركوفتج شابشال Serge Markovipch Chapchal هو مربي محمد علي شاه عندما كان وليا للعهد في تبريز، معينا من قبل الحكومة الروسية واصبح له نفوذ كبير على ولي العهد في تبريز فيوجه جميع أعماله، وفي الحقيقة كان هو الحاكم لأذربيجان وبعد وصول محمد علي شاه إلى العرش بقي محتفظا بمركزه في الدولة، وكان وراء تنكر محمد علي شاه للدستوريين ومحاربته اياهم انظر مجلة بررسيهاي تاريخي، سال هفتم شمارة ٦ مارت ١٩٧٣، ص١٨٦.

(٩٥) يقول المؤرخ جورج لينشوفسكي أن الروس كانوا يعتقدون بان حركة المشروطية هي من تدبير بريطانيا، ويعدونها مهددة لنفوذهم وسطوتهم في إيران لذلك شجعوا محمد

علي شاه الخاضع لتأثيراتهم على تعطيل الدستور انظر الشرق الأوسط فـــي الشـــؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط ج۱، بغداد ١٩٦٤ ص ٥٨.

(٩٦) انظر بحث الدكتور جواد شيخ الإسلامي المنشور في كتاب مجموعـــــة ســــخندانيهاي دومين كنكرة تحقيقات ايراني، دانشكاه مشهد، دانشكده ادبيات وعلـــوم انســـاني ص ٢٣٠.

(٩٧) لأجل التعرف على تفاصيل هذه المعاهدة انظر موركان شوستر، اختناق إيران، ترجمة أبو الحسن موسوي بتصحيح وحواشي فرامز لاكر، واسماعيل رائين تـــهران ١٣٥١ ص ٢٦- ٣٠ وكذلك.

Rogers Plattchurchill: An glorussian Convention of ١٩٠٧ (cedarapid – Lowa ١٩٣٩).

وكذلك وحيد مازندراني قرار داد ١٩٠٧ روس وانكليس راجع به إيران تهران ١٣٢٨.

(٩٨) يقول دونالدولبر: كانت بريطانيا تساعد الدستوريين في المطالبة بوضع حد لمؤامـــوات الروس ونفوذهم في البلاط الايراني وكانت روسيا قد خرجت من حـــرب فاشـــلة مـــع اليابان كما كانت بريطانيا تحس بوجود تهديد جديد في خطة المانية تهدف إلى تأسـيس خط حديدي يعبر بلاد الشرق الادنى إلى الخليج فعرضت على روســـيا عقـــد اتفاقيـــة تساعد على الحد من المطامع الالمانية وكانت معاهدة عام ١٩٠٧ انظر إيران ماضيـــها وحاضرها ص ١٠٣- ١٠٤.

(٩٩) خ. و. فرنو، المصدر السابق ج٢ ص١٥٠ وكذلك

Peter Avery opcit P. ١٢٨.

انظر كذلك عبد الهادي حاتري، المصدر السابق، ص ١١٣.

(١٠٠) انظر

Ahmed Gabari and Robert Olson (ed): Essayas on Revolution in marking Lexinyton, Kentucky. ١٩٨١. P. ٢٤.

وكذلك م. س. ايفانوف: انقلاب مشروطة قسمتي از تاريخ إيران، ب.ت ص ٣٧- ٣٩.

(١٠١) كانت نتيجة هذا الاتفاق أن ارسلت الحكومة البريطانية بواخرها الحربية في أواخـــر عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م إلى نهر الكارون وفي اوائل عـــام ١٣٢٦هـــــ/ ١٩٠٨م قصفت بمدافعها سواحل مكران وانزلت قواتها البحرية في جاسك وارســـلوا قـــوات

عسكرية في عام ١٩٠٩ إلى ميناء بوشهر والقوا القبض على الكثير ممن اشتركوا في الحركة الدستورية انظر

Anonymous: The Dorderlands of Soviet centrul Asia, Persia. Iv ١٩٥٦ p. ٢٩١.

(١٠٢) بحث الدكتور شيخ الإسلامي في كتاب سخرانيهاي دومين كنكرة تحقيقـات ايرانـي ص٢٥.

(١٠٣) انظر مقال محسن فرزانه: صفحة از تـاريخ مشـروطيت المنشـور فـي مجلـة بررسيهاي تاريخي شمارة ٤ سال ٥ تهران ١٩٧٠ ص ٢٩٣.

(١٠٤) تاريخ اوائل مشروطيت در إيران ص ٣٣.

(١٠٥) تاريخ انقلاب مشروطيت إيران، ج٣ تهران ١٣٣٨، ص ٢٥١.

(١٠٦) أحمد كسروي ، تاريخ مشروؤطة إيران، ص ٢٤٦.

(١٠٧) عبد الهادي حائري، مصدر سابق ص ١٠٩.

(١٠٨) انظر أحمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران ص ٥٢٨ وكذلك عبد الهادي حـائري، المصدر السابق ص ١٠٨.

(١٠٩) انظر محمد علي كمال الدين، التطور الفكري في العراق، بغـداد، ١٩٦٠، ص ٢٣-٢٤.

(١١٠) في طهران نظم حيدر خان عموا وغلو جمعية الاذربايجانيين وضمن هذه الجمعيـة تكونت أولى خلايا الحزب الاجتماعي الديمقراطي داخل إيران انظر

E. G. BROWNE. The Pevsian revolution – ١٩٠٥- ١٩٠٩, London. ١٩٦٦ P. ١- ٧- ١٦٨.

(١١١) د. كمال مظهر احمد، دراسات، مصدر سابق ص ٢٠٣.

(١١٢) علي الوردي، لمحات، ج٣، مصدر سابق ص ١١٤.

(١١٣) انظر أحمد كسروي، المصدر السابق، ص ٢٦٥ وكذلك محمد حسن أديـب هـروي المصدر السابق ص ٢٠٢- ٢٢٠ وكذلك مقال الدكتور محمد إسـماعيل رضوانـي إعلان واعلامية هاي دوره قاجار المنشور في مجلة بررسيهاي تـاريخي شـماره (٥) سال بنجم وإسماعيل رائين حيدر خان عمو اوغلي جاب سوم تـهران ٢٥٣٥ ص ٤٤- ٤٩.

(١١٤) **Browne opcit. PP. ١- ٧. ١٦٨.**

(١١٥) A Brahamian : Iran between two revolutions. P ٩٢- ٩٣.

(١١٦) طلال مجذوب المصدر السابق ص٢٢١.

(١١٧) انظر حبيب الله مختاري تاريخ بيداري ايران ص ٥١.

(١١٨) انتحر عباس اغا بعد أن جرحه أحد الحراس الذين تعقبوه ولاعتقاده بأنه لم يبق أمامه سبيل للنجاة اطلق عيارات نارية على نفسه للاطلاع على ترجمة حال عباس أغا واسباب قتله رئيس الوزراء اتابك أعظم انظر أحمد كسروي. تاريخ مشروطة إيران ص ٤٤٧- ٤٤٩.

(١١٩) حسن معاصر: تاريخ استقرار مشروطيت ايرن ص ٣١٣- ٣١٢. وحبيب الله مختاري المصدر السابق ص ٥٣.

(١٢٠) كانت هذه الجمعية الفدائية السرية ضمن تشكيلات جمعية الاجتماعيين العاميين الثورية في طهران وكان من ابرز اعضائها ملك المتكلمين جمال الواعظ والتي قررت اغتيال الاتابك رئيس الوزراء وأحالت الجمعية تنفيذ قرارها إلى شبكة الفدائيين العائدة إليها برئاسة حيدر خان عمو اوغلي واجريت القرعة لانتخاب الشخص الذي يقوم باغتيال الاتابك واصابت القرعة عباس اغا الصيرفي أحد اعضائها لتنفيذ العملية وتمت عملية الاغتيال بنجاح في ليلة الحادي والعشرين من رجب لعام ١٣٢٥هـ انظر اسماعيل رائين: حيدر خان عمو اوغلي المصدر السابق، ص ٦٦ وكذلك انظر مقال عبد الحسين نواني غلطه هاي مشهور تاريخي المنشور في مجلة يادكار سال سوم شمارة ٤ ص٤٩.

(١٢١) طلال المجذوب، المصدر السابق، ص ٢٩، أحمد كسروي، المصدر السابق ص٤٦٤- ٤٦٥ وكذلك

Yaha : Armajani, Iran. New Jersy ١٩٧٢, P. ١٢٣.

(١٢٢) انظر بحث يرفند ابراهيميان. خلفيات وعوامل الثورة الدستورية ١٩٠٦ المنشور في كتاب إيران ١٩٠٠- ١٩٨٠ مؤسسة الابحاث العربية بيروت، ١٩٨٠، ص٥٩ وكذلك أحمد كسروي المصدر السابق ص ٤٨٨.

(١٢٣) روز لويس كريفس: المعاهدة الانكليزية الروسية ١٩٠٧- ١٩١٤ بعض وجوهها ومدى تأثيرها في فارس ترجمة د. محمد وصفي أبو مغلي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٨١ ص ١- ٢٥.

(١٢٤) انظر مقال يحيى شهيدي بريكاد القوزاق المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة ٦، سال هفتم، مارت ١٩٧٣ ص ١٨٦ وكذلك اسماعيل رانين حيدر خان عمو اوغلي المصدر السابق ص ٨٥.

(١٢٥) حبيب الله مختاري، تاريخ بيداري إيران ص ٥٧ وغلا محسين مصاحب، دائرة المعارف فارسي ج١ ص ٢٧٩.

(١٢٦) أحمد كسروي ، المصدر السابق ص ٥٧٩- ٥٨٠.

(١٢٧) بين محمد علي شاه بأنه سوف يعطل المجلس النيابي لمدة ثلاثة أشهر لانتشال البلاد من الفوضى والاضطراب بعد أن يلقي القبض على مجموعة من المشاغبين بحسب رأيه وسيبادر بفتح المجلس مرة أخرى وطالب المجلس بتسليم كل من ميرزا جهانكير مدير جريدة صور اسرافيل ومحمد رضا الشيرازي مدير جريدة المساواة وسيد جمال الدين الواعظ وملك المتكلمين وتقي زادة وميرزا خان ومستشار الدولة ولكن المجتهد البهبهاني لم يوافق على تسليمهم واشتد الصراع بين المجلس ومحمد علي شاه وعندما زاره وفد من المجلس للوصول إلى نوع من التفاهم امر محمد علي شاه بتوقيف أعضاء الوفد كل من جلال الدولة وسردار منصور وعلاء الدولة ومعين الدولة ورئيس الوزراء ناصر الملك الذي استقال من منصبه وقد كان لتوقيفهم اثر بالغ في هياج الدستوريين واندلاع القتال بينهم وبين قوات محمد علي شاه انظر أحمد كسروي تاريخ مشروطه إيران ص ٥٠٨ وكذلك مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة ٦ سال هفتم ص ٢٨٨ وكذلك محمد حسين أديب هروي، المصدر السابق ص ١٩٥.

(١٢٨) القوزاق فرقة عسكرية انشأها ناصر الدين شاه قاجار على غرار الفرقة الروسية وذلك حينما وقع عام ١٨٧٦ اتفاقا مع روسيا يتضمن أن يقوم الروس بانشاء وتدريب فرقة عسكرية تسمى القوزاق وان يعهد بقيادتها إلى الضباط الروس ويتسلمون رواتبهم من الحكومة الروسية وكان ضباط وامراء هذه الفرقة لا يدينون بالاخلاص لإيران وللايرانيين انظر أحمد كسروي المصدر السابق، ص ٥٧٨ وكذلك صالح محمد صالح العلي، التاريخ السياسي لعلاقات إيران بشرقي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي، ص٢٣.

(١٢٩) حبيب الله مختاري، تاريخ بيداري إيران، ص ٥٧.

(١٣٠) موركان شوستر، اختناق إيران ترجمة أبو الحسن موسوي شوشتري بـا تصحيـح ومقدمة وحواشي واسناد محرماته منتشر شدد. توسط فرامرز بـرزر واسماعيل رانين. تهران ١٣٥١ ص٣٨.

(١٣١) Dr. Jaeger Perssien and diepersische, weimar ١٩١٦. S. ٢٤.

وكذلك مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة مخصوص سال يازدهم مـارس ١٩٧٧ ص ١٨٠-١٨١.

(١٣٢) حسن معاصر. تاريخ استقرار مشروطيت ص ٧٠٤.

(١٣٣) يذكر يحيى شهيدي في بحثه (بريكاد قوزاق أن ألفي وخمسمنة من جنود القـوزاق وسائر القوات الحكومية الأخرى لاقوا حتفهم في هذه المصادمـات انظـر مجلـة بررسيهاي تاريخي شمارة ٦ مارس ١٩٧٣. ص ٢٨٩.

(١٣٤) يطلق في التاريخ الحديث لإيران على هذه الحقبة الزمنيـة اسـم عـهد الاسـتبداد الصغير التي تبدأ من بداية قصف لمجلس الشورى بالمدافع في ٢٣/ من حزيـران عام ١٩٠٨ الموافق ٢٣/ جمادى الأولى لعام ١٣٢٦هـ حتى فتح طـهران علـى أيدي القوات الدستورية في ١٦/ حزيران ١٩٠٩ الموافق ٢٦/ جمادى الأولى لعـلم ١٣٢٧ انظر عبد الهادي حانري. تشيع ومشروطيت در إيران ونقش ايرانيان مقيـم عراق، ص ١٠٨.

(١٣٥) انظر محمد حسن أديب هروي خراساني. المصدر السابق ص ٢١٥.

(١٣٦) انظر حبيب الله مختاري المصدر السـابق ص ٥٨- ٥٩ وكذلـك أحمـد كسـروي المصدر السابق ص ٥٩٣- ٥٩٧ د. محمد جواد مشكور. تاريخ إيران زميـن از عصر باستان تا تاريخ عصر حاضر تهران ٢٥٣٦ شاهنشـاهي ١٩٧٨م ص ٣٧٥ موركان شوستر اختناق إيران. ص ٤٠ وحسن معاصر استقرار مشروطيت إيـران ص ٥٨٠.

(١٣٧) يثير أحمد كسروي في الصفحة ٦٥٢ في كتابه تاريخ مشروطة إيران الشبهات حول وطنية تقي زاده بسبب لجونه إلى السفارة البريطانية في طهران ويتهمـه بـالجبن والمراوغة ولكن سائر المؤرخين لهذه المرحلة بالذات يؤمنون بوطنية تقـي زادة وحماسته الشديدة ونضاله المستميت في سبيل تقويض نظام الاستبداد لمحمد علـي شاه وتطبيق وإشاعة النظام الدستوري في إيران انظر أمير خيري: تاريخ اذربيجان

وستارخان، تبريز. ١٣٣٩. ص ٢٥٠ وكذلك انظر كريم طاهر زاده بهزاد. قيام اذربيجان در انقلاب مشروطيت ايران. طهران كتابخانه اقبال ١٣٣٤هـ ص ٣٨٧.

(١٣٨) موركان شوشتر. اختناق إيران. ص ٤١.

(١٣٩) على الرغم من سيطرة حكومة محمد علي شاه وانصارد على الموقف في إيران بقوة النار والحديد بدأ الدستوريون نشاطهم المعادي للدولة في المدن الرئيسة من إيران ولاسيما في تبريز ورشت وقزوين واخذ الصراع يتسم بطابع العنف الشديد وبدأت الاغتيالات السياسية تسود البلاد وقد قتل الثوار عدد من انصار محمد علي شاه بتهمة تأييدهم للاستبداد فقد قتلوا بحر العلوم الرشتي وابنه في احدى قرى قزوين وشيخ الإسلام القزويني في داخل المدينة وأمير بنجه قاسم خان رئيس عساكر قزوين وغياث نظام وابنه في المدينة المذكورة وكذلك اغتال الثوار في مدينة تربت ومشهد كل من علي نقي خان شجيع الملك الترتيي وصدر العلماء الترتيي ويوسف خان بيكلربكي في مشهد وجرحوا المجتهد ملا عباس علي انظر محمد حسن أديب هروي، المصدر السابق ص ٢١٩- ٢٢٠.

(١٤٠) طلاب مجذوب. المصدر السابق ص ٢٥٤.

(١٤١) انظر محمد أديب هروي. المصدر السابق ص ٢٢٥.

(١٤٢) للاطلاع على حياة ستار خان وباقر خان ونشاطهما راجع أحمد كسروي. تاريخ مشروطة إيران ص ٦٩١- ٧٠٩ وكذلك اسماعيل أمير خيري: قيام اذربيجان وستار خان، المصدر السابق. ص ٢- ٧ وص ٢١- ٢٣.

(١٤٣) عبد الله رازي، تاريخ إيران. از تأسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر مصدر سابق. ص ٥٢١.

(١٤٤) ذكر الدكتور كمال مظهر بأنه كان مزارعا صغيرا انظر دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص ٢٠٥.

(١٤٥) انظر نص تقرير الضابط الفرنسي انزي نيور تحت عنوان تقرير عن الثورة الدستورية في إيران (أحداث تبريز) ترجمة يحيى شهيدي المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة ٥ و ٦ سال جهارم شباط ١٩٦٩ ومارت ١٩٧٠ ص ٢١٣.

(١٤٦) انظر مقال انزي نيور المصدر السابق ص ٢١٤.

(١٤٧) يذكر كوتام (Cottam) إذا كانت طهران هي التي فجرت الثورة فان رشت واصفهان ولاسيما تبريز هي التي غدت حامية الثورة والمدافعة عنها انظر
R. W. Cottam, Nationalism in Iran USA ١٩٦٩ P. ١٥.

(١٤٨) د. كمال مظهر أحمد: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص ٢٠٥.

(١٤٩) إسماعيل أمير خيري: قيام اذربيجان وستار خان، ص ٢٤٩- ٢٥٠.

(١٥٠) يذكر شيخ محسن نجم آبادي بان حيدر خان عمو اوغلي بعد هروبه من طهران ووصوله إلى تفليس ركز نشاطه على مساعدة ثوار تبريز وذلك بارسال الأسلحة والقنابل والفدائيين إلى ثوار تبريز حتى يحول دون سقوط آخر سور من أسوار الحرية في إيران انظر اسماعيل رانيين، حيدر خان عمو اوغلي، مصدر سابق ص١٠٥.

(١٥١) ارسل الثوار من تبريز طردا بريديا ملغوما على شكل صندوق نفيس إليه وعندما فتح شجاع الدولة الطرد الملغوم انفجر عليه ومن في مجلسه واسفر عن مقتل أحد عشر شخصا من بطانته وكان ابنه البكر من ضمنهم انظر محمد حسن أديب هروي، ص ٢٢٢- ٢٢٣.

(١٥٢) غلام حسين مصاحب، دائرة المعارف فارسي، ص ٢٧٤.

(١٥٣) أحمد كسروي ، تاريخ مشروطة، ص ٩٠٥ وكذلك تاريخ هيجده سالة اذربيجان جاب هفتم تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي ص ٣٦- ٣٧.

(١٥٤) كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص ٢٠٨.

(١٥٥) في خضم تلك الأحداث التي كانت تعتلج بها إيران انذاك وردت الأنباء من الدولة العثمانية عن نجاح جمعية الاتحاد والترقي في تدبير ثورة ناجحة ضد السلطان عبد الحميد الثاني وبطبيعة الحال انتعشت امال الدستوريين في إيران من جديد واملوا في مساندة الثوار الاتراك لهم وفعلا حصلوا على بعض المساعدات من جانب الاتحاديين، انظر مجلة بيمان شمارة مردادماه ١٣١٦ سال جهارم جايخانة تابان ص ١٨٧.

(١٥٦) أحمد كسروي : تاريخ هيجده ساله اربيجان، ص ٤٧.

(١٥٧) H. Nazem : Russia and Great Britain in Iran, ١٩٠٠- ١٩١٤, Tehran, ١٩٧٥, P. ٥١.

(١٥٨) أحمد كسروي ، تاريخ مشروطة، ص ٩٠٢.

(١٥٩) كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٢٠٩. أحمد كسروي. تـــاريخ مشــروطة. ص٥٤٤.

(١٦٠) محمد حسن أديب هروي، المصدر السابق. ص ٢٤٤.

(١٦١) أحمد كسروي. تاريخ مشروطة. إيران. ص ٥٤٤.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ٩٠٦، وموركان شوستر. اختناق إيران. ص ٤٥.

(١٦٣) أحمد كسروي ، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص٧.

(١٦٤) غلام حسين مصاحب، دائرة المعارف فارسي، ج١، ص ٢٧٤. وكذلك محمد حســن أديب هروي، المصدر السابق، ص ٢٣٤- ٢٣٥.

(١٦٥) حسن تقي زاده، تهينة مقدمات مشروطيت. دار اذربيجان. مجلة يغما شـــماره. ١٣ سال، ١٣٣٩، ص ٨٦- ١٧٨.

(١٦٦) أحمد كسروي ، تاريخ هيجه سالة اربيجان، مصدر سابق ص٨.

(١٦٧) اسماعيل رائين،ـ حيدر خان عمو اوغلي، مصدر سابق ص١١٠.

(١٦٨) طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(١٦٩) انظر: حبيب الله مختاري، تاريخ بيداري إيران. مصدر سابق ص٦٤.

(١٧٠) محمد حسن أديب هروي، المصدر السابق، ص٢٣٥.

(١٧١) ارسلت الحكومة الروسية الفي جندي من قواتها إلى قزوين وهددت قـــوات الثـــوار الزاحفة نحو العاصمة بانها ستدخل بالقوة بمنعهم من دخول العاصمة طهران، انظر عبد الله رازي، تاريخ كامل إيران. ص ٥٥٨.

(١٧٢) انظر أحمد كسروي ، تاريخ هيجده ساله، اذربيجان. ص ٢٩. وكذلك حسن معاصر: تاريخ استقرار مشروطيت. ص ١٣١، كذلك موركان شوشتر. المصـــدر الســـابق. ص٤٦.

(١٧٣) محمد حسن أديب هروي. المصدر السابق ص ٢٤٥ وكذلك حبيـــب الله شـــاملوني. تاريخ إيران، از ما تا بهلوي. مصدر سابق ص ٦٦٠.

(١٧٤) يذكر عبد الرفيع حقيقت رفيع بأنه التجأ إلى السفارة الروسية وبمساعدتهم وصــــل إلى ميناء اديسا انظر تقويم تاريخ سياسي ايران. ص ٤٩١.

(١٧٥) انظر حسن معاصر. المصدر السابق. ص ١١٨٠ وكذلك بحث د. مـــهدي روشــن ضمير موقع سياسي إيران در بايان دورة قاجارية واغاز شاهنشاهي رضـــا شـــاد كبير ازدي ديبلوماتهاي اروياني المنشور في مجلة بررســـيهاي تـــاريخي شـــمارة

مخصوص سال يازدهم مارت ١٩٧٧ ص ٣٨٥ وكذلك محمد حسن أديب هروي، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(١٧٦) تشكلت الحكومة المؤقتة من الوزراء الاتية اسماؤهم: ١. سبهدار تنكابني وزير الحربية، ٢. سردار اسعد وزير الداخلية، ٣. ناصر الملك وزير الخارجية، ٤. فرما نفرما وزير العدلية، ٥. مستوفي الممالك وزير المالية، ٦. سردار منصور وزير البريد والتلغراف، ٧. يفرم خان مدير شرطة طهران، ٨. صمصام السلطنة حاكما لأصفهان.

(١٧٧) سلم لياخوف نفسه صاغرا إلى الثوار الدستوريين في مبنى البرلمان الذي هدمه بمدافعه وكان بمعيته أمير مجاهد اخي سردار اسعد ليحرسه من بطش الأهالي الثائرين وبعد مدة قصيرة ترك لياخوف إيران متوجها إلى روسيا وقد قتل على يد أحد الفدائيين الكرج في احد شوارع مدينة باطوم بعد اندلاع الثورة البلشفية في روسيا انظر أحمد كسروي تاريخ هيجده سالة اذربيجان ص ٦١.

(١٧٨) موركان شوشتر: اختناق إيران، ص٥٠.

(١٧٩) عبد الرفيع حقيقت رفيع، المصدر السابق ص٤٩١ وكذلك حسن بيرنيا وعباس إقبال: تاريخ إيران از اغاز تاريخ انقراض قاجارية، ص ٨٥٨.

(١٨٠) حبيب الله مختاري، المصدر السابق ص٦٩.

(١٨١) انظر أحمد كسروي : تاريخ هيجده سالة اذربيجان، ص٧٢.

(١٨٢) ومن خواصه وانصاره المقربين الذين لجأوا معه إلى روسيا نذكر منهم أمير بهادر ومجلل الملك وارشد الدولة وموقر السلطنة.

(١٨٣) انظر مقال جواد شيخ الإسلامي بعنوان روحيات وخصال بايان كار محمد علي شاه قاجار المنشور في كتاب مجموعة سخنرا نيهاي دومين كنكرد تحقيقات ايراني جلد (٢) بكوشش حميد زرين كوب ص ٥٤.

(١٨٤) قرر المجلس التشريعي الثاني اسناد منصب رئيس الوزراء إلى أبي القاسم خان ناصر الملك الهمداني الذي كان يعيش في اوربا ويتمتع بثقة الدستوريين لكن الموما إليه امتنع عن الرجوع إلى إيران فاناط المجلس رئاسة الوزراء إلى سبهدار تنكابن انظر حسن بيرنيا وعباس اقبال، المصدر السابق ص ٨٥٨.

(١٨٥) موركان شوشتر، اختناق در إيران ص ٥١.

(١٨٦) حسن معاصر، المصدر السابق، ص١٩٨.

(١٨٧) حسن بيرنيا وعباس اقبال. المصدر السابق ص ٨٥٧.
(١٨٨) حبيب الله شاملوني. المصدر السابق ص..
(١٨٩) ضبط عبد الرفيع حقيقت رفيع تاريخ جلوسه على عرش إيران بصورة رسمية سنة ١٣٣٢ الهجري انظر تقويم تاريخ سياسي ايران. ص ٤٩٢.
(١٩٠) سر برسي سايكس. تاريخ إيران ج٢ مصدر سابق ص ٦٤٨.
(١٩١) اجبرت الحكومة الجديدة بامر من سردار اسعد البختياري ظل السلطان بن ناصر الدين شاه دفع مبلغ قدره مئة ألف تومان إلى الخزينة المركزية لعداوة سابقة بينهما عندما كان حاكما على اصفهان انظر. أحمد كسروي مصدر سابق ص ٦٣ وكذلك اسماعيل رانين. حيدر خان عمو اوغلي. ص ١٤٥.
(١٩٢) ألقي القبض بأمر من محمد علي شاه في الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام ١٣٢٦ الهجري على الشخصيات البارزة في الحركة الدستورية ولاسيما أعضاء المجلس النيابي أو من الوعاظ المشهورين وحملة الاقلام الجريئة نذكر منهم آية الله محمد طباطباني وآية الله عبد الله بهبهاني اللذين بعد القاء القبض عليهما واهانتهما ابعدا إلى خارج طهران وقتل بأمر من محمد علي شاه الحاج ميرزا نصر الله ملك المتكلمين الواعظ والخطيب المشهور وميرزا جهانكير خان الشيرازي مدير جريدتي صور اسرافيل وروح القدس وسيد جمال الدين الواعظ المشهور ولجأ إلى السفارة البريطانية اربعون شخصا من الدستوريين بمعية حسن تقي زادة ومعاضد السلطان خوفا على حياتهم انظر عبد الله رازي. تاريخ كامل ايران. ص ٥٥٣-٥٥٤ حبيب الله شاملوني. المصدر السابق ص ٨٥٦ وحسن بيرنيا وعباس اقبال. تاريخ إيران از اغاز تاريخ تا انقراض قاجارية ص ٨٥٦.
(١٩٣) أحمد كسروي . تاريخ هيجده ساله اذربيجان. مصدر سابق ص ٦٤- ٦٨ وكذلك حسن معاصر، المصدر السابق. ص ١١٩٩ وكذلك عبد الرفيع حقيقت رفيع. المصدر السابق ص ٤٩١ واسماعيل رانين. المصدر السابق ص ١٤٦.
(١٩٤) أحمد كسروي . مصدر سابق ص ٧٤.
(١٩٥) تمكنت قوات يفرم خان من دحر انصار ملا قربان علي وبعد اسره ابعد إلى العراق ومات كمدا.
(١٩٦) للاطلاع على تمرد ملا قربان علي في زنجان راجع الفصل الثالث عشر من كتاب أحمد كسروي تاريخ هيجده ساله اذربيجان ص ١٠٢- ١٠٥.

(١٩٧) انظر سياوش بشيري. سايه إي از سردار: انتشارات بزنك أمريكا ١٩٩١، ص٩٦.

(١٩٨) انظر أحمد كسروي . المصدر السابق. ١٢٩ وكذلك اسماعيل رانين. حيدر خان عمو اوغلي. ص ١٦١.

(١٩٩) محمد تقي خان ملك الشعراء بهار مختصر تاريخ إيران سياسي تهران ١٣٢٣. ص٩- ١٠.

(٢٠٠) مجذوب. المصدر السابق ص ٢٧٤.

(٢٠١) Bagley. F. R. C. Rerligion and the state in Iran Islamic studies. X ١٩٧١, P. ٦٢.

(٢٠٢) انظر بحث د. فوزية صابر دور المثقفين في الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٥- ١٩١١ مجلة كلية المعلمين تشرين الثاني ١٩٩٦ ص ١٨١.

(٢٠٣) انظر دكتر مصطفى الموتي: بازيكران سياسي دربد ومشروطيت تاسال ١٣٥٧ لندن ١٩٨٩ ص ٢٧.

(٢٠٤) حسن بيرنيا وعباس اقبال، تاريخ إيران از اغاز تاريخ تا انقراض قاجارية. ص٨٥٩.

(٢٠٥) انتحر محمد ولي خان سبهدار تنكابني في السابع والعشرين من تموز عام ١٣٠٥ انظر سايكس. المصدر السابق ج١ ص ٦٥٠ وكذلك دكتر مصطفى الموتي بازيكدان سياسي از بدو مشروطيت تا تاريخ سال ١٣٥٧ ص ٥٦.

(٢٠٦) يرفند ابراهيميان. خلفيات وعوامل الثورة الدستورية. إيران ١٩٠٠- ١٩٨٠. ص٦١ وكذلك

Pagley, Ofeit. P. ٦٣.

(٢٠٧) أحمد كسروي: تاريخ هيجده ساله اذربيجان. ص ١٣٠ وكذلك

Pagley, Ofeit. P. ٦٣.

(٢٠٨) أحمد كسروي المصدر السابق ص ٦٣١ وكذلك سياوش بشيري. سايه أي از سردار. ص ٩٦ وكذلك محمد قزويني وفيات المعاصرين مجلة يادكار سال ٥ شمارة (٨- ٩) ص ٧١ وبخلاف رأي أحمد كسروي وآخرين يؤكد اسماعيل أمير خيري بان تقي زاده بريء من دم عبد الله بهبهاني لان تقي زاده كان مخالفا للاغتيال السياسي كمنهج لمناونة مخالفيه السياسيين وان وصمه بهذه التهمة

الشنيعة بعيدة عن الانصاف والعدالة انظر قيام اذربيجان وستار خان. المصدر السابق ص ٥٠٩- ٥١١.

(٢٠٩) أحمد كسروي. مصدر سابق ص ١٣٢- ١٣٣.

(٢١٠) سياوش بشيري. سايه أي از سردار ص٩٧.

(٢١١) قتل باقر خان ابان الحرب العالمية الأولى. في منطقة قصر شيرين انظر غلام حسين مصاحب دائرة المعارف فارسي ج١ ص ٣٧٥.

(٢١٢) يذكر رئيس شرطة تبريز اثناء انتفاضة تبريز بأنه قال لستار خان ارجو أن توافق لتهيئة وسائل سفرك إلى طهران ورد عليه ستار خان بغضب انا لا اذهب إلى طهران وإذا اصريتم على ذلك امرت قواتي بتخريب وتدمير مركز الشرطة على رؤوسكم من اساسها وبعد هذه المشاجرة توجه في سنة ١٣٢٨هـ إلى طهران. انظر كريم طاهر زاده بهزاد قيام اذربيجان در انقلاب مشروطيت تهران ١٣٣٢ ص ٣٢٨.

(٢١٣) محمد حسن أديب هروي المصدر السابق. ص٢٥٦.

(٢١٤) سياوش بشيري. المصدر السابق. ص٢٧.

(٢١٥) انظر تفاصيل هذه المعركة في كتاب تاريخ هيجده ساله اذربيجان لاحمد كسروي ص ١٣٧- ١٤٦.

(٢١٦) كريم طاهر زاده بهزاد. قيام اذربيجان در انقلاب مشروطيت تهران ص ٣٢٦ وكذلك انظر غلام حسين مصاحب. دائرة المعارف فارسي ج١ ص ١٢٥٤.

(٢١٧) في شباط من عام ١٢٨٩هـ اغتيل شخصان يدعيان ايوان وايرالوان من رعايا الروس وزير المالية صنيع الدولة الذي مهد إلى إصلاحات مالية في البلاد وتدخلت الحكومة الروسية في محاكمتهما ومنعت ادانتهما ونقلهما إلى روسيا.

(٢١٨) حبيب الله مختاري. تاريخ بيداري إيران تهران ١٣٢٦هـ/ ١٩٤٧ ص ٣٥. ص٧٧.

(٢١٩) Eabrahimian: Iran Between Two Revolutions P. ١١٠.

(٢٢٠) أحمد كسروي ، تاريخ هيجده ساله اذربيجان ص ١٢٠- ١٢١.

(٢٢١) محمد حسين أديب هروي. المصدر السابق. ص٢٧٦ ود. كمال مظهر احمد. دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ص١٤٣.

(٢٢٢) فوزي خلف شويل. ايران في سنوات الحرب العالمية الأولى ص٢٠٢.

(٢٢٣) المصدر نفسه ص٢٠٢.

(٢٢٤) مورغان شوستر. اختناق إيران، ص١٠٨.

(٢٢٥) د. عبد العزيز سليمان نوار. تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث. ص ٣١٨- ٣١٩.

(٢٢٦) أحمد كسروي . تاريخ هيجده – سالة اذربيجان ص ١٦٠- ١٦١.

(٢٢٧) انظر: بحث الدكتورة فوزية صابر محمد تحت عنوان (دور المثقفين في الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٥- ١٩١١. مجلة كلية المعلمين، العدد٦. تشرين الثاني ١٩٩٦. ص١٨٤.

(٢٢٨) يقول سايكس: أن من المؤكد أن شوستر لم كن مؤهلا لتبوء المقام والمنصب اللذين عهدا إليه لاحتياجه إلى المؤهلات المطلوبة التي تؤهله للقيام بأعمال حساسة وصعبة تقتضيها واجبات وظيفته وحتى لو كان مؤهلا ويحمل جميع الصفات التي تمكنه من تنفيذ واجبات وظيفته فان الحكومة الروسية لم تكن تسمح له بالنجاح والتفوق في مضمار عمله الرامي إلى تنظيم الأمور المالية لإيران. انظر تاريخ إيران، ج٢ ص٦٥٤.

(٢٢٩) أحمد كسروي المصدر السابق ص١٥٩.

(٢٣٠) د. عبد العزيز سليمان نوار. تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ج١- ص٣١٩.

(٢٣١) انظر د. مهدي روشن ضمير (موقع سياسي إيران د. يايان دوره قاجارية واغار شاهنشاهي رضا شاه كبير ازديد ديبلوماتهاي اروپا ئي المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي سال ١١ شماره مخصوص ٢٥٣٥ ص ١٨٦ وكذلك موركان شوستر المصدر السابق ص٢٨٣.

(٢٣٢) محمد حسن أديب هروي المصدر السابق ص ٢٨٣.

(٢٣٣) تشكلت الوزارة الجديدة على النحو الآتي سيبهدار تنكابني رئيسا للوزراء صمصام السلطنة البختياري وزيرا للحرب وثوق الدولة وزيرا للخارجية قوام السلطنة وزيرا للعدل مشير الدولة وزيرا للبرق والبريد حكيم الملك وزيرا للعلوم والمعارف.

(٢٣٤) موركان شوستر، اختناق إيران، ص ١٤٦.

(٢٣٥) مصطفى الموتي: بازيكران سياسي ازبدو مشروطيت تاسال ١٣٥٧ ص ٢٣٢.

(٢٣٦) أحمد كسروي: تاريخ هيجده ساله اذربيجان. مصدر سابق ص١٨٣. وكذلك موركان شوستر المصدر السابق. ص١٧٨ ومصطفى الموتي: بازبكران سياسي. مصدر سابق ص٢٣٢.

(٢٣٧) محمد حسن هروي. المصدر السابق. ص٣٠٠.

(٢٣٨) المصدر نفسه ص٣٠٣.

(٢٣٩) موركان شوستر. المصدر السابق. ص١٨٣.

(٢٤٠) المصدر نفسه. محمد حسن أديب هروي. المصدر السابق ص٢٩٦.

(٢٤١) أحمد كسروي: تاريخ هيجده ساله اذربيجان ص٢٢٥ وكذلك سباوش بشيري سايه أي از سردار ص١٠٤ وموركان شوستر. المصدر السابق ص٢٤٠.

(٢٤٢) محمود طلوعي. المصدر السابق. ص٢٦٧، ٢٦٨.

(٢٤٣) يعلل وزير خارجية بريطانيا تأييد حكومته لروسيا في موقفها من قضية شوستر بأنها كانت ترى ان صداقة روسيا لبريطانيا يجب أن تستمر قوية إذ أن بريطانيا في حاجة ماسة لمواجهة ألمانيا النامية وانه مسؤول عن تقوية الوفاق الودي وليس عن اضعافه. انظر عبد العزيز سليمان نوار. المصدر السابق، ج١ ص٣٢٢.

(٢٤٤) موركان شوستر. المصدر السابق، ص٢١٣.

(٢٤٥) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٢٤٦) لمعرفة تفاصيل المظاهرات والاعتصامات في هذه المرحلة انظر: أحمد كسروي : تاريخ هيجده ساله اذربيجان ص ٢٤١- ٢٤٨.

(٢٤٧) وفي اواخر اذار من العام ١٩١٢ وصل إلى العراق خبر آخر مفاده أن الجيوش الروسية قصفت بالمدافع مشهد الامام علي الرضا عليه السلام في خراسان فانهار جزء من القبة ولسقف وأدى ذلك إلى قتل وجرح عدد من الزوار الذين يتهجدون فيه عند هذا اجتاح الهياج مختلف أنحاء إيران والعراق ووجد المجتهدون في العراق أن من الضروري استئناف حركة الجهاد من جديد واجتمع لفيف من المجتهدين وكان فيهم الشيخ عبد الله المازندراني والشيخ فتح الله الاصفهاني والشيخ حسين محمد القمشني والسيد علي الداماد ومصطفى الكاشاني وقرروا إعلان الجهاد على روسيا على منوال ما فعل الخراساني الراحل. انظر علي الوردي، المصدر السابق، ج٣. ص ١٢٤.

(٢٤٨) د. علي الوردي لمحات اجتماعية. ج١ ص ١٠٢٣ وكذلك أحمد كسروي . تـــاريخ هجدة سالة اذربيجان. وكذلك شوستر المصدر السابق ص ٢٣٠.

(٢٤٩) شوستر المصدر السابق. ص٢٢٦.

(٢٥٠) المصدر نفسه ص٢٢٦. واحمد كسروي. المصدر السابق. ص ٢٢٨.

(٢٥١) أحمد كسروي . المصدر السابق. ص ٢٤٦ وكذلك مجلة ايندد. العدد والتسلسل ٢٢ المجلد الثاني. العدد ١٠سال هـــ ١٣٠٦. ص ٧٣٥- ٧٣٦.

(٢٥٢) يذكر عبد الهادي حائري بان سردار اسعد البختياري دخل في دسائس ومؤامــــرات بعيدة عن الروح الوطنية والدليل على ذلك أن الحكومتيــن الروســية والانكليزيــة وعدتا سردار اسعد البختياري في حال قيامه بانتفاضة على رأس القبائل البخياريــة ضد الحكومة الدستورية سوف يعينونه نائبا للسلطنة فـــي إيــران انظــر تشـــييع ومشروطيت در إيران ونقش ايرانيان مقسم عراق. ص ١٢٢ وكذلك انظر
G. P Gooch and H. Tem Perly; British ducuments on the origin of thewar ١٨٩٨- ١٩١٤ – London Vol x p. ٨٧٧.

(٢٥٣) انظر فرزند انقلاب إيران يا ترجمة حال سيد ضياء الدين طباطباني ص ١٣.

(٢٥٤) أحمد كسروي ، تاريخ هجدة ساله اذربيجان، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢٥٥) سايكس: تاريخ إيران. ج٢. ص٦٥٤.

(٢٥٦) اعدم الجيش الروسي كلا من ميرزا علي ثقة الاسلام والشيخ سليم ضياء العلمـــاء وميرزا صادق خان (صادق الملك) ومحمد ابراهيم قفقايجي والحاج محمد قليخـــان وحسن وقدير انظر: أحمد كسروي . تاريخ هجدة سالة اذربيجان، ص ٣٢١ وكذلك دكتر مصطفى الموتي: باريكران سياسي، ج٣ ص ٢٣٦/ ٢٣٨.

(٢٥٧) د. كمال مظهر، صفحات من تاريخ إيـــران الحديـــث والمعـــاصر، مصـــدر ســـابق ص٢٠٩- ٢١٠.

(٢٥٨) مورغان شوستر، المصدر السابق. ص ٢٦٥.

(٢٥٩) تضمنت الاتفاقية البريطانية الروسية المعقودة العام ١٩٠٧ جعل النفوذ الانكلـــيزي شاملا كلا من الهند والتبت وجنوبي إيران وجعلت منطقة النفوذ الروسي منغوليـــا ومنشوريا وشمالي إيران على أن تبقى وسط إيران منطقة محايدة انظر: الدكتـــور فريتز غروبا: رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق ترجمة فـــاروق حريـــري. ج١. بغداد- ١٩٧٩ ص٦.

Sarah searight, the british . in middle east, London, ١٩٧٩. P. ١٠٢.

(٢٦٠) سياوش بشيري: سايه أي از سردار. مصدر سابق ص ١١٩.

(٢٦١) انظر بحث للدكتور نوري عبد البخيت السامرائي. الصراع الروسي البريطاني في إيران عشية الحرب العالمية الأولى مجلة الخليج العربي السنة الرابعة عشرة المجلد الثامن عشر عدد ٣- ٤ سنة ١٩٨٦ ص٤٧.

(٢٦٢) د. فوزية صابر، إيران بين الحربين العالميتين، تطور السياسة الداخلية ١٩١٨- ١٩٣٩ رسالة ماجستير كلية الآداب بغداد عام ١٩٨٦ ص٧١.

(٢٦٣) انظر بحث علاء الدين اذري. تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران ناسال ٢٥٠٠ شاهنتاهي (١٣٢٠هـ) شمسي مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة مخصوص سال بازدهم شباط مارت ١٩٧٧ ص٢٣٧.

(٢٦٤) راجع مذكرات رضا شاه ترجمة علي البصري بغداد ١٩٥٠ ص١٨.

(٢٦٥) انظر فوزي خلف شويل، إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى بغداد ١٩٥٨، ص٥٣.

(٢٦٦) Rouhllah. K Ramazani: the foreign policy of iran ١٥٠٠- ١٩٥١. Chartott sville ١٩٦٦ – P.١٢٧

(٢٦٧) سر برسي سايكس، تاريخ إيران ج٢ مصدر سابق ص٦٦٦.

(٢٦٨) فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص٥٤.

(٢٦٩) عبد العظيم رضائي، تاريخ ده هزار ساله إيران، مصدر سابق ص٢٥٤.

(٢٧٠) يقول الدكتور مهدي ملك زاده عند عرضه لخصوصيات سالار الدولة الاخلاقية وحبه المطلق للجاه والسلطة أن أبا الفتح ميرزا سالار الدولة كان يعتقد بأنه سوف يكون الشاه المرتقب على عرش إيران وقد امر بخياطة الزي الشاهي ليرتديه في بعض الليالي عندما يخلو مجلسه من الغرباء ويضع التاج على رأسه ويحضر محارمه للبحث معهم عن مستقبل البلاد عندما يصبح شاها على عرش إيران انظر تاريخ مشروطيت إيران، ج٣، ص٣١- ٣٥.

(٢٧١) أحمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران ص ٣٦٧.

(٢٧٢) سايكس، تاريخ إيران ج٢، ص٦٦٢، ويبدو أن سايكس جريا على سياسة الحكومات الرسمية الإيرانية يفرق بين اللر والكرد في حين انهما شعب واحد.

(٢٧٣) أحمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران، ص ٣٦٦- ٣٦٩.

(٢٧٤) انظر فرهنك أمير مسعود معتمدي بعنوان غائلة سالار الدولة المنشور في مجلة بررسيهاي تاريخي شمارة ٣ سال سوم اب - تشرين الأول ١٩٦٨.

(٢٧٥) ملك زاده، تاريخ مشروطيت إيران، ج٢، مصدر سابق ص٣٣.

(٢٧٦) اطلق في اواخر الحكم القاجاري على ولايات ملاير ونهاوند وتويسركان الولايات الثلاث.

(٢٧٧) من زعماء القبائل الكردية الذين ناصروا سالار الدولة يومئذ يمكن ذكر داود خان أمير اعظم رئيس عشيرة كلهر ونظر علي خان اللرستاني رئيس عشائر بيشكوه وسردار اشرف بن والي بيشتكوه وحسين خان سردار منصور رئيس عشيرة كدران واسماعيل خان سالار افخم بن علي مراد خان اختشام الممالك ومحمد بيك رئيس عشيرتي باباجاني وقبادي من الجاف وعشائر أحمد وند بهتويي وناتكي برئاسة فتح السلطنة وعشائر سنقر وكلياني برئاسة حسين قلي خان أمير امجد وامان الله خان فتح السلطان انظر مجلة خواندنيها، سال ٢٢، عدد ٦٩- ٧٠.
وكذلك انظر ايل سنجابي ومجاهدت ملي إيران علي اكبر خان سردار مقتدر باتحرير وتحشيه د. كريم سنجابي تهران ١٣٨٠ ص ١٣٨- ١٩٣.

(٢٧٨) أحمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران، ص ٣٦٨- ٣٦٩.

(٢٧٩) أحمد كسروي ، تاريخ هجدة سالة اذربيجان، ص ١٨٩.

(٢٨٠) كان من جملة الناجين على رضا خان الكروسي، وبعد أن وصل موطنه كروس ارسلت الحكومة ثلة من الجيش بقيادة جهانشاه أمير افشار لحاربته واستطاع جهانشاه الانتصار عليه وقتل علي رضا خان في ساحة الوغى.

(٢٨١) عبد الحسين ميرزا سالار لشكر بن فيروز ميرزا نصرة الدولة من رجال اواخر العهد القجاري (١٢٣١هـ شيء ١٣١٨) إذ انخرط في سلك الجيش العام ١٢٩٦هـ. قد وعين وزيرا للعدلية العام ١٣٢٥/ كما عين بعد ذلك وزيرا للداخلية في عهود ناصر الملك ومستوفي الممالك وعين الدولة وفي صفر ١٣٣٤هـ صار رئيسا للوزراء وكان في مختلف العهود واليا للولايات المتعددة منها فارس وكرمان.

(٢٨٢) يار محمد خان الكردي لعب دورا رئيسا في المعارك التي خاضها انصار الدستور ولكن قبل مقتله انحاز إلى سالار الدولة وتحالف معه ضد الدستوريين.

(٢٨٣) علي أكبر خان سنجابي، سردار مقتدر مصدر سابق، ص١٩٩. للاطلاع على تفاصيل هذه المعارك انظر أحمد كسروي ، تاريخ هجدة سالة اذربيجان، ص ٥١٠- ٥١١.

(٢٨٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٨٥) أحمد كسروي ، تاريخ هجدة ساله اذربيجان، ص ٥١٣.

(٢٨٦) التجأ محمود حسين خان (أعظم الدولة) وابنه فخيم الدول إلى إحدى القرى العائدة لهما باسم (كندولة) وألقى عباس خان المعروف بـ(سردار رشيد) الاردلاني القبض عليهما وأمر بخنقهما في السجن انتقاما لمقتل عمه شرف الملك. انظر علي أكبر خان مصدر سابق ص٢٠٠.

(٢٨٧) أحمد كسروي ، مصدر سابق، ص٥١٤.

(٢٨٨) د. كريم سنجابي، اميدهاونا اميديها، لندن، ١٣٦٨- ١٩٨٩، ص١٩.

(٢٨٩) أحمد كسروي، تاريخ هجدة سالة اذربيجان، ص٥٢٠.

(٢٩٠) المصدر نفسه ص٥٢٣.

بالرغم من اعداء الثورة الدستورية تمكنوا من كسب عدد من المتنفذين الكرد إلى جانبهم ووقف الكثير من الشعب الكردي في صف الثورة واشترك عدد كبير من ابنائهم في احداثها بشكل فعال فتشير احدى وثائق (أرشيف سياسة روسيا الخارجية التي تعود إلى العام ١٩٠٧ إلى اشتراك نحو ثلاثين ألف مقاتل كردي في مناطق حول خوي وماكو ضد العصابات التي شكلها اعداء الثورة هناك بقصد ضربها وتشير وثيقة أخرى من المجموعة نفسها إلى المساعدات الكبيرة التي قدمها الاكراد للثوار العاملين في مناطق اورمية وساو جبولاق وسلماس وهي جميعها مناطق كردية انظر د. كمال مظهر أحمد، كردستان في الحرب العالمية الأولى ترجمة محمد ملا عبد الكريم بغداد ١٩٨٤ ص ١٢٠.

(٢٩١) يذكر علي اكبر خان "سردار مقتدر في مذكراته: أن داود خان كلهر اليد اليمنى والمساند الأكبر لسالار الدولة في حركته اصيب برصاصة رشاش في تلك المعركة وقد ادعى الكثيرون في حضور فرما نفرما حاكم كرمنشاه بان قتله كان على ايديهم ولكن رضا خان الذي اصبح "رضا شاه" بعد تسنمه حكم إيران كذبهم جميعا واكد بان مقتله كان برصاصة من رشاشات جنود القوزاق انظر علي اكبر خان سردار مقتدر ايل سنجابي ومجاهدت ملي إيران مصدر سابق ص ٢٠٧.

(٢٩٢) أحمد كسروي ، تاريخ هيجدة سالة اذربيجان ص ٥٣١ وكذلك علي اكبر خان سردار مقتدر ص ٢٠٩.

(٢٩٣) كانت حركة سالار الدولة مسندة من قبل الحكومة العثمانيـــة فالاوســـاط الحاكمـــة التركية حلمت الحصول في الشرق بالذات على تفويض جزئي لقاء الخســـائر فـــي الأراضي التي فقدتها في مناطق البلقان والقفقاس وكذلـــك فـــي افريقيـــا، وإيـــران بصفتها دولة ضعيفة مركزيا في تلك المرحلة كان الهدف العدوان عليها مـــن قبـــل الدولة العثمانية امرا سهلا وقد ظهرت هذه السياسة منذ تسلم السلطان عبد الحميـد الثاني الحكم في الدولة العثمانية وبدء التوتر يتصاعد على الحدود التركية الإيرانية منذ عام ١٨٩١ وهو عام تشكيل القوات الحميدية من القبائل الكردية واستمر نشاط هذه الفرق بعد الثورة الدستورية عام ١٩٠٨ تحت واجهات أخرى.

(٢٩٤) قتل يار محمد خان برصاصة من أحد مقاتلي جهان كشرخان الكوراني انظـر علـــي اكبر ص ٢١٣.

(٢٩٥) مارس سالار الدولة شقيق محمد علي شاه نشاطا واسعا في المناطق الكردية ضـــد الثورة الدستورية وسانده المسؤولون الاتراك والانكليز في ذلك وتمكن من كسب عدد من رؤساء عشائر الجاف والزنكنة وفي شهر مايس ١٩١١ التحق ألف مقاتل مـــن عشائر المكري بقواته وانتشر خبر مفاده أن شيخ عبد القادر الشمزيني يرغب فـــي مساندة قواته وايده جميع عشائر الكردية واعلن في اواسط تموز بأنه حاكم كردستان انظر د. كمال مظهر أحمد: كردستان في سنوات الحرب العالميـــة الأولـــى ص١٢٠ وكذلك م. س لازاريف: كيشه ي كورد ١٨٩٦- ١٩١٧، ترجمة كاووس قه فتـــان ص ٢٩٢.

(٢٩٦) كه ريم به كي جاف، ته نريخي جاف، ليكولينه وه ي د. حسن جاف ص ٨٢.

(٢٩٧) سر برسي سايكس، تاريخ إيران، ج٢. ص ٦٦٢. علما بأن سالار الدولـــة عندمـــا يدخل ايران من كردستان العراق انطلاقا من دار محمود باشا الجاف رئيـــس قبيلـــة الجاف في أواخر جمادى الثاني ١٣٢٩هــ/ ١٩٠٩م شاع خبر انضمام محمود باشـــا الجاف إلى حركة سالار الدولة. انظر كذلك شيخ محمد مـــردوخ كورســـتاني تـــاريخ مردوخ، مصدر سابق ص٢٧٨.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول: ايران في الأعوام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م	١١-٨٦
الدولة الصفوية	١٢
نسب الصفويين	١٣
الشاه اسماعيل بن حيدر الصفوي	١٨
حروبه الداخلية	١٩
الشاه طهماسب الصفوي ٩٣١-٩٨٤هـ/ ١٥٢٤-١٥٧٦م	٢٨
الأوضاع الداخلية لايران في بداية حكم الشاه طهماسب الصفوي	٢٨
الاوضاع الاقتصادية في ايران اواخر حكم الشاه طهماسب	٢٩
حروبه الخارجية	٣٠
تعصبه المذهبي	٣٨
اغتيال حيدر ميرزا	٣٩
اسماعيل الثاني	٣٩
محمد خدا بنده ٩٨٥-٩٩٦هـ/ ١٥٧٧-١٥٧٨م	٤٠
الشاه عباس الكبير ٩٩٦-١٠٣٩هـ/ ١٥٨٧-١٩٦٢م	٤٢
الصراع مع العثمانيين واحتلال بغداد	٤٤
وفاة الشاه عباس	٥١
شاه عباس الثاني ١٠٥٢-١٠٧٧هـ/ ١٦٤٢-١٦٦٦	٥٤
شاه سليمان ١٠٧٧-١١٠٥هـ/ ١٦٦٦-١٦٩٣م	٥٥
السلطان حسين الصفوي ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م- ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م	٥٦
هجوم الافغان واحتلالهم لايران	٥٧
هوامش الفصل الاول	٦٧
الفصل الثاني: ظهور نادر شاه مؤسس الدولة الافشارية	٨٧-١٣٤
بدايات حياته وشخصيته	٨٧
فتح الهند	١٠٠

الموضوع	الصفحة
هوامش الفصل الثاني	١٢١
الفصل الثالث: الدولة الزندية الكردية ١١٦٦-١٢٠٩هجري/ ١٧٥٣-١٧٩٤ميلادي	١٣٥-١٧٦
ايران في عهد خلفاء كريم الزند ١١٧٩هجري/ ١١٩٣ميلادي-١٧٨٨هجري/ ١٢٠٣ميلادي	١٤٤
لطف علي خان ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م	١٥٠
هوامش الفصل الثالث	١٦٣
الفصل الرابع: الدولة القاجارية (١٢٠٠-١٣٤٣هجري) (١٧٨٥-١٩٢٤ميلادي)	١٧٧-٢٣٦
اغا محمد خان (١٢٠٩-١٢١١هـ/ ١٧٩٥-١٧٩٧م)	١٧٨
فتح علي شاه (١٢١٢-١٢٥٠هـ/ ١٧٩٧-١٨٣٤م)	١٨٦
فتح علي شاه والدول الاوربية	١٨٩
الحرب مع روسيا ١٨٢٦-١٨٢٨م	٢٠١
محمد شاه ١٨٣٤-١٨٤٨م	٢١٠
هوامش الفصل الرابع	٢١٩
الفصل الخامس: الحركات السياسية والدينية في عهد محمد شاه	٢٣٧-٣٠٢
الحركات البابية والبهائية	٢٣٨
تمرد حسن خان (سالار) بن اللهيار خان أصف الدولة في خراسان	٢٤٦
ناصر الدين قاجار والتطورات السياسية في عهده (١٢٦٤-١٣١٣هـ/ ١٨٤٨-١٨٩٥م)	٢٤٨
امير كبير ميرزا تقي الفراهاني اول رئيس وزراء لناصر الدين شاه قاجار	٢٥٢
ميرزا اقا خان نوري وسياسته الموالية لبريطانيا	٢٥٦
مصير اقاخان نوري	٢٦٠
دور بعض المثقفين في ايجاد الوعي السياسي في عهد ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه	٢٦٠
ملكم خان ١٨٣٣-١٩٠٨م	٢٦٢
ميرزا حسين خان والدولة سبهسالار	٢٦٣

الموضوع	الصفحة
حركات التنباك في عهد ناصر الدين شاه وبداية الحركة الدستورية في ايران	٢٦٨
عصر الامتيازات الاجنبية	٢٧٣
ثورة الشيخ عبيد الله النهري ١٨٨٠-١٨٨٣م	٢٧٥
اغتيال ناصر الدين شاه	٢٧٩
هوامش الفصل الخامس	٢٨١
الفصل السادس: مظفر الدين شاه والحركة الدستورية	٣٠٣-٣٨٨
شخصيته	٣٠٣
تنامي الحركة الدستورية	٣٠٦
تعاظم الحركة الدستورية في عهد مظفر الدين شاه	٣٠٨
محمد علي شاه ١٣٢٤-١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧-١٩٠٩م	٣١٨
صفاته الاخلاقية	٣١٨
محمد علي شاه والثورة الدستورية	٣١٩
احمد شاه (١٣٢٧-١٣٤٣هـ) (١٩٠٩-١٩٢٤م)	٣٣٣
الازمات التي واجهت الحكومة الدستورية	٣٣٤
انقسام مجلس البرلمان	٣٣٥
حادثة حديقة اتابك	٣٣٨
تدخل الحكومتين الروسية والبريطانية المباشر في الاوضاع الداخلية للحكومة الدستورية	٣٣٩
مورغان شوستر ودوره السياسي والاقتصادي	٣٤١
التدخل الروسي لاعادة محمد علي شاه الى عرش ايران	٣٤٢
انحلال الحكومة الدستورية	٣٤٥
حركة سالار الدولة	٣٥١
هوامش الفصل السادس	٣٥٩
فهرس المحتويات	٣٨٩